القَمَرُ الأَحمَر

The Red Moon

1

أسطورة غير البشر

The Legand of Non-Humans

غادة أحمد
Ghada Ahmed

ساحر الكتب

مُقدِّمة

القمر الأحمر ، روايةٌ ضخمة وسلسلةٌ من عِدَّة أجزاء ، تُصور الحياة بين البشر و«غير البشر» ، تتناول حياة الشخصيات منذ طفولتهم وحتى شبابهم ، وتدور أحداثها في القرن السابع عشر ، في مملكةٍ خيالية تدعى "بانسيلينوس" ، وتعني "القمر"..

صراعاتٌ نفسية ، مكائدُ ومؤامرات ، حروبٌ دموية ، حقدٌ وانتقام ، أساطيرُ ونبوءات ، أسرارٌ محيِّرة ، الحب بكل أنواعه ، والحياة الملكية والعسكرية بكل تفاصيلها..

عندما يولد الحب ، وتُقتل المشاعر بالدماء ، تمتزج السعادة بالحزن ، والمحبة بالكراهية ، ويكون السيف ، هو الحد الفاصل بين الحياة والموت !

تمهيد

القمر الأحمر ، هي ظاهرةً فلكية ، تقع في فتراتٍ متباعدةٍ ، يفصل بينها عددٌ من السنين ، وتحدث في حالة القمر المكتمل العملاق ، عندما يكون في أقرب أوضاعه خلال الخسوف القمري ، حيث يمرّ ضوء الشمس عبر الغلاف الجوي وينكسر ، فيتشتت الضوء الأزرق والأخضر في السماء ، وتنفذ أشعة الشمس الحمراء التي لاتتشتت ، فتضيء القمر بلونها الأحمر ، وتقول الأساطير بأن هذه الظاهرة مرتبطةٌ بكائناتٍ غامضة ، تزيد قوتها إلى أضعافها عند حلول القمر الأحمر...

الشخصيات

أسرة غاريس

الأسرة الحاكمة لمملكة (بانسيلينوس) ، حيث يعتلي عرشها الملك المترف (أليكساندروس) ، والذي لم يحظَ سوى بابنتين: (أفروديت) و (ديميتير).

(الأميرة أفروديت)

أفروديت Aphrodite

ذكيـة ، قويـة الشخصـية ، جـادة ومثالية ، تُحكِّم عقلها قبل عاطفتها ، تحب ركوب خيلها «أتشاز» ، وتشعر بالمسؤولية تجاه مملكتها..

(الأميرة ديميتير)

ديميتير Demeter

مـاكرة ، مغـرورة ، لعوبـةٌ وعابثـة ، غاوية ، ولايمكن التنبؤ بتصرفاتها..

مجموعة المتسولين

(أبراكساس) رجلٌ شريرٌ ، يتبنّى الأطفال الجميلين ، لقطاءٌ كانوا أو مشردين ، ويقوم بإيوائهم وإطعامهم مقابل أن يجلبوا له المال بأية طريقة كانت ، العمل ، البيع ، السرقة ، الاحتيال ، أو التسول.

(ألارد)

ألارد Alard

هو الأكبر سناً في مجموعة المتسولين ، وهو قائدهم ويتحمّل مسؤوليتهم ، ضخم البنية ، جادٌ ورزين ، ومثالي ، بالإضافة إلى كونه قوياً وشجاعاً ، وشديد الولاء..

(زوي)

زوي Zoi

ثاني أكبر فردٍ من المجموعة ، تعشق «ألارد» بصمت ، وهي قويةٌ وشجاعةٌ مثله ، هادئةٌ ومستقلة ، وتفُضّل الاعتماد على نفسها..

(رايموند)

يهوى السرقة ، ويتميز بخِفَّة اليد في هذا المجال ، ويتمتع بقوته القيادية ، سريع الغضب ويحب القتال وافتعال المشاكل..

(آرميل)

ذكيٌ وماكر ، ماهرٌ بالخداع والاحتيال ، وكذلك الإغواء ، بالإضافة إلى أنه مثقفٌ ويعشق الكتب ، يتميز بساقيه الطويلتين ، جبانٌ ولا يُحبذ القتال..

(أرام)

كان في طفولته طيباً ولطيفاً ، لكنّ شيئاً ما يغيّره عندما يكبر ، فيُصبح شخصاً صامتاً وقليل الكلام ، عديم المشاعر ، وجامد التعابير..

أرام Aram

(ياني)

الفتى الجميل الذي يُعاني من تأخر عقلي منذ ولادته ، يبدو شاباً ناضجاً ، ولكنه يفكر ويتصرف كالأطفال ، يحمل قلباً بريئاً ونقياً ، ويمتلك موهبةً في الرسم..

ياني Yani

(أغلاي)

فتاةٌ طيبة لكنها ساخطةٌ وطامعة، تشعر بالعار لكونها فقيرة وتحلم أن تصبح نبيلة ، بارعة في الحياكة، وهذه هي المهارة التي تُميِّزها..

أغلاي Aglae

(داناي)

الفتاة الرقيقة التي وُجدت فاقدة الذاكرة في طفولتها ، فماضيها مجهولٌ تماماً ، وتُعتبر أصغر فردٍ في المجموعة..

داناي Danai

أسرة بونيفيل

عائلة مصاصي دماء ذات أصولٍ ملكية ، قدموا من إمبراطوريةٍ بعيدةٍ كانوا يحكمونها ، قبل أن يضطروا للهرب إلى عالم البشر ، ويستقروا في «بانسيلينوس» كعائلةٍ نبيلة تمكّنت من الوصول لمناصب هامة ونفوذ في المملكة ، وفي ذات الوقت يحاولون إخفاء حقيقتهم ، حتى يحافظوا على عهد أسلافهم بعدم أذية البشر.

كبير العائلة هو الجد (إيفرانور) ، وأبناؤه الخمسة:

الجنرال (إدغارد) ، الكونت (إيبير) ، وابنه الأصغر الكونت (أرماند) ، وابنته (مارغريت).

(أرماند)

الكونت الأعزب ، والابن الأصغر لـ«إيفرانور» ، يتميز بقوته الجسدية ، وشخصيته القيادية ، متعصبٌ لأصول أسرته الملكية ولعِرقه كمصاص دماء ، يعمل مستشاراً للملك «أليكساندروس» ، ويُضمر نوايا خبيثة..

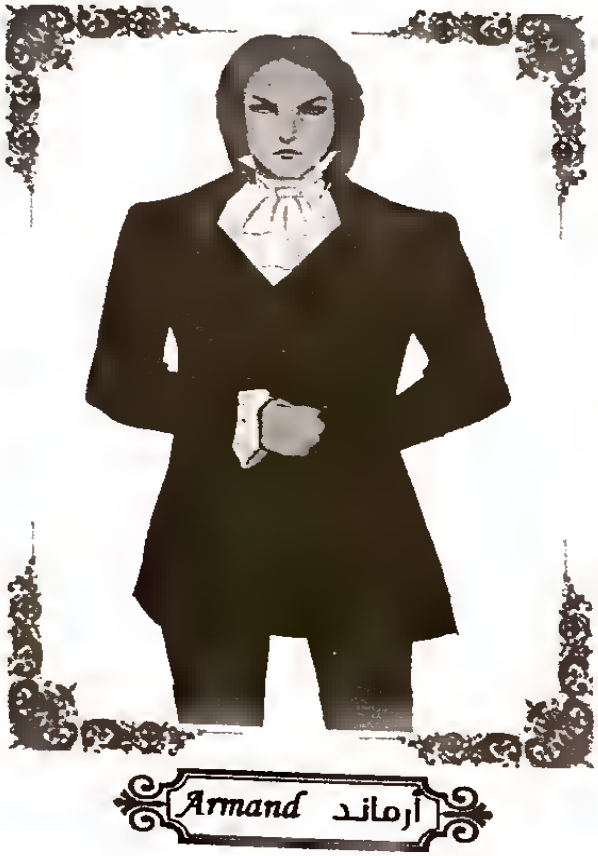

(إيمانويل)

الابـن الأكـبر للجنـرال «إدغـارد» ، يتميـز بجاذبيـة وشخصـية قياديـة ، يغلب عليه حب التملُّك أحياناً ، إلّا أنه لايتخلّى عن عطفه ولباقته..

إيمانويل Emmanuel

(بيلموت)

مستهترٌ وغير مبالٍ ، ولايأبه حتى بالفتيات ، ساخرٌ كثيراً ، ويحب الإثارة والمغامرة ، عنيدٌ ويسلُك الطريق الذي يعجبه فقط..

بيلموت Belmot

أبناء (إدغارد):

(ايمانويل)

الابـن الأكـبر للجنـرال «إدغـارد».
يتميـز بجاذبيـة وشخصيـة قياديـة.
يغلـب عليـه حـب التملُّك أحياناً، إلّا أنه لايتخلّى عن عطفِه ولباقته..

(بيلموت)

مستهترٌ وغـير مبـالٍ، ولايأبـه حتى بالفتيـات، سـاخرٌ كـثيراً، ويحـب الإثـارة والمغـامرة، عنيـدٌ ويسـلك الطريق الذي يعجبه فقط..

(غيلبرت)

أناني ومغرور ، قاسٍ وعنيف ، يُعامل قريبته «باربرا» بجفاءٍ رغم حبها الشديد له ، ومع هذا فهو يُعتمد عليه ، ويهتم بحماية عائلته..

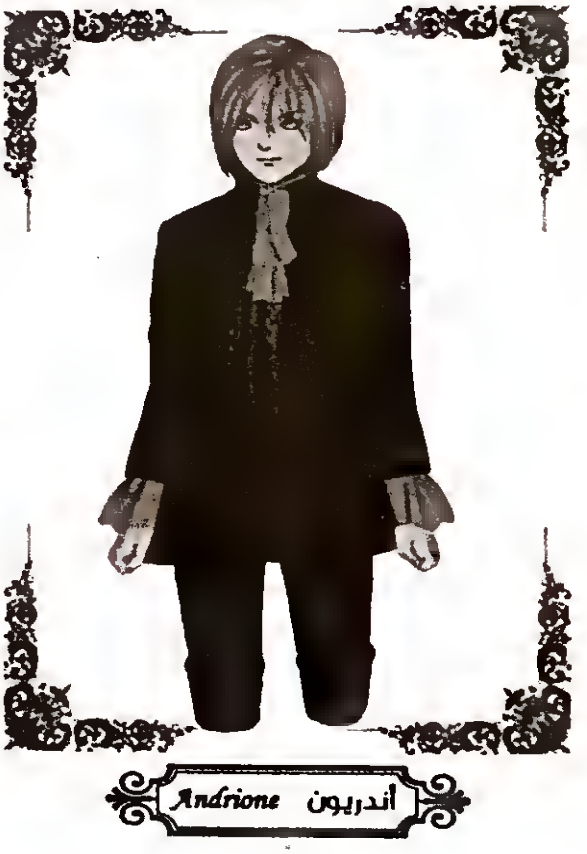

(أندريون)

لطيفٌ وطيب ، وبالرغم من وجهه الطفولي وصغر سنه ، إلّا أن ذكاءه يفوق الكبار..

(فيوليت)

هادئةً ورقيقة ، ضعيفة الشخصية . تحمل مشاعرَ دفينةً لقريبها «إيمانويل» ، وتُعتبر صديقةً لقريبتها «باربرا» وللأميرة «ديميتير» أيضاً . والاثنتان عدوتان تحاولان استغلالها في نزاعهما..

ابنة (مارغريت):

(باربرا)

مدللة والدتها ، مغرورةً وماكرة إلى حدٍ ما ، فأحياناً لاتكون بذلك المكر ، وتفشل خططها في النهاية ، تعشق قريبها «غيلبرت» بجنون ، ولكنَّ حبها له من طرفٍ واحد ، وعدوتها اللدودة هي الأميرة «ديميتير»..

أسرة مونبيتيت

عائلةٌ عريقةٌ برزَت أجيالها في خدمة جيش بلنسبلينوس ، ولم يبقَ منها إلّا الجنرال (أركاديوس) الذي قُتل في المعركة ، ثم توفيت زوجته ، وهرب ابنيهما ليكملا حياتهما في مكانٍ آخر ، ولكنَّ الابن الأكبر (ألباين) يتوصَّل إلى أنهما ماتا مقتولَين لسببٍ غامض ، فيعزم على إيجاد الحقيقة ، والانتقام لهما.

ألباين Albine

(ألباين)

ذو كبرياء عالٍ ، يفتخر بنُبله وبأسرته ، يُحب شقيقته «دليا» ، الوحيدة المتبقية من عائلته ، ويكنُّ الحقد على أسرة «بونيفيل» ، معتقداً بأنهم من قتل والديه..

دليا Dylia

(دليا)

عطوفةٌ وحنونة ، قوية الشخصية ، وصارمةٌ أحياناً..

أسرة رونثو

الأسرة الحاكمة لمملكة رومبيانيا ، ويتربّع على عرشها الملك (هيروديون) ، وهو على عداء مع مملكة بانسيلينوس ، ولديه ثلاثة أشقّاء طامعين في عرشه الذي سيؤول لابنه..

أشقّاؤه: (بيلزبيل) الرأس المدبّر ، (تريتون) قائد الجيش ، و(أنارغيروس) قائد القوة البحرية.

(أرجوس)

الابن الوحيد للملك «هيروديون» ، ووريث العرش ، يكون ضعيفاً ومدللاً جداً في صغره ، لكنّه عندما يكبر ويعيش الحياة القاسية بعيداً عن الترف ، يصبح قوياً وشديد العزم ويتصرف كملك ، إلّا أن عاطفته تؤثر عليه ، بالإضافة إلى عِناده وتهوّرِه...

أرجوس Arjus

كليوزهيت
Klyuzhet
وادي الذئاب
Valley of the Wolves
ديلون
Delon
غابات الشرق
The East Forest
رومبيانيا
Roumbeania
سيفاتوست
Sivatoust
مولينا
Moulina
لوردبور
Lourdbor
أثانسيا
Athensy
غابة ميغالوس
Megalos Forest
بولبشول
Bulubhol
المنطقة الحمراء
The Red Zone
لمباسو
Lambasso
تشيستوتا
Chistota
بانسيلينوس
Panselinos
Map الخريطة

«القمر الأحمر»

أسطورة غير البشر

الفصل الأول

«١»

كانت تركض هاربةً عبر زحام الناس... بينما يلحق بها أربعة رجال... وكان شعرها المُسترسل الداكنُ يتطاير خلفها أثناء قفزها وجريها السريع...

أخرج أحدهم سيفه... فشعرت بالخوف أكثر ، وتسارعت ضربات قلبها...

❁❁❁

لنبدأ من حيث بدأت القصة..

- عام ١٦٠٠م ، القرن السابع عشر -

مملكة (بانسيلينوس)... التي تطل على مضيقٍ بحريٍ يتّصل بالمحيط ، تتوسطها العاصمة المضيئة (لورديور) ، حيث كان القصر الملكي يقع في أطرافها... وتحيط به قصور النبلاء ومزارعهم الواسعة ، وفي وسط العاصمة تقبع الأحياء الفقيرة والمنازل المتواضعة... التي تسكنها الطبقة الكادحة...

ومع ذلك ، يُعدّ وسط المدينة مركزاً مهماً للتسوق ، حيث تكثر فيه الدكاكين والبضائع ، ويعتبر نقطة التقاء التجار من المملكتين المجاورتين... (رومبيانيا) و (تشيستوتا)...

كان نهاراً مشمساً ودافئاً ، عندما اكتظّ وسط العاصمة بالناس ، الباعة ينادون من عرباتهم المتجولة ومن دكاكينهم الصغيرة المتواضعة ، التي تبيع الخبز والخضار ، العلف والسيوف وألجمة الخيل ، والتجار يفتتحون متاجرهم الكبيرة ويعرضون بضائعهم الثمينة التي جُلبت من خارج البلاد ، من مجوهراتٍ وأقمشةٍ وتماثيل نادرة ، يأتي العديد من الناس للتسوق... من مختلف طبقات المجتمع... نبيلةً كانت أو متوسطة ، أو حتى فقيرة...

وبينما الأطفال الصغار يركضون هنا وهناك ، لمحت الطفلة الصغيرة أغلاي إحدى النساء النبيلات ، وهمست لنفسها بانبهار: ياله من جميل ، ذلك الفستان!

ثم التفتت نحو أصدقائها وأشارت إليهم بعينيها ، وأومأت برأسها ناحية تلك المرأة ، ففهم الأطفال تلك الإشارة المعتادة... واتجهوا بثيابهم الرثة نحو المرأة النبيلة ، ثم بدؤوا بالغناء وهم يصفقون ويقومون برقصاتٍ وحركاتٍ بهلوانية ، وكانوا يبتسمون بمرحٍ أثناء غنائهم:

(أتينا من كل مكان... أصبحنا إخوةً ولا دم يربطنا... سوى أننا نتشارك في المصير...
نحن الأزهار الجياع... لا نملك غير ابتسامتنا البريئة... لنُهديكم إياها... فهل يمكنكم جعلنا نستمر بالابتسام؟!
آرغنتّ واحدّ فقط سيجعلنا نبتسم طوال العمر... آرغنتّ واحد! ♫)

ابتسمت المرأة النبيلة باندهاشٍ واعجاب ، وأمرت خادمتها بأن تعطيهم آرغنتاتٍ على عددهم ، ثمانية آرغنتا!

التقطوها بشغفٍ وابتسموا بسعادةٍ وهم يقولون: شكراً جزيلاً سيدتي!

وبعد أن ابتعدت المرأة النبيلة التفتوا إلى بعضهم وتهامسوا بلهفة:

- يبدو أننا محظوظين اليوم!

- لقد أُعجبت بعرضِنا!

- كم هي كريمة!... أعطت لكل واحدٍ منا آرغنتا!!

التفت الصبي الذي يكبرهم سناً ، ألارد ، ذي الشعر الأشقر ، وأشار بعينيه نحو نبيلٍ آخر ، فركضوا تجاهه وبدؤوا بالغناء والرقص مرةً أخرى...

(رومبيانيا - غابات الشرق)

(رومبيانيا) هي مملكةٌ مجاورةٌ لبانسيلينوس من الناحية الغربية ، ويفصل بينهما المضيق البحري . ولم تكن العلاقة بين المملكتين بالجيدة آنذاك...

في إحدى الغابات الكثيفة التي تقع في الناحية الشرقية لرومبيانيا ، كان الجنرال أبوليون ينتقل لوحده بين الأشجار ممتطياً جواده في إحدى المهمات السرية ، متنكراً بثيابٍ مدنية . كان أبوليون رجلاً قوياً وقائداً عظيماً . وولاؤه للملك ولمملكة رومبيانيا أعظم من أي شيءٍ آخر...

فجأةً . توقف الجنرال أثناء سيره عندما سمع صوت بكاء طفل... وأخذ يتلفّت حوله متعجباً . ولكن الصوت مالبث أن اختفى... فرفع لجام الجواد وأكمل سيره...

لكن الصوت عاد مرةً أخرى ، عندها نزل عن حصانه وأخرج سيفه من غمده ، وأخذ يخطو بحذرٍ بين الأشجار ، متتبّعاً مصدر الصوت...

بدأ يبحث بعينيه حول المكان ، فلمح طفلةً صغيرة تجلس القرفصاء وتستند على جذع إحدى الأشجار... باكيةً بخوف...

أعاد الجنرال أبوليون السيف إلى الغمد ، ثم تقدّم نحوها ببطءٍ وهو يسأل متعجّباً: مالذي تفعله طفلةٌ صغيرةٌ في مكانٍ كهذا؟!

رفعت الطفلة رأسها... وقد كان مظهرها مزرياً ، وجهها الشاحب ، وثيابها الرثّة ، وشعرها الذهبي المتشعث ، أخذت تنظر إليه بخوفٍ وهي تحاول تغطية وجهها...

تنهد الجنرال أبوليون وأخرج رغيفاً جافاً... وقدّمه إليها بصمت...

فالتقطته على الفور وأخذت تأكله بنهم ، ولم يكن الجنرال ذا عاطفةٍ ، فاستدار ليغادر وهو يقول: عودي إلى أهلك!... فالغابة مكانٌ خطر!

لكنه عندما همّ بركوب جواده ، شعر بصوت خطواتٍ خلفه ، فالتفت ورأى الطفلة قد لحقت به...

فتنهد منزعجاً: مالذي تريدينه مني أيتها الطفلة؟!... عودي إلى والديك!

لكنها وقفت تنظر إليه بعينين خائفتين... ثم اقتربت وتشبّثت بأطراف ثيابه ، وهمست بصوتها الصغير المتعب: أرجوك... لاتتركني هنا!... أنا خائفة!

أبوليون مستغرباً: أين والداك؟!

أجابت بكل براءة: لاأعلم... ليس لدي والدان!

أبوليون: إذن عودي من حيث أتيت!... أنا في رحلةٍ طويلة ، ويجب ألّا أتأخر!

ركب ورفع لجام حصانه ، وأخذ يسير مبتعداً ، فتساقطت دموع الطفلة الجميلة... وأخذت تتلفت

حولها وتنظر إلى أشجار الغابة بذعر... وأكملت المشي خلف أثرِه ، بالرغم من أن أبوليون قد اختفى عن ناظريها...

أخذت تتبّع آثار حوافر الحصان ، حتى توقفت فجأةً عندما رأت أبوليون ينظر إليها من على ظهر حصانه ، وقد توقف في منتصف الطريق...

تنهد وقال على مضض: لاخيار لدي!

وقام بمدّ يده إليها... فابتسمت باطمئنان ، وتعلّقت بيده ليساعدها على الركوب معه...

وبينما انطلق الحصان ، قال لها: لا أعلم لمَ يجب علي أخذ طفلةٍ تائهةٍ معي!... سأتركك في أول قريةٍ نصل إليها!... أفهمتِ؟

نظرت الطفلة إليه بعينيها البريئتين ، وصمتت...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

كانت الأميرتان الصغيرتان تلعبان في فناء القصر الواسع ، وحولهما خدمهما ومربيتاهما..

الأميرة الكبرى أفروديت ، واسمها الذي يعني آلهة الحب والجمال ، كانت جميلةً بالفعل ، ذات عينين قويتين... وشعرٍ أشقرَ جذاب... ورثته من والدتها الراحلة...

والأميرة الصغرى ديميتير ، واسمها الذي يعني آلهة الطبيعة والنبات ، ذات نظراتٍ لعوبةٍ حادة ، وجمالٍ شقي... وشعرٍ أسود لامع... وكانت تشبه والدها الملك...

وبّختهما المربية تيرزي: أميرتاي الصغيرتان!... لا تلعبا بمياه البركة!... هذا تصرفٌ غير لائق!

لكنهما تجاهلتاها واستمرتا باللعب بينما ارتفعت ضحكاتهما عالياً ، حتى اقتربت المربية أديلايد بصرامة: سمو الأميرة أفروديت ، يجب أن تتوقفي عن هذا التصرف حالاً!

توقفت أفروديت... ونظرت إلى أختها بضجر ، فقالت ديميتير متململةً هي الأخرى: لا يسمحون لنا بفعل أي شيء!..إنني أشعر بالملل لأن كل شيءٍ ممنوعٌ في القصر!

ابتسمت لها مربيتها تيرزي بلطف: يمكنكِ اللعب كيفما أردتِ... ولكن بتهذيب ، ودون أن تبللي ثيابك بهذا الشكل!

سارت الأميرة ديميتير وهي تقول بامتعاض: التهذيب حتى في اللعب!!..هذه الحياة لاتطاق!!... ابتعدي عن طريقي!!

تنحّت المربية تيرزي عن طريقها: سمو الأميرة!... لم نربِّكِ على مثل هذا الأسلوب!

لم تكترث لها الأميرة ، وأكملت طريقها... ولحقت بها أختها أفروديت مبتسمةً: يجب أن تحترمي مربيتكِ السيدة تيرزي!... سيغضب والدي إن علم عن تصرفاتك!

ديميتير بسخط: لا أهتم لغضبه!... فهو لا يدعنا نلعب كما نشاء!... ويُجبرنا على تلك التدريبات والدروس المملة!

ثم نظرت إلى أختها: يبدو أنك مرتاحةً للعيش هكذا يا أفروديت!

صمتت أفروديت للحظة ثم قالت: كلا ، أنا أحب اللعب بالمياه أيضاً ، إنها منعشة!... وكذلك أشعر بالملل أثناء الدروس!... لكن يجب أن أطيع السيدة أديلايد حتى لاتخبر والدي بأنني سيئة!

حينها ابتسمت الأميرة ديميتير عندما رأت طفلةً صغيرة ، هادئةً وجميلة ، قادمةً نحوهما...

أشرقت ديمتير بلهفة: فيوليت!!... لقد أتيتِ!

اقتربت الطفلة فيوليت بونيفيل منها ، وألقت التحية بتهذيب: صباح الخير ، سمو الأميرة ديميتير!... سمو الأميرة أفروديت!

التقطت ديميتير يد فيوليت وأخذت تجري معها بسعادة: لقد انتظرت قدومك!... فلنلعب سوياً!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

في القصر الملكي...

استلقى الأمير الصغير أرجوس رونثو على الأريكة الكبيرة... وقام بمدّ قدميه وهو يقول آمراً: نوي!... قم بكتابة دروسي!

اقترب منه الخادم الصغير نوي ، وصديقه المقرّب والذي كان يصغره بثلاث سنوات ، ثم قال بقلق: ولكن سمو الأمير ، قد يكتشف المعلم بأنني أنا من قام بالكتابة!... كما حدث في المرة الماضية!

تجاهله أرجوس وتنهد مغمضاً عينيه: كم أشعر بالتعب!... فالسير من مكتبة القصر إلى جناحي قد أتعب قدميّ!... لذا سآخذ غفوةً بينما تقوم بالكتابة...

تردد نوي ثم التقط الكتاب على مضض: حسناً ، فهمت!... سأقوم بالكتابة!... يمكنك مناداتي عندما تستيقظ ، لنلعب معاً!

وعندما همّ نوي بالخروج من الجناح... نهض أرجوس قائلاً: انتظر ، نوي!

التفت نوي إليه... فقال أرجوس مخفضاً صوته: إذا أردت اللعب معي فعلاً!... فلنهرب من القصر!!

ارتعش نوي خوفاً: سمو الأمير!!... ماهذا الذي تقوله؟... اخفض صوتك رجاءً!... قد نقع في

ورطة عندما يسمعنا أحدهم!

نهض أرجوس من الأريكة وقال بلا مبالاة: أرغب باكتشاف العالم الخارجي!... حسناً ، سأذهب لوحدي!... وإذا أردت المجيء معي أو البقاء ، فلن أمنعك!

ابتسم نوي بسخرية: لن تستطيع الخروج ، فهناك خدمٌ خلف باب الجناح!

أرجوس بثقة: ومن قال بأنني سأخرج من الباب؟

وأطلّ من النافذة... وأخذ ينظر إلى فروع الأشجار القريبة منها ، فلحق به نوي بقلق: سمو الأمير!... لاتفعل ذلك!

التفت الأمير إليه: نوي!... قم بالقفز أنت أولاً لأرى إن كان آمناً!

ارتبك نوي: كلا!... لن نُقدم على هذا الأمر!

أرجوس ببرود: إذن ، سأقفز لوحدي!... ولايهم إن تأذيت!

حينها تذكر نوي كلمات والده له: «يجب أن تحمي الأمير أرجوس ، وتضحي بحياتك لأجله!»

فأغمض نوي عينيه بتوتر وقفز مسرعاً على فرع الشجرة حتى لايتأذى سيده ، ثم هبط إلى الأسفل... وأخذ يلهث وهو يرفع رأسه منادياً: سمو الأمير... يمكنك القفز الآن!

ابتسم أرجوس بحماسة... ثم قفز على فرع الشجرة... ونظر إلى الأسفل ، فشعر بالدوار والخوف...

أرجوس بنبرةٍ مرعوبة: كيف أنزل من هنا؟!

مدّ نوي يده: لاعليك... اقفز وسأمسك بك!

أرجوس بقلق: ولكن أخشى أن تتمزق ثيابي إذا فعلت!

ابتسم نوي: سأقوم بإصلاحها لاحقاً!... لقد قررتَ الهرب من القصر ، لذا يجب أن تتوقع أن تتسخ ثيابك وتتمزق!

وبعد أن قفز أرجوس المدلل وأخذ يشكو من أن قدميه تألمتا من القفز ، ركض الاثنان نحو أسوار القصر... وقام نوي بمساعدته على التسلّق بصعوبة...

وقف أرجوس خارج الأسوار ، وابتسم بسعادةٍ رائع... أنا الآن خارج القصر!... ياله من شعورٍ جميل!... إنها الحرية!

نوي متعجباً: سمو الأمير!... هل تكره التواجد في القصر لهذه الدرجة؟

تذمّر أرجوس: نعم أكره القصر!... وأكره كوني أميراً!

(بانسيليونس - العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل...

دخلت السيدة مارغريت مع ابنتها الصغيرة باربرا... التي أخذت تركض في أرجاء المنزل باحثةً عن صديقتها الصغيرة ، فيوليت...

كان الدوق العجوز إيفرانور يجلس على مقعده الفاخر في مقدّمة البهو الفسيح ، وكان بقية أبناءه وزوجاتهم يجلسون حوله...

رحّب إيفرانور بابنته: مارغريت!... لقد تأخرتِ في القدوم!... سنتناول الغداء بعد قليل!

مارغريت معتذرةً: أنا آسفة... يا والدي!

سألها والدها إيفرانور: كيف تشعرين الآن عزيزتي؟

تنهّدت مارغريت بنبرةٍ تخفي بعض الحزن: إنني أفضل قليلاً!... صحيحٌ أنني لا أزال أفتقد زوجي!... لكنني بدأت أعتاد على الأمر!... وابنتي باربرا لم تعد تبكي الآن!

تنهّد إيفرانور بحزنٍ هو الآخر: منذ تلك الحادثة ، وأنا أفتقد ابني كوتريه أيضاً!

قال ابنه الآخر إيبير بأسى: فقدت عائلتنا شخصين في حادثةٍ مشؤومة ، لكنّ ذكراهما ستبقى خالدةً للأبد!

تجهّمت وجوه الجميع وهم يتذكرون بحزنٍ شقيقهم كوتريه ، وزوج مارغريت...

حاولت مارغريت منع دموعها ، فقالت لتغيّر الموضوع: أين الأطفال؟

أجاب شقيقها الأكبر الجنرال إدغارد: إنهم يأخذون دروسهم في الأعلى!

في تلك اللحظة أتت الطفلة باربرا راكضةً تتساءل: أين هي فيوليت؟!

ابتسمت والدة فيوليت ، الكونتيسة ميرابيل: ذهبت فيوليت إلى القصر الملكي برفقة المربية ، لتلعب مع سمو الأميرة!

شعرت باربرا بالغيظ ثم قالت لوالدتها: أشعر بالملل هنا!... سأذهب لأشاهد الفتيان وهم يتلقّون دروسهم!

ابتسم خالها الكونت إيبير: يمكنكِ الصعود إليهم!... ولكن ابقي هادئةً حتى ينتهوا!

صعدت باربرا الدرجات الكبيرة المفروشة بالسجاد الأحمر الفاخر ، وهي تشعر باللهفة وتحدث نفسها: «لن أحتاج لفيوليت المغفّلة لكي أراقبه!... فلتلعب كما تشاء مع تلك المغرورة ديميتيرا... وسأراقبه بمفردي!»

طرقت باب المكتبة ، ودخلت وألقت التحية ، وجلست على إحدى الأريكات ، التفت الجميع إليها...

ثم أكملوا متابعتهم للمعلم... الذي كان يجلس في رأس المنضدة المستديرة... بينما يجلس الصبيان الأربعة حولها... ويتابعون معه في كتبهم ، بينما كان يقرأ من الكتاب التاريخي...

كانت باربرا تتأمل أحدهم بإعجاب وتتحدث في نفسها: «كم يبدو رائعاً وهو يقرأ دروسه باجتهاد!... أتمنى أن يبادلني الإعجاب يوماً!»

التفت غيلبرت إليها ببرود ، ثم قال لمعلمه: معلمي!... أرجو أن تجعلها تغادر المكتبة!... فهي لا تكفّ عن التحديق بي والابتسام ببلاهة!... إنها تحاول التشويش على الدرس!

تفاجأت باربرا ، فالتفت المعلم والصبية إليها ، قال المعلم بلطف: آنستي الصغيرة باربرا!... بإمكانك الانتظار خارجاً حتى ينتهي الدرس!

انزعجت باربرا: لقد سمح لي الكونت إيبير بالقدوم إلى هنا!... أنا لم أفعل شيئاً خاطئاً!... لقد بقيتُ صامتةً طوال الوقت!

لكن غيلبرت قال متضايقاً: ومالفائدة من جلوسك هنا؟!... إنك تشتتين تركيزنا فقط!

نهضت باربرا متأففة ، ثم غادرت المكتبة وأغلقت الباب خلفها بقوة...

فقال الصبي الأشقر إيمانويل: فلنتابع الدرس يامعلمي!

لكن المعلم انتبه إلى شقيقه الأصغر ذي الشعر الأحمر الداكن ، والذي كان يطلّ من النافذة ويمد يده نحو أحد أغصان الشجر...

المعلم موبخاً: سيدي الصغير بيلموت!!... عد إلى مقعدك وإلا سأخبر والدك!

تململ بيلموت ثم عاد إلى مقعده... فالتفت المعلم إلى الطفل الآخر الأصغر سناً بينهم... صاحب الشعر الذهبي والملامح البريئة... الذي استغل تلك الدقائق ووضع رأسه على المنضدة ليأخذ غفوةً قصيرة...

المعلم غاضباً: السيد الصغير أندريون!!... هذا ليس وقتاً للنوم!

فتح أندريون عينيه وتثاءب برقةٍ وقال بصوتٍ ناعس: آسف!

كانت باربرا تقف خارج الباب وهي تحدث نفسها بغيظ: «لن يفلح الأمر بدون فيوليت!... غيلبرت المغرور!... لن يسمح لي بمراقبته!»

ثم نزلت درجات السلّم بهدوءٍ... لكنها توقفت عندما سمعت الكبار يتحدثون...

كان الجد إيفرانور يقول: من الجيد أن غريزة أطفالنا لا تكتمل بالنمو إلا مع سن الثامنة عشر!

ابتسمت السيدة هيلين بارتياح: وإلا لعلِمت بانسيلينوس بأكملها عن أمرنا!... فالأطفال لا يمكنهم الاحتفاظ بالأسرار!

قال زوجها الجنرال إدغارد: كانت طفولتنا مختلفةً تماماً!... فقد نشأنا في البيئة التي تلائمنا... لكن لا يمكننا توفير البيئة الملائمة لأطفالنا هنا... في عالم البشر!

استغربت باربرا عندما سمعت ذلك ، وحدّثت نفسها ساخرةً: «عالم البشر؟!... ونحن ماذا نكون إذن؟... حيوانات؟»

❁❁❁

(رومبيانيا - العاصمة كليوزهيست)

في أحد الأسواق المكتظّة بالناس ، كان الأمير الصغير أرجوس يتجول مبهوراً مما يراه ، تلك الحياة البسيطة التي لم يكن يتوقع وجودها خارج قصره ، الكل يعمل ويكدح في حركةٍ دؤوبةٍ مستمرة ، الدكاكين والعربات وثياب الناس المتواضعة الباهتة من أي ألوانٍ تبعث البهجة ، ومع هذا ، فقد كانوا بشوشين رغم شحوب وجوههم وأجسادهم المُنهكه...

وكان نوي يسير خلفه قلقاً على سلامته: سمو الأمير!..من الأفضل أن نعود الآن!... سيحل الظلام قريباً!... لاشك بأنهم يبحثون عنك في القصر!

لكنّ أرجوس لم يكن يستمع إليه ، فقد اقترب من أحد الدكاكين المتواضعة التي تبيع الطعام وأخذ يتأمل الطهي ، وسأل متقززاً: هل يتناول العامة مثل هذا الطعام الرديء؟!

كان صوته واضحاً ، فالتفت الجميع إليه وأخذوا يتهامسون فيما بينهم بانزعاج: ماذا يظنّ نفسه هذا الطفل النبيل المتغطرس؟!

همس له نوي مرتبكاً: سمو الأمير!... اخفض صوتك رجاءً!

رفعت الطاهية رأسها ونظرت إلى أرجوس ثم تنهدت بعتاب: أيها الطفل!... يبدو أنك ابن أحد الأثرياء!... لا تنظر إلينا باحتقار!... فلم يكن خيارنا أننا ولدنا من الطبقة الفقيرة ، نتناول أسوأ الأطعمة ، ونعمل بجدٍ من أجل قطعة رغيف!... بينما أنتم النبلاء تأكلون من جُهدنا... وتنامون على الوسائد الحريرية التي صنعناها لكم ، وتتناولون ألذ الطعام... وتتدفؤون بالثياب الجميلة!... بينما يموت بعضنا بسبب البرد والجوع!... أين هي العدالة؟!... هل يعلم الملك بأمرنا؟!... إنه نائمٌ في قصره المنيع ، ولايتنازل بالخروج منه ليشاهد معاناة الشعب!

نظر إليها بازدراءٍ مستغرباً: امرأةٌ مجنونة!..ماهذا الذي تقوله؟

وأكمل جولته في أنحاء السوق ، فرأى بضعة أولادٍ يلعبون... وكان الطين يتناثر جرّاء لعبهم... فلوّثت بقعة طينٍ ثياب أرجوس الناصعة ، أثناء مروره بقربهم...

التفت إليهم أرجوس غاضباً: ماذا فعلتم!!

انتبه الأولاد إليه وأخذوا يضحكون ساخرين منه:

ـ لقد اتسخت ثيابه الفاخرة!

ـ سيذهب هذا النبيل المدلل ليبكي أمام والدته!

غضب خادمه نوي: توقفوا عن هذا!!

تقدّم أرجوس بكبرياء: هل تعلمون من أكون؟!

قال أحدهم ساخراً: نعم أعلم من تكون ، أحد الأطفال التخماء المدللين!

شعر أرجوس بالاستفزاز وقال: أنا الأمير...

لكن نوي أغلق فم سيده على الفور ، هامساً له بارتباك: اصمت أرجوك!... قد يؤذونك إذا علموا!

لكن أحد الأولاد تحمّس لبدء عراك ، فتقدّم وقام بدفع أرجوس بعنف فسقط أرضاً وتألم...

وقاموا جميعهم بضربه مستمتعين بإشفاء غليلهم ، بينما كان نوي يحاول حمايته...

ـ أيها الضعيف!... إنك لا تقوى على النهوض حتى!

ـ هل تحتاج إلى خادمك ليساعدك على النهوض؟

ـ كم ستدفع لنا لنتركك؟

صرخ نوي فيهم وهو يحاول إبعادهم عن أميره: توقفوا!!

صاح أرجوس مهدداً وهو يتألم من تلك الضربات: لن تفلتوا بفعلتكم هذا!... سيقبض عليكم والدي... ويرميكم في السجن أنتم وعائلاتكم!

ضحك الأولاد ساخرين: وهل والدك هو رئيس الحرس؟

قام نوي بمساعدة أرجوس على النهوض... فنظر إليهم الأمير باستعلاء وقال: أنا الأمير أرجوس هيروديون رونثو!

ارتبك نوي: يا إلهي!!

وصمت الفتية للحظات... ثم مالبثوا أن انفجروا ضاحكين:

ـ كيف للأمير أن يتجول في وسط المدينة بدون حماية؟

ـ هل تفار من الأمير أرجوس حتى تنتحل شخصيته؟

غضب أرجوس وصرخ: أنا الأمير أرجوس فعلاً!... وسترون ماذا سأفعل بكم أيها السَفلة!

قال أحدهم ساخراً: يبدو أنك تعيش دورك جيداً!... هل سـ...

لكن الصبي توقف عن الحديث عندما وضع رجلٌ يده على كتفه ، فالتفت الجميع إليه ، كان الرجل ذا هيئةٍ رثّة ، أخذ يحدّق بأرجوس وقال بنبرةٍ مريبة: هل أنت الأمير أرجوس حقاً؟

نظر إليه نوي بذعرٍ وقال: كلا ، لقد كنا نمزح فقط!

لكنّ أرجوس تملّكه الغرور وأجاب بنبرةٍ ملكيةٍ واثقة: أجل!... أنا أرجوس رونثو!

فابتسم الرجل بخبثٍ... ثم ظهر من خلفه خمسة رجالٍ آخرون يحملون سيوفاً...

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي...

كان الملك البدين أليكساندروس كعادته يلهو في إحدى الحفلات الراقصة التي تقام بشكلٍ أسبوعي في القصر ، وكان الكونت أرماند بونيفيل يجلس على يمينه ، وهو أحد رجال الحاشية المهمين والمقربين من الملك ، وكانت الحياة في البلاط لعبةً لاتنتهي أبداً ، تتطلب يقظةً مستمرةً وتفكيراً انتهازياً ، فرجال الحاشية يلتفّون حول الملك ، ويتعيّن على كل واحدٍ منهم أن يحمي نفسه من زملائه ، فقد يخطط أحدهم لإزالة الآخر ، وكان أرماند هو أكثر من يتعرض للحسد والمؤامرات من قبل رجال الحاشية الآخرين ، لكون الملك يولي آرائه اهتماماً بالغاً ، فقد عُرف ببراعته في العديد من المجالات والأدوار القيادية ، ولم يتمكّن أحدٌ من إسقاطه وإزالته عن حظوة الملك ، فقد كان هو المنتصر في النهاية ، بحِنكته وقوته...

قال أرماند وهو يسكب الشراب للملك أليكساندروس: علاقتنا بمملكة رومبيانيا تزداد سوءاً... فالملك هيروديون لم يردّ على رسالتكم الأخيرة!... هل من الجيد أن نظلّ صامتين على هذه الإهانة لجلالتكم؟!

تناول أليكساندروس الكأس منه وقال متذمراً: لا أريد أن أفسد متعتي الآن بالحديث عن هذه الأمور!... فلنؤجل تلك المناقشات لوقتٍ لاحق!

لكن الكاهن أرتشيم الذي كان يجلس على يساره ، ابتسم بتواضعٍ وقال: جلالتكم!... ستتحسن الأمور بين بانسيلينوس ورومبيانيا!... وستتّحدان قريباً!

التفت أليكساندروس إليه مستغرباً... وأخفض كأسه ثم سأل: هل حقاً ماتقول؟... هل سيتنازل هيروديون ويطلب الصلح منا؟!

ابتسم الكاهن أرتشيم بهدوءٍ ثم قال: ليس الملك هيروديون ، بل ملكٌ آخرٌ من آل رونثو!

أليكساندروس مذهولاً: هل تعني بأن نهاية هيروديون قد اقتربت؟!

ابتسم الكاهن أرتشيم بثقة ، فقال الكونت أرماند: جلالتك!... أقترح بأن تفكر بغزو رومبيانيا في يوم وفاة الملك هيروديون!... ..ستكون رومبيانيا في أشد لحظات ضعفها!

ابتسم الملك أليكساندروس: أجل ، أعتقد بأنها فكرةٌ صائبة!... سيرى هيروديون سقوط مملكته

على يدي ، قبل أن يفارق الحياة!

سأل الملك كاهنه بلهفة: متى؟... متى سيموت؟!

أجابه الكاهن: لا أعلم جلالتك!... ولكن لا يمكنني التنبؤ بيوم وفاته!.. أعتذر منك بشدة!

غضب أليكساندروس وجلس على كرسيّه: كيف لا يمكنك؟!... يجب أن تخبرني بذلك!!... سيكون انتصاراً عظيماً لي!... لن يموت هيروديون قبل أن يرى هزيمته!

اعتذر أرشيم: لايمكنني معرفة المزيد ، فتنبؤاتي محدودةٌ سيدي!... إنني أرغب برؤيتك منتصراً!... ولكنني أعتذر لكوني عديم النفع في مثل هذه الحالة!

تنهد أليكساندروس ثم قال بهدوء: كلا ، إن نفعك عظيمٌ لي!... فخبر وفاة هيروديون القريبة ، قد أسعدتني جداً!

افتخر أرتشيم: إنه لشرفٌ لي سماع ثنائكم!

كان الكاهن أرتشيم مقرباً جداً للملك أليكساندروس ، فهو مستشاره الخاص الذي يؤمن ويثق بكل ما يقوله ، وكان الملك يعتمد على قدرته بالتنبؤ بأحداث المستقبل ، ويؤمن بتلك النبوءات تماماً... فنادراً ماتخطئ...

صاح الملك في الحضور ليعبّر عن سعادته: أيها السادة!... فلنتناولوا كل مالذّ وطاب!... إنه يومٌ مميز!

أخذ النبلاء يتهامسون فيما بينهم بمرح: يبدو أن جلالته سعيدٌ اليوم!... ربما وصلته أخبارٌ جيدة!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

القصر الملكي...

كان الملك هيروديون رونثو يتناقش مع إخوته...

قال شقيقه تريتون: ولكنك لم تردّ على رسالة أليكساندروس حتى الآن جلالتك!

الملك هيروديون: الحقيقة أنني أشعر بالخوف ، لقد هُزمتُ من قِبل أليكساندروس مراراً!... ولا أُريد الاستمرار في مزيدٍ من الحروب معه!... فجيشه يفوقنا عدداً وعتاداً!... وقد خسرنا الكثير من الجند والأسلحة ، وتأثر اقتصاد رومبيانيا بسبب الميزانية العسكرية الهائلة!

قال شقيقه بيلزبيل: يمكننا أن نجنّد المزيد من المحاربين ، جلالتك!... لاتنسَ بأن بانسيلينوس تمتلك ثرواتٍ طبيعيةٍ عظيمة!... وسيرتفع اقتصاد رومبيانيا إذا سلبنا تلك الثروات من آل غاريس!

سعد الملك هيروديون: أريد الحفاظ على استقرار مملكتي ، ولاتهمني ثروات الممالك الأخرى!

انفعل بيلزبيل: ولكن جلالتك!... لن تستعيد رومبيانيا استقرار اقتصادها إذا لم...

في تلك اللحظة ، قُطع حديثه عندما اقتحم الحراس والخدم القاعة دون أن يستأذنوا ، وكانت وجوههم شاحبةً وهم يقولون: ياصاحب الجلالة!.. سمو الأمير أرجوس مفقود!!... لقد بحثنا عنه في كل أنحاء القصر!!

نهض هيروديون من مقعده مذعوراً... وسرعان ما دخل أحد الحراس وهو يحمل رسالةً في يده وقدّمها إلى هيروديون: وصلتنا هذه الرسالة للتو من شخصٍ مجهول!

فتح هيروديون الرسالة والعرق يتصبّب من رأسه ، وقرأ:

(الأمير في حوزتنا!... سنردّه إليكم سالماً عندما نحصل على ثمانمائة مليون آرغنت ، وذلك سيكون في نهاية نهار الغد عند الميناء ، وليأتِ رجلٌ واحدٌ فقط للتسليم ، دون حراسةٍ أو تدخلٍ عسكري ، وإذا تأخرتم عن الموعد المحدد أو أخللتم بالشرط فسيكون الأمير في عِداد الأموات.)

ارتعش هيروديون غضباً وخوفاً وأمر حاشيته: جهزوا المبلغ حالاً!!

ذهل بيلزبيل: جلالتك!!... إن مدخرات خزينة رومبيانيا أقل من هذا المبلغ!

هيروديون غاضباً: لايهمني!... قوموا ببيع الأصول!... يجب أن أستعيد ابني حياً!

بيلزبيل معترضاً: ولكن...

أمسك به هيروديون بعنفٍ ورمقه بنظرةٍ مُلجِمة: إنه ابني يا بيلزبيل!!..فلتذهب ثروتي ومملكتي إلى الجحيم!

أخفض بيلزبيل رأسه وكتم غضبه... وأمر الرجال بأن ينفذوا ما أمر به شقيقه الملك...

جلس هيروديون على عرشه مُنهاراً ، وازداد تنفّسه صعوبةً وهو يقول: فلتسجن كل من كان مسؤولاً عن إهمال مراقبته وتركِه يخرج من القصر!

بيلزبيل: كما تأمر جلالتك!

أمر شقيقه الآخر أنارغيروس: اطلبوا الطبيب لجلالته!

وبحث شقيقه الثالث تريتون بين قادة الجيش: أين هو الجنرال أبوليون؟!..إننا في أشدّ الحاجة إليه الآن!

في تلك الأثناء ، طلب بيلزبيل من أخويه أن يحادثهم على انفراد ، فاجتمع الإخوة الثلاثة سراً...

بيلزبيل: تعلمان بأن صحة أخينا الأكبر هيروديون في تدهور!... بالإضافة إلى أنه جبانٌ وضعيف ،

وعديم النفع إطلاقاً... أعتقد بأن المرض يتمكّن منه ، وهذا يعني اقتراب موته!

قال تريتون: ومالفائدة من الترقّب؟... فالوريث هو ابنه أرجوس!

ابتسم بيلزبيل بخبث: وهذا ماجمعتكما لأجله!... إنها الفرصة المناسبة ، يجب أن نستغل حادثة اختطاف الأمير ، لنُبعده عن طريقنا للأبد!

سأل أنارغيروس: وكيف ذلك؟!

بيلزبيل: المختطِفون يتّجهون إلى الميناء الآن!... وعندما يُقتل أرجوس ، فمن سيكون المُتهَمُ غيرهم؟!

فهم الاثنان مقصد بيلزبيل ولمعت عيناهما خبثاً وإعجاباً بخطته...

❁❁❁

في المساء...

(رومبيانيا)

في إحدى القرى الصغيرة التي تقع على الشاطيء...

نزل الجنرال أبوليون عن جواده ، وقام بمساعدة الطفلة الصغيرة على النزول وهو يقول: سأقضي الليلة هنا ، وغداً سأرحل إلى بانسيلينوس!

ثم التفت إليها: يجب أن تحاولي البحث عن عائلتك ، أو تجدي عائلةً تؤويك هنا!... اعذريني أيتها الصغيرة ، أودُّ مساعدتك ، ولكني في مهمةٍ عاجلة ، ولايمكنني لفت الانظار إليّ بوجودكِ معي ، أو تضييع وقتٍ أكثر!... اذهبي الآن!

ثم سار تاركاً إياها... وأخذ يبحث عن نُزلٍ ليُقيم فيه ، وعندما دخل... تفاجأ بأن صاحب النُزل يسأله: حجرةٌ لك أنت وابنتك؟

التفت أبوليون وتفاجأ عند رؤيته للطفلة قد لحقت به ، وعندما رأى عينيها البريئتين... ونظرات صاحب النزل المملوءة بالشك...

خشي أبوليون أن يتعرّف عليه الرجل على هويته ، بأنه الجنرال المعروف ، وخاصةً أنه في مهمةٍ سرية ، لذلك استغلَّ الفرصة وقال للتمويه عن هويته: أجل ، أنا وابنتي!

أخذ صاحب النزل يتمعّن به ، ثم قال مبتسماً: أنت محظوظٌ لامتلاكك جسداً قوياً كجسد جندي!

استمر أبوليون محافظاً على هدوئه وتصنّع ابتسامةً: حقاً؟... أتمنى أن أصبح جندياً يوماً ما!

سأله صاحب النزل: هل أنت في طريقك إلى بانسيلينوس؟

أجاب أبوليون: أنا ذاهبٌ إلى بانسيلينوس لرؤية زوجتي!... لقد انتقلَت عند أقاربها هناك في

أنا... وابنتي!

قال صاحب النزل: أتمنى أن تلتقي بزوجتك!... تفضل بالدخول!... تلك الحجرة هناك!

❁ ❁ ❁

ومع بزوغ الفجر...

بدأ المركب الذي يقلّ أبوليون بالإبحار نحو بانسيلينوس ، وكانت الطفلة تجلس بجواره ، فحاول أبوليون أن يسألها عن حياتها... وعن اسمها... لكنها كانت تجيب بأنها لاتتذكر شيئاً...

قالت: كل ما أذكره هو وجودي في الغابة ، وجرحٌ في رأسي!

نظر أبوليون إلى آثار الجرح بين خصلات شعرها الشقراء ، وفكّر للحظة: ربما سقطتِ وفقدتِ ذاكرتك!... قد يكون هناك من يبحث عنكِ الآن!... كان يجدر بي ترككِ هناك حتى يعثر عليكِ أهلك!

أنكرت الطفلة: بقيتُ في الغابة لأيامٍ ولم أشاهد أحداً ، لم يأتِ أحدٌ للبحث عني أو لمساعدتي.. سواك ، أيها السيد!

ابتسم الجنرال قائلاً: حسناً ، بما أنكِ لاتتذكرين اسمكِ ، فسأسميكِ... «داناي»!

همست الطفلة بتمعّن: داناي؟

أبوليون: إنه اسمٌ لامرأةٍ جميلةٍ في أحد الأساطير القديمة!... وأنتِ جميلةٌ مثلها!

كان يجلس أمامهما رجلٌ أعور ، بهيئةٍ رثةٍ ووجهٍ قبيح... يرتدي قبعةً كبيرة الحجم ، أخذ يتأمل داناي بعد أن سمع جملة أبوليون الأخيرة ، وقال بصوته القبيح: طفلةٌ جميلةٌ بالفعل!.. هل اسمك داناي؟

لكن أبوليون رمقه بنظرةٍ متحفّظةٍ وأمسك بداناي ليُقرّبها منه أكثر... بينما نظر إليه الأعور ساخراً: لا تقلق!... فلن ألتهم ابنتك!

ثم حدّق في أبوليون باهتمامٍ وقال: بالرغم من أن ثيابك متواضعة ، لكنك تبدو لي كمقاتلٍ نبيل!

انزعج أبوليون منه وتجاهله...

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي...

أقيم حفل استقبالٍ للملك تشيستوتا ، الذي كان يستضيفه الملك أليكساندروس في قصره ، وجلس الملكان ليسترخيا ، بعد أن قضيا وقتاً للترفيه بممارسة الرماية...

الملك أليكساندروس: نتمنى أن تستمر العلاقة قويةً بين بلدينا!

ابتسم الملك رودولف وهو يحتسي كأسه: تشيستوتا وبانسيلينوس... يجب أن تستمرا بدعم بعضهما دائماً!

ابتسم أليكساندروس: إننا ممتنون لانضمامكم إلينا في تلك الحرب ضد هيروديون!

رفع رودولف كأسه ضاحكاً: نخب مملكتينا!

فرفع أليكساندروس كأسه هو الآخر ، عندها اقتربت الأميرتان الصغيرتان وخلفهما مرافقيهما ، وقمن بإلقاء التحية على الملك رودولف...

قدّمهما أليكساندروس إليه بافتخار: هاتان أميرتاي الصغيرتان!

قال الملك رودولف: سمعت بأنك لم تنجب وريثاً حتى الآن!

صمت أليكساندروس متضايقاً ، فابتسم الملك رودولف لهما وقام بتحيتهما... ثم قال بمرحٍ وهو يمدّ بقوسه نحوهما: هلاّ أريتماني قدرتكما على الرماية؟!

قام والدهما أليكساندروس بتشجيعهما على القيام بذلك وهو يقول: إنهما مدربتان جيداً!... يمكنكما فعلها!

قامت الاثنتان بالتصويب نحو الأهداف... لكن رودولف قال: لنجعل الأمر أكثر متعةً!... هل يمكنكما التصويب نحو ذلك الحارس الواقف بالقرب من الهدف؟!

اتسعت عينا أليكساندروس دهشةً ، ونظر إلى رودولف مستنكراً... وذهلت الحاشية أيضاً...

لكنّ رودولف قال: الدماء الملكية يجب أن تكون دماءً قاسية!!.. علّم أبناءك القسوة يا أليكساندروس!

صمت أليكساندروس ، فقام الملك رودولف بمدّ القوس نحو أفروديت... لكنها رمقته بنظرةٍ غير مُرحّبة...

فتقدّمت ديميتير نيابةً عنها ، وأخذت القوس من يد رودولف وقالت بجدية: سأقوم بفعلها ، جلالتك!

ابتسم رودولف إعجاباً بها وأفسح لها الطريق لتصوّب... وسط ذهولٍ من الجميع ، تبادلت

أفروديت النظرات مع أختها... وقالت موبخةً: ديميتيرا.. لاتفعلي!

التفتت ديميتير نحوها بتحدٍ: لماذا؟... يجب أن أُثبت بأني أحمل دماءً ملكيةً قاسية!... هذا سيخيف الأعداء!

غضبت أفروديت ورمقت والدها الذي كان يجلس دون أن يحرك ساكناً... ثم نظرت إلى الملك رودولف باحتقارٍ... وغادرت المكان...

أطلقت ديميتير سهمها نحو قدم الحارس الذي كان يقف بجوار الهدف... فسقط على الأرض وهو يتألم ويصرخ ، وصفّق رودولف لها... بينما كان الجميع صامتين ومشدوهين... ولكنهم مالبثوا إلّا أن قاموا بالتصفيق والضحك مجاراةً لرودولف...

نظرت ديميتير إلى عيني رودولف وابتسمت بفخر ، فأمسك بكتفيها الصغيرين وقال: أنت طفلةً ذكيةً وقوية!

اتسعت ابتسامة ديميتير ، و انحنت له... ثم نظرت إلى والدها منتظرةً ثناءه ، لكنه لم يعلّق سوى بابتسامةٍ مزيّفة ، متظاهراً بالرضا..

فهمس رودولف لأحد رجاله وهو يراقبها بإعجاب: تلك الأميرة ديميتيرا... إنني أرى مستقبلاً دموياً في عينيها!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ بالقرب من الميناء)

في أحد مخازن الميناء...

كان الأمير أرجوس يجلس مقيداً بجوار خادمه نوي ، بينما كان المختطفون يجلسون أمامهما... ويتحدّثون بشغفٍ عن الثراء القادم: سنهرب ونستقرّ في أحد الممالك ونشتري الأراضي والمزارع الشاسعة ، ونتزوج بأجمل وأغنى النساء ، ونودّع حياتنا البائسة في رومبيانيا!

وجّه زعيمهم حديثه إلى أرجوس ساخراً: عندما تُصبح ملِكاً تذكّر بأن تُطعم شعبك جيداً ، حتى لايُختطف ابنك أيضاً!

كان أرجوس يرمقهم بغضب ، وقال: سيُعدمكم والدي!..واحداً واحداً!... سـ...

لكن كلامه قد قُطع عندما استقرّ سهمٌ بجوار رأسه ، وكان موشكاً أن يُصيبه... لولا أن نجا بأعجوبة!

غضب المختطفون ونظروا عبر النافذة... وخرج بعضهم غاضبين: نريده حياً!!... من أنت؟!

لكنّ الرامي قد ولّى هارباً ، فغضب زعيمهم: من كان الفاعل؟!

ثم نظر إلى أرجوس الذي كان يرتعش ذعراً ، بينما يحتضنه نوي بقلق: سمو الأمير!..هل أنت بخير؟!...

التفت الزعيم إلى أرجوس: هناك من يريد قتلك!... يبدو أنه أحد أعداء والدك!... لقد نجوتَ من سهمه بمعجزةٍ يا فتى!

❁ ❁ ❁

في نهاية النهار..

(بانسيلينوس - بوليشولي)

وصل المركب إلى شواطيء بانسيلينوس... وتحديداً ، ميناء بوليشولي...

هبط الجنرال أبوليون إلى اليابسة حاملاً الطفلة داناي ، وأثناء سيره وسط الناس... لمحته مجموعةٌ صغيرةٌ من الجنود واشتبهوا به...

حيث تساءل أحدهم: ألا يشبه جنرالاً من رومبيانيا؟!

فقام أبوليون بإخفاض رأسه وإنزال قبعته لتغطي ملامح وجهه أكثر ، لكن الجنود استوقفوه...

فسأل قائدهم: من تكون يا هذا؟

أجاب أبوليون بتواضعٍ بينما يحمل داناي: أنا مجرد رجلٍ فقير أتيت مع ابنتي للبحث عن رزقٍ هنا!

نظر الجنود إلى الطفلة ، ثم سمحوا له بالمرور... ولازالت نظرات الشك في عيني قائدهم...

أكمل أبوليون سيره ، لكنَّ داناي سألته ببراءة: ألم تقل بأنك ذاهبٌ لرؤية زوجتك؟

عندها تأكدت شكوك القائد وصاح: أنت!... توقف مكانك!

توقف أبوليون ، وأمر القائد جنوده: قوموا بتفتيشه!... قد يحمل سلاحاً!

عندها ركض أبوليون هارباً نحو الغابة القريبة... ولحق به الجنود...

توقف ليختبئ خلف إحدى الأشجار ، وكانت داناي خائفةً جداً ، فأنزلها عن كتفيه وقال منزعجاً: أنت تعيقيني!... اهربي!

لكنها ظلّت في مكانها ولم تهرب ، حتى اقترب الجنود متتبعين آثارهما ، فأخرج أبوليون سيفه ودفعها مرةً أخرى وهو يقول غاضباً: اهربي!!

لكنها استمرت واقفةً تبكي بصمتٍ محتضنةً جذع الشجرة ، إلى أن عثر عليهما الجنود... فصرخ فيها: أغمضي عينيك!!

أغمضت داناي عينيها ، لكنها مالبثت أن فتحتهما عندما سمعت أصوات التحام السيوف ، ورأت

أبوليون وهو يقاتلهم... وذعرت عندما رأت دماءهم تتناثر في كل مكان...

في تلك اللحظة ، كان ذلك الرجل الأعور يمرّ بالجوار... وعندما رأى القتال توقف وسخر منهم في نفسه: «قتالٌ مزعج!... ذلك المحارب الذي كان يصطحب طفلةً معه ، أين تركها ياترى؟»

وقعت عينه على داناي ، وكانت تستنجد به بنظراته البريئة الصامتة ، رغم خوفها منه ، إلّا أنه قد يكون أرحم من أولئك الجنود...

لكنه تجاهلها ، ثم أكمل سيره ، وأخذ يسأل المارة والباعة: هل تعرفون أين يمكنني أن أجد عائلة تدعى بونيفيل؟!

وكانوا يجيبونه: إنها إحدى أهم العائلات النبيلة في بانسيلينوس!... وقصرهم يقع في العاصمة لورديور!

وكان الرجل الأعور يبتسم باهتمامٍ ويقول لنفسه: إذن... فهم نبلاءٌ هنا أيضاً!... لقد وجدوا لهم مكاناً ملائماً في هذه البلاد!... ويبدو أنهم يتعايشون جيداً مع البشر!

لكنّ ما أثار اهتمامه أكثر عندما أجابه أحدهم مضيفاً: إن الجنرال إدغارد بونيفيل سيأتي في زيارةٍ لبوليشولي غداً!... فهو يملك منزلاً هنا ليباشر أعماله من حينٍ لآخر!

ابتسم الرجل الأعور ولمعت عيناه باهتمام: إدغارد إذن!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ الميناء)

وصل الملك هيروديون للمكان المحدد مع جنوده ، وقام بإرسال جنديٍ واحدٍ لتسليم الفدية بمفرده ، حسب ماطلب منه الخاطِفون...

كان هيروديون غايةً في التوتر والقلق على ابنه ، ومتشكّكاً حول مصداقية الخاطفين ، كان الميناء مزدحماً بالناس والسفن ، وتجوّل الجندي بالعربة المُحمّلة بأطنان الذهب ، داخل صناديق كبيرةٍ مُحكمة الإغلاق ، باحثاً بعينيه عنهم... ثم توقف مكانه منتظراً...

فاقتربت منه مجموعةٌ ملثّمةٌ وأسقطوه عن العربة بسرعةٍ وانطلقوا بها واختفوا...

❁❁❁

وفي المخزن الذي يمكث فيه المختطفون...

استلم زعيمهم الصناديق... وقام بعدّ السبائك مع رجاله ، ثم ابتسم باطمئنان: إنها تعادل قيمة ثمانمائة مليون آرغنت بالفعل!

و أخذ أفراد عصابته يضحكون فرحاً بما حصلوا عليه ، حتى قال أرجوس: والآن!... هاقد حصلتَ على ماتريد!... دعني أذهب!

نظر إليه الزعيم: إنني لك بوعدي دائماً!... وأتمنى أن تكون أنت كذلك ، عندما تحكُم هذه المملكة!

وبعد برهةٍ ليست طويلة...

ركض أرجوس نحو والده وقام باحتضانه باكياً ، واقترب الحداد أغنيس من ابنه نوي ، وقام بضربه غاضباً: يجب أن تُعاقب لعدم اعتنائك بسمو الأمير!!

ثم قام بركل ركبيته ليجعله يجثو على الأرض: اعتذر من جلالته!!

بكى نوي ندماً: أعتذرُ بشدةٍ جلالتك ، لقد حدث هذا بسبب إهمالي!

بينما كان بيلزبيل يُحدّق في الأمير أرجوس ، ويفكر حانقاً: «لو أنّ الرامي تمكّنَ من قتلك!... أنت محظوظٌ لأن السهم قد أخطأك!»

وبعد أن تأكد هيروديون من سلامة ابنه ، أمر شقيقه القائد تريتون بتنفيذ الجزء الآخر من الخطة ، فأشار تريتون لجنوده الذين كانوا يُطوّقون المنطقة بشكلٍ سري ، متنكرين بثيابٍ مدَنية ، وانتشروا حول الميناء ليمسكوا بالمختطفين ، حاول المختطفين الهرب عبر البحر ، ولكنَّ سفناً تابعةً للقوات البحرية أحاطت بهم ، واقتادهم الجنود أخيراً إلى الملك هيروديون ، الذي أمر بإعدامهم علناً ، ليكونوا عبرةً لغيرهم...

❁❁❁

(بانسيلينوس - بوليشولي)

وقفت داناي مذعورةً تنظر إلى الجثث والدماء ، ثم دخلت في نوبة ذعرٍ مصحوبةٍ بالبكاء...

نظر إليها الجنرال أبوليون متنهداً: لقد أمرتكِ بأن تهربي!... يالكِ من طفلة!

مدّ يده إليها... فنظرت إلى الدماء التي تغطي يده... وتراجعت للخلف رعباً ، فأخرج قنينة ماء من ثيابه وقام بغسل يده من الدماء ، ثم مدّها إليها من جديد... لكن داناي لازالت خائفةً منه...

سألها أبوليون: مالأمر؟

أجابت: أنت قاتلٌ شرير!

ابتسم أبوليون ثم قال: أنا قاتلٌ فعلا ، لكنني لست شريراً!... هؤلاء هم الأشرار!... وأنا الشخص الجيد الذي يقتل الأشرار!

نظرت إليه بحذر: لن تقتلني اليس كذلك؟

ابتسم أبوليون ووضع يده على رأسها: أنتِ لست شريرة ، فلماذا أقتلك؟... إنني أقوم بحمايتك!

شعرت داناي بالاطمئنان واقتربت منه ، وأمسكت بيده...

❁ ❁ ❁

بعد يومين...

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

منزل آل مونبيتيت..

كانت الرسمة الكبيرة لصورة الجنرال «أركاديوس مونبيتيت»معلقةً في وسط المنزل...

أخذت السيدة مونبيتيت تتأمل صورة زوجها الراحل... ثم قالت بنبرةٍ حزينة لخادمتها السمراء:

لقد مات في سبيل هذه البلاد!... يُفترض بي أن أفخر بهذا ، ولكنني...

ثم قالت وهي تقاوم دموعها: كنتُ أشعر حينها ، بأن الحرب مع رومبيانيا ستكون آخر حربٍ

يقودها أركاديوس... وبالفعل ، لقد كانت النهاية!

ثم أجهشت بالبكاء ، فاقتربت منها الخادمة السمراء إيوانا ، وقالت بقلق: سيدتي!... يجب أن

تعودي إلى سريرك!... إن هذا خطرٌ على صحتك!

نظرت إليها السيدة مونبيتيت ثم قالت: إيوانا!... أنتِ أيضاً تعتقدين بأنه قُتل في الحرب

مغدوراً... أليس كذلك؟

صمتت إيوانا ثم التفتت للناحية الأخرى ورأت الابن ألباين يتلصّت عليهما ، فقالت: سيدي

الصغير ، يمكنني رؤيتك!

ركض ألباين هارباً ، والتفتت إيوانا نحو السيدة مونبيتيت التي كانت تسعل بسبب مرضها ،

وساعدتها للعودة إلى حجرتها ، لتستلقي على السرير ، وعندما همّت إيوانا بالمغادرة... أمسكت

السيدة مونبيتيت بيدها ونظرت إلى عينيها وقالت بقلق: إيوانا!... لا أشعر بأنني سأعيش طويلاً!

قاطعتها إيوانا: كلا سيدتي ، لا تقولي هذا!!... ولا تفكري بهذه الطريقة ، أرجوك!

أخذت السيدة مونبيتيت تسعل بقوةٍ ثم قالت: أمورٌ كثيرةٌ حصلت!... لا شكّ بأن من قتل زوجي لا

يزال يخطط لأمرٍ ما!... لا أشعر بالارتياح أبداً!

تشبّثت السيدة مونبيتيت بيديّ إيوانا بقوةٍ وقالت لها: طفلاي!... يجب أن تحميهما يا إيوانا!...

اهربي بهما بعيداً عن لورديور!... خذيهما إلى مزرعتنا في مولنيا ، فلا أحد يعلم عنها بعد!

شحب وجه إيوانا: سيدتي!!

أخذت السيدة تسعل بشدة ، فركضت إيوانا: سأحضر الطبيب!!

❁ ❁ ❁

وفي تلك الليلة...

في وسط العاصمة لورديور ، وصل أبوليون إلى مسكن أحد الرجال البانسليين الذين يعرفهم... ويدعى (أبراكساس) ، كان يؤوي لديه مجموعةً من الأيتام واللقطاء المشرّدين... ويجعلهم يتسولون لأجله...

أبراكساس مستغرباً: أبوليون!!... مالذي تفعله في بانسيلينوس يارجل؟!

أخذ أبوليون يتلفّت حوله بحذر ، بينما قال أبراكساس: من الخطر تواجدك هنا!... ماذا لو رآك الجنود؟!

نزل أبوليون عن جواده وقام بإنزال داناي معه وهو يقول: لدي عملٌ أقوم به في لورديور!... ولكني صادفت هذه الطفلة في طريقي ، أعتقد بأنها فاقدةٌ للذاكرة ، وأن أهلها قد تخلّوا عنها!... هل يمكنك الاعتناء بها؟!

نظر أبراكساس إلى داناي... وكانت تغطي رأسها بقلنسوة ، فقال: تعلم بأنني لا آخذ سوى الأطفال الجميلين ، فلا أحد سيشعر بالشفقة من أجل طفلٍ قبيح ، فجمالهم هو مايجلب لي المال!

أزاح أبوليون القلنسوة عن رأسها ، ونظر إلى أبراكساس بثقة ، فابتسم الأخير بطمعٍ وهمهم متمعّناً: إنها طفلةٌ جميلة!.. إذا قمنا بتنظيفها...

جلس أبوليون على ركبتيه أمامها ، وأمسك بكتفيها الصغيرين: ستكونين بأمانٍ هنا!

ثم ركب حصانه ورحل ، وظلّت داناي تراقبه وهو يبتعد ، وكانت ترغب باللحاق به ، لكنّ أبراكساس جذبها بقوةٍ ليصطحبها معه إلى المسكن المتهالك...

كان الأطفال بالداخل يتناولون عشاءهم المتواضع ، والتفتوا جميعهم عندما دخل أبراكساس ومعه داناي...

أحكم أبراكساس إغلاق الباب وقال: إنها صديقكم الجديد ، التاسع!... قوموا بتعليمها كل شيءٍ منذ الغد!

ثم غادر إلى حجرته ، وظلّوا يحدّقون بها لبرهةٍ ، حتى قاموا بإزاحة مكانٍ لها للجلوس معهم ، حول المنضدة الخشبية المتآكلة الأطراف ، واقتربت داناي بترددٍ وجلست بينهم ، وكانوا ينظرون إلى الوعاء الكبير الفارغ الذي كان يتوسط المنضدة ، وقال (رايموند) بلا مبالاة: لا يوجد طعامٌ لها!

فاقترح كبيرهم (ألارد): فليسكب كل فردٍ من القليل طعامه في وعائها!

أخذوا يتبادلون النظرات فيما بينهم... وتمسّك كل واحدٍ منهم بوعائه ، و سادت لحظة صمت وتردد ، حتى قدّم لها الصبي الذي كان يجلس بجوارها (أرام) وعاءه الخاص...

قال بهدوء: لقد شبِعت!... يمكنكِ تناول المتبقي!

ظهر الارتياح على وجوه البقية ، وأكملوا طعامهم... واستمروا باستراق النظر إلى داناي ، التي كانت تتناول ماتبقّى في وعاء أرام ، بنهمٍ وجوعٍ شديد...

«القمر الأحمر»

أسطورة غير البشر

الفصل الثاني

«٢»

في صباح اليوم التالي..

استيقظ الأطفال واصطحبوا معهم داناي إلى العمل ، وانتشروا في أرجاء السوق المزدحم، وسارت داناي برفقة أغلاي لتتعلم منها...

سألت داناي: مالذي ستفعلونه؟

أجابتها أغلاي: نبحث عن المال... باستمالة قلوب النبلاء!... يجب أن ندفع لأبراكساس عشرين آرغنتاً يومياً ، مقابل الطعام والمأوى...

سألت داناي: هل تتسولون؟

أغلاي: يمكنكِ القول ، ولكن لكل فردٍ طريقته في جمع المال ، تعالي معي سأريك!

وقامت بجذب يدها إلى إحدى مخازن القمح الكبيرة وأشارت نحو ذلك الفتى الطويل عريض الكتفين ، ذي الشعر الأشقر الخفيف ، والذي كان يحمل كيساً ثقيلاً فوق ظهره ، وقالت: هذا هو (ألارد) ، أخونا الأكبر وقائدنا!... وهويحصل على المال عن طريق حمل البضائع ونقلها من والى العربات!... إنها ثقيلةٌ ، لكنه قوي وقادرٌ على حملها!

ثم أشارت إلى الفتى ذي العينين الحادتين والشعر الرمادي الأشعث ، وقالت: إنه (رايموند)!.. عنيدٌ ويحب افتعال المشاكل والعراك ، وهو أكثر من يتعرّض للضرب من قبل أبراكساس!

رأته داناي وهو يسرق خلسةً من جيب أحد المتبضعين... ففتحت عينيها باستغراب!

ابتسمت أغلاي: لاعليكِ ، إنه يفعل ذلك دائماً ، فهي طريقته في الحصول على المال!..رايموند بارعٌ في خفّة اليد والسرقة!..وهو لايسرق المال فقط ، بل المقتنيات الثمينة أيضاً!... لقد حاول أكثر من مرّةٍ سرقة قلادتي هذه ، جميع الأصدقاء كانوا له بالمرصاد!

نظرت داناي إلى القلادة الذهبية وقالت: كم هي جميلة!

أمسكت أغلاي بقلادتها وابتسمت: كل ما أذكره هو أنني أرتدي هذه القلادة منذ أن عرفت نفسي ، لقد حاول أبراكساس أن يأخذها لكنني امتنعت بشدة... وهددته بالرحيل ، لكن أبراكساس يحتاجني... لذا فقد استسلم بشأنها ، وأخبرني بأنه قد وعد العائلة التي تبنتني وسلّمتني له ، بألّا يمسّ هذه القلادة ، فقد كان هذا شرطهم...

ثم ابتسمت: إنني أرغب بالاحتفاظ بها طوال حياتي ، لأنني أعتقد بأنها الشيء الوحيد الذي يربطني بعائلتي الحقيقية!

ابتسمت داناي: قد تكونين محقةً في ذلك!

سألتها أغلاي بتعجب: وأنتِ!... أليس هناك شيءٌ يربطك بعائلتك؟... من أين أتيتِ؟

أجابت داناي وهي تحكّ رأسها بخيبة: أنا لا أذكر شيئاً ، كل ما أذكره هو أنني وجدت نفسي في الغابة!.. وظللت جائعةً لأيام ، حتى أتى ذلك الرجل لإنقاذي!

تألّمت أغلاي لأجلها: يا إلهي!..هل حقاً كذلك؟!

ثم التفتت نحو دكان الخبز ، وامتعضت وهي ترى ذلك الفتى البدين ذا الشعر الأجعد... يتناول قطعة لحمٍ بنهم ، ويقوم بالتلويح لهما بيده الأخرى...

فقالت أغلاي: ذاك هو (أريس) ، نهمٌ و يحب الطعام ، ساذجٌ وطيبة قلبه مفرطه!

ثم التفتت نحو نهاية الطريق وأشارت إلى الفتى الصغير ذي الشعر الأسود اللامع ، والعينين الهادئتين ، وقالت: (أرام) ، مسالمٌ وهادئٌ ولا يتكلم كثيراً!... وهو الأكثر طيبةً!... يقوم بجمع قطع الأخشاب التالفة من الدكاكين ، لنُشعل بها مدفأتنا!

نظرت إليه داناي باهتمام ، ثم اتجهتا نحو طريقٍ آخر من السوق ، وفي تلك الأثناء... تساقطت بعض الأخشاب من على كتف أرام... فجثا على الأرض ليلتقطها... لكن عربةً مسرعةً اجتاحت الطريق فرفع أرام رأسه ورأى الخيل يقترب منه مسرعاً ، و قبل أن يتمكن من النهوض أصبح الخيل فوقه... واصطدم به ليدفعه بعيداً ، حتى سقط على وجهه فوق الأخشاب...

❁❁❁

في مكانٍ آخر من السوق...

التفتت أغلاي وأشارت نحو الفتاة ذات الشعر الأحمر الداكن ، والتي كانت تقوم بتنظيف أحذية المارة: هذه (زوي) ، إنها لاتتكلم كثيراً... كل ما أعرفه أنها قويةٌ وتعتمد على نفسها غالباً!... وهي تعمل في تنظيف الأحذية كما ترين!

ثم التفتت نحو المكتبة وقالت: هناك يحب أن يتواجد (آرميل) ، الصبي المفضّل لدى أبراكساس ، بسبب ذكائه ، لأنه الوحيد الذي يجلب أكبر كميةٍ من المال!.. لأن له طرقاً خاصةً في جلب المال ، راقبيه فقط وانظري!

ثم همست: وبالرغم من أنه ماكر ، إلاّ أنه جبان!

كان آرميل يملك شعراً أسودَ وجسداً نحيلاً... وساقين طويلتين ، كان يقف أمام باب المكتبة ويقرأ أوراقاً ممزقةً لكتابٍ قد تمّ التخلص منه ، نظر إلى المرأة النبيلة التي كانت قد خرجت من المكتبة برفقة ابنها ، وكانت توبخه لسوء سلوكه..

صاحت بابنها: لم تعد تنفع معك كل وسائل التأديب ، سأُخبر والدك ليرسلك إلى مكانٍ تتعلم فيه أصول الاحترام والتهذيب!

ثم سارت غاضبةً وابنها يتبعها ، فابتسم آرميل ولحق بالفتى وألقى بنفسه على الأرض خلفه ،

وأخذ يتظاهر بالبكاء بصوتٍ مرتفع ، فالتفت الناس إليه..

قال باكياً: لقد ضربني هذا النبيل!.. ضربني لأنني فقط فتى مشرد!... لمَ يتكبر النبلاء؟!

التفتت المرأة و كذلك ابنها ، و شعرت بالحرج من نظرات الناس المستاءة نحوها ، وقبل أن يتوقع ابنها ، قال مدافعاً عن نفسه: لم أفعل شيئاً صدّقيني!

جذبت يد ابنها وهمّت بالرحيل ، لكن آرميل صاح بصوتٍ مرتفع: هل هذا فقط ماتفعلينه لفقراء مسكينٍ مثلي؟!

كانت نظرات الآخرين تلتهمها ، فالتفتت نحو آرميل وقدّمت له آرغنتاً وهي تقول متصنعةً اللطف هل أنت بخيرٍ أيها الصغير؟

أخذ آرميل الآرغنت منها ثم قال وهو يتصنع البكاء بشكلٍ يثير الشفقة: لأني يتيمٌ وجائع. تعرضتُ للضرب من ابنك المدلل ، تحاولين إسكاتي بهذا الآرغنت الذي لايساوي شيئاً؟!

ارتبكت المرأة من تكاثر المتجمهرين حولها ، ثم أخرجت خمسة آرغنتات وقدّمتها له ، فالتقطها ونهض مبتسماً: أعتقد أنني بخيرٍ الآن!

دُهشت داناي: هكذا فقط؟!..حصل على كل هذا المبلغ!

ابتسمت أغلاي: ألم أقل لك؟!... كم هو مذهلٌ آرميل!

ثم أشارت إلى الناحية الأخرى ، حيث كان يجلس صبيٌ جميل ذو شعرٍ أشقرَ ناعم ، وملامح هادئة ، متأمّلاً المارة بعينيه البريئتين..

فقالت أغلاي: ذاك هو (ياني)!... نعتبره أخانا الأصغر ، وعلى الرغم من أنه يكبرني سناً... إلا أنه وكما تلاحظين ، عقله متأخرٌ نوعاً ما!.. تخلت عنه عائلته بسبب مرضه هذا ، يقولون بأنهم لايستطيعون تحمّل نفقتة عندما يكبر ولايجد عملاً!

داناي باهتمامٍ ورأفة: ياله من مسكين!

أكملت أغلاي سيرها: إنه لا يجيد عمل شيءٍ حالياً ، يتسكع برفقة أحدنا ليمتني به ، وغالباً مايكون آرميل ، وهو الآن ينتظره هنا كعادته!... يقوم كل شخصٍ منا بمنح آرغنتين يومياً لياني كحصةٍ يُقدّمها لأبراكساس مقابل الطعام!... ومن الجيد بأن أبراكساس لايفكر بطرده حتى لو لم يقدّم له مالاً ، لأن ياني يتميز بجماله ، والجمال هو مايهم أبراكساس ، فالنبلاء يشعرون بالعاطفة أكثر تجاه الطفل الجميل ، مما يدفعهم للتبرّع بسخاء!

ظلّت داناي تتأمل حركات ياني الطفولية ، لكنها التفتت نحو أغلاي فوجدتها تلحق بإحدى السيدات النبيلات ، وهي تتأمل فستانها بانبهار: جميل!

ابتسمت داناي: أجل فعلاً!

لكنها تفاجأت عندما أخرجت أغلاي شفرةً حادةً من الحقيبة الصغيرة التي تحملها ، وقامت بتمزيق فستان السيدة من الخلف بحركةٍ خاطفة...

شهقت داناي متعجّبةً: مالذي تفعلينه؟!

تجاهلتها أغلاي ولحقت بالسيدة وهي تقول متصنعةً: عفواً سيدتي ، لقد تمزّق ثوبك!!

التفتت السيدة ونظرت إلى طرف فستانها وصاحت بقلق: يا إلهي!!... ماذا أفعل؟!

فابتسمت أغلاي: يمكنني خياطته لكِ سريعاً إذا أردتِ!

بادلتها السيدة الابتسامة بارتياح: حقاً؟!..هل يمكنك ذلك؟

جلست أغلاي على الأرض وأخرجت الخيط والإبرة من حقيبتها وهي تقول بلطف: سيكون ذلك بأربعة آرغنتات!

دهشت داناي ، فنظرت إليها أغلاي وغمزت بعينها ، مشيرةً لها بأن تصمت..

وبعد أن انتهت ، همست داناي في أذنها: إذن هذه هي طريقتك في جمع المال؟!

أجابتها أغلاي بفخر: الحياكة ، هي ما أُجيد فعله!

❁❁❁

(بانسيلينوس - بوليشولي)

كان موكب الجنرال إدغارد يسير في منتصف البلدة بينما يُفسح الصيادون له الطريق ، وكان الرجل الأعور يقف بين الحشد ويراقب الموكب ، ثم نظر إلى داخل العربة ولمح وجه الجنرال ، وكانت معه زوجته ، فلحق بالموكب حتى وصل إلى منزل إقامة الجنرال...

وعندما همّ الموكب بالدخول... اقترب أحد الحراس من عربة الجنرال: سيدي هناك شخصٌ أعورٌ يقف أمام البوابة ويأبى الابتعاد ، مدّعياً بأنه يعرفك منذ أمدٍ بعيد... ويريد مقابلتك ، هل نتخلص منه؟!

شعرت زوجته الجميلة (هيلين) بالقلق ، ورفع الجنرال يده وقال: انتظر... دعني ألقي نظرةً عليه أولاً!

ثم أطلّ برأسه من نافذة العربة... ونظر إلى الرجل ، فاتسعت عيناه ذهولاً وذعراً: بالتازار؟!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل...

جلس الجميع حول مائدة الغداء ، وكان الجد إيفرانور يسعل بقوة ، واقتربت منه ابنته مارغرين التي قدمت له الدواء بقلق ، بينما كان يقول: لابد وأن نهايتي قد اقتربت ، لقد عشتُ طويلاً طويلاً... حتى نحن قابلين للموت أيضاً!... فلسنا خالدين هنا!

قاطعته مارغريت بقلق: والدي!..لا تقل هذا أمام الصغار من فضلك!... ..إنها مجردُ وعكة بسيطة!

التفت الجد إيفرانور فرأى الأطفال يحدّقون فيه بقلق ، حتى قالت الكونتيسة ميرابيل بلطف: لاعليكم ، فلتبدؤوا بتناول الطعام!

نظرت باربرا إلى عيني فيوليت اللتين كانتا تسترقان النظر إلى إيمانويل ، ثم همست في أذنها: أعلمُ بأنكِ تحبين إيمانويل!

أسقطت فيوليت شوكتها على الأرض ارتباكاً... فقام الخدم باستبدالها لها ، واستمرت باربرا بمضايقتها: أعلمُ بأنك تجمعين الحلوى الخاصة بك وتخبئينها له تحت وسادته!... لقد رأيتك ذلك اليوم!

غصّت فيوليت بلقمتها وأخذت تسعل ، بينما كان شقيقها أندريون يتأمل كؤوس النبيذ الخاصة بالكبار... ويفكر بتساؤل: لمَ يبدو نبيذ عائلتنا مختلفاً؟!

التفت الكبار إليه بأعينٍ حذرةٍ... فسأله والده إيبير: ماذا تقصد يا بنيّ؟

أندريون متأملاً النبيذ: لونه!... إن اللون الأحمر يبدو مختلفاً... داكناً... وثقيلاً نوعاً ما!

صمت الكبار ، فابتسم جده إيفرانور: إننا نضيف إليه بعض المواد التي تجعله لذيذاً ومفيداً لصحتنا... لذا فهو يبدو ثقيلاً كما تلاحظ!... كم أنت ذكيٌ يا أندريون ، لملاحظتك شيئاً كهذا!

نظر بيلموت ذي الشعر الأحمر إلى كأس جده ولعق شفتيه وهو يقول: أشعر بالعطش عندما أراه!... هل يمكنني تذوقه؟

ارتبك الجد وأبعد كأسه... فصمت الجميع مذهولين من تعطّش بيلموت ، حتى قالت الكونتيسة ميرابيل: بالطبع لا يمكنك!... فلم تصل إلى العمر المناسب بعد!

قال ابنها غيلبرت ، ساخراً من بيلموت: يجب أن تصبح كبيراً قبل أن تتطلع لأمور الكبار!

امتعض بيلموت: أنا كبيرٌ بما فيه الكفاية!

انزعجت عمّتهما مارغريت: يالهؤلاء الصبية!... كيف يذهب الجنرال إدغارد وزوجته إلى

بوليشولي ويتركان ابنيهما... هل نحن من سيقوم بتربيتهما؟!

تنهدت ميرابيل: لا توبّخي الصغار هكذا سيدة مارغريت!... جميعنا نعلم بأن الجنرال إدغارد قد ذهب لأداء مهامّه ، و لحل المشاكل في تلك المنطقة!

❁❁❁

(بانسيلينوس - بوليشولي)

في منطقةٍ نائيةٍ حول الشاطئ ، وتحت أشعة الشمس الساطعة...

سقط الجنرال إدغارد بونيفيل على الأرض بجوار زوجته هيلين التي كانت تبكي ذعراً ، وكانت يديهما وقدميهما مقيدةً بالحبال ، كانا يشعران بالوهن ، وكأنهما قد استنشقا مادةً مخدرةً غيَّبت وعيهُما ، فلم يقويا على الحراك والدفاع عن نفسيهما بسببها...

إدغارد: سأُعطيك أي شيءٍ تريده ، اطلب فقط!

صاحت هيلين باكيةً: أرجوك لاتقتلنا!!.. إن لدينا طفلين بانتظارنا!!

أجابهما الشخص الملثم الواقف أمامهما بعد أن انتزع القلادتين اللتين كانا يرتديانها: أنا مأمورٌ بفعل هذا ، ستبقيان هنا حتى شروق الشمس!!... هذا انتقامٌ لأركاديوس مونبيتيت ، وانتقامٌ من شخصٍ قريبٍ منكما!

ثم قام بغلق فمهما بقطعتيّ قماش ، وضربهما على رأسيهما ليفقدا الوعي ، ثم ركب عربته وتركهما... ليحترقا بأشعة الشمس الحارّة...

❁❁❁

عندما أوشكت الشمس على المغيب..

قالت أغلاي: في نهاية النهار ، عندما تهمّ الدكاكين بالإغلاق ، ويُنهي النبلاء تبضّعهم ، نقوم بالتجمّع والغناء لهم ، لنستجدي عطفهم...

ثم بدأت تغني:

(أتينا من كل مكان... .أصبحنا إخوةً ولا دم يربطنا... سوى أننا نتشارك في المصير... نحن الأزهار الجياع... لا نملك غير ابتسامتنا البريئة... لنهديكم إياها... فهل يمكنكم جعلنا نستمر بالابتسام؟... آرغنتّ واحد فقط سيجعلنا نبتسم طوال العمر... آرغنتّ واحد! ♪)

كانت داناي تستمع إليها بانبهار: مذهل!

ابتسمت أغلاي: يجب أن تحفظيها وتقومي بالغناء معنا!

ثم ركضت إلى وسط السوق وانضمّت إلى أصدقاءها ، فلحقت بها داناي... وسمعتهم يتساءلون

عن تأخر أرام ، ويبحثون عنه بأعينهم...

لكنهم مالبثوا أن بدؤوا يلحقون بالنبلاء ويغنون لهم ، وكانت دانـاي تتأمل وجوههم المرحة وهم يغنون بسعادة... بالرغم من ثيابهم الرثة..وبطونهم الجائعة ، ولم تجد نفسها إلا وهي تشاركهم الغناء..

❁❁❁

في تلك الليلة...

التقى الجنرال أبوليون بمجموعة جواسيس رومبيانيين يخالطون نبلاء لورديور الذين يترددون على البلاط ، وأخذ منهم بعض المعلومات الهامة عن مخططات الملك أليكساندروس ومايحصل في المجلس الملكي ، فأخبروه بأن الملك كان سعيداً عندما تلقى نبوءةً تُفيد باقتراب موت الملك هيروديون..

تفاجأ أبوليون عند سماعه ذلك وقال: إنها مجرد خزعبلات الكاهن!.. لن يصيب ملكنا أي مكروه!... ولكن ، الأمر الذي جئتُ لأجله...

ثم قال بجدية: يوجد خائنٌ من بينكم!.. وقد أرسلني الملك لقتله!

نهض الرجال من أماكنهم وتبادلوا نظرات الشك فيما بينهم ، وحدّقوا بذعرٍ في سيف أبوليون... الذي مالبث أن اخترق جسد أحدهم وأرداه قتيلاً ، وتناثرت دماؤه في المكان...

قال أبوليون وهو ينظف سيفه: هذا جزاء من يخون رومبيانيا!... أتمنى أن يكون هذا رادعاً لمن تُسوّل له نفسه بالخيانة!

انحنى له الرجال المرعوبين ليعبّروا عن إخلاصهم وولائهم ، ثم ناقش معهم بعض المخططات، وأعطاهم أوامر الملك هيروديون السريّة ، وانطلق عائداً إلى رومبيانيا..

❁❁❁

عاد الأطفال المتسولون إلى مسكنهم ، بعد يومٍ شاق..

لكنهم تفاجؤوا عند رؤيتهم لأرام يجلس بجوار أبراكساس ، وضمادةٌ ملطخةٌ بالدم تغطي إحدى عينيه ، التفّوا حوله بقلقٍ ، لكن أبراكساس أجابهم قبل أن يستفسروا: اصطدمت به عربةٌ مسرعة وسقط على الأخشاب!... وقمت بلف هذه الضمادة له..

سألوه بأعينٍ مشفقة: هل أنت بخير؟

وكان يبتسم ويهز برأسه إيجاباً: أنا بخير!

طرح أبراكساس سؤاله اليومي المعتاد ، بنبرته الجادة والصارمة: ماذا جلبتم اليوم؟!

فاصطفوا جميعهم وبدؤوا إعطاءه ماجمعوه من مال ، وكان يقوم بضرب من يجلب مالاً أقل من

الحد اليومي ، كانت داناي تراقب كل ذلك بخوف ، إلّا أنها لاحظت ابتسامة الرضا على وجهه ، عندما قدّم له آرميل أكبر مبلغٍ من المال...

ربّت أبراكساس على كتف آرميل بإعجاب: كما هو متوقعٌ منك يا آرميل!

وعندما حان دور رايموند ، أخرج ساعةً ذهبيةً من جيبه وقدّمها إلى أبراكساس الذي ابتسم وهو يتأملها بإعجابٍ: ما أجمل المقتنيات التي تجلبها يا رايموند ، سأبيعها الاسبوع القادم!

لكنه نظر فجأةً إلى جيب رايموند وقال بنبرةٍ خشنة: أخرج الباقي!

ارتبك رايموند: لايوجد بجيبي شيء!

لم يصدقّه أبراكساس وأدخل يده في جيبه ليتحقق... وبالفعل لم يجد شيئاً ، فابتسم رايموند بانتصارٍ وهمّ بالابتعاد عنه... إلّا أن قدمه أصدرت صوتاً... فنظر أبراكساس إلى حذائه الرثّ ، وقال آمراً: توقف!

توقف رايموند ، فأمره أبراكساس بصرامة: اخلع حذاءك!!

ارتبك رايموند وسأل بتحفّظ: لماذا؟

كان الجميع يشاهد برهبة ، وكرر أبراكساس أوامره بنبرةٍ غاضبة: اخلعه!!

تردد رايموند للحظةٍ ، ثم خلعه... فتساقطت قطع النقود منه... وذهل الأطفال!... عندها نهض أبراكساس وحمل عصاه ، وقام بضرب رايموند بعنف ، ثم انحنى نحو الأرض والتقط النقود قائلاً بصوته الأجش: أنت أكثر من يحب أن يتذوق عصاي يا رايموند!!... متى ستتعلم أنه لا يمكنك خداعي؟

ثم التفت نحو داناي: تبقّى أنتِ!

جمدت داناي في مكانها ونظرت إليه بذعر ، فسألها وهو يتقدّم نحوها: ماذا أحضرتِ؟!

كانت داناي ترتعش خوفاً... بينما يحدّق الجميع بها ، حتى تدخّل أرام ووقف أمامها ، مدافعاً ومخاطباً أبراكساس بتردد: إنها جديدةٌ... ولم تعتد على عملنا بعد!

ابراكساس غاضباً: وهل سأعطيها طعام الليلة مجاناً؟!

قال أرام بجدية: سأساعدها غداً لتجلب لك ما يعوض عن يومين!

فقام أبراكساس بدفع رأس أرام بعصاه وهو يقول: من الأفضل لك أنت أن تعوّض عن حطب يومين!... لا تعتقد بأنني سأتساهل معك من أجل إصابتك!

ثم التفت نحو الأطفال: ستتناولون طعاماً بارداً وجافاً اليوم!... ليس لدينا مايكفي من الحطب للطهي!... وهذا بفضل أرام!

وبعد أن غادر أبراكساس المكان ، نطقت أغلاي ساخطةً: ألا يمكنه شكرنا والتعامل معنا بلطف مقابل مانبذله؟... إننا لانجد وقتاً كافياً للعب حتى!

فقال ألارد: كونوا أكثر واقعية ، من الجيد أننا نحصل على الطعام والدفء ، والنوم تحت سقف هنا!... بعد أن تخلى عنا أهلونا!... يجب أن نكون ممتنين لأبراكساس لإيوائنا لديه!

أغلاي متذمرةً: كم تبالغ بالمثالية يا ألارد!... أتمنى أن أرى اليوم الذي يموت فيه أبراكساس!

كان رايموند وزوي يتشاجران ، حيث قال رايموند: ماحدث لي اليوم كان بسببك!... أنتِ من اقترح عليّ وضع نقودنا في حذائي!

قامت زوي بدفعه وهي تقول: بسبب قلة حذرك جعلتني أخسر عشرة آرغنتات!... لقد استولى عليها أبراكساس الآن!... لن أشاركك نقودي مرةً أخرى!

كان أريس يبكي من شدة الضرب الذي تعرض له ، فسأله له ألارد معاتباً: لماذا ابتعت قطعة لحم بالنقود التي جمعتها؟... كم مرةً قمتُ بتنبيهك يا أريس!

أريس مجففاً دموعه: لطالما أردت أن أتذوق طعم اللحم ، لقد كانت قطعة لحمٍ قديمة قدّمها لي الطاهي بثمنٍ رخيص!..فلم أستطع المقاومة!

آرميل ساخراً: أريس!... حاول أن تكون شجاعاً لمرةٍ واحدة ، وتقاوم نهمَك بالطعام!... إننا متسوّلون وُلدنا لجمع المال فقط ، ولم نُولد لنتناول اللحوم!

اقتربت داناي من أرام وقامت بمساعدته على المشي ، بسبب إصابة عينه ، وقالت بامتنان: شكراً لحمايتي... قبل قليل!

ابتسم لها ، ثم أخذ يتأوه من عينه ، فسألته بقلق: هل تؤلمك؟

وفي ناحيةٍ أخرى ، جلس ياني باكياً في إحدى الزوايا: أنا جائع!

فاقترب منه آرميل ومسح على رأسه ، وقدّم له تفاحةً وهو يقول: لايوجد عشاءً اليوم ، ياني!... تناول هذه لتسدّ جوعك!

❁❁❁

بعد ثلاثة أيام..

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

عاد الجنرال أبوليون إلى القصر الملكي على عجلةٍ وكان القلق واضحاً في عينيه ، عندما أخبروه بأن حالة الملك هيروديون الصحية قد ساءت جداً وأنه على فراش الموت..

دخل أبوليون لحجرة الملك ، وجلس بجوار سريره وقال وهو ينظر إلى حاله بقلق: جلالتك!

التفت هيروديون إليه ثم أشار للجميع بأن يخرجوا ويدعوهما بمفردهما ، وبعد أن غادروا ، قال أبوليون: لقد أتممتُ المهمة التي أرسلتني لها في بانسيلينوس على أكمل وجه ، وقتلتُ الخائن!..جلالتك!

ابتسم هيروديون ببطءٍ ثم قال: اعتنِ بأرجوس جيداً... أيها الجنرال!... وحافظ على مجد رومبيانيا!... ولا تدعها في إيدي إخوتي!.. إنهم يخططون لـ..

نهض أبوليون وأمسك بيد الملك هيروديون بقوةٍ ، وهمس بوجهه الشاحب عندما أدرك أنها النهاية: جلالتك!!

❁❁❁

في نهاية المساء..

القصر الملكي..

وصل خبر وفاة هيروديون إلى أليكساندروس عن طريق أحد جواسيسه عبر الحمام الزاجل ، فاسترخى في جلسته أكثر ومدّد قدميه ، وابتسم بسعادة..

أليكساندروس ساخراً: ها قد غادرتَ وتركت مملكتك لي!... هيروديون الجبان!

اقترب منه الكونت أرماند وقال مبتسماً: أعتقد بأنها الفرصة المناسبة لبدء هجومنا ، جلالتك!... فرومبيانيا في أشدّ حالات ضعفها الآن!

ظهر الحماس في عيني أليكساندروس: هذا صحيح ، جهزوا الجيش!... ولنقِم احتفالاً بهذه المناسبة!

❁❁❁

في تلك الأحياء الفقيرة...

اقترب أرام من داناي ، فالتفتت إليه ورأته يمدّ لها سواراً صُنع من القش ، تتدلى منه كرةً زجاجيةً حمراء صغيرة...

ابتسمت بتعجب: ماهذا؟

لم يُجب أرام بل اكتفى بالنظر إليها بعينين تلمعان ، فسألته: هذا السوار... لي؟

فأومأ برأسه بخجل ، والتقطت السوار وارتدته في معصمها وهي تتأمله بسعادة: جميل!... هل أنت من صنعه؟

ابتسم أرام بهدوء: أجل ، صنعتُه لأجلك!.. لأنكِ لطيفةٌ جداً معي يادانا!

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

وصل أحد المرافقين للجنرال إدغارد بونيفيل من بوليشولي... ليحمل خبراً لكبار العائلة ، بل إدغارد وزوجته هيلين قد وُجد رمادهما على الشاطئ.. احتراقاً تحت أشعة الشمس...

فُجع أفراد العائلة بهذا الخبر ، واتجهت الكونتيسة ميرابيل نحو ابنيّ إدغارد... إيمانويل وبيلمون اللذَين أيقظتهما الأصوات من نومهما ، واحتضنتهما بشدة... وأخبرتهما بأنها ستعتني بهما منذ اليوم ، وأنهما سينضمّان إلى أبنائها...

نظر الطفلان إلى بعضهما وأخذا يبكيان... حيث كانت ليلةً سوداء بالنسبة إليهما... وبالنسبة لجميع أفراد العائلة..

❁❁❁

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

كان القصر يعمّ بالفوضى إثرَ وفاة الملك..

بينما كان جثمانه يُجهّز من أجل مراسم دفنه في الصباح ، وعُقد اجتماعٌ طارئٌ لتنصيب الملك الجديد ، حيث رأى معظم الوزراء والمستشارين بأن الوريث الشرعي ، الأمير أرجوس ، لايزال صغيراً لتولي الحكم ، وأن ينوب عنه عمه الأكبر بيلزبيل رونثو ، إلى حين أن يكبر أرجوس ويصبح قادراً على تولي العرش ، و أصدروا قرارهم هذا بعد الإجماع عليه..

ولكن في اجتماعٍ خاصٍ بين بيلزبيل وإخوته ، حيث لم يكونوا حزينين أبداً لوفاة هيروديون الذي كان عقبةً في طريق تحقيق طموحاتهم ، فقد أصبحت المملكة بين أيديهم أخيراً..

نظر أنارغيروس إلى شقيقه الأكبر: تهانينا ، بيلزبيل!..سيتم تتويجك غداً!

ظلّ بيلزبيل صامتاً يفكر ، حتى قال: لا أريد أي استمرارٍ لنسل هيروديون!... أرجوس لا يزال حياً بعد فشل خطتنا الأخيرة ، وهذا يعني بأن فترة حكمي ستكون قصيرة جداً ، لذا فأرجوس يعتبر تهديداً لنا!

تريتون: نحن نؤيدك في كل ماتقول يا بيلزبيل!... أنت أفضل من سيحكم رومبيانيا!

أنارغيروس: هل تعني بأننا يجب أن نتخلص من الأمير الآن؟!

نظر إليه بيلزبيل بعينيه القاسيتين: أجل!

سأل تريتون: ومن سيفعل ذلك؟!... إن الأمر خطير!..سنكون موضع شبهةٍ إذا قُتل في القصر!..

فنحن الوحيدون الذين سنستفيد من مقتله!

بيلزبيل: عندما يموت... سأصبح الملك الفعلي والوريث الشرعي!.. وسيكون كل شيءٍ بيدي!..

ولايحق لأحدٍ اتهامي حينها!

فكّر أنارغيروس: وماذا عن الحراسة المشددة على سموّه؟!

ابتسم بيلزبيل بهدوءٍ وقال: أعرف الشخص المناسب لهذه المهمة!

ثم أمر الحارس خلف الباب: استدعِ الجنرال أبوليون!

ولم يكن بيلزبيل يعلم عن مدى إخلاص أبوليون للملك الراحل هيرودبون . فعندما أمره باغتيال أرجوس مقابل ترقية منصبه ، وإعطائه أراضي وثروةً هائلة ، وأخبره بالخطة...

أجاب الجنرال أبوليون بالموافقة على التنفيذ ، وهرع على الفور إلى جناح الأمير الصغير أرجوس... وبالرغم من أنّ الحراس منعوه من الدخول لأن الأمير نائم ، إلّا أنه تجاوزهم فلحقوا به ليمنعوه...

عندها تدخّل خادمه الصغير نوي: إن سيدي الصغير حزينٌ ومرهقٌ جداً بعد البكاء على رحيل والده الملك!... أرجوك أيها الجنرال أبوليون أن تؤجل الأمر الذي جئت من أجله إلى الغد!

استيقظ أرجوس بسبب أصواتهم ، وعندما جلس على سريره ، رأى أبوليون قد تجاهل نوي ودخل عليه...

انحنى له أبوليون على عجل: سمو الأمير!

فرك أرجوس عينيه ورأى الحراس يقفون خلف أبوليون وهم يقولون بقلق: سامحنا ياسمو الأمير!... لقد حاولنا منع الجنرال لكنه دخل بالقوة!

نظر أرجوس إلى أبوليون وهو يقول بانزعاج: مالأمر؟... سأعاقبك على إزعاجي أيها الجنرال!!

أبوليون: سامحني على اقتحام جناحك في مثل هذا الوقت ، لكنني مضطرٌ للتحدث إليك على انفرادٍ!... فالأمر لايحتمل الانتظار!

أمر أرجوس الحراس بأن يخرجوا ثم سأل بتململ: ماذا هناك أيها الجنرال؟... عجّل فإني أريد العودة للنوم!

اقترب أبوليون منه وانحنى على ركبته و همس بوجهٍ جادٍ وعينين حذرتين: يجب أن تهرب الآن سمو الأمير!!

فتح أرجوس عينيه جيداً واعتدل في جلسته: ماذا؟!

أبوليون: إن أعمامك ينوون قتلك!... لقد أمرني الدوق بيلزبيل أن أقتلك بسهمٍ غداً بعد مراسم تنصيبه ملكاً مؤقتاً!

نهض أرجوس من سريره ، وكان مذهولاً وعيناه تتجولان في المكان بتوترٍ وخوف...

حتى قال أبوليون بجدية: لاعليك!... سأتولى أمر تهريبك من القصر ومن كليوزهيست!... لقد أمرتُ أحد جنودي الذي أثق به... بأن يجهز لنا الخيول عند الأسوار الخلفية للقصر!

ثم اقترب أكثر وقال بحزم: هيا بنا!!

لكنّ وجه أرجوس كان شاحباً وحائراً ، فابتعد عن أبوليون بخوف: استدع نوي!!... لن أغادر بدونه!

تنهد أبوليون ثم نادى على نوي ، الذي دخل الحجرة قلقاً ، وعندما أخبره الجنرال بالأمر ، قال نوي بجديةٍ وولاء: سموك!..سأرافقك وسأعتني بك أينما تذهب!!

أبوليون: هيا سموك!... لا وقت لنضيعه!

أمر أرجوس خادمه: نوي!... جهّز لي أمتعتي وثيابي!

ذهل أبوليون: سمو الأمير!!... لا يوجد وقتٌ لهذا!... سيكتشفون الأمر قريباً!

غضب أرجوس: لن أغادر بثياب النوم!... هيا نوي!!

ركض نوي إلى الخزانة ، وبينما كان يقوم بتجهيز ثياب الأمير ، طرق الحراس الباب يخبرون بأن رئيس الحرس الخاص قد علم عن وجود الجنرال أبوليون في جناح الأمير ، وأنه يرغب بالدخول لاستطلاع الأمر والتأكد من سلامته...

قام أبوليون بحمل أرجوس على كتفه وفتح النافذة ليقفز ، لكنّ نوي قال: اذهبا أنتما... وأنا سأقوم بتضليلهم وألحق بكما!

شحب وجه أرجوس خوفاً من فقدانه: نوي!!

أبوليون: الحق بنا إلى الجبل إذن!... سأترك لك أحد الخيول!

قال جملته تلك ثم قفز من النافذة وركض حاملاً الأمير الصغير على كتفه ، وتسلل عبر السور الخلفي ، حيث كان بانتظاره جنديان من أتباع الملك هيروديون المخلصين ، فركب على ظهر الخيل وساعد الأمير على الركوب معه ، وانطلقت بهم الخيول الثلاثة بعيداً...

وبينما كان الحراس يطرقون الباب أجابهم نوي: سمو الأمير يريد الخروج إلى الردهة الرئيسية ، ويأمركم بانتظاره هناك!

أجاب رئيس الحرس الخاص: لكنني أريد التأكد من سلامة سموه ، وأريد التحدث إلى الجنرال!

نوي: إن أوامر الأمير واضحة!..سيقابلكم في الردهة!

أجاب رئيس الحرس الخاص: حسناً ، سنخرج وننتظر سموه!

وبعد أن خرجوا ، قام نوي بحزم ثياب الأمير على عجلٍ وخرج من باب الخدم تاركاً آثار أقدام

مزيّفةً خلفه ، متعمّداً تضليل الحراس الذين أتوا ليطرقوا الباب مجدداً بعد فترة... ولكن دون مجيب ، مما جعلهم يتأكدون بأن الأمير في خطر ، فأمرهم رئيس الحرس الخاص بأن يقتحموا الجناح ، ولكنهم وجدوه خاوياً...

غضب رئيس الحرس وشعر بالقلق والمسؤولية: لقد اختُطف الأمير!!..ابحثوا عنه في كل أنحاء القصر... لابد و أن الخاطفين لم يبتعدوا كثيراً... تتبعوا تلك الآثار!.. وأبلِغوا عن خيانة الجنرال أبوليون والخادم نوي!

وبينما كانت الفوضى تعمّ القصر بحثاً عن الأمير ، أخفى نوي آثار قدميه عند مكانٍ محدد... ثم عاد باتجاه السور الخلفي ، لكنه فوجئ بوالده الحداد أغنيس يُمسك به من كتفه...

التفت نوي إليه ، ورأى عيني والده الجادتين وهو يقدّم له سيفاً ويقول: احمِ سمو!!

أخذ نوي السيف وعيناه لم تفارقا عينا والده ، وهمس بامتنان: أبي!

وضع أغنيس يديه على كتفيّ ابنه: لقد علّمتك المبارزة!... فلتفعل ذلك من أجل حماية الوريث الشرعي!

لمعت عينا نوي وقال بحزم: بالطبع سأحميه!... الوداع يا أبي!

❁❁❁

وعند سفح الجبل..

كانت ليلةً مظلمةً وباردة... تحرّكها رياحٌ هادئة ، وقف أرجوس بجوار إحدى الأشجار... صامتاً وحائراً... ومصدوماً: عمي بيلزبيل!... لماذا؟

ثم قال بحزن: لماذا يرغب أعمامي بقتلي؟!

وقف أبوليون خلفه وقال: إنهم يطمعون بعرشك!

تنهد أرجوس: هل العرش شيءٌ مهمٌ لهذا الحد؟!... هل يقتل الناس أهليهم من أجل الحصول عليه؟!

نظر أبوليون نحو الأرض وقال: للأسف نعم!

التفت أرجوس للناحية الأخرى حيث تقع مدينة كليوزهيست... وسأل بقلق: هل نوي بخيرٍ يا ترى؟

وفي تلك اللحظة ، لاح له خيلٌ قادمٌ من بعيد ، كان يعتليه نوي... فابتسم بلهفةٍ وارتياح: نوي!!

❁❁❁

بينما في القصر الملكي..

غضب بيلزبيل عندما وصله خبر اختفاء أرجو ، وأمر الجنود بالبحث عنه في جميع أنحاء رومبيانيا ، وقال لأخويه غاضباً: سنعلن بأن أبوليون خائنٌ للبلاد!... وأن رأسه مطلوبة!

في تلك الأثناء ، جاءه رسولٌ يخبره بأن البانسيليون يعُدّون جيوشهم للهجوم على رومبيانيا.. مما زاد من غضبه وتوتره... فجلس محاولاً التفكير بحلٍ لهذه الأزمة..

❁❁❁

في إحدى الليالي..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

كان الأطفال التسعة يجلسون فوق السطح القرميدي المائل ، ويحتسون كوباً من الحليب الدافئ...

أريس مستمتعاً بمذاق الحليب: إنها المرة الأولى التي يصبح فيها أبراكساس لطيفاً ويقدّم لنا شراباً ساخناً ولذيذاً!

نظر ياني إلى ناحية القصر الملكي ، الذي كان يلوح لهم من بعيد ، وقال باندهاش: إنها المفرقعات!

نظر الجميع نحو المفرقعات التي تتطاير في السماء صادرةً من حديقة القصر الملكي ، وابتسموا بانبهار..

أغلاي: كم هي جميلة!

ألارد: يبدو أن هناك احتفالاً كالعادة!... فالملك يحب الاحتفالات!

وبعد أن توقفت المفرقعات ، أصبحت السماء مظلمةً إلا من توهج النجوم ، فأخذوا يتأملونها...

حتى سأل أريس: ماذا تريدون أن تصبحوا عندما تكبرون؟!

أجاب ألارد: سأصبح قائداً في الجيش!

نظرت أغلاي إلى القصر بعينين حالمتين وقالت: أتمنى أن أصبح نبيلةً وأدخل القصر الملكي!

ضحكوا ساخرين من أمنيتها ، وقال رايموند: ذلك مستحيل!... بالنسبة لي ، فإني أريد أن أكون مقاتلاً حراً وقوياً!

أريس: وأنا أريد أن أصبح طاهياً وأمتلك مطعماً!

سخر منه آرميل: ستتناول جميع ماتطهوه ، لن تجعل أحداً يتذوقه بسبب نهمك!... أما أنا فأتمنى أن أصبح أديباً... كاتباً ، أو شاعراً.. والفتيات الجميلات من حولي يرددن أشعاري!

رايموند متهكّماً: يمكن لأمنيتك أن تتحقق بسبب عشقك للكتب!.. ولكن ، إعجاب الفتيات بك؟... لا أظن هذا!

سأل ألارد: وأنتِ يازوي؟

نظرت زوي إلى النجوم ثم قالت: حسناً... لا أحد يعلم بالفعل إذا ماكانت أحلامه ستتحقق أم لا ، سأعيش الحياة التي تعجبني فقط وأذهب معها إلى حيث تأخذني... لا أتمنى شيئاً معيناً ، حتى لا أُصاب بالخيبة!

آرميل: هذا مثيرٌ للاهتمام!

التفتت أغلاي إلى داناي: وماذا عنكِ ياداناي؟

شعرت داناي بالخجل وقالت بعد تردد: أريد أن أستعيد ذكرياتي فقط!

شعر الجميع بالشفقة تجاهها... وظلّوا صامتين ، حتى قررت هي كسر الصمت عندما سألت أرام: ماذا عنك... يا أرام؟

أجاب أرام بهدوء: سأكون شخصاً طيباً ومحباً لمساعدة الآخرين!

ابتسم له أريس: باللطيبة!... كما هو متوقعٌ من أرام!

لكن أرام أخذ يتألم من جرح عينه من جديد... فأمسكت به داناي التي كانت تجلس بجانبه ، وساعدته على النهوض: فلنضع دواء الأعشاب عليها كما أخبرنا أبراكساس ، سأساعدك في تغيير الضمادة!

ياني منزعجاً: ياني غاضبٌ لأنه لم يقل أمنيته!

التفت الجميع نحوه وقد انتبهوا إلى نسيانه ، فسألته أغلاي بلطف: حسناً ، أخبرنا ماذا تتمنى أن تصبح ، ياني؟

رفع ياني يده بلهفةٍ نحو السماء: نجمة!

ضحك الجميع وقال آرميل: ياني!... هذا مستحيل!

تثاءب أريس: أشعر بالنعاس!

ألارد بعينين ناعستين: فلنخلد إلى النوم!

غمرهم النعاس في آنٍ واحد ، وكأنما تناولوا منوماً!... ولم يلحظ هذا الأمر الغريب ، سوى الفتى الفطِن ، آرميل... الذي ظلّ يقاوم النوم ليتأمل مايحدث لرفاقه ، ولكنه مالبث أن غطّ في النوم معهم...

في تلك الليلة...

(بانسيلينوس- العاصمة لورديور)

في منزل مونبيتيت...

خرج الطبيب من الحجرة وخلفه اثنان من مساعديه يحملان جثة السيدة مونبيتيت المغطاة بملاءة . بينما بكت الخادمة إيوانا . واقترب منها الطبيب هامساً: صحيحٌ أنها كانت تعاني من المرض . لكنه ليس السبب في وفاتها!

رفعت رأسها مذهولةً . فقال الطبيب: أعتقد بأن السيدة مونبيتيت ماتت مسمومة!.. بسمٍّ بطيء . وصل إلى دمها قبل مدّة . ولم يتمكّن منها وتظهر آثاره إلّا اليوم!

اتسعت عينا إيوانا ذعراً . ثم أسرعت نحو الطفلين (ألباين) و (دليا) وحزمت أمتعتهما كما أمرتها السيدة قبل وفاتها...

كانت ليلةً مظلمةً وكئيبة . عندما ركبت معهما إيوانا في العربة وطلبت من السائس أن ينطلق بهم بعيداً عن لورديور... إلى المكان الذي حددته السيدة...

❁❁❁

مع شروق شمس اليوم التالي...

اقتحم أبراكساس الحجرة التي ينام فيها الأطفال التسعة وأقفل الباب خلفه بإحكام . وحاول التقاط أنفاسه . ثم صرخ فيهم مذعوراً: بسرعة... اهربوا!!

استيقظ الأطفال فزعين وحاولوا التساؤل عمّا يجري . لكّن الوقت لم يُتِح لأي سؤال . فقد سمعوا صوت رجلين خلف الباب . يقرعانه بعنفٍ محاولَين الدخول...

استند أبراكساس عليه مشيراً للأطفال بالهروب من النافذة ..

قال الرجل خلف الباب: نريد الأطفال المختارين يا أبراكساس فلتفتح وإلاّ سنكسر الباب!

اتجه ألارد نحو النافذة ولحق به البقية . بوجوههم الصغيرة الخائفة.. وهم لا يعلمون مما يهربون ولماذا . ثم تبعهم أبراكساس ليساعدهم على العبور فوق السطح...

كسر الرجلان الباب . وكان أحدهما ضخم الجثة مخيف المظهر . والآخر نحيلاً وضئيل الحجم..

- إيفرايم!..لقد هربوا من النافذة!

أطل ايفرايم من تلك النافذة ولم يجد لهم أثراً: فلننزل للأسفل للحاق بهم!..هيا يافيلمون!

وبعد دقائق سريعة . كان أبراكساس يجري مع الأطفال باتجاه الأرياف . لكن الرجلين تمكنا منهم في نهاية المطاف بفضل خيليهما . وقاما بمحاصرتهم ثم قتلا أبراكساس بعد عدة

طعنات... فسالت دماؤه ، وسط بكاءٍ وذعرٍ من الأطفال... الذين حاولوا الهرب ، وتمكّن الرجلين أخيراً من الإمساك بثلاثةٍ من الأطفال فقط ، بينما لاذ البقية بالفرار..

وأخِذ الثلاثة للاحتجاز في إحدى الإسطبلات... رايموند ، أريس ، وأرام..

❁ ❁ ❁

عند منتصف النهار..

في القصر الملكي...

عندما كان أليكساندروس في مجلسه اليومي... وصله خبر وفاة السيدة مونبيتيت ، زوجة الجنرال أركاديوس ، والاختفاء المفاجئ لطفليهما...

أليكساندروس باهتمام: لقد كان الجنرال أركاديوس مونبيتيت قائداً عظيماً في الجيش ، وخدم المملكة لفترة طويلة!... وتكريماً لاسمه ، سنقيم جنازةً لائقة لزوجته!... أما طفليه ، فربما يكونان قد اختطفا!... أرسلوا بعض الجنود للبحث عنهما... ومن ثَم توفير حياةٍ كريمةٍ لهما!

كانت أفروديت تجلس بجوار والدها ، فتساءلت وهي تفكر: هل يُختطف طفلان لمجرد وفاة والديهما؟!... لمَ لا يكونان قد هربا خوفاً من تهديدٍ ما؟!

اتجهت العديد من الأعين بالمجلس نحو أفروديت بعد كلماتها تلك... حتى وضع والدها يده على كتفها وقال بابتسامةٍ مصطنعة: أفروديت الصغيرة ، لا تُقلقي بالك في مثل هذه الأمور الخاصة بالكبار ، مارأيكِ أن تذهبي لركوب حصانك؟

ابتسمت أفروديت وأومأت برأسها موافقةً ، ثم ألقت التحية وغادرت المجلس... فتهامس بعض الحاضرين بإعجابٍ عن كون الأميرة أفروديت تتميز بالنباهة...

اقترب الكاهن أرتشيم من الملك وقال: ألم يحن الوقت لتفكر بالزواج من جديد ، جلالتك؟

تنهد أليكساندروس: بالرغم من أنني أحب النساء ، لكني لا أريد أن تكون هناك ملكةٌ أخرى بجواري ، بعد الملكة الراحلة!

أرتشيم: انظر لما حصل بعد وفاة الملك هيروديون!... ها قد انتقل الحكم إلى أخيه بيلزبيل بعد اختفاء ابنه الوحيد!... إن مملكة بانسيلينوس بحاجةٍ إلى الاطمئنان لوجود وريثٍ لعرشها من سلالة غاريس!

أخذ أليكساندروس يفكر باهتمام... حتى وصلته رسالةٌ مستعجلةٌ مع حمامةٍ زاجلة... من أحد قادة الجيش البانسلي المتجه إلى روميبيانيا ، وكانت الرسالة تفيد بأن الملك بيلزبيل رونثو يطلب الصلح بين المملكتين ويرغب بعقد اجتماعٍ عاجلٍ بينه وبين الملك أليكساندروس لمناقشة هذه القضية...

❁ ❁ ❁

وفي إحدى الإسطبلات الخالية..

كان الأطفال الثلاثة يترقّبون مصيرهم المجهول بخوف...

استنكر أرام ذراعه التي تؤلمه منذ الصباح ، وكأن لدغةً حارقةً قد أصابتها . فأزاح أكمام قميصه ليتفاجأ بوجود وسمٍ حديثٍ لم يندمل!... كان متورّماً ودامياً ، جعله ذلك المنظر المروّع يرتعش ، ولم يقوَ أرام الصغير على استيعاب ماحدث لذراعه... إلّا أن ذلك النقش الغريب أثار حيرته...

أمسك أريس ببطنه: سأموت جوعاً!

غضب رايموند منه: اصمت... إنك تتحدث عن الجوع طوال الوقت ، دعني أفكر بطريقةٍ تُخرجنا من هنا!

كان رايموند يتلفّت حوله ويعبث بكل ماتقع عليه يداه ، ويفكّر بطريقةٍ لاستخدامه...

بينما أسدل أرام أكمام ثوبه ليخفي البشاعة الغامضة التي شوّهت ذراعه ، وقرر تجاهلها إلى حين خروجه من هذا المأزق ، فسأل بقلقٍ وهو يشاهد محاولات رايموند البائسة: ماذا يريد منا هذان الرجلان؟!... وإلى أين هرب البقية؟!... هل هم بخيرٍ ياترى؟

أجابه رايموند وهو مستمرٌ بمحاولاته: لستُ أدري ، ربما أراد هذان الرجلان بيعنا!..أو قد تكون لهما علاقةٌ سيئةٌ مع أبراكساس وأتيا للانتقام منه!

أريس باكياً: لقد مات أبراكساس!!

رايموند بحقد: فليذهب إلى الجحيم ذلك الرجل!!... يستحق ماحدث له ، لاتبكي عليه أيها المغفّل!

نطق أرام بصوتٍ حزين: بالرغم من أنه كان يسيء معاملتنا.. إلا أنه كان طيباً معنا في بعض الأحيان..

ووضع يده على عينه المصابة وقال: لقد اعتنى بعيني جيداً!

في تلك اللحظة ، انتبه رايموند إلى شقٍّ أسفل الجدران الخشبية للإسطبل: من هنا!!

اقترب الاثنان محاولَين رؤية ما اكتشفه... فقال لهما: سنحفر تحت هذا الشّق حتى تصبح فتحةً تتسع لخروجنا منها!

نظر الاثنان لبعضهما بينما بدأ رايموند بالحفر في التراب على عجل: اسرعا!

تشجّع الاثنان وقاما بالحفر معه طوال المساء... حتى أصبحت الفتحة كافيةً عند منتصف الليل ، حينها خرج رايموند منها بصعوبةٍ... وضحك فرِحاً بالخلاص ، ثم التفت ليساعد أريس على الخروج منها ، ولكن بسبب بدانة الأخير... فقد علق في الفتحة...

وفي تلك اللحظة ، سمع الثلاثة أصوات اقتراب رجالٍ من المكان... فأصابهم الذعر ، وحاول رايموند جذب أريس بقوةٍ... بينما قام أرام من الداخل بالحفر لتوسعة الفتحة أكثر ، وبصعوبةٍ بالغة ، تمكّن أريس من الخروج وعندما مدّ يده لمساعدة أرام... كانت أصوات خطوات الرجال

قد وصلت إلى باب الإسطبل... فارتبك أرام وقال وهو ينظر في عينيّ أريس: اذهبا!... لن نتمكن جميعنا من الهرب!... سيمسكون بنا قبل أن أتمكّن من الخروج!!

كانت نظرات أريس نحو أرام غايةً في التوتر والانفعال ، صاح قائلاً: كلا!... لن أتركك أرام!

وأصرّ على جذب ذراع أرام ليساعده على الخروج... فانزاحت ثياب أرام مع قوة جذبه، لينكشف ذراعه ويظهر الوسم الغريب عليها ، مما جعل أريس يهلع ويفلت يده...

اقتحم الرجال الإسطبل ورأوا أرام وهو يحاول الهرب... فقام رايموند بجذب يد أريس والفرار معه بعيداً ، وأمسك الرجلان بأرام ، وكان برفقتهما الرجل الأعور... بالتازار ، الذي كان غاضباً للغاية: أين البقية؟!

ارتعد الرجلان خوفاً منه ، فأجاب أحدهما المدعو إيفرايم: كان هناك صبيّان آخران!... يبدو أنهما هربا من تلك الفتحة!

بالتازار غاضباً: صبيان؟!..أنتما تعلمان بأنه من المفترض أن يكون أحدهما فتاة!... لمَ أحضرتما ثلاثة صبية؟!

أجاب الآخر فيلمون: لقد هربوا منا ولم نتمكن سوى من هؤلاء الصبية!

صاح بهما: ماذا تنتظران؟... الحقا بهما أيها الأحمقان!!

ركض الاثنان نحو الخارج للحاق برايموند و أريس ، واقترب بالتازار من أرام حانقاً: ألم يجلبا سوى هذا الأعور؟

كان أرام ينظر إليه بعينين خائفتين ومتحفّظتين ، وردّ قائلاً: لستُ أعورَ!!... إنه مجردُ جرح فقط ، ستكون عيني بخير!

ابتسم بالتازار ساخراً ، واقترب بوجهه البشع: لاتقلق أيها الصغير..فأنا أعورٌ أيضاً!

كشف بالتازار عن ذراع أرام ورأى الوسم ، ثم قال: أنت الوحيد الذي حصلتُ عليه من المختارين!... وسأعثر على رفيقيك الآخرين!

نظر إليه أرام بتحفظٍ وقال محاولاً حماية نفسه: لن تقوم بإيذائي!!

ردّ بالتازار بصوته الخشن: اصمت!... لم أسمح لك بالحديث!

ثم اقترب منه أكثر... وأخرج سكيناً ووضع حدها على فم الصغير: سيُقطع هذا اللسان إذا فكرت أن تتحدث!... لا أريد منك سوى الصمت!... الصمت فقط!.. وإطاعتي!... أفهمت؟

شعر أرام بالذعر... وأصابته رعشةٌ لاإرادية... فأومأ برأسه موافقاً على التزام الصمت..

«القمر الأحمر»

أسطورة غير البشر

الفصل الثالث

«٣»

بعد مرور ١٠ سنوات..

ـ عام ١٦١٠م ـ

في نهارٍ دافئ...

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

أثانسيا ، بلدةٌ جبلية... تقع ناحية الغرب..

في وسط البلدة ، كانت زوي تركض هاربةً عبر زحام الناس... بينما يلحق بها أربعة رجال
وكان شعرها المحمّر الداكن يتطاير خلفها أثناء قفزها و جريها السريع..

أخرج أحدهم سيفه... فشعرت بالخوف أكثر ، وتسارعت ضربات قلبها ، واستمرت بالهرب حتى
قررت الاختباء في أحد المخازن ، وجلست مختبئةً على أرضيةٍ من القش ، وكانت تلهث محاولةً
التقاط أنفاسها... ثم أطلّت برأسها من نافذة المخزن بعد برهة... فرأت الرجال الأربعة لايزالون
بالخارج يبحثون عنها...

❁ ❁ ❁

قبل يومين..

اقتربت سيدةٌ عجوزٌ سراً من أولئك الرجال الأربعة وقالت بصوتٍ منخفض: لقد وجدت الفتاة
التي تبحثون عنها!... أنا مالكة الحمّامات العامة!

نهض أحدهم وسأل: هل رأيتِها؟

أشارت العجوز برأسها إيجاباً وقالت: لقد رأيت تلك الفتاة وهي تستحم مع النساء ، كانت تحمل
وسماً خلف كتفها ، تماماً كالذي تبحثون عنه!... تلك الفتاة هناك ، ذات الشعر الداكن!

التفت الرجال الأربعة إليها ، وقال قائدهم بعزم: إنها هي!!

ثم قدّم بضعة آرغنتاتٍ كمكافأةٍ للعجوز..)

❁ ❁ ❁

أوشكت الشمس على المغيب..

ولازالت زوِي تختبئ في ذاك المخزن ، وكلما أطلّت وجدت الرجال لايزالون في نفس المكان
بانتظار ظهورها... .

نظرت إلى السيوف في أيديهم ، ثم فكّرت بخوف: «إنهم جادّون في هذا!... يطاردونني منذ
يومين ، ولا أعلم السبب!... ماذا يريدون مني؟!»

وفي تلك الأثناء ، حدث أمرٌ لم تكن تتوقعه أبداً ، فقد رأت مجموعةً مسلحةً من الرجال تنضم
إليهم.. .وسمعت قائدهم يصيح آمراً بالتفتيش عنها بداخل المخازن والمنازل المجاورة ، فشعرت

بالتوتر وازدادت أنفاسها سرعةً وحاولت التفكير بطريقة للنجاة...
بحثت في الأدوات المخزّنة على الأرفف ، حتى وجدت مقصاً... فالتقطته وقامت بقص ثوبها المتواضع... ليبدو كقميص رجالي ، ثم قصت شعرها بعد لحظات من التردد... ونظرت إلى خصلاته الطويلة المتساقطة على الأرض بحسرة...
ثم خرجت من المخزن متنكرةً على هيئة صبي ، وحاولت إخفاء وجهها بطأطأة رأسها للأسفل... واندمجت بسرعة بين المارّة ، حتى تمكّنت من الابتعاد دون أن يلاحظها أولئك الرجال . وركضت هاربةً إلى أن أظلمت السماء وحلّ المساء ، فدخلت إلى إحدى الحانات المزدحمة في أثلنسيا ، لتروي عطشها وتأخذ استراحةً بعد يومين عصيبين من الهرب المتواصل..
سألها صاحب الحانة: ماذا أقدّم لك أيها الصبي؟
لاحظت زوي بأنها المرة الأولى التي لم يضايقها أحدٌ من الرجال كما يفعلون عادةً في الحانات... وكان ذلك بسبب تنكّرها ، شربت ماءً ، وتناولت طعاماً يسد جوعها ، ثم اختست كأساً من الجعّة... لكنها سرعان ما شعرت بالغثيان والدوار... فوضعت خمسة أرغنتات على المنضدة وخرجت مسرعةً... واتجهت إلى أقرب زقاق لتتقيأ..
ثم فكرت «إنها ليست المرة الأولى التي يحدث لي هذا... لكنها المرة الأشد... لم يكن هذا بسبب الجعّة... أنا متأكدة»
أمسكت بكتفها ونظرت إلى الوسم الغريب خلفه... وحدّثت نفسها وقد ازداد الدوار في رأسها: «هذا الوسم اللعين!.. لا أتذكّر وجوده في صغري!... وفشلت محاولات استرجاع ذاكرتي بشأنه»
شعرت بأنها توشك أن تفقد وعيها ، وبعطش مستمر لم يتوقف حتى بعد شربها للماء ، ورأت قطةً تعبر الزقاق أمامها... فانتابها شعورٌ غريب ، كان يندفع من داخلها ، فوضعت يدها على فمها محاولةً منعه... لكنه كان يستمر بالاندفاع . ولم تشعر بنفسها إلّا وقد هجمت على القطة وأمسكت بها بعنف ، وقامت بعضّ رقبتها... ثم ماليثت أن رفعت رأسها... بعد أن أدركت مافعلته . ورأت دماء القطة المسكينة تسيل على يديها...
أخذت تتأمل الدماء ببرهة... واحمرّ لون عينيها بوهيج خافت... ودون وعي منها ، وجدت نفسها تقترب بلسانها من الدماء وتلعقها... فشعرت بعطش شديد يجتاحها... مما جعلها تستمر بلعقها بصورة جنونية... حتى أطبقت بشفتيها على رقبة القطة وأخذت تشرب دماءها بنهم...
مرت بضع لحظات... حتى عادت عيناها إلى لونهما الطبيعي ، فنهضت وألقت بالقطة على الأرض بصدمة... وأخذت تمسح الدماء عن شفتيها وهي تبكي منعورةً... بعد أن أدركت الشناعة التي فعلتها!
وفي تلك اللحظة ، تساقطت قطرات المطر بخفة على وجهها..

بينما في الحانة...

اقتربت النادلة من المنضدة التي كانت تجلس فيها زوي وأخذت الآرغنتات وهي تسأل صاحب الحانة: هل قلتَ بأن صبياً صغيراً كان يجلس هنا ولم يكمل شرابه؟

رد صاحب الحانة ساخراً: يبدو أنه لم يحتمل الشراب... أظن أنها المرة الأولى له!

نظرت النادلة للخارج عبر النافذة: هل سيكون بخير؟... لقد بدأت السماء تمطر!

ثم خرجت لتتفقده... وذهلت عندما رأت جثة القطة ودماءها المتناثرة على الأرض... والممتزجة بماء المطر...

قالت متقززة: ياللوحشية!.. يبدو أن كلباً مسعوراً كان يتجول في الجوار!

نادى عليها صاحب الحانة من الداخل: أغلاي ، أسرعي بالتنظيف!!... و أحضري بعض الأوعية للأعلى... فالمطر بدأ يتسلل من السقف!

كانت أغلاي تمتلك شعراً طويلاً متموجاً ، ذا لونٍ بنيٍ داكن... وترتدي ثوباً رثّاً ، كان جميلاً عندما حاكته بيديها الماهرتين ، لكن استهلاك السنين الماضية قد أرداه إلى هذه الحالة ، وكانت تعمل كنادلةٍ في الحانة منذ مدة...

حدّثت نفسها بسخط: «ياالقَدري الذي وضعني في مثل هذا المكان!... كان يفترض أن أتواجد في إحدى القصور وأراقب هطول المطر من إحدى الشرفات ، لا أن أتبلل به!... الحياة ليست عادلةً أبداً!»

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

إيمبياسو ، بلدةٌ تقع في الجنوب ، بالقرب من الغابات..

تساءل ياني بينما يشرب حساءه الساخن: لمَ يذهب أخونا الأكبر آرميل إلى الغابة في المساء دائماً؟... هل يمكنه الرؤية في الظلام؟... لمَ لايصطاد في النهار؟

أجابه البدين أريس وهو يتناول قطعة الدجاج الكبيرة بنهم: آرميل متمكّنٌ من هذا... ألا تراه يعود في كل مرةٍ ومعه غزالٌ أو خنزيرٌ بريٌ لنطهوه؟!

وبالرغم من تكرار أريس لهذه الإجابة كلما سأله ياني ، إلا أن ياني يفرح ببلاهةٍ وكأنه يسمعها لأول مرة: هكذا إذن!

كان الاثنان يجلسان في أحد مطاعم الأحياء الفقيرة ، وقد اقتربت منهما صاحبة المطعم ذات الشعر الأشعث غاضبةً: متى ستنتهيان وتخرجان؟

أريس متذمراً: سيدة إيروسيني ، إننا نجمع لك الحطب من الغابة مقابل هذا الطعام...!

يمكنكِ طردنا!... ثم هل تسمّين هذا طعاماً؟!... إنه بقايا طعام زبائنك!

غضبت إيروسيني وسحبت الدجاجة من بين يديّ أريس: لم يعجبك طعامي ، إذن يمكنك المغادرة!

تشبّث أريس بالدجاجة: كلاّ!... إن طعامكِ لذيذ!... أنا آسف!

انفجر ياني ضاحكاً على صديقه النهِم ، فالتفتت نحوه إيروسيني وقالت بلطف: وأنتَ أنهِ حساءك بسرعة!... و إذا رغبتَ بالمزيد فأخبرني!

كان ياني يمتلك جسداً ووجهاً جميلاً ، عينين ساحرتين ، وشعراً ذهبياً ينسدل جزءٌ منه على أحد كتفيه ، وبالرغم من تأخّره العقلي ، إلا أن ذلك لايتضّح على مظهره ، فقد كان شاباً غاية في الوسامة والجمال..

أريس: لمَ تعطفين على ياني فقط؟!... هل لأنه بعقل طفل؟... أنا أيضاً فقيرٌ وجائع... أنتِ غير عادلةٍ لأنك تشفقين عليه فقط!

ضربت إيروسيني رأسه بيدها: لأنه لايأكل بالكمية التي تأكلها أنت!!

أريس منزعجاً: هذا مؤلم!!

تلفتت السيدة إيروسيني حولها: أين آرميل؟... ألم يعد من الغابة بعد؟

في تلك اللحظة ، عاد آرميل يحمل جثة غزالٍ صغيرٍ على كتفه بينما يحاول مسح شفتيه من الدماء ، وأصدر الجرس الصغير المعلّق فوق الباب صوتاً عندما دخل إلى المطعم...

كان آرميل شاباً نحيلاً وطويل الساقين ، يرتدي معطفاً أحمرَ داكناً ، ويمتلك شعراً أسودَ لامعاً ومموجاً ، يصل إلى أسفل رقبته...

اقترب ووضع الغزال على المنضدة وأمسك بيد إيروسيني وقبّلها بلباقةٍ قائلاً: يمكنك أخذ حصةٍ من هذا الغزال لمطعمك ، سيدة إيروسيني!

ابتسمت إيروسيني بسعادةٍ وهي تمسح يدها من آثار دماء الغزال ، فقال أريس مغتاظاً: أنتِ تفضلين آرميل أيضاً!

إيروسيني موبخةً: إنه شابٌ لبقٌ ، ويحترم السيدات!... هلّا حاولت أن تكون مثله على الأقل؟!

سأل آرميل وهو يرى طبقيهما: لمَ تناولتما العشاء؟!... كان يجب أن تنتظراني لنأكل لحم الغزال سوياً!

ياني بقلق: لقد أجبرني أريس على تناول العشاء!

أريس وهو يحك رأسه: لقد تأخرت آرميل ، لم أحتمل الجوع!

آرميل: لاحيلة لدي إذن ، سأتناوله بمفردي!

مسح أريس فمه بعد أن التهم الدجاجة: كلا... يمكنني تناوله معك!

نظر الجميع إليه متعجبين: ماذا؟!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

استقرّ الرجل الأعور بالتازار في إحدى الكهوف الكبيرة ، بالجبل الذي كان يتوسط غابة ميقالوس ، الواقعة في وسط المملكة..

كانت جدران الكهف مضاءةً بالشعلات ، وكان بالتازار يجلس وحوله مجموعته التي كوّنها خلال هذه السنين ، وكانت تجلس بجواره امرأةٌ ذات شعرٍ باهت يميل إلى البياض..

دخل شابٌ وسيمٌ متشحٌ بالسواد ، ذو شعرٍ أسودَ طويلٍ يصل إلى ظهره ، منسدلٍ ولامع... يغطي جزءً منه نصف وجهه..

كان يحمل على كتفه جثةً لإنسان ، ألقاها على الأرض أمام بالتازار ، وانحنى له ، فتقدم بالتازار في جلسته ونظر إلى رقبة الجثة ، وقال ساخراً: من سمح لك بشرب دمه؟... زيس!

انحنى ذلك الشاب ذي الشعر الطويل... (زيس) ، بتواضعٍ وقال: لقد اضطررتُ لذلك سيدي!.. كان هذا البشري يحمل سيفاً وحاول القتال والمقاومة... فاخترت الطريقة الأسرع!

نهره بالتازار بصوته القبيح: أمرتك بألّا تستخدم قوتك هذه في العلن!... لا نريد أن تُكتشف

مجموعتنا الآن ، كن حذراً في المرة القادمة!... أخبرني لمَ علمتكَ القتال بالسيف؟!... حتى تستخدمه!

أخفض زيس رأسه وقال بهدوء: أعتذر بشدة!

نظر بالتازار إلى الجثة مرة أخرى وقال: على كل حال ، كان يجب أن يموت ، هذا الرجل!... لم يعرف مع من كان يعبث!

ثم التفت إلى الرجل الضخم: إيفرايم!... احمل الجثة وأحضر لنا دماءه ، نكاد نموت عطشاً!

ثم نظر إلى المرأة التي كانت تجلس بجواره ، عندما قالت: من الجيد بأن الساحرات لايشعرن بالعطش للدماء..

ابتسم بالتازار بأسنانه الصفراء وقال: لو لم تكوني ساحرةً لشربتُ دمك منذ زمن!... كالغينيا!

ضحكت الساحرة كالغينيا: لولا هذه الساحرة ، لم تكن وصلتَ إلى ما أنت عليه الآن!..ولم تكن لتحظى بمثل هذا الوحش القوي!

وأشارت بعينيها نحو المدعو زيس ، التفت بالتازار إليه ثم قال: هذا الوحش الصامت!... سيكون أقوى سلاحٍ سيقود الفيركولاس نحو تكوين إمبراطورية مصاصي الدماء!.. والتي ستشمل هذه الأرض ، بانسيلينوس وروميبانيا وما جاورهما!

ابتسمت كالغينيا وهي تنظر إلى زيس ، الذي كان يقف كعادته... بتعابير ساكنة وكأنه تمثالٌ يحدّق في اللامكان ، قالت له: زيس ، يجب أن تكتمل مجموعة المختارين!... رجالنا لازالوا يبحثون عن رفيقيكَ الآخرَين!... وصلتنا أخبارٌ بأنهم وجدوا الفتاة!

استرخى بالتازار في جلسته: وأخيراً ، بعد سنين طويلةٍ من البحث!

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

كانت مولنيا بلدةً ريفية ، تقع في الشمال..

وفي منزل آل مونبيتيت الذي كان يتصدّر المزرعة الكبيرة ، جلس ألباين وبيده قدح الشاي الذي قدّمته له خادمته ومربيته السمراء العجوز ، إيوانا..

كان يحدّق في الرسمة الكبيرة لصورة والده ، أركاديوس مونبيتيت ، وعندما همّت إيوانا بالمغادرة ، ارتشف ألباين من الشاي وقال: أخبريني عن قصة مقتل والدي!

توقفت إيوانا ، فأردف: إلى متى ستخبئين الأمر؟!... لقد كبرتُ بما فيه الكفاية لأفهم تفاصيل الحكاية!

التفتت إيوانا ونظرت إلى عينيه ، ثم اقتربت وجلست أمامه: حسناً أيها اللورد ، قبل عشر سنوات... عندما كانت عائلتك تقيم في لورديور ، قُتل والدك الجنرال أركاديوس في معركتنا مع رومبيانيا..

قاطعها ألباين: أعلم هذا!... ولكن لمَ قالت والدتي بأنه قتل مغدوراً؟!... من الذي قتله؟!

ترددت إيوانا: سيدي الصغير..

قاطعها ألباين بكبرياء: لم أعد صغيراً!... لقد بلغت السابعة عشر!!... أنا اللورد ألباين مونبيتيت الآن!..أخبريني فقط...

إيوانا بقلقٍ وتردد: أخشى أن تفكر بالانتقام..

نظر إليها ألباين بنفاذ صبر ، وقبل أن ينطق قالت بجدية: حسناً ، سأخبرك!... .لورد ألباين!

إيوانا: كان الجنرال أركاديوس على عداوةٍ مع آل بونيفيل!... الجميع يعلم هذا!... علمنا أنا والسيدة مونبيتيت بأنه وقع تهديدٌ بين الجنرال أركاديوس والجنرال إدغارد بونيفيل قُبيل المعركة بأيام!... لكننا لم نتمكن من معرفة التفاصيل... ولسنا متأكدين من يكون القاتل بعد!... وكل ماوصلنا حسب كلام الجنود ، أن الرمح الذي اخترق ظهر والدك... هو رمحٌ بانسلي!

وضع ألباين الكوب على المنضدة ، ثم قال وعينيه تلمعان حقداً: بونيفيل إذن!

ثم قال باهتمام: لقد مات الجنرال إدغارد بونيفيل هو وزوجته في نفس تلك السنة أيضاً!

ثم سأل وهو يفكر: وماذا عن والدتي؟... لقد أخبرتني بأنها قد تكون ماتت مسمومةً ، هل تعتقدين بأنهم آل بونيفيل أيضاً؟!

إيوانا: لقد كانت السيدة على علاقةٍ مع سيدات آل بونيفيل ، وكنّ يتبادلن الزيارات الخاصة... وكانت لهن لقاءاتهن العامة في البلاط!... لكن لا شيء يدل على أن آل بونيفيل هم من قاموا بتسميم والدتك ، فهي قد كانت على علاقاتٍ مع سيدات العائلات الأخرى أيضاً!

ألباين بنبرةٍ حاقدةٍ وحازمة: يجب أن أذهب إلى لورديور لأبحث عن الحقيقة بنفسي!... بونيفيل!... ستُمحى هذه العائلة على يديّ!

أمسكت إيوانا بيده وقالت بانفعالٍ وقلق: لا أريدك أن تعيش حياتك في عتمة الحقد والانتقام!... لقد طلبَت منا والدتك الهرب إلى المزرعة ، إنها مكانك الآن!..كن سعيداً وقنوعاً بحياتك في المزرعة وقم بإدارتها جيداً ، وانسَ كل مايتعلق بالماضي!

قال ألباين بكبرياءئه المعهود ولم ترُق له كلماتها: لقد ربيتني واعتنيتِ بي جيداً أنا وأختي دليا ، وأنا ممتنٌ لكِ يا إيوانا!... لكنني أنا من يقرر مكاني وليس أنت!... لن أعيش في الخفاء خوفاً!...

ولم تُزهق روحا والديَّ عبثاً!... إن مكاني ليس هنا!... أنا ابن الجنرال أركاديوس مونبيتيت... ومكاني يجب أن يكون مع جنرالات الجيش!..أنا آخر ابنٍ من آل مونبيتيت... ويجب أن يعلم الملك والنبلاء بأن أسرة مونبيتيت لا تزال موجودةً!

❁❁❁

بينما في الخارج..

كانت شقيقته دليا تعتلي حصانها وتتجول به في أنحاء المزرعة والحقول الصفراء ، لتتفقد سير العمل فيها... فمرّت في طريقها فتاةٌ جميلةٌ ذات شعرٍ ذهبيٍ طويلٍ تتطاير خصلاته على وجهها مع الرياح الخفيفة ، وكانت تحمل فوق ظهرها الصغير سلّةً ثقيلةً ممتلئةً بالذرة..

ابتسمت الفتاة و حيّتها قائلةً: صباح الخير ، آنسة دليا!

ابتسمت لها دليا: صباح الخير!... كيف كان محصول اليوم؟

أجابت الفتاة بسعادة وهي تلتفت نحو الحقل: إنه وافرٌ جداً!... لقد أرهق المزارعين وهم يجمعون الذرة الكثيرة!

فابتسمت دليا وهي تجول بناظريها حول المزرعة والحقول: يجب أن أجعل مزرعة عائلتي تزدهر أكثر ، سنحاول إنتاج المزيد!

ثم رفعت لجام الجواد ونظرت نحو الفتاة: شكراً على عملك الدؤوب ، داناي!

ابتسمت داناي: أياً كان ماتأمرين به ، آنسة دليا... فسنعمل بجدٍ من أجلك!

وأخذت تراقبها بابتسامةٍ مشرقةٍ وهي تبتعد بحصانها...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

ركض الجواد الأبيض في المرج الأخضر المحيط بالقصر ، حيث كانت تعتليه الأميرة أفروديت، وبعد أن أنهت جولتها ، هبطت عن ظهره ، واقتربت من وجهه لتداعبه: أحسنت عملاً اليوم، أتشاز!

اقتربت منها مربيتها أديلايد وساعدتها على خلع قفازيها ، ولحقت بأميرتها بعد أن أشارت للسائس بإعادة الحصان للإسطبل ، سارت أفروديت بخطواتٍ سريعةٍ وواثقة ، متجهةً نحو القصر: هل أنهى والدي لقاءه بالملك بيلزبيل؟

المربية أديلايد: أجل سموكِ ، لقد غادر الملك بيلزبيل هذا اليوم ، وجلالته يعقد اجتماعاً خاصاً الآن مع الكاهن أرتشيم و الكونت أرماند..

قاطعتها أفروديت باستياء: لم أحب أياً من هؤلاء الثلاثة يوماً!... أرماند بونيفيل المنافق ، إنني لا أطمئن لنواياه منذ أن أصبح مقرّباً من والدي!

ثم قالت: وذلك العجوز أرتشيم ، مجرد متملّقٍ كاذب... إلى متى سيصدق والدي نبوءاته وخزعبلاته!... أما الملك بيلزبيل ، فأنتِ تعلمين كم أمقته!... فهو يستغل لطف والدي للاستيلاء على ثروات مملكتنا!... يجب أن نضع حداً له!... سأتحدث مع والدي بهذا الشأن!

كانت الأميرة أفروديت جميلةً ذات ملامح جادة ، تملك شعراً ذهبياً طويلاً مصففاً بعناية... ودائماً ماترتدي ثياباً فاتحة اللون ، تعبّر عن صفاء روحها..

❁❁❁

في المساء..

كانت حفلةً راقصةً وصاخبة ، تقام في القصر كالعادة..

ابتسم الملك أليكساندروس مُرحّباً: أفروديت العزيزة!

جلست أفروديت على مقعدها المخصص بجوار الملك وقالت مستاءةً: جلالتك ، منذ الصباح وأنا أحاول التحدث معك!..هلّا خصصت لي وقتاً من يومك المزدحم؟

رد أليكساندروس: لا تخبريني بأنه بشأن الملك بيلزبيل مجدداً؟

تنهدت أفروديت علامة الموافقة ، فتعكّر مزاج أليكساندروس ووضع كأسه: أمرتكِ مراراً ألّا تتدخلي في الشؤون السياسية!... كل ماعليكِ هو الاستمتاع بالرفاهية والحفلات كما تفعل أختكِ ديميتير!

أفروديت بجدية: ثم ماذا؟!... هل تريد مني أن أترك بانسيلينوس لتضيع أمام ناظريّ؟!... إنها مملكتي أيضاً!

نظر إليها أليكساندروس بإعجابٍ وقال: لو كنتِ فتىً لنصّبتكِ وريث العرش!... تبدين مهتمةً بأمر المملكة فعلاً!

ثم ابتسم مفتخراً بها: سيكبر أخوك أياس ليخلفني ، لذا عليكِ أن تكوني مُرشدته أثناء فترة حكمه!

كانت الأميرة ديميتير تراقبهما من بعيدٍ وهي تقول ممتعضةً: كم هي مقربةً من والدي ، أنه يوليها الاهتمام أكثر مني!... أحياناً أشك بأنني ابنته أيضاً!

وكانت صديقتها فيوليت بونيفيل ، الشقراء الصغيرة ، ذات الوجه الطفولي ، تجلس بجوارها وتُنصت إلى تذمّرها..

كانت الأميرة ديميتير ذات شعرٍ أسودَ لامعٍ وطويل ، وملامحَ قوية ، وعينين مشاكستين يتضح فيهما الغرور ، وكانت تفضّل ارتداء الثياب الداكنة ذات الألوان الداقئة... لتعكس اشتعال طاقتها وقوّتها ، وإغرائها..

فقد اعتادت ديميتير أن تجتذب الشبان بألاعيبها ، وتثير اضطرابهم وحيرتهم ، وتهيّج عواطفهم وتُغدقهم بتلميحات الغرام ، فتُبقي عشاقها مأسورين بها وبقوة شخصيتها وغموضها..

أخذت تراقب عدوتها باربرا بونيفيل ، ذات الشعر الأحمر الأجعد وهي تتراقص بخفّة...

فسألت بعينين ضيقتين وابتسامةٍ ماكرة: هل قلتِ لي بأن باربرا تحب أخاكِ غيلبرت؟

أشارت فيوليت برأسها إيجاباً... فنهضت ديميتير وابتسامةٌ لعوبةٌ تعلو وجهها: إذن ، راقبي ماسيحدث!

ثم اقتربت من غيلبرت بونيفيل الذي كان جالساً يشرب من كأسه... ويتبادل الأحاديث ، فنهض احتراماً لها: سمو الأميرة!

ديميتير: لورد غيلبرت ، هلّا رقصت معي؟

غيلبرت باحترام: إنه لشرفٌ لي ، سموك!

أخذت ديميتير تراقص غيلبرت ، ونظرات باربرا المغتاظة لا تفارقها ، بينما كانت فيوليت تراقب المشهد بعينيها البريئتين...

نهض الملك أليكساندروس وخلفه ابنته أفروديت وقد احتدّ النقاش بينهما ، حتى توقف في إحدى الأروقة وقال بصرامة: إذا لم تُحضري لي دليلاً عن اتهاماتك للملك بيلزبيل... فأقوالك هذه مجرد شكوكٍ من وحي خيالك!... وستكفّين عن التدخل في شؤون المملكة ، والحديث عن هذا الموضوع!

غضبت أفروديت ، وقالت بثقة: سأجد الأدلة ، وسأثبت لك ذلك!

بينما في القاعة الكبيرة ، شهقت الصغيرة فيوليت عندما رأت ديميتير تقوم بتقبيل غيلبرت عنوةً... واستسلم هو بدوره لها مجبراً ، وخضع لقبلتها ، لكونها أميرةً ولا يمكنه رفضها...

صعقت باربرا وهي تشاهد معشوقها يقبّل عدوّتها الأميرة التي تنافسها في كل شيء!... وتوقف الجميع عن الرقص ، لينظروا إلى ذلك الموقف باندهاش ، ثم بدأت الهمسات المنتقدة لتصرف الشابين... فشعرغيلبرت بالإحراج ، وخرج من القصر...

التفتت ديميتير نحو باربرا ورأت وجهها الشاحب ، وذلك الغضب المشتعل في عينيها ، والذي مالبثت أن ركضت نحو الخارج...

عندها التفتت ديميتير نحو فيوليت وابتسامةً منتصرةً تعلو وجهها ، فابتلعت الأخيرة ريقها بذهول...

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس - أثانسيا)

في الحانة المتواضعة..

قدّمت أغلاي الشراب إلى إحدى الزبائن ، كانت عجوزاً فقيرةً... ابتسمت لها أغلاي ثم التفتت لتكمل عملها... إلا أنّ العجوز جذبتها من يدها ، ونظرت إلى قلادتها مذهولةً: من أين حصلتِ على هذه؟!

ثم أمسكت بالقلادة وأخذت تتأملها: إنها من الذهب الخالص!... وهذا الرمز!!... الشمعدان الرباعي!

نظرت أغلاي إليها بحذرٍ وخبّأت قلادتها داخل ثيابها وقالت بتحفّظ: لماذا؟... هل تعتقدين بأنني سارقة؟!..لقد منحني إياها والداي!

أخذت العجوز تتأمل أغلاي لوهلةٍ ثم قالت: لقد رأيتُ تلك القلادة يوماً!... أنا متأكدةٌ من هذا الرمز!

لمعت عينا أغلاي باهتمام... ثم قالت بحذر: ماذا تقصدين... هل تحاولين خداعي لتسرقيها مني؟!

نهضت العجوز غاضبةً: أيتها الفتاة عديمة التهذيب!..بالرغم من أنني فقيرة ، لكنني لست متشردة!

ثم أخرجت آرغنتاتٍ ووضعتها على المنضدة ، وهمّت بالخروج وهي تقول بانفعال: يمكنني دفع ثمن شرابي كما ترين!!

نظرت أغلاي إلى النقود ، ثم فكرت قليلاً وترددت... والتفتت نحو العجوز التي غادرت ، ثم وجدت نفسها تلحق بها نحو الخارج وتستوقفها: انتظري!!

توقفت العجوز على مضضٍ وهي تعلّق على لهجة أغلاي: لا يوجد لديك احترامٌ للكبير أيضاً؟

فقالت أغلاي وعيناها تلمعان بحدّة: سأعيد إليك نقودك ، ولكن أرجوكِ حدثيني... أين رأيتِ هذه القلادة؟!..أو فلنقل... ربما تكون قلادةً مشابهة!... أيّاً كان ، أين رأيتِ هذا الرمز؟!

نظرت العجوز إلى عيني أغلاي... وصمتت للحظات..

❁ ❁ ❁

بينما في طرف البلدة..

أرادت زوي الهرب بعيداً عن هذه المنطقة ، حتى لايطاردها أولئك الرجال مجدداً..

فركبت إحدى العربات التي تنقل البضائع ، وأعطت صاحبها أجرةً لينقلها معه ، فانطلقت بها العربة بين الجبال ، باتجاه الجنوب..

وأثناء الطريق ، توقفت في منتصف الطريق فجأةً ، ونزل منها صاحبها... وابتسم بخبث قائلاً: هناك مقابلٌ لمن يجلبكِ لمجموعة الرجال تلك!

قفزت زوي من العربة ونظرت للرجل بحذر ، وتراجعت نحو الوراء لتهمّ بالهرب منه ، لكنه أخرج خنجراً وقام بمحاصرتها إلى جذع شجرةٍ...

شعرت زوي بالخوف ، فقال وهو يشير بخنجره إلى شعرها القصير: إنهم يبحثون عن فتاةٍ ذات شعرٍ أحمرَ داكن... وأنا أعتقد بأنها أنتِ!... ظننتكِ فتىً في البداية ، أيتها المخادعة!

التقطت زوي غصناً محاولةً الدفاع عن نفسها به ، واشتبكت مع الرجل في عراكٍ ، وسرعان ما انكسر الغصن في يدها...

فحاولت التفكير في طريقةٍ للنجاة ، لكنّ سيفاً ما تدخّل بينهما ، فالتفت الاثنان ليريا رجلاً ذا شعرٍ أبيض ، كان يحمل السيف وينظر إلى صاحب العربة...

قال الدخيل: كيف يهدد رجلٌ صبياً صغيراً!

غضب صاحب العربة ، وتراجع ببطءٍ عن السيف الذي كان موجهاً نحوه... ثم أدخل خنجره في ملابسه بهدوءٍ... معلناً استسلامه ، وقال وهو يغادر نحو عربته: إنها فتاة ، بالمناسبة!

ثم ركب عربته وانطلق بها بعيداً ، بينما التفت الرجل ذي الشعر الأبيض نحو زوي وقام بالتقاط الغصن الذي كانت تحاول حماية نفسها به ، وألقاه في الهواء عالياً ، وقبل أن يهوي... قام بتقطيعه بسيفه إلى عدة أجزاءٍ بحركةٍ سريعةٍ ، وتساقطت أجزاؤه على الأرض...

ذهلت زوي ، فقال الرجل: لا سلاح أقوى من السيف!

ثم التفت نحوها: يجب عليكِ أن تتعلمي حماية نفسكِ!.. فلن يأتي أحدٌ لإنقاذكِ دائماً!

نظرت زوي إلى عينيه... وشعرت بالإلهام ، وعندما همّ بالابتعاد... جثت على أحد ركبتيها وهي تقول بصوتٍ قويٍ ونبرةٍ جادة: علمني استخدام السيف!!... سأفعل أي شيءٍ تريده!!..أرجوك!

التفت الرجل إليها مذهولاً ، ورأى عينيها تلمعان بحزم..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل..

جلس غيلبرت غاضباً: تلك الأميرة المتعجرفة!!... لقد هزّت صورتي أمام النبلاء ، وجعلتني أضحوكةً بتصرفها الوقح!

اقترب أخاه الأصغر أندريون محاولاً تهدئته: لاعليك ، فالجميع يعرف طباع الأميرة ديميتير!

ولكن لازال غيلبرت يُنفّس عن غضبه: لا أعلم مالهدف من فعلتها تلك!... هل كانت تتعمد إحراجي؟!

سمعت باربرا كلماته بصمتٍ... وكانت عيناها تخفيان مشاعر الغيرة والغضب ، فاتجهت نحو أخته فيوليت ، وجذبتها نحو الحجرة لتقول بحنق: لمَ أخبرتِ ديميتير عن مشاعري نحو غيلبرت ، لمَ؟!

ارتبكت فيوليت وقالت ببراءةٍ: لم أخبرها متعمدةً... لقد حاولتُ الحفاظ على سرّك الذي ائتمنتني عليه ، لكنها... كانت تهددني إن لم أخبرها عن الشخص الذي يسكن قلبك ، وقامت بإخراج اسمه من بين شفتيّ رغماً عني ، إنها كالساحرة يابابربرا!.. أنا آسفة ، آسفة جداً!

قامت باربرا بجذب فيوليت من ثوبها بقوةٍ وهي تقول بنبرةٍ غاضبة: يالكِ من مغفّلة!... ستساعديني في الانتقام من ديميتير!

عندها أغمضت فيوليت عينيها بتوتر..

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

في أطراف الغابة ، كان الفتيان الثلاثة يغتسلون في النهر ، كان ياني وأريس يعبثان بالمياه ويضحكان ، بينما غمر آرميل جسده في الماء ، ليفكر مسترخياً..

توقفا عن الضحك عندما سمعا آرميل يقول: سنذهب إلى أثانسيا!

نظر أريس إليه مستغرباً ، فأردف آرميل: سمعت بأن هناك مجموعةً من التجار قادمون من مملكة تشيستوتا!... وهم محمّلون بالبضائع النادرة!

ثم التفت نحوهما: نحن بحاجةٍ للمال الآن!... أفكر بالحصول على بضائعهم!

سأل ياني ببراءة: هل ستسرقها؟!

رمقه أريس بنظرةٍ مستنكِرة: بالطبع أخونا آرميل لا يسرق!

آرميل: سأحتال عليهم لأحصل على تلك البضائع... ثم أحضرها إلى هنا ، لأبيعها على النبلاء بثمنٍ مرتفع!

ابتسم ياني بلهفة: هل سنصبح أغنياء؟!

وقفز أريس في الماء وهو يقول بسعادة: رائع!... سأتمكن من تناول المزيد من اللحم!

خرج آرميل من النهر وقال بينما يجفف جسده: أنتما الاثنان... إنني اصطاد لكما الطعام وأجلب لكما المال!... إلى متى سأعيلكما؟!... افعلا شيئاً ما لإطعام نفسيكما!

أريس مفتخراً: إننا نقوم بجمع الحطب من الغابة للسيدة إيروسيني!

قال آرميل ساخراً بينما كان يهمّ بلف قطعة قماشٍ حول يده ، بعد أن ارتدى ثيابه: وهل تسمي هذا عملاً؟

نظر أريس إلى الوسم الذي كان على ظهر يد آرميل ، وفكّر متسائلاً: أعتقد بأنني رأيت هذه العلامة في صغري ، لكني لا أذكر أين..

قال آرميل وهو يلفها: وأنا أيضاً لا أذكرها ، ولا أعلم كيف وسِمت علي ، أو من وسمها..

ياني بتساؤل: ولمَ تلفها دائماً؟!

انتهى آرميل من لفها وقال: لأنها تخيفني ، تبدو وكأنها علامةً تميّزني لسببٍ ما!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

كانت الأميرة أفروديت تسير بخطواتٍ سريعةٍ حانقة ، بعد أن سمعت عمّا فعلته أختها في احتفال الليلة الماضية... وكانت متجهةً نحو جناح ديميتير ، لكن خادمات الأخيرة حاولن منعها من الدخول ، وكان التوتر واضحاً على وجوههن..

غضبت أفروديت ووبّختهن بشك: هل تفعل ديمتير شيئاً في جناحها؟... هل تحاولن التستر عليها؟

أجابتها المربية تيرزي: اعذريني سموك ، ولكنها أمرتنا بألّا نسمح لأحدٍ بالدخول!

ازداد غضب أفروديت: ابتعدي عن طريقي!!..هل تحاولين منعي أنا؟!..أنا آمرك بأن تبتعدي!

فابتعدت تيرزي بخوفٍ ومعها الأخريات ، ودخلت أفروديت ورأت ديمتير وبرفقتها شابٌ ما ، كانا يتبادلان الحديث بمرحٍ حول المنضدة ، لكن ديمتير نهضت منزعجةً فور رؤيتها لشقيقتها...

اعتذرت تيرزي من أميرتها بخوف: نحن آسفون ، سمو الأميرة!... لم نتمكن من منع سموها!

سألت أفروديت: من هذا الشخص؟!

همّ الشاب بالتعريف عن اسمه مرتبكاً... لكن ديمتير قاطعته بأسلوب مُهين: إنه مجرد فتىً من أبناء النبلاء!

فنظر إليها مصدوماً من تلك الإهانة: سمو الأميرة؟!

أمرته ديميتير بسخرية: غادر الآن!... هل تعتقد بأنني أراك شيئاً آخر غير ذلك؟

فقال مذهولاً: لكنكِ تحبينني!!

ضحكت ديميتير: هل ظننت حقاً بأنني أنا الأميرة ديميتير قد أقع في حب شخصٍ مثلك؟... أتمنى ألايكون غرورك بنفسك قد جعلك تصل في طموحاتك لحدٍ أكبر منك!

وبعد أن غادر الفتى مكسوراً ، قالت أفروديت معاتبةً: ماذا سيقول الناس عن سمعة أميرةٍ تستضيف شاباً في جناحها؟!... وكذلك ، تصرفكِ الطائش والمشين مع اللورد غيلبرت بونيفيل الليلة الماضية!

ردّت ديميتير ببرود: وكأنني أبالي بحديث الناس!... إنهم مُلكٌ لنا ، أليس كذلك؟!... فحياتهم بين أيدينا!

أفروديت بجدية: كلا ، حياة البشر ليست ملكاً لبشر!..إنما هم يتبعوننا بملء إرادتهم!... فيمكنهم الوقوف ضدنا ، ويمكنهم التخلي عنا!... لكنهم اختاروا الطاعة والولاء لنا ، لندير شؤون أرضهم ونحميها!... يجب علينا تقدير ذلك الولاء ، وإلا فلن يدوم!

ابتسمت ديميتير ساخرةً وهي تشيح بوجهها للناحية الأخرى: هاقد بدأنا بالخطابات الملة!

ثم سارت متجاهلةً شقيقتها وهي تقول بنبرةٍ صارمة: لاتعتقدي بأنكِ وصيةٌ علي يا أفروديت!... فكلتانا أميرتان بنفس المستوى!!... تذكري هذا!... أنتِ لا تملكين سلطةً علي ، بفرض رأيكِ أو بمحاولة التدخل بحريتي!

قالت أفروديت بنبرةٍ حادة: لستُ أمتلك سلطةً ، ولكنني أكترث لسمعة عائلتنا الملكية ، والتي قد شُوّهت من قِبَلك!... أحاول الحفاظ على مكانتنا ، وهذا هو دوري كأميرة!... وإذا كنتِ أميرةً أنت أيضاً ، كما تقولين بأننا بنفس المستوى ، فلترتقي إلى مستواي إذن ولتتصرفي كأميرة!!

ثم خرجت ، وظلّت ديميتير واقفةً هناك ، والانزعاج يتضّح في عينيها...

بعد يومين..

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

القصر الملكي..

كان بيلزبيل قد عاد لتوه من رحلته إلى بانسيلينوس ولقائه بالملك أليكساندروس...

وكان جميع حاشيته في استقباله...

سأله أنارغيروس: كيف جرت الأمور مع أليكساندروس؟

خلع بيلزبيل معطفه الثقيل والمزيّن بفراء الثعالب الفاخر ، وقال وهو يستريح على كرسيه: كما أخبرتُكم سابقاً ، بانسيلينوس مملكةٌ ثريّة ، وأرضها غنيّةٌ بمناجم الحديد ، ونحن هنا بحاجة للمزيد من الحديد لصناعة أسلحتنا وتقوية جنودنا...

ثم شرب من النبيذ الذي قُدّم اليه ، و ابتسم قائلاً: ذلك الملك الأخرق يستمر بإعطائي من ثروات أرضه ، المزيد في كل مرة ، ليأمن بَطشي!... وبعد أن رأى الفرق بيني وبين هيروديون، وفهم بأنه غير قادرٍ على مجابهتي ، بدأتُ أرى الخوف واضحاً في عينيه ، وهو يوافق على طلباتي!

ثم أشار على الخريطة التي كانت فوق المنضدة: هنا ، غرب بانسيلينوس ، المنطقة الحمراء!... إننا نمتلك معظم هذه المناجم الآن ، وسننشرُ المزيد من رجالنا هناك ، وتدريجياً ستصبح منطقة الغرب تحت سيطرتنا!

عندها دخل شقيقه تريتون إلى المكان مسرعاً ونظر إلى بيلزبيل بنظرةٍ معيّنةٍ تحمل بعض القلق، ففهم بيلزبيل وأشار بيده إلى الجميع ليخرجوا باستثناء شقيقيه أنارغيروس و تريتون...

عندها نطق تريتون بتوتر: لقد وصلتنا أخبارٌ من جواسيسنا ، عن الأمير أرجوس!!

نهض بيلزبيل وقد تغير وجهه هل لا يزال حيّاً؟!

ابتلع تريتون ريقه وأجاب: أجل ، لقد شوهد بالقرب من غابات الشرق!

بيلزبيل بغضب: يبدو أنهم زيفوا مقتله في ذلك اليوم!!

أنارغيروس بانفعال: وهذا يفسر تنازل العديد من الجنود عن الخدمة في الجيش ، السنين الماضية!... على الأرجح بأنهم انضموا لمناصرة أرجوس!!

توتّر بيلزبيل: ليس بعد كل مابنيته لأجل رومبيانيا!... لن أترك هذا العرش لابن هيروديون!!..يجب أن يموت ذلك الفتى حالاً!!

ثم التفت نحو شقيقه تريتون وقال: أرسل جنودنا ليقوموا بمحاصرة غابات الشرق ، ويكفوا

البحث فيها!... يجب ألّا يهرب مجدداً ، وألّا يعيش!... خلال يومين فقط ، أريد رؤية رأسه أمامي!!

أوما تريتون برأسه طاعةً لأوامره ، وانطلق...

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القسم العسكري..

عندما كان قائد الجيش يُشرف على التدريبات ، توقف أمام جنديين شابين يتبارزان بسيفيهما ، ثم أثنى على الجندي الفائز بإعجاب: أنت ماهرٌ بالمبارزة ، أيها السيرجنت ألارد!

كان ألارد قد التحق بالجيش منذ بضع سنوات ، وأصبح الآن القائد على سَريّته..

أشعّ وجه ألارد بحماسةٍ و انحنى بتواضعٍ قائلاً: شكراً جزيلاً ، إنه لشرفٌ لي أيها القائد!

تحدّث القائد بجديةٍ وبصوتٍ مرتفعٍ لجميع الجنود: حياة ولي العهد في خطرٍ الآن!... وقد تواجه المملكة اضطراباتٍ إذا ساءت حالته!... لذا فلنكن على أهبة الاستعداد لأي أمرٍ طاريء!

فألقى الجنود التحية العسكرية وأحنوا رؤوسهم ، مُبدين استعدادهم...

❁ ❁ ❁

بينما في داخل القصر..

كان الجميع في حالة قلقٍ بسبب مرض وريث العرش ، الأمير الصغير أياس..

أمسك أليكساندروس بيد ابنه المستلقي على السرير ، بجسده الضعيف المرتعش ، بينما كانت الملكة التي تزوجها قبل سنوات ، تجلس إلى جواره وهي تمسح دموعها بقلق...

التفت أليكساندروس نحو أطباء القصر وقال بانفعال: افعلوا شيئاً!

كانت وجوه الأطباء قلقة وشاحبة ، وقال كبيرهم بخوف: جلالتك!... إن الأمير قد أصيب بالملاريا كما تعلم ، إنه مرضٌ مميت!... ولايمكننا عمل شيءٍ لمعالجته!..نرجو أن تغفر لنا عجزنا!

غضب الملك والتفت نحو الملكة: أنتِ من اقترح أن يذهب إلى تلك النزهة!!... تعلمين عن أوامري بإبقاء ولي العهد آمناً في القصر والحفاظ على صحته!

كانت الملكة تبكي ، فقالت مربية الأمير بتوتر: جلالتك لاتلُم الملكة... لقد كان سموه يبكي لشدة رغبته في الخروج من القصر والتنزّه!... فأشفقنا عليه وطلبنا الموافقة من الملكة!... لقد لدغهُ البعوض بسبب إهمالنا!... نحن المخطئون ، وسنرضى بأي عقوبةٍ تُنزلها علينا!

قال الملك غاضباً: إذا مات الأمير أياس ، فستكون عقوبتكم الموت!!

كان الجميع خائفين وهم ينظرون للأمير المحتضر ، فجن جنون أليكساندروس: إنني رجلٌ مريضٌ ونهايتي قريبة!... إذا مات ابني أياس ، فمن سيحكم بانسيلينوس من بعدي؟!

اقتربت منه ابنته أفروديت لتهدئته: لا تقل مثل هذا الكلام الآن ، أرجوك!... سنجد حلاً!

حاول الكاهن أرتشيم تهدئته: تماسك جلالتك!... ستنجب لك الملكة المزيد من الأبناء!

لتفت أليكساندروس نحو أرتشيم وتشبّث بيديه وقال بانفعالٍ محاولاً البحث عن أملٍ في نبوءته

الكاهن: هل سأُرزق بابنٍ آخر يا أرتشيم؟... هل أنت متأكدٌ من هذا؟

صمت أرتشيم وحدّق بعيني الملك ، وأخذت عيناه تتقلبان بتوتر..

❁❁❁

في اليوم التالي..

(رومبيانيا ـ غابات الشرق)

في منطقةٍ نائيةٍ وسط الغابات..

كانت جماعةٌ كبيرةٌ من الرجال تقيم هناك ، وسط معسكرٍ سريٍ قد شُيّد بناؤه منذ عدة سنوات ، لمؤيدي الوريث الشرعي للعرش... الأمير أرجوس..

كان الأمير حينها يتدرب على القتال بالسيف على يد قائد المعسكر ، الجنرال السابق أبوليون..

أبوليون: يمكنك التوقف الآن ، فلتتبارز مع نوي لنرى مدى تقدّمك!

أخذ أرجوس يتبارز بسيفه مع صديقه وخادمه المخلص نوي ، وكان الرجال يراقبون ويشجعون أميرهم ، لكنهما تعادلا في نهاية المبارزة...

نوي لاهثاً: سمو الأمير ، حاول أن تغلبني في المرة القادمة!..أرجوك!

غرس أرجوس سيفه في الأرض متعباً ومتذمراً: لقد بذلت كل جهدي ، لكنني لا أُحرز أي تقدم!

قام أبوليون بتوجيه سيفه نحو رقبة الأمير ، فشهق الجميع... وأخرجوا سيوفهم للدفاع عنه ، وأخذوا يتهامسون حول جرأة أبوليون على تصرفٍ كهذا ، بينما نظر أرجوس بتوترٍ إلى السيف الحاد الذي كان يضغط على رقبته ، وأخذ يتعرق عندما شعر بدمائه وهي تسيل من رقبته...

نوي مذعوراً: جنرال أبوليون!... توقف من فضلك!!

صرخ أحد الرجال غاضباً: مالذي تفعله بسمو الأمير؟... كيف تجرؤ؟!

وتقدّم الرجال لمواجهة أبوليون ، لكنه قال وهو مستمرٌ بضغط سيفه على حنجرة أرجوس: يجب أن يجرّب سموه شعور الألم!... وأن يرى دماءه تسيل!... حتى يُدرك معنى القتال!... فإما أن تَقتُل ، أو تُقتَل!... لن يجدي تدريب سموه على القتال ، إن لم يكن تدريباً قاسياً!

ثم قال موجهاً كلامه لأرجوس: أرجو أن تسامحني سموك!... لكنّ واجبي أن أجعل منك شخصاً قوياً ، لتستعيد عرشك المسلوب!... وسأكون قاسياً معك منذ اليوم ، هذا لأجلك ، ولأجل والدك الملك الراحل هيروديون ، ولأجل رومبيانيا!

صمت الجميع منتظرين رد أرجوس... الذي تألم من جروحه التي سببها سيف أبوليون ، ثم رفع سيفه وأبعد سيف الجنرال عن رقبته ، ونهض بعزم: فلتقصُ علي ، جنرال أبوليون!!... من أجل عرشي ، ومن أجل والدي ، ومن أجل رومبيانيا!!

حينها تعالت هتافات أتباعه ، فأحنى أبوليون رأسه وقال بجدية: كما تأمر سموك!

رفع أرجوس سيفه وصرخ صرخةً هجوميةً وبدأ القتال بسيفه ضد أبوليون ، الذي أسقطه على الفور ، وجرّده من سيفه وأصابه بعدة جروح ، وسط نظرات أتباعه المتوترة...

كان نوي قلقاً للغاية على أميره وهو يراه يتألم من جروحه ، محاولاً الوصول إلى سيفه البعيد ، فأخرج نوي سيفه وألقاه إلى أرجوس ليساعده مشجعاً: ابذل جهدك ، سمو الأمير!!

التقط أرجوس سيف نوي ، ثم نهض مجدداً وصرخ هاجماً على الجنرال من جديد...

❁❁❁

وعندما حل المساء...

خلد الجميع إلى النوم ، وكان نوي يعالج جروح أميره الذي كان يتأوّه متألماً...

نوي: تحمّل أرجوك ، فلم تعد مدللاً كما في الماضي ، لقد أصبحت قوياً الآن!

تنهد أرجوس: لن أصبح قوياً إلا عندما أكون مستعداً لمواجهة بيلزبيل!

عندها سمع الاثنان صرخاتٍ وضجةً خارج كوخهما ، فخرجا لاستطلاع الأمر... ووجدا المعسكر يعمّ بالفوضى ، والرجال يركضون هنا وهناك حاملين أسلحتهم ، وكانت تتردد صيحات الجنرال أبوليون: احملوا أسلحتكم!!... إلى مواقعكم!!.. فلتحموا الأمير بأرواحكم!!

اقترب أبوليون من أرجوس لاهثاً: جنود بيلزبيل!!..لقد اكتشفوا مكاننا!

تبادل أرجوس ونوي النظرات القلقة ، فقال أبوليون لنوي: سيقاتل الرجال هنا ليحموا ظهورنا ، ونحن سنتجه نحو الميناء!... اسرعا!!

ركض نوي وأرجوس خلف أبوليون عبر الغابات تاركين المعركة وأصوات السيوف وأضواء النيران خلفهم ، سأل أرجوس: هل سنغادر إلى بانسيلينوس؟!

أبوليون وهو يلهث أثناء ركضه: أجل ، عندما نصل إلى الميناء ، سنستقل قارباً إلى بانس..

لكنهم توقفوا عندما قام بمحاصرتهم ثمانية جنودٍ من جميع الجهات ، وقال أحدهم بانتصار:

انتهى أمركم!... جنرال أبوليون الخائن!... سلّم الأمير لنا!... إن رأسه مطلوبٌ لدى جلالة الملك بيلزبيل!

أخرج الثلاثة سيوفهم مستعدين لمواجهة الجنود ، الذين كانوا أكثر عدداً ، وتمكّنوا من إسقاط سيفي نوي وأرجوس وإصابة أبوليون بجروحٍ شديدةٍ بالرغم من استمراره بالمقاومة...

وفي تلك الثواني السريعة ، اقترب أحد الجنود من أرجوس ورفع سيفه عالياً لكي يهوي به على رأسه ، ونظر أرجوس إلى قاتله بذعر ، وتعرّق جبينه ، وجفّ ريقه...

«القمر الأحمر»

أسطورة غير البشر

الفصل الرابع

«٤»

وفي تلك الثواني السريعة ، اقترب أحد الجنود من أرجوس ورفع سيفه عالياً لكي يهوي به على رأسه ، ونظر أرجوس إلى قاتله بذعر ، وتعرّق جبينه ، وجفّ ريقه...

لكن سهماً اخترق جسد ذلك الجندي فجأةً ، وأرداه قتيلاً... !

التفت الجميع نحو مصدر السهم فوجدوا أحد الرماة من أتباع أرجوس ، قد قام بإطلاق نبلة سهامه على الجنود وأسقطهم جميعاً في لحظات..

ركض الثلاثة بعدها نحو الميناء ولحق بهم الرامي ، ليركبوا أحد القوارب ، إلى بانسيلينوس.

❁❁❁

في اليوم التالي...

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

كان القصر يكتسحه البؤس ، والكآبة والحزن تحيط بجدرانه الضخمة...

بكى أليكساندروس بحسرةٍ بجوار الملكة التي كانت منهارةً لفقدان ابنها ، وكانت الحاشية تحيط حولهما ، محاولين التخفيف عنهما ، وبينما جلست أفروديت بعيداً والحزن في عينيها ، اقتربت منها أختها الأميرة ديميتير: ياللبؤس!... فبعد رحيل أخي أياس ، سينتهي حُكم سلالتنا!

ثم أشارت نحو رجال الحاشية: لن يدوم ولاؤهم طويلاً!... فبعد وفاة والدي ، سينقلب كل هؤلاء ضدنا!

نظرت أفروديت إليهم ، ثم إلى والدها.. بعينين قلقتين...

فهمست ديميتير محذّرةً: أجل ، إن مرض والدي يزداد يوماً بعد يوم ، فلتكوني مستعدةً يا أفروديت!

حينها تبادلت أفروديت النظرات العميقة مع أختها... وكأنها قد أيقظتها من حلمٍ جميل ، إلى واقعٍ مخيف..

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

في مزرعة آل مونبيتيت..

كانت إيوانا تقوم بحمل أمتعة سيدها الصغير ألباين إلى العربة ، بينما وقفت دليا أمامه ، محاولةً إثناء شقيقها عن الرحيل: هل ستلتحق حقاً بالجيش؟

ألباين: سأرفع اسم عائلتنا عالياً يا دليا!

دليا بقلق: والمزرعة!... هل ستتركها بهذه البساطة؟

أنهى ألباين ترتيب مابيده ، ثم رفع رأسه واستدار بجسده نحوها ، ووضع يديه على كتفيها ، محدّقاً بعينيها بكل جدية: إنني أثق بكِ يا دليا!... وأثق بقدرتكِ على إدارة المزرعة والحفاظ عليها!... فلتعتني بها جيداً في غيابي!

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تتأمل وجهه... فأمسك بوجنتها بلطفٍ وقال: سأعود لزيارتك ، بعد أن أُثبت وجودي في لورديور!... سأجعلكِ تفخرين بي يا صغيرتي!

ابتلعت دليا غصتها ثم سألت: وهل ستكتب لي؟!

أومأ ألباين برأسه وابتسم وأشعة الشمس تسطع على عينيه: بالطبع ، سأكتب لك!

ثم ركب العربة ، وقام عمال المزرعة بتوديع سيدهم ، بما فيهم تلك الشقراء الجميلة ، داناي..

❁❁❁

(بانسيلينوس - أثانسيا)

قامت أغلاي بتوديع صاحب الحانة التي كانت تعمل بها ، وحملت أمتعتها فوق كتفها لتركب إحدى العربات المتجهة إلى بلدة إيمبياسو ، وأثناء الطريق ، ترددت كلمات المرأة العجوز في ذهنها:

«كُنت أعيش في إيمبياسو فيما مضى ، كعاملةٍ في إحدى المزارع ، عندما جاءتنا فتاةٌ من خارج البلدة ، انضمّت للعمل معنا وكانت ترتدي مثل هذه القلادة تماماً!... وبالرغم من أنها كانت تحاول إخفاء قلادتها تحت ثيابها ، إلا أنني لا أزال أتذكّر هذا الرمز جيداً!»

أمسكت أغلاي بقلادتها وأخذت تفكر: «مثل هذه القلادة ، ومثل هذا الرمز!... أتساءل... مالذي يربطني بتلك المرأة ياترى؟!... ومن أين أتت؟!»

ثم تنهدت والتفتت إلى الوراء ، نحو أطلال بلدة أثانسيا وهي تبتعد عن ناظريها شيئاً فشيئاً ، قالت في نفسها: «كل ما أريده فقط... هو أن أُودّع الفقر ، وهذه الحياة البائسة!»

❁❁❁

بينما في الجبال المحيطة ببلدة أثانسيا...

كانت زوي منهمكةً بتكسير الحطب ، خارج الكوخ الجبلي الذي كانت تقطنه مع الرجل ذي الشعر الأبيض...

سألها الرجل وهو يُقدّم لها المزيد من الحطب: من ماذا كنتِ تهربين؟

أجابت زوي بينما تقوم بتجميع الكسرات فوق بعضها: هناك مجموعة رجالٍ يطاردونني منذ

أيام ، ولا أعلم لماذا!... إن عددهم كبيرٌ وهناك من يقودهم ، وهو يريدني لسببٍ ما...

صمت الرجل لبرهةٍ ، ثم قال بجدية: عليكِ أن تتحملي تدريباتي ، فستكون قاسية!

نظرت إليه بعينين جادتين وقالت: سأتحمّلها يا أليكسيو!

أليكسيو: وكما اتفقنا ، ستعملين لدي في العناية بالكوخ ورعي الماشية!... وتتظاهرين بأنك صبيٌ لو رآكِ أحدهم بالجوار ، لأنني لا أحبذ انتشار الشائعات المُسيئة ، ولا أي نوعٍ من الأذى لكلينا!... ولإكمال تنكّركِ ، يجب أن تغيري اسمك!

أومأت زوي برأسها موافقةً ، ثم نظر إليها لوهلةٍ وقال بنبرةٍ تحمل الكثير من المشاعر: سأمنعك اسم (ليون)!... إنه اسم ابني ، الذي... سقط من الجبل...

هبّت نسمة ريحٍ داعبت وجهها ، فهمست متأملةً الاسم: ليون!

ثم قالت بحزن: آسفةٌ لما حدث لابنك...

❁❁❁

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

كان ياني وآرميل على ظهر إحدى عربات نقل الأخشاب المتجهة نحو أثانسيا ، وكانا بانتظار أريس الذي ذهب لإحضار كميةٍ من الطعام لتكفيهم طوال الطريق...

آرميل غاضباً: لقد تأخر كثيراً ، ذلك الأحمق!

قائد العربة منزعجاً: يجب أن أُسلّم هذه الأخشاب في وقتها المحدد!... سأنطلق الآن!!

آرميل مترجّياً: أعطنا المزيد من الوقت ، سيأتي صديقنا حالاً!

انتظر قائد العربة لفترةٍ ، ولم يُطق صبراً ، حتى غضب وضرب خيلَيه بالسوط فانطلقا بسرعة...

غضب آرميل: لمَ انطلقت؟!... لم يأتِ صديقنا بعد!!

في تلك اللحظة أشار ياني ناحية البلدة: إنه أريس!

أتى أريس حاملاً أكياس الطعام وحاول الركض ليلحق بالعربة: انتظروني!

التفت آرميل نحو صاحب العربة آمراً: أوقف العربة!!

لكنّ صاحب العربة صاح بعناد: إذا أردتم النزول فلتقفزوا!... هذه العربة لن تتوقف... سأواصل السير حتى أصل في الموعد المحدد!

غضب آرميل: توقف!!

كان ياني ينظر بقلقٍ إلى أريس والعربة تبتعد عنه شيئاً فشيئاً ، والتفت آرميل إليه متوتراً وصاح

به: أريس!... انتظرنا عند السيدة إيروسيني!... سنعود إليك!... لن يطول غيابنا كثيراً!

توقف أريس لاهثاً: سأنتظركما!

❁ ❁ ❁

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

القصر الملكي..

كان بيلزبيل في أوج غضبه: فقدتُماه مرةً أخرى؟!... يالكما من عديمَي الجدوى!

كان أخواه متوتّرين ويحاولان تهدئته ، قال أنارغيروس: سنكثّف بحثنا في كل رومبيانيا!... وسنجلبه لك!!

بيلزبيل بسخريه: رومبيانيا؟!... لن يمكث ذلك الفتى في رومبيانيا بعد الآن!... سيفرُّ إلى أرضٍ أخرى بكل تأكيد!... وعلى الأرجح بأنها ستكون بانسيلينوس!

تريتون: سنرسل بعضاً من جنودنا إلى بانسيلينوس ، بسريّة!

أنارغيروس: لايمكنه أن يكون قد ابتعد عن غرب بانسيلينوس الآن!... يجب أن نُعلِم الرجال الذين يعملون بمناجمنا في المنطقة الحمراء!

جلس بيلزبيل وقال مؤيداً: أجل ، فلتعرض مكافأةً لمن يجده!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس ـ بوليشولي)

كان أرجوس يختبئ في أحد الأكواخ بأطراف البلدة ، وبينما كان الرامي يُعدّ سهامه... وكان أبوليون يطهّر جروحه ، عاد نوي إلى الكوخ جالباً بعض الطعام من البلدة...

نوي: تفضّل يا سمو الأمير..

تناول أرجوس الطعام بشراهة ، بعد الجوع الذي اعتصر معدته... فقال له نوي وهو يتأمله مبتسماً: في صغرنا عندما هربنا من القصر ، كان سموه يتقزز من طعامٍ كهذا ويرفض أن يأكله ، أما الآن...

ثم اتسعت ابتسامته أكثر: فقد تغيّر كثيراً!

رفع أرجوس رأسه وقال: لن يدوم هذا الوضع طويلاً ، وسأعود لآكل بآنية الفضّة!

ومدّ الطعام نحو أتباعه: يمكنكم أن تأكلوا معي!

ابتسم نوي: كلا ، سنأكل بعد أن تنتهي ، سموك!

ابتلع أرجوس لقمته والتفت نحو أبوليون والرامي: لقد وقفتم بجانبي!... فلا بأس بأن تشاركوني الطعام!

تلفّت الثلاثة نحو بعضهم ، ثم أحنى أبوليون رأسه: كما تأمر سموك ، إنه لكرمٌ منك!

وأثناء تناولهم ، قال أبوليون: سنغادر الليلة بعيداً عن بوليشولي!... لا شكّ بأن بيلزبيل قد أرسل رجاله خلفنا إلى بانسيلينوس!

قال الرامي: يجب أن نحذَر أثناء عبورنا المنطقة الحمراء ، فعمّال المناجم التابعة لروسيليا منتشرون في كل مكانٍ غرب بانسيلينوس!

قال أرجوس باهتمام: أجل ، يجب أن نبتعد عن هذه المنطقة بأسرع وقت!

أخرج أبوليون خريطةً لبانسيلينوس ، ثم أشار نحو الوسط وقال: غابة ميقالوس!... ستصبح مكاناً ملائماً للاختباء!

قال الرامي: يمكننا أن نشتري أحصنةً بالمال الذي معنا!

نظر نوي إلى مظهر أرجوس: يجب أن يرتدي سموه ثياباً تخفي هويته!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

في كهف الجبل الكبير...

بالتازار غاضباً من رجاله: كيف فقدتم أثرها؟!... بعد كل تلك السنين من البحث ، وبعد أن عثرنا عليها أخيراً!!

قام بطعن قائد المجموعة في بطنه أمام الجميع ، كعقوبةٍ له ، وكان زيس يقف بجانب الساحرة كالفينيا ، ويشاهد بصمتٍ تعنيف بالتازار لرجاله...

قال أحدهم بخوف: كان آخر أثرٍ لها عندما اتجهَت جنوباً!

لكَم بالتازار وجه الرجل ، ليجعله يندم على الحديث: لقد فقدتم أثرها وانتهى الأمر!!

نطق زيس في نهاية الأمر: الجنوب ، أعتقد بأنها هربت نحو ايمبياسو يا سيدي ، لايمكن أن تكون قد ابتعدت أكثر من ذلك!... سأذهب مع مجموعةٍ من الرجال لأجلبها إليك... إذا أمرتني!

التفت نحوه بالتازار ، وقال وهو يضغط أسنانه على بعضها: اجلبها لي!!

انحنى زيس طاعةً ، فقال بالتازار مُذكّراً: لاتستخدم أياً من قواك ، عدا سيفك!!

انحنى له زيس وغادر برفقة مجموعةٍ من الرجال...

فقالت كالفينيا: الأنباء الأخيرة تُحفّزنا على بدء الهجوم ، فالملك تضعف صحته تدريجياً ، ولايوجد وريثٌ للعرش!... فعندما يموت ، قد تهتز القوة الأمنية في بانسيلينوس لتركز على الصراع الذي سينشأ حول العرش!

تنهد بالتازار: أنتِ محقةٌ في هذا ، ولكن بالرغم من جاهزية جيش مصاصي الدماء الذي قمنا بإنشائه ، إلا أنكِ تعلمين جيداً بأنه لايمكننا اتخاذ خطوةٍ كهذه بدون وجود المختارين الثلاثة ، جميعهم!

قالت: لدينا وقتٌ كافٍ لجلب المختارين ، فوفقاً للحسابات الفلكية ، سيكون موعد القمر الأحمر شتاءً بعد سنتين من الآن!

❁❁❁

عند الغروب...

(بانسيلينوس - أثانسيا)

في الجبال المحيطة بالبلدة..

كانت زوي تتصبب عرقاً ، وتتألم من الجروح التي تلقّتها أثناء تدريباتها القاسية مع أليكسيو...

استلقت على الأرض لاهثةً ثم سألت بانبهار: من أين اكتسبتَ هذه المهارات القتالية؟

أعاد أليكسيو سيفه إلى غمده ، وقال عائداً نحو الكوخ: لقد كنتُ أعمل بالجيش!

حاولت التقاط أنفاسها بعد ذلك الجهد ، وقالت: هذا يفسر الأمر إذن!

وبعد أن دخل أليكسيو إلى كوخه ، نظرت زوي إلى السماء التي بدَت وكأنها تُعلن حزنها على رحيل الشمس ، لتمتزج ألوانها بالظُلمة والسكون...

ابتسمت باسترخاء ، لكنها شعرت فجأةً بأنها تشمّ رائحةً قويةً وشهية ، فنهضت من الأرض ، وأخذت تبحث عن اتّجاه الرائحة بواسطة أنفها ، حتى لَمحت أرنباً يركض من بعيدٍ ويختبئ خلف الشجيرات الصغيرة ، ولاحظت أنه كلما تحرك الأرنب كلما شعرت بتلك الرائحة تلامس أنفها ، فأحسّت بالغرابة... وأدركت بأن حاسة شمّها قد أصبحت قويةً جداً... حيث يمكنها شمّ رائحة ذلك الأرنب من تلك المسافة البعيدة!

لم تشعر زوي بنفسها إلا وهي تركض نحو ذلك الأرنب بسرعةٍ خارقة... وتنقضُّ عليه ، لتشرب دماءه كلها ، بصورةٍ جنونية ، ثم مسحت فمها... وتوقفت محاولةً استيعاب ما ارتكبته ، ثم اتجهت نحو دلو الماء لتغسل ثيابها من آثار الدماء كي لايلحظها أليكسيو ، لكنها تفاجأت وذعرت عندما رأت انعكاس صورتها على ماء الدلو!... لقد كانت عيناها تشعّان... بوهيجٍ أحمر!!

ألقت بالدلو ذعراً ، وانسكب الماء منه على الأرض ، وكانت أنفاسها تتسارع ، ثم دَعكت عينيها وعادت لتلتقط الدلو مرةً أخرى ، ونظرت إلى نفسها بالكمية المتبقية من الماء ، فوجدت الشعاع يخفت تدريجياً... حتى عادت عيناها إلى لونهما الطبيعي!

وفاجأها أليكسيو: مالذي تفعلينه؟!

التفتت نحوه مذعورةً ، فقال وهو يعود للكوخ: أسرعي وأحضري الحطب!... سنطهو العشاء!

❁ ❁ ❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

وصلت أغلاي إلى إيمبياسو مع شروق الشمس ، واتجهت نحو المزارع وأخذت تسأل عن تلك المرأة التي أخبرتها عنها السيدة العجوز في الحانة ، لكنّ الإجابة التي حصلت عليها... هو أن المرأة قد غادرت إيمبياسو منذ عدة سنوات ولايُعلم إلى أين...

لكن إحدى النساء العاملات في المزارع قالت لها: عندما جاءتنا مارثا كانت حبلى!... وقد قمنا بتوليدها بنفسي بعد بضعة أشهر ، وقد أنجبت فتاةً!

تساءلت أغلاي: هل رأيتِ معها مثل هذه القلادة؟!

تمعّنت المرأة بالقلادة ثم قالت بحيرة: أتذكّر فعلاً بأنها كانت ترتدي قلادةً ثمينة ، لكني لست متأكدةً إن كانت تشبه هذه!... فبعد أن أنجبت ابنتها ، ألبَستها إياها ، ثم تخلّت عن طفلتها لإحدى العائلات الفقيرة المترحّلة!

ذهلت أغلاي عند سماعها لتلك المعلومة ، ثم سألت: لماذا تخلّت عنها؟!

أجابت امرأةٌ أخرى مبررةً: تعلمين بأن الفقر هنا شديدة ، والعمل شاقٌ في المزارع!... فمن الصعب تحمّل توفير الطعام لطفلٍ في مثل هذه الظروف!... وقد تخسر المرأة عملها بسببه!

سألت أغلاي: ومن تكون تلك العائلة؟!

أجابت المرأة: لقد كانا رجلٌ وزوجته ، لم يرزقا بأبناء ، وكانا بائعَين يتجولان بعربتهما بين المدن!... كانت سعادتهما لاتوصف عندما منحتهما مارثا تلك الطفلة!

صمتت أغلاي قليلاً في محاولةٍ للسيطرة على صدمتها ، ثم سألتهن: أين يمكنني أن أجد مارثا الآن؟!

أجابتها إحداهن بانزعاجٍ من كثرة أسئلتها ، محاولةً العودة إلى عملها: لقد أجبناكِ بأنها رحلت، ولم تُخبر أحداً إلى أين كانت وجهتها!... فلنعد للعمل!

وفي تلك اللحظة ، اقتربت امرأةٌ عجوز تحمل سلةً كبيرةً من الثمار التي اقتطفتها للتو ، ووضعتها على الأرض وهي تقول: لقد أخبرَتني أنا!

التفتت أغلاي نحوها بعينين متلهفتين: حقاً؟!... إلى أين ذهبَت؟!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

بعد انتهاء مراسم الدفن لولي العهد ، عُقد اجتماعٌ لمناقشة تحديد ولي العهد الجديد..

قدم ألباين مونبيتيت إلى البلاط ، بعد أن قام الحاجب بتقديمه للملك قائلاً: لورد ألباين مونبيتيت ، جلالتك!

انحنى ألباين: باسم آل مونبيتيت ، أُقدّم تعازيَّ الحارّة لفقد ولي العهد!

عمّ الصمت في القاعة ذهولاً من استمرار وجود عائلة مونبيتيت التي ظن الجميع أنها قد اختفت ، وكان الملك أليكساندروس متعَباً وعلامات المرض قد أخذت من تعابير وجهه ، فقال مُرحّباً: الجنرال أركاديوس مونبيتيت!... لا أحد ينسى إنجازاته العظيمة في سبيل المملكة!... إن مجده وذكراه لاتزال خالدة!... مرحباً بك في البلاط ، لورد ألباين مونبيتيت!

رفع ألباين رأسه وقال بتواضع: إنه لشرفٌ لي أن أعود إلى لورديور ، ورؤية جلالتكم!... ولكنّ شرفي الأعظم عندما أُسخّر جسدي لحماية بانسيلينوس!... أرغب بأن تمنحني شرف الانضمام إلى الجيش ، لأخدم المملكة كما فعل أجدادي من قبل ، جلالتك!

ابتسم أليكساندروس بهدوءٍ وأجاب: مُرحّبٌ بك ضمن جنودنا بالطبع!

وأمر قائد الجيش بتعيينه والعناية به ، ثم بدأ يسعل بقوةٍ حتى انهار من تأثير مرضه ، فساعده الخدم على النهوض إلى جناحه ليرتاح ، وتأجّل المجلس..

❁❁❁

في المساء...

في منزل آل بونيفيل...

اجتمع كبار العائلة في البهو ليتحدثوا ، بينما يشربون كؤوساً من الدماء...

قال الكونت أرماند: لقد عاد ابن مونبيتيت!

تفاجأت أخته مارغريت: ظننا أن الطفلين قد اختُطفا!.. لقد نسينا أمرهما مع مرور السنين!

فكر أرماند بعينين حادتين: مالذي أعاده إلى لورديور الآن... لينضمّ إلى الجيش بشكل مفاجئ؟

سألت الكونتيسة ميرابيل بقلق: هل تُراه يعرف شيئاً؟!

أجاب زوجها الكونت إيبير: اطمئني يامیرابيل!... فقد قضينا على جميع مصادر المعلومات المُحتمَلة ، لا أعتقد بأنه يعرف أي شيء!

تنهدت مارغريت وقالت بحنين: أتمنى لو كان والدنا إيفرانور هنا الآن!... كان حكيماً ، ويعرف

كيف يتخذ الخطوة المناسبة!... ولم نكن لنستطيع الحفاظ على سرّية هويتنا لولا!

قال الكونت إيبير معقباً على أمنية شقيقته: أن يموت والدنا بعمر الثمانمائة ، كان أمراً متوقعاً في عالم البشر!... «هذه البيئة ليست جيدةً لأجساد مصاصي الدماء!»... كان يردد تلك الجملة كلما ازداد وهن جسده!

قالت زوجته ميرابيل بأسى: ربما لن يعيش أبناؤنا حتى عمر المائتين ، لأنهم نشأوا وتحوّلوا هنا!

إيبير: بالحديث عن الموت ، كان الملك متعباً جداً في المجلس هذا اليوم... حتى أن المجلس تأجّل لهذا السبب ، أعتقد بأن نهايته قد اقتربت!... وقد ينتهي حكم أسرة غاريس قريباً ، لعدم وجود وريث!

ارتشف أرماند من كأسه الدموي ، ثم تمتم: ربما سيحين دور آل بونيفيل ، ليستعيدوا مجدهم القديم!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

كان آرميل يتحدث على انفرادٍ مع أحد التجار القادمين من مملكة تشيستوتا ، متظاهراً بأنه تاجرٌ خبير..

آرميل بثقة: صدّقني إن بضائعكم لن تلقى رواجاً هنا!... أعرف نبلاءً سيشترونها بثمنٍ مرتفع!... فأنا أمتلك علاقاتٍ متعددةٍ مع أثرياء يفضلون المقتنيات الأجنبية!

ثم قال: ويمكنك التأكد من مساعدي ياني!

كان ياني يقف خلف آرميل وأوما برأسه وهو يقول: أجل صحيح!

تذكّر ياني تعليمات آرميل له هذا الصباح:

«قِف خلفي طوال الوقت ، ولاتقل سوى هذه الجملة (أجل صحيح) ، وعندما أطلب منك أمراً أجب فقط بـ (حسناً)!.. ولاتنادني إلا بـ (سيدي التاجر إيسوبوس) ، إياك أن تنادني (أخي آرميل)!.. وإياك أن تبتسم ببلاهة ، حاول أن تتذكر شيئاً يجعلك غاضباً ، عندها ستختفي ابتسامتك!»

سأله التاجر باهتمام: وأين هم هؤلاء الزبائن؟

ابتسم آرميل: لايمكنني الإفصاح ياسيدي ، فهذا سرّ مهنتي!... لكنني أطمئنك بأنك لن تجدهم هنا في أثانسيا!

ثم تقدّم برأسه هامساً وهو يغمز بعينه: يمكنني شراء بضائعك الآن ، وساعود لك بعد يومين بمبلغ لم تحلم به!

صمت التاجر قليلاً ثم قال: ومالذي يجعلني أثق بك؟

أسند آرميل ظهره للوراء وفتح يديه وهو يقول بثقة: لن أطلب منك أن تثق بي!... ولكن يمكنك سؤال من تشاء هنا عن التاجر إيسوبوس!... فسمعتي معروفة!... بالإضافة إلى أن العقد الذي سنوقّعه سيكفل لك حقك!

وبعد تفكيرٍ ومناقشات ، خرج آرميل مفتخراً بنجاحه بعد أن تمكّن من إقناع التاجر ، ووقّع عقداً مزيفاً معه ، ثم أشار إلى ياني وهو يقول: أيها المساعد ياني!... انقل بضائع التاجر إلى هذه العربة!

أجاب ياني: حسناً!

التفت آرميل نحو التاجر ، وقدّم له المال وهو يقول: أعلمُ بأن هذا سيكون مبلغاً بسيطاً الآن!... ولكن كُن بانتظاري بعد يومين مع المبلغ الضخم الذي سيعيدك إلى تشيستوتا بثروة!... وهذا العقد بيننا لحماية حقك!

اقترب منه التاجر هامساً: لاداعي لأن يعلم بقية التجار عن صفقتنا هذه!

غمز آرميل وهمس له: أفهم هذا ، تريد أن تحصل على هذه الفرصة لوحدك!... اطمئن!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

دخلت أغلاي أحد المطاعم المتواضعة ، وقدّمت لها السيدة إيروسيني الطعام وهي تقول: جميع الزبائن يتحدثون عن وفاة ولي العهد ، لا شكّ بأنك سمعتِ بالخبر ، أيتها الفتاة!

هزت أغلاي رأسها: أجل!

نظرت إليها إيروسيني لهنيهةٍ ثم قالت: لم أركِ في إيمبياسو من قبل ، أنتِ من خارج البلدة!

ابتسمت لها أغلاي: هذا صحيح!

وبدأت بتناول غدائها ، ثم انتبهت إلى أن السيدة إيروسيني ذهبت لتؤنّب أحد الفتيان: أريس!... كم مرةً أخبرتك بألّا تتناول من اللحم الجيد الخاص بالزبائن!... أكبر ذنبٍ فعلاه صديقَيك بأنهما ذهبا ولم يصطحباك معهما!... لتبقى حِملاً على عاتقي حتى يعودا!

وبعد أن سمعت اسمه ، التفتت أغلاي نحوه مذهولةً: أريس؟!

انتبه أريس لها ، وذهل هو الآخر: أنتِ!... هل يمكن أن تكوني أنتِ... أغلاي؟

بينما نقلّت إيروسيني نظراتها بينهما باستغراب: هل تعرفها؟!

أخذت أغلاي تبكي بلهفةٍ وسعادةٍ وهي تتجه نحوه لتحتضنه بقوة: أريس!... أنت هو أريس!... لاتزال كما كنت!!

تبادل الاثنان الأحاديث ، حتى المساء...

كانا يجلسان بجوار بعضهما على حافة الطريق ، الذي أصبح مظلماً... إلّا من إضاءة مطعم إيروسيني ، التي كانت تشعّ على وجهيهما...

تأمل أريس وجه أغلاي بلهفة: لقد أصبحتِ شابةً جميلة!

ابتسمت بخجل ، ثم سألت باشتياق: متى سيعود آرميل وياني؟!... أرغب برؤيتهما!

أجابها: سيعودان عندما ينتهيان من عملهما في أثانسيا!

ثم سألها: ألا تعلمين شيئاً عن البقية؟!

تنهدت: أتعني مجموعة المتسولين؟... كلا ، لم ألتقِ أحداً منهم منذ هربنا وافترقنا ذلك اليوم!... سوى الثلاثة الذين هربت معهم ، الارد وزوي ، والطفلة داناي ، قضينا فترةً وجيزةً بحثاً عن مأوى ، كانت أياماً صعبةً للغاية ، لكننا تغلبنا عليها بفضل تماسكنا ، وبفضل الارد...

ثم قالت: وكما تعلم ، بعد موت أبراكساس... لم يعد هناك مكانٌ يجمعنا طويلاً ، فذهب كلٌ منا في طريقه في النهاية...

تعجّب أريس: هذا ماحدث إذن!

ثم قال: أمورٌ كثيرة قد حصلت ، بعد أن هربنا أنا ورايموند من تلك العصابة ، التقينا بآرميل وياني ، وعشنا سوياً لفترةٍ من الزمن ، لكنّ بعض التصادمات حدثت بين آرميل ورايموند ، حتى أصبحا يكرهان بعضهما ، وكان رايموند عنيداً... لذا فضّل الرحيل!... ولم نره منذ ذلك اليوم!

ابتسمت أغلاي وهي تحنّ إليه: هذه هي طباع رايموند!

فقال أريس بامتنانٍ لآرميل: لقد اعتنى بنا أخونا آرميل طوال تلك السنين!... كان يحتال على الناس ليجلب لنا المال والطعام!... وكنا نساعده في ذلك!... ومؤخراً ، أصبح صياداً ماهراً... إنه يجلب لنا الغزلان والأرانب من الغابة ، في زمنٍ قياسي!

ضحكت أغلاي متعجبةً: لم يتغير آرميل أيضاً ، ولم يترك عاداته!

التفت إليها: صحيح ، لم تخبريني بعد ، مالذي ستفعلينه بشأن مارثا؟!

تنهدت أغلاي ثم قالت بنبرةٍ حانية: قد تكون مارثا... هي والدتي!

ثم التفتت نحوه وأمسكت بيديه بلهفة: قد أكون أنا تلك الطفلة التي منحتها القلادة وتخلّت عنها!!

ابتسم أريس: أنا سعيدٌ لأجلك!... سعيدٌ بأنكِ لستِ يتيمة!

ثم قال وهو ينظر إلى النجوم ويفكر بأصدقائه: ربما لسنا كلنا أيتاماً أيضاً!... قد يكون لنا والدان يفتقداننا في مكان ما ، على هذه الأرض...

(بانسيلينوس - موللنيا)

في الشمال ، وسط البلدة الريفية موللنيا... المتميزة بحقولها ومزارعها...

كانت هناك عصابةٌ من اللصوص الجانحين ، سُمعتهم السيئة معروفةٌ في موللنيا ، كانوا يلقّبون بـ (الغربان) ، وكان سكّان البلدة يخشونهم ويتحاشون إغضابهم ، خوفاً على ممتلكاتهم وسلامتهم...

في ذلك المساء ، قدّم أفراد العصابة مسروقاتهم إلى زعيمهم ، متفاخرين بإنجازهم ، بثيابهم الرثة وهيئتهم الهمجية ، فنهض زعيمهم الشاب ذي الشعر الرمادي الأشعث ، وقال بكبرياء: لقد لقنّا ذلك النبيل درساً!... من يحاول تحدّينا ، فسنسطو على منزله!

هتف الجميع مؤيدين لكلماته ، بينما قال له أحدهم: ماذا سنفعل الآن بهذه الغنائم أيها الزعيم؟

رفع الزعيم يده للأعلى وقال بنبرةٍ تشتعل حماساً: سنتقاسمها!!

أخذوا يتقافزون فرحاً وقاموا بإلقاء النقود في الهواء وهم يهتفون لزعيمهم: يعيش رايموند!!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس - أثانسيا)

انطلق آرميل وياني بعربتهما المُحمّلة بالبضائع ، عائدَين نحو إيمبياسو... وكانت السعادة تغمرهما...

صاح آرميل وهو يضحك مرحاً: ياللتاجر الأحمق!

نظر إليه ياني بإعجاب: أنت بارعٌ كالعادة ، أخي آرميل!

مسح آرميل على رأس ياني: لقد أحسنتَ عملاً يا صديقي!.. كان أداؤك جيداً!

ابتسم ياني بسعادةٍ وخجل ، ثم صاح بمرح: سنصبح أغنياء!!.. أريس ، نحن قادمان!

لكن فرحتهما لم تدم طويلاً ، فقد تفاجآ بمجموعة رجالٍ يعترضون طريقهما بخيولهم ، فأوقف آرميل العربة مستغرباً... وعندما همّ بسؤالهم عمّا يريدونه...

قاطعه أحدهم غاضباً بعد أن أخرج سيفه: أيها المحتال!!

فقال الآخر: لقد تأكدنا من التاجر إيسوبوس!... إنه تاجرٌ عجوز معروف!... وأنت تنتحل شخصيته!!

ابتسم آرميل محاولاً إخفاء ارتباكه وخوفه وهو يرى السيوف تستعد لذبحه ، وقال: حسناً فهمت ، لمَ لا نحاول إصلاح الأمور فيما بيننا بطريقةٍ وديةٍ؟... سأعيد إليكم بضائعكم بشرط أن أحصل...

قام رجلٌ يدفع أريس نحو جذع إحدى الأشجار ، وسأله: أنت!... يبدو أنك رأيت هذا الوسم من قبل!... إنه موسومٌ على الفتاة المطلوبة!... أين هي؟!

صاحت السيدة إيروسيني بقلق: لاتؤذِ ذلك الصغير!... إنه لايعرف شيئاً!

قال أريس بثقةٍ وهو ينظر إلى عينيّ زيس: أنت أرام!!

كانت أغلاي تراقب الموقف من بعيدٍ بذعر ، ودهشت عندما سمعت اسمه..

ضغط أرام بسيفه على رقبة أريس وهو يسأل بقسوةٍ باردة: أين هي... زوي؟

تألم أريس ونظر إلى أرام بخوف: لمَ تفعل هذا بي يا أرام؟!... أنا اريس!... لن تؤذني أليس كذلك؟!

ضغط أرام بسيفه أكثر ، وظلّ بملامحه الباردة التي لم تتأثر ، فأجاب أريس مرعوباً: حـ... حسناً!... لم أرَ هذا الوسم عليها من قبل!... ولا أعلم أين هي الآن!... لقد رأيته على ذراعك وعلى يد آرميل فقط!!

كانت أغلاي تشاهد مايحدث عن بُعد ، وهي تضع يدها على قلبها بقلقٍ شديد... حتى رأت قطرات الدماء بدأت تسيل من رقبة أريس ، فاقتربت مسرعةً وصاحت بغضب: أرام!!..أبعد سيفك عنه!!... إنك تؤذيه!!

لكنّ أرام لم يلتفت لها ، بل لمعت عيناه باهتمامٍ سائلاً أريس: وأين هو آرميل الآن؟

أريس مختنقاً ومتألماً من حدّ السيف: لـ... لقد ذهب آرميل إلى أثانسيا وسيعود قريباً ، دعني أذهب الآن يا أرام!... أرجوك!

ترددت عينا أرام قليلاً ، فانتبه إليه رجلٌ فظٌ من مجموعته وسأله: زيس؟!... مالذي تفعله؟... ألن تقتله؟!

بكى أريس مستجدياً ومذعوراً ودخل في حالةٍ هستيريةٍ من الهلع عندما رأى أرام يرفع سيفه عالياً: أراااام!!... أراااام!!.. أرجوك لاتقتلني!!... لن تفعـ...

هوى السيف وشقّ رقبة أريس وقتله ، وتناثرت دماؤه ملطخةً وجه قاتله ، فتلّه أرام بدمٍ باردٍ أمام عينيّ أغلاي التي أطلقت صرخةً عالية وجثت بالقرب من جسد أريس مذعورةً ، ، لكنه تجاهلها ورحل مع مجموعته...

وركضت إيروسيني نحوه باكيةً ، ثم حاولت مسح دموعها وهي تنشُج: أيها الصبي المسكين!!.. لاتمت الآن!... أنا آسفة لأنني أسأت معاملتك!... لطالما منعتك من تناول اللحم الذي كنت تشتهيه دائماً... أنا أحبك لكنني لم أكن أعاملك جيداً ، سامحني يا أريس ، سامحني!

قام أرام بإرسال أحد رجاله قائلاً: انقل هذه الرسالة إلى بالتازار سريعا ، (لم أجد من أرسلتُ لأجلها ، لكنني وجدت الآخر!)

سأله رجلٌ آخر: إلى أين نحن متجّهون الآن يا زيس؟

رفع أرام لجام حصانه ، وشعره الأسود الطويل يتموّج مع الهواء: خلف آرميل ، إلى أثانسيا...

مع شروق الشمس..

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

كان آرميل يرقُد فاقداً للوعي ، وكان يحلُم وكأنه يرى ومضاتٍ من طفولته ، مُحدثاً ذاته من غرابة مايراه:

(نارٌ مضرمةٌ وسط ظلامٍ حالك في الغابة ، مجموعة رجال... يترأسُهم رجلٌ أعور ، وامرأة ترتدي ثياباً غريبة ، تُردد ترانيماً... تصمّ أذنَيّ... تفقدني توازني... ويخترق صداها روحي!... لا أستطيع التنفس جيداً!... أرى صبياً ، كلّا... صبياً وفتاةً!..إنهما يتألمان مثلي... هذا الوسم خلف كتفها!... مشابهٌ للذي على يدي!

أصوات صرخاتهما ، إنني أعرف هذه الأصوات... تبدو مألوفةً لديّ!... من يكونا؟!... صوتٌ ما يناديني من بعيد: (آرميل)... (آرميل!)... (استيقظ!)... إنه صوت ياني!)

ياني: آرميل!... أخي آرميل!... استيقظ!

فتح آرميل عينيه ورأى نفسه ممداً على الأرض ، وإلى جانبه ياني محاولاً إيقاظه...

ياني بارتياح: آرميل!

دعَك آرميل عينيه ونهض جالساً ، لكنه شعر بالألم في رأسه ، فأمسك به وشعر بالدماء تسيل منه...

ياني: لقد كنتَ فاقداً للوعي بعد أن ضربك أولئك الرجال!... فقمتُ بجذبك تحت هذه الشجرة!

التفت آرميل نحو ياني وأمسك بكتفيه بقلق: ياني هل أنت بخير؟... هل قاموا بإيذائك؟!

ياني فخوراً بنفسه: كلا ، لأنني بكيتُ مستجدياً ألّا يؤذوني!

ضحك آرميل: بكيت؟

ثم قال مؤنّباً نفسه: سأظلُّ ألوم نفسي لو حدث لك مكروه!... فلا ذنب لك في كل هذا!... ليتني لم أصطحبك معي!

أجاب ياني: لايمكنني البقاء بدونك أخي آرميل ، فأينما تذهب سأكون معك!

تحسّر آرميل: لقد فشلَت خطتنا!... ولم نحصل على المال الذي كنا نريده!

ثم حاول الوقوف على قدميه وقام بعصبِ رأسه بقطعة قماشٍ من ثيابه ، فجَمعت العُصبة شعره الأسود المتشعّث ، وقال: هيا بنا ، فلنعثر على حصان ، لنعود إلى أريس!

ليساعدها: لا شك بأن كتفك قد أصيب!... سأحملك إلى الكوخ!

قام بمداواة إصابتها في كوخه ، وأخذ يُحضّر الدواء لها من الأعشاب الجبلية بينما يقول: يجب أن تكوني حذرة في المرة القادمة!... السقوط من أعلى الجبل... كان هو السبب في موت ابني ليون!

نظرت إليه زوي بحزنٍ ثم قالت بلطف: حسناً ، آسفة لسماع هذا!

كان أليكسيو منشغلاً بتحضير الدواء ، وقد فتح أدراج إحدى خزاناته ، فانتبهت زوي إلى وجود قطعة قماشٍ زرقاء داكنة فاخرة مخزّنة في الدُرج ، تحمل شعاراً لفأسين ، لكنّ أليكسيو مالبث أن انتبه لظهور قطعة القماش تلك ، وقام بإخفائها مغلقاً الدُرج ، مما جعل علامات التساؤل ترتسم على ملامح زوي...

ولكن ما جعلها تذهل أكثر ، أن الألم قد زال تماماً!... قبل أن ينتهي أليكسيو من تحضير الدواء...

❁❁❁

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

بعد أن عاد آرميل وياني إلى البلدة وشاهدا الفوضى التي اجتاحتها ، والتقيا بأغلاي التي أخبرتهما عمّا حدث لأريس..

سقط ياني على قبر أريس باكياً كالأطفال ، واقترب آرميل ليضع زهرةً بيضاءَ على القبر ، ونظر إلى الاسم المنحوت عليه بحزنٍ وألم ، ونارٌ تشتعل بداخل قلبه..

ثم قال: سامحني ، إنه خطئي لأني تركتك خلفي!... خطئي لأنني فشلتُ وتأخرت بالعودة إليك!... يمكنك أن تغضب عليَّ كما تشاء يا أريس!... لكنني حتماً ، لن أجعل أرام ينجو بفعلته!!

ابتلع آرميل غصّته وأغمض عينيه بهدوءٍ ليقاوم دموعه وهو يستمع إلى نشيج ياني مستجدياً فوق القبر: أريس!!... أريس!!... عُد إلي أرجوك!... لا يمكنني العيش بدونك!

وقفت أغلاي خلفهما تجفف دموعها ، ثم اقتربت بهدوءٍ من ياني محاولةً تهدئته: يكفي ، ياني!

التفت آرميل إلى السيدة إيروسيني وسأل بجدية: هل قلتِ بأن أرام غادر ليبحث عني؟!

أومأت إيروسيني برأسها إيجاباً وبعينين جادتين وقلقتين ، فقال آرميل مفكراً: أعتقد بأن المجموعة التي رأيناها في طريق عودتنا ، كانت هي مجموعة أرام!... لقد كان متجهاً نحو أثانسيا لإيجادي!

ثم أخذ يفكر غاضباً: مالذي يريده مني ، ذلك الوغد؟!... ولماذا قتل أريس لأجل الفتاة التي يبحث عنها؟!

ثم اتجه نحو الحجرة المتواضعة التي كان يقطنها ، وقام بتجميع حاجياتهما هو وياني ، بينما لحقت به إيروسيني لتسأله بقلق: هل ستغادر إيمبياسو؟!

أجابها آرميل وهو يجمع كتبه الثمينة بسرعة: سيعود أرام إلى هنا عندما لا يجد لي أثراً في أثانسيا!... سنهرب باتجاه الشمال الشرقي أنا وياني!

قالت أغلاي باندفاع: سأذهب معكما!

ثم قالت بعزم: أريد أن ألتقي بمارثا في بلدة أورانوس!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

وصلت الملك أليكساندروس رسالةٌ من دوق الجنوب تخبر عن أحداث الهجوم المجهول على إيمبياسو ، وأبدى عدم اكتراثه موكلاً مهمة التحري للدوق... ثم نهض مغادراً القاعة..

فالتفتت الأميرة ديميتير نحو أختها التي كانت تجلس بجوارها ، وقالت ساخرةً: لقد سمعتُ بأنك قمتِ بالتدخل والطلب من والدنا بأن يعفو عن مربيات شقيقنا الأمير أياس... بعد أن صدر في حقهن حكم الإعدام!!... يالقلبك الرقيق!

قالت أفروديت ولم تلتفت لها: إنها ليست رقة قلب!... إنما هي العدالة!... فلاذنب لهنّ في قرصة بعوضة!

رفعت ديميتير حاجبيها متعجبةً وقالت بتهكم: لمَ لم يقم والدنا بتعيينكِ كبيرة القضاة ، مادمتِ تتمتعين بحس العدالة هذا؟

كان أرتشيم يستمع إليهما ، و استمر يحدّق بالأميرة أفروديت التي حافظت على هدوئها وثبات ملامحها ، وحدّث نفسه معتمداً على تنبؤاته السابقة: «كلا!... كلا!... ليست كبيرة قضاة ، إنها قد تصبح شيئاً أكبر من ذلك!»

ردت أفروديت على أختها: بدل أن تتهكمي ، لمَ لاتحاولين أن تكوني فعّالةً في المجلس الملكي؟... لا أذكر بأنكِ قدمتِ شيئاً يفيد المملكة والشعب!

فرقَعَت ديميتير بلسانها بخيبةٍ ، وقالت وهي ترفع حاجبها باستياء: لاحاجة لي لبذل أي جهد ، نعرف من يفضل والدنا أكثر!

كانت باربرا تراقب ديميتير من بعيد ، ثم نظرت إلى فيوليت ، وأومأت برأسها آمرةً: افعلي ما طلبتُ منك!..يجب أن تسير الأمور كما خططتُ لها!... أريد الانتقام مما فعلته ديميتير لفيلبرت!

ترددت فيوليت بنظراتها ، ثم تشجّعت واتجهت بخطواتها نحو الأميرة ديميتير..

سألتها ديميتير: مالأمر؟

فيوليت بعد تردد: لقد رأيتُ ابن الدوق موتارد وهو يتسكع برفقة إحداهن في حديقة القصر...

ديميتير متسائلةً باهتمام: حقاً؟

أومأت فيوليت برأسها وقالت: يمكنكِ أن تُلقي نظرة!

❁❁❁

في حديقة القصر..

كانت إحدى الفتيات النبيلات تتنزه بسعادةٍ مع الشاب موتارد ، وكانت باربرا بونيفيل تراقبهما من بعيدٍ محدثةً نفسها بسرور: لقد قمتُ بمساعدة هذا الثنائي اللطيف بالتقرب من بعضهما!... إن ديميتير معجبةٌ بهذا الشاب ، سنرى مالذي ستفعله الآن ، بعد أن وجد فارس أحلامها فتاةً أخرى!

تراجعت باربرا للخلف وأخذت تراقب بلهفة ، فور أن لمحت خروج فيوليت والأميرة ديميتير إلى الحديقة..

نظرت ديميتير إلى الثنائي ، ثم صفقّت بسعادة: لقد وجد له فتاةً بهذه السرعة!... لقداستطاع أن يقف على قدميه سريعاً!

فيوليت مستغربةً من ردة فعلها: مـ.. مالذي تعنينه؟

ديميتير: لطالما تمنيتُ الحصول على هذا الشاب!... وأوقعتُه في شباكي الأيام الماضية ، لكنني سرعان ما أدركت بأنه شخصٌ ممل ، قمت بالتخلص منه!

أخذت ديميتير تراقبه وهو يتحدث بسعادةٍ مع الفتاة ، فقالت بإعجاب: لكن يبدو أن الأمر لم يؤثر عليه كثيراً!

❁❁❁

وبعد دقائق...

غضبت باربرا: لماذا لم تتأثر ديميتير؟!... لماذا رأيتُ السرور يُشعُّ من عينيها!!... مالخطأ الذي فعلتِه يا فيوليت؟!

فيوليت متوترةً: لاأعلم ، سامحيني يا باربرا!... لقد نفذّتُ ماطلبتِه مني!... لكن يبدو أن الأميرة ديميتير لم تعد معجبةً بذلك الشاب!!

غضبت باربرا وأمسكت بكتفي فيوليت: لقد قلتِ لي بأنها تتمناه طوال الوقت!!

وأرام نحمل هذا الوسم ، وفتاةً أيضاً!

وتذكّر تلك الومضات التي رآها ، الصبي والفتاة اللذان كانا أمامه... والوسم خلف كتفها..

تملّك التساؤل عيني أغلاي ، بينما كان ياني يعبث بكتب آرميل في مؤخرة العربة ويبتسم بسعادةٍ ، دون أن يعي عمّا كانا يتحدثان..

وظلّ آرميل يفكر بحيرةٍ عن سر هذا الوسم وهو يقول: لقد لاحظتُ وجود هذه العلامة على يدي لأول مرةٍ ، في ذلك اليوم الغريب ، عندما قُتل أبراكساس!... وكان يؤلمني أثرُ كيّها!

أغلاي: لقد كان كل شيءٍ غريباً حول ذلك اليوم ، وحول الرجلين اللذَين لحقا بنا حتى النهاية!

أيّدها آرميل: أعتقد بأن هذه العلامة لها ارتباطٌ بهما!

ربط آرميل مسبقاً بين كل ذلك ، وبين قوته الخارقة التي نمَت فيه مؤخراً ، وبين حاجته الوحشية لشرب الدماء ، وفكّر بعمق: «أرام ، يبحث عني وعن الفتاة ، وقد اختفى منذ يوم هروبنا ذاك ، عندما تركَه أريس ورايموند خلفهما في الإسطبل ، وعدنا لإنقاذه ولم نجده ، ولم يره أحدٌ بعدها ، وعلى الأرجح بأن الرجال الذين أمسكوا به ، هم الذين يريدونني أنا والفتاة ، وهم من قام بكيّنا بهذه الوسوم ، والإجابة على كل هذه التساؤلات ، ستكون لدى أرام!»

قطع ياني أفكاره عندما أشار بيده نحو أطلال البلدة التي لاحَت لناظريه: هل هذه أورانوس؟!

ابتسمت أغلاي عندما رأت البلدة: أعتقد بأنها هي!

اقتربت العربة أكثر ثم أوقفها آرميل وهو يقول مودعاً: إذن ، علينا أن نفترق هنا يا أغلاي!... نحن ذاهبان باتجاه الشمال الشرقي ، بعيداً عن أرام ورجاله!... حظاً موفقاً!

حزن ياني لوداعها: اعتني بنفسكِ جيداً يا أغلاي!

نزلت أغلاي وودعتهما: شكراً لكما... أتمنى أن نلتقي مجدداً!

الرمز المرسوم

في نهاية المساء..

في منزل آل بونيفيل...

كانت فيوليت الرقيقة وشقيقها أندريون يراقبان بقية أفراد العائلة من خلف الباب ، وكانا يتحدثان بصوتٍ منخفض...

أندريون: إنهم يشربون الدماء!

فيوليت: متى سنصبح مثلهم؟!

أندريون: نحن الوحيدان اللذان لم نبلغ سن الثامنة عشر بعد!

كانت فيوليت تراقب باربرا: إنني أخشى اليوم الذي سأبلغ فيه سن الثامنة عشر!... لقد شاهدتُ معاناة باربرا أثناء بلوغها وتحولها!... كانت تصرخ وتتألم!

كانت باربرا تشرب من كأسها وهي تتحدث بسعادةٍ ووحشية: أتمنى أن يأتي اليوم الذي أشرب فيه دماء ديميتير ، حتى الموت!

ضحك الجميع منها ، وقال بيلموت متعجباً: ألا زلتِ تكرهين الأميرة ديميتير حتى الآن!... فعلاً ، عداوات النساء لاتُطاق!

أيّدهُ غيلبرت مستحقِراً بطريقةٍ غير مباشِرة: الفتيات من هذا النوع ، ذوات قلوبٍ حقودة ، إن

داخلهنّ أسودُ كما هو ظاهرهن!

صُدمت باربرا من كلماته الجارحة ، فهو الفتى الذي تعشقه ، والذي لايزال مستمراً بإهانتها وتجاهُل حبها له ، صمت الجميع مذهولين ، ففضبت والدتها مارغريت: غيلبرت!!... اعتذر من ابنتي!!

لكن غيلبرت تجاهل عمّته وأكمل شرب كأسه ببرود ، وساد صمتٌ رهيب ، فوضعت باربرا كأسها ونهضت على الفور وركضت نحو الفناء... وأخذت تبكي بحُرقة ، فلحقت بها فيوليت ، واقتربت منها محاولةً مواساتها: بشأن ماقاله أخي غيل...

التفتت باربرا وصرخت فيها غاضبةً والدموع في عينيها: ابتعدي عني!!

توقفت فيوليت مكانها مذهولةً ، فقالت باربرا بانفعال: هل تعتقدين بأنني صديقتك فعلاً؟!..إنني أكرهك كما أكره أخاكِ غيلبرت!!

صمتت فيوليت ، وظلّت تراقب بكاء باربرا بحزنٍ على حالها...

❁❁❁

في اليوم التالي...

(بانسيلينوس - مولنيا)

في مطبخ المنزل الذي يتوسط مزرعة آل مونبيتيت ، بين أصوات تقطيع الخضار ، وغليان القدور ، ورائحة الطهي...

كانت داناي تجلس في إحدى الزوايا بالقرب من النافذة ، وتتأمل ذلك السوار القشي الذي تُقلّبه بين يديها... بينما كانت تلك الكرة الزجاجية الحمراء الصغيرة تتلألأ أمام عينيها...

همست بحنين: أرام!... أين أنت الآن؟... وهل أنت بخيرٍ ياترى؟

قطع تفكيرها صوت إيوانا غاضبةً: داناي!... أسرعي بالتحضير!... الآنسة دليا تنتظر الغداء!

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

كان الملك أليكساندروس في المعبد الملكي مع ابنتيه والكاهن أرتشيم ، ومستشاره الكونت أرماند...

أليكساندروس: لقد شحب وجهك يا أرتشيم عندما اطّلَعتَ على النبوءة الأخيرة!... ماذا كانت؟!

تغيّرت تعابير أرتشيم ، ثم قال متردداً: إنها ليست بالأمر الجيد الذي أستطيع إخبار جلالتك به!

غضب أليكساندروس: ستخبرني ، الآن وحالاً!!

ارتعد أرتشيم: حسناً ، جلالتك!

ثم نظر إلى الأميرتين بحرج ، فقال أليكساندروس: لا بأس ، فلتتحدث أمامهما!... لقد كبرتا بما فيه الكفاية لسماع النبوءات!

فرك أرتشيم يديه ثم تنهد وقال بصوتٍ هادئ: إنه أمرٌ مخيف!... لم يحدث على الأرض ولم يمر بعهد البشرية من قبل!

حدّقت الأميرتان في أرتشيم باهتمام ، وكانت الشملات تتراقص مضيئةً المعبد الملكي ، حيث ساد الصمت...

فقال أرتشيم: إنه أمرٌ يهدد مستقبل بانسيلينوس ، مملكة القمر!

بدا الاهتمام على عيني أليكساندروس: ماهو؟!... تكلّم يا أرتشيم!!

ابتلع أرتشيم ريقه وقال: سيظهر جنسٌ غير بشري!

عندها تحركت حدّقتا الكونت أرماند بسرعةٍ نحو أرتشيم... ولمعتا باهتمامٍ شديد ، رغم محاولته الحفاظ على هدوء تعابيره...

رفع أليكساندروس حاجبه: مالذي تقصده بذلك؟!

فأجاب أرتشيم: هناك نبوءةٌ قديمةٌ تقول (عندما يتحول القمر إلى اللون الأحمر ، سيظهر جنسٌ غير بشريٍ على أرض القمر) ، ولكنّ آخر تنبؤٍ رأيته اليوم ، دلّ على أن تلك النبؤة القديمة ، ستتحقق قريباً!!

ثم قال موضّحاً: القمر الأحمر ، هي ظاهرةٌ فلكية ، تحدث في فتراتٍ متباعدة ، يفصل بينها عددٌ من السنين ، وتحدث في حالة القمر المكتمل العملاق ، عندما يكون في أقرب أوضاعه لنا ، خلال الخسوف القمري ، حيث يمرّ ضوء الشمس عبر الغلاف الجوي وينكسر ، فيتشتت الضوء الأزرق والأخضر في السماء ، وتنفذ أشعة الشمس الحمراء التي لاتتشتت ، فتضيء القمر بلونها الأحمر ، وتقول الأساطير بأن هذه الظاهرة مرتبطةٌ بكائناتٍ غامضة ، تزيد قوتها إلى أضعافها عند حلول القمر الأحمر...

أليكساندروس باهتمام: أرض القمر!... هل تعني بانسيلينوس؟!

ظهر الاهتمام على عيني ديميتير ، فسألت: مالذي تعنيه النبوءة بالجنس غير البشري؟!... هل هم نوعٌ من الحيوانات؟!

نظر إليها أرتشيم ، وكانت نبرة صوته جادةً إلى حدٍ مخيف: كلا يا أميرتي!... إن هناك أسطورةً قديمةً تقول بأنه (يوجد مخلوقاتٌ متوحشة... تعيش في مكانٍ بعيد ، قد تبدو جميلة المظهر...

وتمتلك عقولاً كالبشر ، لكنها تتغذى على الحيوانات ، وعلى البشر).

كان أرماند يستمع بصمت ، وذعرت ديميتير من كلمات أرتشيم الأخيرة ، بينما صغرت أفروديت: إنني لا أصدّق هذه الخزعبلات!... كيف تصدّقها يا والدي!!

رمقها أرتشيم باستياء ، حتى نطق أليكساندروس مؤيداً: دائماً ما تصدُق نبوءاتك يا أرتشيم، ولكن هذه المرة ، فقد بدأت تأخذ منحى الخيال!

تنهد أرتشيم بضيق: لهذا السبب ترددت في إخبار جلالتك ، فتلك النبوءة ، وتلك الأسطورة، يصعب تصديقهما!

ثم قال: إنني أحاول تحذير جلالتك فقط ، من أجل حماية مستقبل بانسيلينوس!

لم يظهر الاقتناع على أليكساندروس و ابنته أفروديت ، ولم يلحظ أحدٌ نظرات أرماند الغامضة، التي رغبت في إسكات أرتشيم ، وكان الكونت يحدّث نفسه: «إنها حقيقة ، ولم تعد أسطورة!»

في القسم العسكري..

بدأ ألارد بالتقرّب من ألباين ، وكانا يتدربان سوياً..

لكنّ ألباين توقف فجأةً أثناء التدريب ، وأشار للناحية الأخرى متسائلاً: أليس ذاك هو غيلبرت بونيفيل؟

التفتت ألارد نحو غيلبرت الذي كان يسير من بعيدٍ بين تدريبات الجنود ، فقال ألارد: أجل صحيح!

ألباين: ثيابه الرسمية تبدو مختلفة..

ألارد: أجل ، إنه في الحرس الخاص!... تلك هي بزّاتهم البيضاء!

فكر ألباين باهتمام: «فردٌ من آل بونيفيل يعمل في القطاع العسكري!.. إنهم ينتشرون في كل مكان!»

بينما في مكتبة القصر..

كانت المكتبة ضخمةً وزاخرةً بالكتب القديمة والحديثة ، بالإضافة إلى المخطوطات والخرائط.. وكانت الشمس تُضيئها بالكامل من خلال نوافذها الطويلة التي تمتد نحو السقف المزخرف...

دخلت أفروديت وانتبهت إلى وجود أندريون بونيفيل الذي كان منهمكاً بالقراءة..

أفروديت: لورد أندريون!

رفع أندريون رأسه ، ثم نهض محيياً: سمو الأميرة!

ابتسمت أفروديت بارتياح: إنني أسعد كلما وجدتك هنا!

انحنى أندريون بلباقة بعد أن ابتسم بلطف: بل أنه لسعادةٌ لي أن أرى سموك!

جلست أفروديت وأشارت له بالجلوس ، وأخذت تتأمل الكتاب الذي يقرأه وبدأ يتناقشان فيه..

حتى قالت: إنك صبيٌ ذكيٌ يا أندريون!... ستكون رجلاً مهماً يوماً ما ، ولن يستغني الآخرون عن ذكائك!

انحنى لها أندريون مبتسماً: شرفٌ لي أن أحصل على إطرائكِ هذا!

❁❁❁

في المساء..

في فناء منزل آل بونيفيل...

كان أرماند يتناقش مع شقيقه إيبير بجديةٍ وبشكلٍ سرّي..

أرماند ببرودة ملامحه المعتادة: هل نرسل من يقتله؟

إيبير متوتراً: صحيحٌ أن وجوده قد يهدد سريّة هويتنا ، لكن لا تنسى بأنه مقربٌ من الملك!... لاتعلم مالذي قد يفعله الملك عندما يُقتل كاهنه الخاص!

أرماند غاضباً: لكنه بدأ يتمادى في تكهّناته ، لا تعلم ماذا ستكون نبوءته القادمة!!

أمسك إيبير بعضُد أرماند بقوةٍ وقال بجدية: إياك أن تُقدم على قتل الكاهن أرتشيم يا أرماند!... فذلك قد يعرض عائلتنا للاتهام وخسارة كل شيء!!

تنهد أرماند وهو يلتفت برأسه للناحية الأخرى وقال: من الجيد بأن الملك لم يكن مقتنعاً بالنبوءة!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

في كهف الجبل الكبير...

كانت الشعلات تضيء جدران الكهف ، وقد اشتعل معها غضب بالتازار ، عندما قام بصفع وجه أرام بغمد سيفه بعد أن فقد سيطرته على أعصابه ، فالتفّ وجه أرام للناحية الأخرى من قوة تلك الصفعة ، وانزاحت معها خصلة الشعر التي كانت تغطي نصف وجهه... لتكشف تلك الندبة القديمة فوق عينه ، والتي قد ضَمدّها له أبراكساس في الماضي ، واعتنت بها داناي..

ظلّ أرام صامتاً يحدّق في الأرض بلا تعبير ، أثناء تفريغ بالتازار لغضبه بكلماته المنفعلة: فقدتَ الاثنين؟!... كليهما!... بعد أن اقتربنا منهما أخيراً!!... كم سيكلفنا الوقت للعثورعليهما مجدداً؟!

كان جميع الرجال خائفين من جنون بالتازار ، ولكن بعد أن هدأ وجلس على كرسيه العجري الكبير ، نطق أرام منحنياً بتواضع: أقدّم أشد اعتذاري . لقد وهبتُ حياتي كلها لخدمتك سيدي!... لذا سأتولى مهمة جلب المختارين زوي وآرميل إليك مجدداً!..أرجو أن تمنحني ثقتك مجدداً ، سيدي!

كانت كالفينيا تقف بجوار بالتازار ، فقالت بنبرةٍ قاسية: من الأفضل أن تفعل ذلك سريعاً زيس!.. فصبر زعيمنا قد بدأ ينفذ!

❁❁❁

بعد بضعة أشهر..

أصبح آرميل محتالاً متنقّلاً بين بلدات بانسيلينوس ، يستغلُ ذكاءه ووسامته في إغواء النبيلات وخداع التجار متظاهراً بأنه شابٌ نبيل ، ليحصل على أموالهم بالحيلة... مصطحباً معه ياني الذي كان يبقيه تحت عنايته ويجعله مساعداً له ، ويقوم بتعليمه طرق التعامل مع الآخرين ، ويلقّنه الإجابات التي يجب عليه أن يجيب بها عندما يسأله أحدهم ، كانا يعيشان ويأكلان من مال الاحتيال ، وأصبح الاثنان متعلقين ببعضهما أكثر ، كأخَوين مقربَين...

حتى جاء ذلك اليوم... الذي وصلا فيه إلى بلدةٍ شرق بانسيلينوس ، تدعى إيميسيا..

❁❁❁

في نهارٍ دافئ..

(بانسيلينوس ـ ايميسيا)

كان آرميل مستلقياً على فرع شجرةٍ كبيرة ، يقرأ كتاباً ، ويأخذ فترة راحةٍ من التِرحال ، بينما جلس ياني أسفل جذع الشجرة... يعبث ويرسم بإصبعه على التربة...

ياني بنبرةٍ حزينة: كم أفتقد السيدة إيروسيني ، وأريس!

كان آرميل منسجماً بقراءته ولم يرد ، فقال ياني متذمراً: لقد كنتُ أقضي وقتاً ممتعاً مع أريس!... إنني أشعر بالملل معك ، لأنك تقرأ دائماً!

تنهد آرميل وقال وهو لايزال يحدّق بكتابه: يجب أن تُحاول نسيان أريس يا ياني!... ستؤلمك ذكراها

غضب ياني: أريس ماتت!... وأرام هو من قتله!... لقد أخبرتَني بهذه الكلمات مراراً ، أخي آرميل!

أغلق آرميل كتابه متضايقاً ، وقام بتعديل جلسته ، ونظر إلى الأسفل حيث ياني: إنني أُخبرك بذلك حتى تكره أرام!... وتهرب منه إذا رأيته!... لا أريده أن يؤذيك كما فعل بأريس!

ياني بحقد: أنا أكره أرام بالفعل!... وإذا رأيتُه فإنني لن أهرب!... بل سأقتله ، لأنتقم لأريس!

ابتسم آرميل ساخراً من كلمات ياني... ثم قفز نحو الأرض ، وذُهل عندما رأى مارسمه ياني على التراب...

آرميل مذهولاً: هل هذه... هل هذه صورة أريس؟!

ثم التفت لينظر إلى وجه ياني منبهراً: أنت من رسمها!

أومأ ياني برأسه ، فابتسم آرميل بإعجاب: هذا عظيم ، ياني!

ثم أخذ يفكر: سأشتري لك حبراً وأوراقاً لترسم ، ثم تبيع رسوماتك!... لم يكتشف أبراكساس هذه الموهبة في السابق ، وإلّا لم يتركك ترافق بقيّتنا بلا عمل!

شعر ياني بالسعادة ولمعت عيناه امتناناً ، فوضع آرميل يده على كتفه وهو يقول: حسناً ، ستقام حفلة اليوم في منزل دوق الشرق... فلنذهب لجلب بعض المال أولاً!

ياني معتبضاً: هل ستجعلني أرتدي كفتاة مجدداً؟!

أجابه آرميل بابتسامة: هذا هو الدور الذي تُجيده ياعزيزي!

وعندما حل المساء...

دخل الاثنان إلى منزل الدوق الذي كان يتوافد إليه الكثير من النبلاء ، وسار لياني مُعتضداً ذراع آرميل ، و كان يرتدي فستاناً وشمرةً مستعاراً ، بينما كان آرميل يرتدي ثياباً رافية...

أخذ آرميل يجول بعينيه بين الحاضرين حتى استقرّت عيناه على رجلٍ يتضح عليه الثراء ، وكانت فتاةٌ شابة تقف بجواره ، يظهر أنها ابنته..

أشار آرميل بعينيه نحوهما ، هامساً لياني: ذاك هو هدفنا هذه الليلة!

تقدم نحوهما آرميل وقام بتحيتهما مُقدّماً نفسه بانحناءةٍ خفيفة: بيون بيكارد!... ثريٌّ من الجنوب!

وقال مشيراً بيده نحو لياني بطريقةٍ متكلّفة: وهذه شقيقتي!

ثم نظر نحو الرجل وهو يقول: لا شك بأنك اللورد هوبرت!... الأكثر شهرةً وثراءً في المنطقة!

ابتسم هوبرت بكبرياء: أجل هذا صحيح!

و أشار نحو الشابة قائلاً: وهذه ابنتي العزيزة!

انحنى لها آرميل وقبّل يدها: إنه لشرفٌ لي أن ألتقي بفتاةٍ بهذا الجمال!

لمعت عينا الفتاة خجلاً وانجذاباً لآرميل ، بينما قال هوبرت وهو ينظر لياني بإعجاب: وشقيقتك الآنسة بيكارد ، جميلةٌ أيضاً!

انحنى لياني بلطف ، فالتفت هوبرت نحو آرميل: هل أسرة بيكارد... معروفةٌ في الجنوب؟

آرميل وهو يرتشف من كأسه ويتظاهر بالتفاخر: بالطبع هي كذلك... فنحن نمتلك العديد من الأراضي والمزارع!

ثم قال متلاعباً بحديثه: لكننا بحاجةٍ لمزيدٍ من الأدوات الزراعية لفلاحينا!... وتاجرٌ كبيرٌ مثلك ، يمتلك أجود الأدوات الزراعية في البلاد ، سيكون أفضل متعاقدٍ مع عائلتنا!... ولاسيّما بأن سُمعتك ستصل إلى أثرياء الجنوب ، بواسطتنا!

ابتسم هوبرت وأبدى اهتماماً بعرض آرميل ، حتى قال بعد لحظة تفكير: يبدو أنني سأستضيفك غداً في منزلي ، لورد بيكارد!... لنتحدث مطوّلاً!

لكن آرميل أجابه وهو ينظر إلى ابنته التي ابتسمت عندما قال: سيكون من دواعي سروري..

ثم التفت نحو هوبرت محاولاً استدراجه: ولكن يؤسفني أننا مضطرون للعودة هذه الليلة إلى بلدتنا!... لأن كبار الأسرة قد قرروا عقد صفقةٍ مع تاجر مُعدّاتٍ جنوبي!

تغيرت ملامح الاستبشار من وجه هوبرت ، فقال آرميل مُطمئناً: لكني بالطبع لا أرى أجود من

مُعداتكم!... فأنا مهتمٌ بإيجاد الأفضل لأعمال عائلتنا!... وسأحاول إقناعهم حالما أصل إلى هناك ، بعد أن أرى عرضاً مناسباً منكم!

ابتسم هوبرت بارتياحٍ بعد أن عادت الفرصة إليه ، وقال: هناك الكثير من مُلّاك المزارع في الجنوب ، ويهمني أن أوسع تجارتي إلى تلك المنطقة!... لذا فلتتفضل معي لنتحدث عن تفاصيل صفقتنا!

أخفى آرميل ابتسامته المنتصرة والتفت نحو ياني قائلاً: هلّا قمتِ بمرافقة الآنسة ، ياشقيقتي!

وتبادل مع الفتاة نظراتٍ معجبة...

وفي نهاية الأمسية ، كان آرميل يقف أمامها ويتجاذبان الأحاديث الهادئة... وقد نجح آرميل في استمالة قلبها ، وإعطائها بعض التلميحات تخصُّ بحثه عن زوجةٍ مناسبة...

بينما جلس ياني بجانب هوبرت لإغوائه ، حيث تمكّن آرميل من جعله يثمل لحدٍ بعيد ، وكان هوبرت يحاول التقرُّب لياني معتقداً بأنه فتاة ، وحاول لمسه ، فانتبه له آرميل واتجه نحوه لينقذ الموقف ، مقاطعاً ومبتسماً بتهذيب: سنغادر الآن لورد هوبرت!... هل سيصبح اتفاقنا معتبَراً منذ اليوم؟

نهض هوبرت وقال مصافحاً آرميل تحت تأثير الثمالة: أجل..أجل ، من أجل شقيقتك الجميلة!.. لقد أخبرَتني بأنك لاتحمل معك المال الكافي للصفقة!... لذا سأُرسل معك جزءاً من البضاعة بعد توقيعك على العقد!... وتسدد دَينك لاحقاً!

ابتسم آرميل وهو يسكب المزيد من الشراب لهوبرت: لا أعتقد بأننا نملك الوقت الكافي للذهاب إلى منزلك والتوقيع!

ثم أخرج من جيبه ورقتين: لذا فقد أخذتُ استعداداتي مسبقاً!

ومدّ بالورقة والحبر نحو هوبرت الذي تردد للحظة ، حتى قالت له ابنته: لابأس بذلك... فاللورد بيكارد يبدو شخصاً خبيراً ويمكن الثقة به!

نظر هوبرت إلى النسختين وحاول القراءة رغم تزييغ عينيه بسبب ثمالته ، ثم قال بإعجاب: لقد دوّنتَ جميع البنود المطلوبة ، وقمتَ بتوقيعها!

ثم رفع الريشة وغمسها بالحبر بينما كان آرميل يحدّق بيده متلهفاً ، وبعد أن وقّع هوبرت على الورقتين أخذ آرميل إحداها ، وانحنى له شاكراً ومودعاً: ستكون هذه بدايةً جيدةً لعائلتينا!.. وخطوةً لمستقبلٍ زاهرٍ لسمعة تجارتك في الجنوب!

وبعد منتصف الليل...

تمكن آرميل من بيع كل الأدوات التي حصل عليها من مخازن هوبرت ، على ملاك المزارع في الأرياف المجاورة ، بسعر أرخص من أسعار السوق..

وتحت ضوء القمر ، كان آرميل وياني يسيران وهما يحملان الكثير من المال ويضحكان فرحاً بإنجازهما...

ربت آرميل على كتف ياني بقوة: أحسنتَ عملاً ، ياني!

ابتسم ياني: لقد تصرفتُ كما طلبتَ مني أمام هوبرت!... ولم أخطيء هذه المرة!

تنهد آرميل بانتعاش: إننا نستحق أن نحظى بليلة ممتعة في أفخر حانات البلدة!!

اتجها إلى حانةٍ فاخرةٍ يرتادها النبلاء ، وكانا يحتسيان الشراب ويرافقان الفتيات ليقضيا وقتاً من الرفاهية والبذخ ، لم يسبق أن حظيا به طوال حياتهما الماضية...

كان ياني سعيداً وخجِلاً من استلطاف الفتيات له ، حتى همس له آرميل: مع شروق الشمس ، سنغادر البلدة كالعادة ، قبل أن يُكشف أمرنا!

أومأ ياني برأسه تأييداً ، ثم سأل بلهفة: وسنشتري الأحبار والأوراق؟

أجاب آرميل بثقة: أجل بالطبع!.. سأشتري لك مرسَماً كاملاً!

ولكن في تلك اللحظة ، حدث أمرٌ لم يكن متوقعاً ، فقد اقتحم المكان مجموعة جنودٍ وأمروا جميع من بالحانة بالبقاء في أماكنهم ومنعوهم من المغادرة ، فنهض الجميع مذعورين ومن بينهم ياني وآرميل ، الذي أمسك بيد صديقه بحذر..

تقدّم دوق المنطقة من بين الجنود ، وخلفه كان هوبرت وابنته ، اللذان أخذا يبحثان بعينيهما عبر الوجوه...

حتى أشار هوبرت نحو آرميل وياني قائلاً: سيدي الدوق!... هاهما!!

أشار الدوق لجنوده بالقبض عليهما ، فقام آرميل بإبعاد ياني وراء ظهره وهو ينظر إليهم بعينين حذرتين ، بينما كان هوبرت يتحدث غاضباً: هؤلاء هما اللذان خدعاني وحصلا على بضائعي بلا مقابل ، وقاما ببيعها!

الفتاة غاضبةً: لقد كنتَ ثملاً... يا والدي!

رد عليها حانقاً: أنتِ من حثّني على التوقيع!

لم نظر إلى ياني مصدوماً: انظري!... إنه فتى!!..لقد خدعني ، وكان يرتدي ثوب فتاة!!

كان الدوق ينقّل ناظريه ببرودٍ بين هوبرت وياني وآرميل ، حتى قال بهدوء: لقد جنيتَ على

نفسك لورد هوبرت... كيف سمحت لشابين بأن يجملاك لفرق في الشمالة ، وتوقع عقداً كهذا!!

أحنى هوبرت رأسه بعد شموره بالعار ، فأشار الدوق نحو جنوده ، وسرعان ماقبضوا على آرميل وياني وقاموا بجرّهما نحو الخارج...

كان آرميل يصيح بهم بكل قوته: انه عقدٌ موثق ، لايحق لكم نقضه ، أو القبض علي بدون تهمة واضحة!... لم أفعل شيئاً خاطئاً!... وسأسدد دَيْني لوهبرت حسب العقد!... دعوا هذا الفتى وشأنه!!... فلا علاقة له بالأمر!!... إنه لايفقه شيئاً مما يجري ، إنه ليس راشداً!!

ضاعت صرخات آرميل بلا جدوى ، ولم يستمع أحدٌ لاستجداءاته ، بينما كان ياني ينظر إليه بعينين خائفتين وبريئتين ، ومد يديه إلى آرميل باكياً..

غضب آرميل وبدت عيناه تشمان بلونٍ أحمر... وفكّر متردداً في استخدام قوته لقتل الحراس وعضّ رقابهم ، كما كان يفعل أثناء الصيد بالغابة..

لكنه التفت نحو ياني ، ونظر إلى عينيه البريئتين ، وحاول أن يتمالك نفسه... وتذكّر بأنه شخصٌ مسالمٌ ولا يرغب بإيذاء البشر ، مهما بلغت قواه الوحشية ، فقام بتهدئة نفسه ، حتى تمكّن من إعادة عينيه إلى لونهما الطبيعي..

ثم قام بإبعاد الجنود عن ياني ، بحركةٍ سريعةٍ تنمُّ عن قوةٍ خارقةٍ لامثيل لها بين قوى البشر ، وقام بدفعه بعيداً وهو يصيح به: اهرب ياني!!

نظر ياني إليه مذعوراً ، وتجمّد في مكانه ، حتى صاح به آرميل مجدداً: اهرب..!!

تمكّن الحراس من الإمساك بآرميل عندما أرخى دفاعاته ، ونظر ياني إليه بخوفٍ مصحوبٍ بألم الفراق... ثم ركض هارباً ، وصاح آرميل: إذهب إلى السيدة إيروسيني!!

لكنّ ياني قد ابتعد ولم يستمع إلى جملته الأخيره ، وتمّ اقتياد آرميل إلى السجن...

هل تعرفان بعضكما؟

سلم الارد ، فتعلقت زوي مستدركةً الموقف: اسمي هو ليون!.. لقد كنا صديقين في صغرنا!

هكذا إذنا

كم أنت محظوظٌ يا ليون لمعرفتك بالسيرجنت ألارد!

بعد فترة قصيرة...

كان الاثنان يسيران بجوار بعضهما بعيداً عن الجنود...

زوي بإعجاب: سيرجنت؟! (رفيب)

ابتسم الارد باعتزاز: لقد مضت سنتان منذ التحقتُ بالجيش!... وكان الجنرال معجباً بأدائي ، فمنحني هذه الرتبة!

ابتسمت زوي معجبة: انظر إلى نفسك!... لطالما حلمتَ بأن تصبح جندياً!... وها أنت ذا!

ابتسم الارد بسرور ، ثم التفت نحوها متسائلاً: ماقصة انتحالك اسم (ليون)؟

أخبرته زوي بقصة مطاردة أولئك الرجال لها ، ولقائها باليكسيو وعيشها معه ، وتعلمها القتال عن طريقه...

ثم قالت مبتسمة: عشتُ سنتين وأنا أتخفى كفتى ، حتى لايتعرف عليّ أولئك الرجال الذين يسعون خلفي!

الارد باهتمام: حقاً؟... ولمَ يطاردونك؟!

زوي بنبرة حائرة: لاأعلم في الواقع...

وضعت يدها على الكتف التي تحمل الوسم ، وظهر القلق في عينيها ، لأنها تشعر بأن تلك المطاردات ترتبطُ بهذا الوسم ، وبقواها الخفية...

لكنها مالبثت أن ابتسمت قائلةً: بما أنني أعيش كـ«فتى» الآن!... رغِبتُ بالانضمام للجيش!...

لكن على كل حال ، تم قبولي في الحرس الخاص!

الارد باهتمام: كما كنتُ أعرفكِ بالماضي ، إنك تفعلين مايروق لكِ فقط!

ثم وقف أمامها ووضع يده على كتفها ، وقال بجديةٍ محذراً: يجب أن تتوخي الحذر من أن يُكتشف أمرك!... قد يُزج بك بالسجن!... فأنت تعلمين بأنه لا يمكن لفتاةٍ أن تلتحق بالجيش ، وكيف يعتبر هذا التنكر جريمة!

ابتسمت زوي بثقةٍ وهدوءٍ ، وأومأت برأسها: أعي جيداً خطورة ما أقدمتُ عليه!

كانت تخفي خلف ذلك الإصرار في عينيها ، الهدف الذي جعلها تخاطر بحياتها إلى هذا الحدّ..

أمعن الارد النظر لبرهةٍ إلى ملامح وجهها التي كبرت وازدادت حدةً و جمالاً ، ثم قال: لقد كبرتِ يازوي.. و..

لم صمت للحظة ، ونظرت زوي إلى عينيه بانتظاره أن ينهي جملته الاطرائية ويمتدح جمالها ، لكنّ ألباين اقترب منهما مقاطعاً: ليون!... هذا هو اسمك؟

قامت زوي بتحيته: أجل ، مرحباً!

ورغم محاولة البابين الحفاظ على ابتسامته ليبدو ودوداً ، إلا أنه لم يستطع إخفاء غضبه.

فقال متعالياً: تبدو من العامّة... كما هو السيرجنت الارد!

مرّت لحظة صمتٍ قصيرة ، حتى قال البابين ملطفاً عبارته السابقة: لكن لايوجد فرقٌ بالطبع في الجيش بين الطبقات الاجتماعية!... فنحن جميعاً في خدمة الملك والمملكة!

تفاضى الارد عن تعالي البابين ، الذي اعتاد عليه وفهم بأن هذا من طبعه الذي يصعب تغييره.

فقام بتقديمه إلى زوي معزّزاً بذلك افتخاره بنسبه: هذا هو السيرجنت البابين مونبيتيت... الابن الأول للجنرال العظيم الراحل أركاديوس مونبيتيت!... وأنا وإياه على علاقةٍ جيدة وتعاون!

حيّته زوي: سررتُ بمعرفتك!... سيرجنت البابين!

البابين باهتمام: أعجبتني تقنيتك في المبارزة!... إنها تبدو مألوفةً لدي!.. فعلاً ، أظن بأنني رأيت مثلها من قبل!

❁❁❁

في المساء...

في إحدى ضواحي لورديور...

كانت أغلاي قد انتقلت إلى العاصمة ، وعملت لمدةٍ كخادمةٍ في منزل إحدى العائلات النبيلة..

وعندما كانت سيدات العائلة يهممن بالخروج ، بزينتهن وثيابهن الجميلة قلن لأغلاي:

- قومي بتنظيف المنزل جيداً ، نحن ذاهبون للاحتفال المُقام بالقصر الملكي!

أومأت أغلاي برأسها طاعةً ، وحدّثت نفسها بحنقٍ وتسخط: «أيتها المتغطرسات!.. هل تنظرن إلي باستحقارٍ لأنني من الطبقة المعدمة؟... سترين بأنني سأصبح أعلى منكن يوماً ما!... لأنني سأسبقكن إلى الحفلات!... وسأرقص على النغمات ، وآكل الطعام اللذيذ ، وأرتدي أفخر الثياب والحليّ ، وسأترك تنظيف المنزل لكنّ!»

«لقد قدِمتُ إلى لورديور لأحقق كل هذا!... ولطالما انتظرت هذه اللحظة!»

راقبت من النافذة خروج العائلة وركوبهم للعربة ومغادرتها بهم بعيداً ، فهرعت إلى الستائر المزركشة التي تغطي نوافذ المنزل... وقامت بقصّها وحياكة ثوبٍ لها بمهارتها العالية في الحياكة ، والتي كانت تتميز بها منذ صغرها...

❁❁❁

وبعد منتصف الليل...

تمكّنت أغلاي من الدخول إلى القصر كفتاةٍ نبيلةٍ ترتدي فستاناً جميلاً ومزركشاً...

كانت ترتعش بداخلها توتراً وخوفاً من العالم الذي أقبلت عليه ، وأخذت تَجُول بناظريها بانبهار بين الحضور ، النبلاء من الطبقة الأرستقراطية يتحدثون ويأكلون ويرقصون هنا وهناك ، الموسيقى الكلاسيكية المبهجة تعمّ المكان ، رائحة الطعام الشهية... والفتيات الجميلات ، وثيابهن الفاتنة الملونة...

كانت أغلاي تبتسم منبهرةً بتلك الفساتين الجميلة ، تتأمل تصاميمها وتتمنى ارتداء أحدها ، وعيش حياةٍ مرفهة كتلك الفتيات ، لكنها تداركت نفسها ، وتذكرت ما جاءت لأجله... وماحدث لها قبل سنتين:

❁❁❁

((بانسيلينوس - أورانوس)

بعد أن ودعت آرميل وياني ، بحثت أغلاي وسألت سكان البلدة عن امرأةٍ تدعى مارثا... حتى دلّوها على مكان امرأةٍ مريضةٍ كانت تعمل بالحقول ، واسمها مارثا...

دخلت أغلاي تلك الحجرة الوضيعة ، حيث كانت بعضٌ النسوة العاملات بالحقول ملتمات حول ذلك الفراش المتواضع ، كانت امرأةً جميلةً ممددةً فوقه... بلا حراك...

التفتت النسوة نحو أغلاي مستغربات ، بوجوههن القلقه والشاحبة ، لكن أغلاي تجاهلتهن ونظرت إلى المرأة الجميلة التي كانت تحتضر على الفراش..

تغيرت ملامح أغلاي وهي تسأل بقلق: مارثا؟!

اقتربت إحدى النساء من خلف أغلاي ، وهي تقول لتلك المرأة: هذه الفتاة كانت تبحث عنك!

التفتت مارثا بصعوبةٍ نحو أغلاي ، التي تقدمت بهدوءٍ.. ثم أخرجت قلادتها وقالت وهي تبتلع ريقها بتوتر: هل كانت هذه... تخصك؟!

نظرت مارثا إلى القلادة... ثم شهقت ، واتسعت عيناها ذهولاً وذعراً!

فاستغربت النسوة ، لكن مارثا طلبت منهن بلطفٍ أن يدَعنهما لوحدهما...

وبعد أن غادرن ، رفعت مارثا يدها بصعوبةٍ وأمسكت بوجنة أغلاي وأخذت تتأمل وجهها بعينيها المتعبتين ، حتى قالت بحنانٍ وفرح: لا أصدّق مايحدث لي ، هل أنا أهلوس؟!... أم أن الإله قد أرسلكِ كإشارةٍ لنهاية حياتي ، حتى أموت بسلام!

ثم قالت باندهاش: أنتِ تشبهينه!... وتحملين عينيّ!..أنتِ هي!!..أنتِ هي!!... تلك الطفلة!!

صرخت أغلاي هستيرية وكأنها تحاول التشبث بآخر أملٍ لها: انتظري!!... لاتموتي الآن!!... أخبريني... من أكون؟!... وماسرُّ هذه القلادة؟!... .انظري إليَّ!!... لايمكن أن تموتي!!

نظرت مذعورةً إلى الجسد الساكن أمامها ، فهاهي والدتها التي التقتها للتو... قد رحلت أمام ناظريها في دقائق... ولم تخبرها سوى ببضع كلماتٍ مبهمةٍ عمّن يكون والدها ، وبقدر ماشعرت بالسعادة لعثورها على والدتها ، حزنت على فقدانها السريع...

مدّت أغلاي يدها وأغلقت عيني مارثا بلطف ، ثم تناولت طرف الملاءة... وقامت بتغطية وجهها الساكن...)

❀ ❀ ❀

كانت أغلاي طوال هاتين السنتين تحاول التوصل لمعرفة هوية والدها ، بعد أن بحثت عن رمز الشمعدان الرباعي ، وعلمت بأنه ينتمي لآل بونيفيل..

كانت تشك بأن يكون والدها هو الكونت إيبير ، أو الجنرال إدغارد ، أو كوتريه ، لكنها علمت مؤخراً... خلال عملها لدى العائلة النبيلة ، بأن إدغارد وكوتريه لم يعودا على قيد الحياة... فقررت المخاطرة بالتقاء الكونت إيبير...

وسط زحام المدعوين في ذلك الاحتفال ، سألت أغلاي عن إيبير بونيفيل ، وعندما دلوها عليه ، نظرت إليه وهو ينهي حديثه مع أحد وزراء الملك ، كان كبيراً في السن ، خفيف شعر الرأس ، وعريض المنكبين ، تشجعت واقتربت منه محاولةً التحدث إليه...

لكن شخصاً ما ظهر في طريقها ، فرفعت رأسها ، لترى شاباً وسيماً يمتلك ملامحَ رزينةً وحادة ، ذا شعرٍ أشقر وأجعد ، يصل إلى كتفيه...

انحنى الشاب بتهذيبٍ مقدّماً نفسه: إيمانويل بونيفيل!... هل أنالُ شرف رقصةٍ مع جميلةٍ مثلك؟

همست في نفسها بذهول: «بونيفيل؟!»

ونظرت إلى يده الممدودة بانتظار موافقتها ، فشعرت بالحرج ثم قامت بتلقائيةٍ بوضع يدها فوق يده ، وقام بدوره بجذبها ، لم تكن أغلاي تجيد الرقص ، ولكنها كانت تحاول تقليد ماتراه من رقصات الفتيات أمامها...

قال لها إيمانويل مجاملاً بينما يراقصها: خطواتكِ ليست بالسيئة!

ونظر إلى رقبتها الجميلة التي أثارت عطشه الدموي ، ثم قال: لم أركِ في البلاط من قبل!... هل قدمتِ من خارج لورديور؟

كان ذهن أغلاي شارداً إلى مكانٍ آخر ، فقد كانت تراقب الكونت إيبير بعينيها ، عندما كان منشغلاً بالتحدث مع الوزراء...

أعاد إيمانويل عليها السؤال: هل أنتِ من خارج لورديور؟

انتبهت أغلاي و ارتبكت: أ..أجل!... لقد قدمت من أثانسيا!

إيمانويل محاولاً استمالتها: أثانسيا ، بلدةٌ جبلية!... لقد أخبروني بأن الفتيات هناك هن الأكثر جمالاً!

لكن أغلاي لم تتفاعل مع إطرائه ، فقد انتبهت إلى وجود سيدات العائلة التي كانت تعمل لديهن ، وحاولت الاختفاء والهرب ، واعتذرت منه على عجلٍ: أنا آسفه ، يجب أن أذهب!

لكنه أمسك بيدها ، وقال وهو ينظر إليها بانجذاب: لم تخبريني بعد من تكونين؟

توقفت والتفتت اليه... فسألها مكرراً: من أي العائلات أنتِ؟!

نظرت إلى عينيه بترددٍ ورمشت عيناها ، لكنها انتبهت إلى أن الكونت إيبير قد اختفى من مكانه ، فركضت تاركةً إيمانويل خلفها ، لتحاول اللحاق بالكونت...

بينما في مكان آخر من القصر...

كان الوزراء يعقدون اجتماعاً خاصاً وسرّياً دون علم الملك...

أخذوا يتناقشون بحدّة عن موضوع تحديد ولي عهدٍ للمملكة:

- صحة الملك في تدهورٍ مستمر... وقد يموت في أي لحظة!

- ماذا يظن نفسه الملك أليكساندروس!... هل يعتقد بأن بانسيلينوس تخصّه وحده؟!... ألا يدرك بأنها مملكةٌ شامخةٌ يعيش الملايين من الناس في أراضيها!... يريد أن ينهي حكمه ويموت تاركاً الفوضى تعمّ المملكة، دون أن يتم تحديد وريثٍ للعرش؟!

- كلّما طلبنا منه عقد اجتماعٍ في مجلس الوزراء لمناقشة هذه القضيّة، يقوم بتأجيله!

- يجب أنّا ننتظر الملك أليكساندروس ليحدد لنا مصير أرضنا، سنقوم بأنفسنا بترشيح ولي عهدٍ جديد!

❁ ❁ ❁

بينما في إحدى أروقة القصر الهادئة...

بحثت أغلاي عن الكونت إيبير حتى وجدته يسير في ذلك الرواق... فتوقفت مكانها لبرهةٍ وترددت كثيراً، حتى تشجعت ونادته وشفتاها ترتعشان: كونت إيبير... بونيفيل!

توقف إيبير ثم التفت إليها، وقال بلطف: هل تريدين شيئاً، آنستي الصغيرة؟

تقدمت أغلاي بضع خطواتٍ... وكانت تشعر برهبةٍ شديدة... وسط تلك القناديل التي تضيء جوانب الرواق...

كان التوتر والتردد يجتاحانها، حتى تماسكت واستجمعت جرأتها وقالت: (مارثا)!... هل يعني لك هذا الاسم شيئاً؟

تغيّرت تعابير وجه إيبير قليلاً، لكنه تدارك نفسه وسأل بتحفّظ: مالذي تقصدينه، يا آنسة؟

أخرجت أغلاي القلادة من تحت ثيابها وهي تقول: أنت من منح مارثا هذه القلادة... أليس كذلك؟

اتسعت عينا إيبير ذهولاً وهو يحدّق بالقلادة!... ثم اقترب من أغلاي أكثر، وأخفض من نبرة صوته وهو يسأل متوتراً: من أين حصلتِ عليها؟... من تكونين؟!

صمتت أغلاي، وسادت لحظةٌ من السكون والتحديق بين عينيهما، حتى سأل وهو يتأمل ملامح وجهها مذعوراً: لايُعقل... هل أنتِ... ؟!

أومأت أغلاي برأسها وهي تنظر إليه بكل جديةٍ... ثم قالت: أجل، أنا هي تلك الطفلة التي

حملت بها مارتا!!

مرّت تلك الكلمات كالصاعقة على إيبير ، وبعد برهةٍ من الصمت الرهيب ، تراجع إلى الوراء قليلاً وهو ينظر إليها مصدوماً: أنتِ... ..أنتِ تشبهينه فعلاً!!

❁ ❁ ❁

في تلك الليلة...

خرج آرميل من السجن بعد أن تم إطلاق سراحه ، وبعد أن مكث في السجن سنتين ، على إثر تلك الحادثة التي أبعدته عن ياني...

واستقلّ إحدى العربات المتجهة نحو إيمبياسو ، ونظر إلى السماء والنجوم وتنهد بهجةٍ ، بعد أن استنشق الهواء النقي: السماء ، لم أرها منذ زمنٍ طويل!..كم هي ساحرة!

حتى وصل إلى إيمبياسو ، **مساء اليوم التالي..**

والتقى بالسيدة إيروسيني متلهفاً يسألُ عن ياني ، لكنه تفاجأ عندما أخبرته بأنها لم تره منذ ذلك اليوم ، الذي رحلا فيه مع أغلاي...

شحب وجه آرميل وأمسك بكتفيّ إيروسيني وأخذ يهزّهما بانهيار: لقد أرسلتُه لكِ لكي تعتني به!!... لمَ لم يأتي إليكِ؟!..إلى أين يكون قد ذهب؟!... مالذي حدث له؟!

قبضت إيروسيني على يديه بشدةٍ محاولةً تهدئته: إهدأ!... إهدأ!!

كانت إيروسيني قلقةً وتتألم بداخلها وهي ترى آرميل يبتعد عنها ليجلس على الأرض ويمسك برأسه مصدوماً ، وخائفاً على ياني...

أحضرت له قدح ماءٍ وجلست بجواره على الأرض قائلةً: إنه بخيرٍ في مكانٍ ما!... ستجده يا آرميل!... لاعليك!

حدّق بالأرض باكياً وشعور الذنب يكاد يقتله ، قال مرتعشاً: إنه لايعرف حتى أن يوفّر لنفسه طعاماً!... إنه لا يفقه شيئاً... وقد يستغله أحدهم!..قد يتعرض ياني للأذى دون أن يعي ذلك!... وقد يصيبه المرض!... من سيعتني به؟!..إنه خطأي!... لم يجدر بي جَرُّه معي إلى ألاعيبي ، أنا... لاأعرف... أنا...

احتضنته إيروسيني وقامت بتهدئة نشيجه: إنه بخير ، لم يكن خطئك... .. أنا متأكدة بأن ياني بخير!

آرميل باكياً: لقد قُتل أريس بسبب إهمالي!... قُتل لأني تركته خلفي!!... إذا حدث شيءٌ لياني أيضاً ، فإنني لن أسامح نفسي... .

ثم أجهش بالبكاء في أحضان إيروسيني ، التي قالت معاتبةً وهي تمسح رأسه: لاتقل مثل هذا الكلام يابُني!... جميع ماحدث ، ليس بذنب أحد!

❁ ❁ ❁

بينما في مكانٍ آخر...

(بانسيلينوس - مولنيا)

كان ياني يسير حافي القدمين وهو يبحث بعينيه ، حتى اشتم رائحة طعام تصدر من أحد المنازل...

فاقترب من النافذة وأطلّ ليرى خادمة المنزل تطهو الطعام ، وابتلع لعابه الذي بدأ يسيل ، هامساً: أكاد أموت جوعاً!

لكنه التفت عندما سمع صوتاً خلفه ، فرأى صاحب المنزل يقف حاملاً سيفه وهو يقول مهدداً: مالذي تفعله أمام منزلي أيها الشاب؟!

ذُعر ياني ولم ينطُق بشيءٍ ، واكتفى بتحديقه المريب بالرجل...

صرخ الرجل به: ابتعد هيا!

ركض ياني خائفاً ، وأخذ يسير في الطرقات بينما بدأت السماء تتلبد بالغيوم ، وأخذت قطرات المطر تتساقط شيئاً فشيئاً ، لتُبلل طُرقات المدينة ، وقدميّ ياني..

شعر بالبرد ، فجلس في إحدى زوايا الطريق مرتعشاً ، وعندما اشتدّ المطر احتضنَ نفسه ليتدفأ...

خرجت سيدةٌ من الدكان المجاور لتقوم بإدخال الصناديق عن المطر ، فانتبهت لوجوده وتوقفت لبرهةٍ ثم اقتربت منه وهي تنادي: مالذي تفعله هنا يافتى؟

حاولت النظر إلى ملامحه جيداً عبر قطرات المطر المنهمرة ، ثم سألت: هل أنت متشرد؟!

رفع ياني رأسه ونظر إليها بعينيه البريئتين ، وكأنه قطٌ جائع ، فأشفقت عليه... ودَعَته للدخول إلى دكانها...

وبعد قليل..قدمت له طعاماً وملاءةً ليتدفأ بها أمام الموقد ، وبينما هو يأكل... كانت السيدة وزوجها يراقبانه من بعيدٍ ويتحدثان بصوتٍ منخفض..

الرجل غاضباً: لمَ أحضرته إلى هنا؟

المرأة: كان يجلس مبلّلاً عند زاوية الطريق!

الرجل غاضباً: وهل نحن نؤوي المشردين؟!... لا يمكننا حتى توفير طعامنا الخاص!!

كالفينيا: ولكن كما تعلم ، يجب أن يحتموا من الشمس!... أمرتُ بتجهيز كمٍ كبير من القبعات الكبيرة!

نظر بالتازار لرجاله من بعيدٍ وهم يحتفلون خارج الكهف ويقومون بشرب الدماء بوحشية ، ثم قال: لكنهم لن يكونوا مفيدين لي ، كما هم المختارون الثلاثة!... فكل مايمكنهم فعله ، هو عضّ رقاب البشر بهمجية!

تنهدت كالفينيا وهي تراقبهم: هذا كل ما استطعتُ فعله ، سيدي بالتازار!... لقد أخبرتك مسبقاً ، بأن هذه هي أقصى قدراتي!

قال بالتازار وهو يعقد يديه خلف ظهره: لقد ضمنت قواي في عالم البشر!... لكنكِ بذلت جهداً كافياً لاستعادتها..وبعثها من جديد... في أجساد المختارين!

ثم التفت نحوها مفتخراً: أنتِ عظيمة!

❁ ❁ ❁

في صباح اليوم التالي...

(بانسيلينوس - لورديور)

القصر الملكي...

في جناح الأميرة أفروديت..

دخلت أديلايد ، كبيرة خدم الجناح ومربيتها الخاصة: لقد حضر الجندي ليون... كما طلبتِ سمو!

كانت الوصيفات يعملن على تسريح شعر أفروديت الذهبي الطويل ، فقالت أفروديت دون أن تلتفت: يمكنه الدخول!

دخلت زوي الجناح ، وكانت أعين الوصيفات تحدّق بها بإعجابٍ وخجل... ونظرت أفروديت إليها بزاوية عينها ، اقتحنت زوي محييّةً: سمو الأميرة!

أزاحت أفروديت نظرها عنها وقالت: سأضمكَ إلى فرقة الحرس الخاص بي!

انحنت زوي مرةً أخرى: سيكون شرفاً لي ، أنا طوع أمركِ ، سمو الأميرة!

ابتسمت أفروديت برضا ، ثم قالت: استعد الآن ، فنحن ذاهبون في رحلةٍ إلى منزل الصيد في غابة ميقالوس ، لتجديد طاقة والدي ، على أمل أن تتحسن صحته عندما يمارس هوايته ويكون محاطاً بالطبيعة!

❁ ❁ ❁

في منزل آل بونيفيل...

وقف جميع أفراد العائلة مذهولين أمام الكونت إيبير ، الذي قام بجمعهم ليعرّفهم بابنتهم غير الشرعية ، أغلاي...

إيبير قائلاً بوجهٍ متجهّم: إنها ابنة كوتريه!

لم يكن أحدٌ ليصدق الأمر ، لولا أن أظهر لهم إيبير القلادة التي كانت تحملها أغلاي..

ذهلت شقيقته مارغريت والتقطتها لتتفحصها: إنها قلادته!!

كان الجميع يحدّق بأغلاي ، بينما انهارت زوجته الكونتيسة ميرابيل وجلست على الأريكة ممسكةً برأسها من هول الصدمة ، واقتربت منها ابنتها فيوليت لتهدئتها...

بينما نظر إيمانويل إلى أغلاي مذهولاً: أنتِ من حفلة الليلة الماضية؟!

نظرت إليه أغلاي ورمشت عيناها بتوتر ، ولكنها تفاجأت عندما اقتربت منها مارغريت لتشم رائحتها ، ثم قالت وهي تنظر إلى عينيّ إيبير بنبرةٍ حادةٍ: لايمكننا أن ننخدع بهذا... إنها ليست واحدةً منا!!

فقال ابنه الأكبر غيلبرت غاضباً منه: لاتعبث معنا!... هل هي... ..؟!

كان إيبير يشعر بالعار وبالمسؤولية التي سيتحملها منذ الآن تجاه أغلاي وتجاه تقبُّل العائلة لها. نظر إليها ثم أومأ برأسه بعينين خائبتين مجيباً بذلك على سؤال غيلبرت..

فتطلق شقيقه أرماند سريعاً ليفسر تلك الإجابة بصورةٍ أكثر صراحة ، موجّهاً كلماته للجميع: أجل ، إنها بشرية!!

صمت الجميع مدهوشين وأخذوا يتبادلون النظرات المتحفّظة فيما بينهم ، ثم يتنقّلون بنظراتهم بين أرماند وأغلاي... لكون تلك العبارة قد كشفت شيئاً عن حقيقتهم أمامها...

حتى قال أرماند بجدية: إذا كانت تنتمي للعائلة فعلاً ، فإنها ستعرف هذا الأمر عاجلاً أم آجلاً!!

كانت أغلاي تحاول السيطرة على توترها ، محاولةً فهم مايجري... وعن ماذا يتحدثون ، وتمنت لو أن الأرض تبتلعها... لأن النظرات المحدّقة بها... لم تكن مرحبةً أبداً كما كانت تتوقع ، كانت تشعر باللسعات الحارقة التي تأكلها من تلك الأعين ، وتقرأ الافكار العدوانية خلف تلك الوجوه الشاحبة...

وكان بيلموت ، ذي الشعر الأحمر ، هو الوحيد الذي يقف بعيداً ، وكان يستمع لحوارهم دون أن يبدي أي اكتراثٍ بالموضوع...

(بانسيلينوس - إيمبياسو)

قامت إيروسيني بتجهيز الطعام واللباس لآرميل..وحزمت أمتعته استعداداً لرحيله . ثم بحثت عنه فوجدته يقف على أطلال قبر أريس ، فضلت أن تمنحه وقتاً بمفرده..

وقف آرميل بعد أن وضع أزهاراً على القبر ، وحدّق في اسم أريس المنحوت على الصخرة وقال: سامحني لأنني فقدت يأني!... لا شك بأنك غاضبٌ يا أريس!... سأبحث عنه ، وأعدك بأنني سأجده!

ثم قال بحرقة: وسأجد أرام أيضاً ، لأنتقم لك!... ولأعرف جميع الإجابات..لقد كانت أثانسيا هي آخر وجهةٍ أعرفها له!

ودّع ذلك القبر قبل أن يغادر: ارقد بسلامٍ يا أريس!... أنا ذاهبٌ إلى أثانسيا!

❀❀❀

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل...

وقفت أغلاي على الشرفة ونسمات الهواء الخفيفة تداعب شعرها ، وكانت تفكر بعينين ذابلتين ، ويدين ترتعشان:

«كان اسم والدي كوتريه!... أغلاي كوتريه... بونيفيل!... هل هكذا يفترض أن يكون اسمي؟... هل في منزلٍ كهذا كان يفترض أن أعيش؟... ومع هؤلاء الأشخاص الغامضين!»

تنهدت ثم رفعت عينيها ونظرت إلى فيوليت التي اقتربت لتقف على الشرفة قريباً منها ، وترمقها بنظراتٍ متحفظة ، وابتسامةٍ خجولة ، فبادلتها أغلاي تلك الابتسامة... وكانت تُخفي خلفها الكثير من الألم...

التفتت إلى زجاج الشرفة ورأت كبار العائلة بالداخل ، يتناقشون بحدةٍ... كانت تعلم بأن النقاش يدور حولها ، فحدثت نفسها بتردد: «الغرابة والغموض يحيطان بهذه العائلة... مالذي يتحدثون عنه بالضبط؟... لا أشعر بالارتياح... ولا أشعر بأنه مرحبٌ بي هنا!... ياترى ، هل كان قدومي إلى هنا صائباً؟»

ثم نظرت إلى السماء وفكّرت: «ولكن ، على الرغم من ذلك ، لقد كان هذا ما أطمح إليه!... وماكنت أبحث عنه وأسعى إليه طوال تلك السنين!... أن أنتمي لطبقة النبلاء!... أن أعيش حياة الرفاهية والترف والجمال!... وأن أنتمي لأسرةٍ أحمل اسمها!..صحيحٌ أنني لن أتنعم بالعيش بين والديّ!... إلا أنه يمكنني أن أشعر بدفء العائلة الذي لم أحظَ به من قبل!»

بينما بداخل المنزل ، كان يدور نقاشٌ محتدمٌ بين كبار العائلة ، كانت مارغريت أكثر الأشخاص

نظرت ميرايل إلى زوجها مشدوهةً: إذن ، كنت تعلم بوجود طفلٍ لكوتريه!!... وكنت تتوقع قدوم هذا اليوم!!

طالما أبهر براعته ، بعد أن أحيط بنظرات اللوم ، وتوجه شقيقه الأصغر أرماند إلى الشرفة ليتحدث إلى غلاي ، فرفع الجميع رؤوسهم والتزموا الصمت ، ليراقبوا خطواته باهتمام...

تقدم أرماند بضع خطواتٍ ونظر إلى أغلاي بكل جدية: إذا كنتِ ترتبطين بصلة دمٍ مع هذه العائلة ، فقد انضممتِ الآن!... ولا مجال للتراجع!

نظرت أغلاي إلى عينيه بتحفظٍ ، وأدركت بأن خطراً ما يحدّق بها خلف تلك الكلمات ، وانتبهت إلى أن جميع أفراد العائلة قد اقتربوا ليقفوا خلف أرماند ، محملقين بها بأعينٍ جادة...

فشعرت برهبةٍ وحاجةٍ إلى حماية نفسها ، وتراجعت خطوةً للوراء...

لكنها تذكّرت حلمها بدخول العالم الأرستقراطي ، والوصول إلى البلاط الملكي ، وعيش حياة النبلاء المترفين ، والتمتع بالطعام واللباس الجميل...

فاستجمعت قوتها وإصرارها ، وقالت بثقة: لن أتراجع!.. فأنا منذ الآن فردٌ من هذه العائلة!

عندها ساد صمتٌ رهيبٌ واستمرت الأعين تحملق بها ، فتطلق أرماند بصوته الأجش: نحن لسنا من البشر!

ابتلعت أغلاي ريقها وتغيرت تعابير وجهها محاولةً فهم مقصده ، فأردف: إننا عائلة مصاصي دماء!!

اتسعت عيناها ، وشحب وجهها ، وارتعشت شفتاها ، وأخذت تقلب نظرها بين تلك الوجوه التي بدأت تتمايل أمامها عندما شعرت بالدوار... واستقرّت عيناها أخيراً على إيمانويل ، الذي استمر يحدّق بها ببرودٍ ، كجبلٍ جليديٍ ساكن...

❁❁❁

في اليوم التالي...

(بانسيلينوس - غابة ميقالوس)

فُقد جواد الأميرة أفروديت أثناء رحلتها للصيد مع والدها..

كانت غاضبةً ومتوترةً ، تتردد مجيئاً وذهاباً وهي تقول: أين يمكن أن يكون قد اختفى أتشاز!!... من المسؤول عن إهمال مراقبته؟!

كانت الحاشية من خدمٍ وحراس قلقين وخائفين من غضب أفروديت ، فالجميع يعلم بأن جوادها أتشاز هو الأقرب إلى قلبها ، وحاولت خادمتها أديلايد تهدئتها: سنجده سموك!..لايمكن أن

يكون قد ابتعد كثيراً... سيذهب الحراس للبحث عنه!

أخفت أفروديت نفساً عميقاً، لتُهدئ من غضبها... وأمرتهم بالبحث عنه، فافترق الحراس إلى مجموعات وانتشروا حول المكان...

❁ ❁ ❁

بينما في مكانٍ آخر من الغابة...

كان الأمير الرومبياني أرجوس قد استقر مع جماعةٍ من مؤيديه في عمق الأدغال، والذين لحقوا به من رومبيانيا وانضموا إليه خلال السنتين الماضيتين، وقاموا ببناء مقرٍ سريٍ لهم وبدؤوا بالتدريبات والإعداد لقيام الثورة الكبرى، لاستعادة عرش أرجوس...

أنهى أرجوس إشرافه على التدريبات برفقة نوي والجنرال أبوليون، ثم ركب جواده: سآخذ جولةً بالجوار..

همّ نوي باللحاق به، لكنه توقف عندما أردف أرجوس: بمفردي!

ابتسم نوي: حسناً، كما تشاء سمو الأمير!... أرجو أن تحرص على العودة قبل حلول المساء!

انطلق الجواد حاملاً الأمير الرومبياني على ظهره، واختفى بين الأشجار، إلى أن توقف أرجوس أمام بحيرةٍ ونزل عن جواده، فاقترب الجواد ليشرب من الماء...

وبعد لحظاتٍ، سمع أصواتاً قادمةً فأمسك بسيفه، ثم اختبأ خلف أحدى الشجيرات ليراقب، وتراجع للخلف عندما رأى حراس الأميرة أفروديت يسيرون وقد اقتربوا من البحيرة ولمحوا جواده الأبيض وأمسكوا به ثم اصطحبوه معهم...

نهض أرجوس غاضباً وممسكاً بسيفه وهو يراهم يقتادون حصانه، لكنه علم بأنه لن يستطيع مواجهتهم بمفرده، ومن الخطر أن يكشف هويته لهم، فآثر الاختباء إلى أن يبتعدوا... ليحافظ على سرية وجوده في بانسلينوس، وليحمي جماعته ومقرّه السري...

❁ ❁ ❁

وقبيل الغروب،

في ناحيةٍ أخرى من الغابة..

فرحت أفروديت عندما لاح لها الحراس وهم قادمون بجوادها بدون سرجه الفاخر، لكنهم عندما اقتربوا أكثر، تغيرت تعابير وجهها وقالت غاضبةً: إنه ليس أتشازا!... كيف تُخطئوه بهذه البساطة؟!... ألا يمكنكم التمييز!!

تجهمت وجوه الجميع، واعتذر الحراس وقالوا بأنهم سيعيدون البحث عنه، فقالت مربيتها أديلايد بلطف: سمو الأميرة، سيحل الظلام قريباً!... وسيكون من الخطر البقاء في الغابة!...

قد نزل الصيد ، وهدأ سيكمل الحراس البحث عن أثارنا.. فهلا الله بنظرنا هنالك

ذهبت أفروديت ، ثم اتجهت نحو عربتها ، لكن زوي قفزت عليها فجأة وهي تصرخ أحذري!!

من سهم خاطف واستقر على جذع الشجرة قريباً من أفروديت... الذي سقطت على الأرض

وقفها زوي ، لم تهتز وقامت بمساعدتها على النهوض..

كانت أفروديت مذعورة ، وقد أحاط بها الخدم والحراس منتظرين تفسيراً لما حدث ، فقالت

زوي: إنه أحد أفخاخ الصيادين!... لقد كان ذلك وشيكاً!

تفت أفروديت ثيابها وحملقت بزوي مذهولة من سرعتها الخارقة ، ثم سألت: كيف اكتشفت

ذلك باليونا؟

زوي: لقد عشتُ في جبال أثانسيا فترةً من الزمن ، وقد اعتدت على وجود مثل هذه الأفخاخ!

حدقت بها أفروديت بانبهار واعجاب ثم قالت: أشكركِ على إنقاذ حياتي... أيها الجندي ليون!

لحظت زوي بتواضع: إن عملي هو حمايتك!

❀❀❀

عندما حل المساء..

(بانسيليفيس - العاصمة لوريون)

في منزل آل بونيفيل...

كان إيبير يقف أمام نافذة حجرته ويشرب كأساً من الدماء ، بينما جلست زوجته ميرابيل على الأريكة...

إيبير: عندما لحقت بي أغلاي في ذلك الرواق ، وأظهرت لي قلادة كوتريه ، أدركتُ بأنها ليست مصاصة دماء... من رائحة دمائها البشرية الداهئة!

ثم أحنى رأسه بأسف ونظر إلى الدم الأحمر بداخل كأسه وقال: كنا نظن أنا وكوتريه ، بأنه قد أنجب مصاص دماء من صلبه!... لقد كان كوتريه يعيش بقية حياته قلقاً على مصير ابنه!... فإن ينشأ مصاص دماء وحيداً بين البشر... قد يكون خطراً على حياته ، وحياة البشر من حوله!

تنهدت ميرابيل: كنتما تأملان بأن تلك القلادة ستحميه!

ابتسم إيبير بسخرية: لكن ابنته كانت بشرية في نهاية الأمر!... عندما اكتشفتُ هذا بالأمس ، شعرت بالارتياح وبالخيبة في نفس الوقت!

ميرابيل بقلق: أن ينضمَّ إلى عائلتنا فردٌ من البشر ، سيكون أمراً صعباً على كلا الطرفين!... قد تتأذى أغلاي بسبب هذا ، فنحن بالكاد نستطيع مقاومة دماء البشر من حولنا ، فإن يعيش

أحدهم معنا في نفس المنزل ، إضافةً إلى الخدم ، فسيكون ذلك غير مطمئن ، أخشى أن يتهور أحد ابنائنا حول هذا الأمر!

التفت إيبير نحوها وقال بجدية: لقد أدّى الجميع القسَم أمام الشمعدان الرباعي!... لن يشرب أبناؤنا دماءً بشرية!... ولن ينتهك أحدهم قسَمنا!... أنا أثق بهم!

نظرت إليه ميرابيل للحظةٍ محاولةً الإيمان بكلماته تلك ، فقال لها: سأضع ابنة اخي بين يديك ، ميرابيل!... أرجو أن تعتني بها وتحتويها تماماً كابنتنا فيوليت ، وكما فعلتِ مع إيمانويل وبيلموت!

غضبت ميرابيل ونهضت وهي تقول: كيف سأتعامل مع بشريةٍ كابنةٍ لي؟!... ألا يكفيك انني اعتنيت بأبناء أخيك إدغار!..لستُ مربيةً لأبناء العائلة ، كونت إيبير!

اقترب منها إيبير ووضع يده على كتفها وحاول تهدئة غضبها ، قائلاً بهدوء: لقد اعتبرتِ إيمانويل وبيلموت كابنينا... واعتنيتِ بهما منذ صغرهما وحتى كبرا الآن ، وهما لن ينسيا لك هذا الفضل!... إنهما يريانكِ كوالدتهما (هيلين)...

ثم قال: وأنا أراكِ زوجتي الرائعة الجميلة والحنونة ، التي ستمنح حبها وحنانها لكل طفلٍ وحيد!

تأثرت ميرابيل بعد أن أثار عاطفتها فتنهدت ، ثم وافقت: حسناً!

❁❁❁

(بانسيلينوس - غابة ميقالوس)

عاد أرجوس إلى المعسكر سيراً على قدميه ، بعد أن خيّم الظلام وبدأ رجاله بالقلق عليه...

كان أرجوس يلهث ، وركض نوي إليه قلقاً: سمو الأمير!!... هل أنت بخير؟!... مالذي حدث؟!... .أين حصانك؟!

قدم له أبوليون الماء ، فشرب ونظر إلى الرجال المتجمهرين حوله... وأخبرهم بما حدث له...

قال أحدهم مستغرباً: مالذي يفعله حراس الملك هنا في الغابة؟!

وقال آخر: لماذا سرقوا الجواد؟!

لكن أحدهم أشار نحو الأشجار: انظر!.. ذاك هو جوادك سمو الأمير!!

عندها التفت الجميع ناحيته متعجبين ، وكذلك دهش أرجوس ، فتوجه الرجال نحو الجواد الأبيض وجلبوه لأرجوس ، لكن أحدهم قال: سمو الأمير ، إنه مشابهٌ تماماً لجوادك ، لكنه ليس هو!... إنه مزينٌ بسرجٍ فاخر!

نظر إليه أرجوس عن قربٍ ثم ابتسم: لاشك بأن حراس الملك كانوا يبحثون عن هذا الجواد الأبيض!... وأخطؤوه بجوادي!

❁❁❁

(الشمعدان الرباعي)

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل...

فيوليت وهي ترتب حاجيات أغلاي بلهفة: ستشاركيني هذه الحجرة!

كانت أغلاي تجلس على السرير ، في حالة صدمة وذهول... وتفكر: «مصاصو دماء؟!... إنني أحاول استيعاب الأمر فقط ، هل أنا ابنةٌ لكائن غيرِ بشري؟!.. هل كان والدي... »

ثم نظرت إلى يديها ورفعتهما قليلاً وهي تحدث نفسها: «لقد بدأتُ أخاف من نفسي!»

ثم أخذت تحدّق في فيوليت وهي تقوم بالترتيب بسعادة... وفكّرت: «هذه الصغيرة اللطيفة ، هل هي تشرب الدماء فعلاً؟!... لايمكنني تخيلها كـ... وحش؟!.. كيف يعيش هؤلاء الأشخاص؟!»

التفتت نحوها فيوليت وقطعت أفكارها قائلةً بصوتها اللطيف الذي يحمل بحةً خفيفة: أنا سعيدةٌ أن تشاركني فتاةٌ حجرتي ، لطالما رغبت بأن تكون لي شقيقةٌ أتشارك معها كل شيء!

ابتسمت أغلاي ببطءٍ ، وفكّرت وهي تحدّق بعيني فيوليت: «إنني لا أشعر بالخوف منهم!... فهم يبدون كالبشر تماماً... »

ابتسمت لها فيوليت حتى ظهرت أسنانها ، وذهلت أغلاي وهي تشاهد تلك الابتسامة: «عدا أنهم يمتلكون أنياباً أطول!»

انتبهت فيوليت إلى تحديق أغلاي في أنيابها ، فقالت: إنها تزداد طولاً عندما نشعر بالعطش ، أو عندما نهمُّ بشرب الدماء!... وأحياناً ، عندما نغضب!

لاحظت فيوليت نظرات أغلاي المتوجسة ، فتداركت كلامها واقتربت خطوةً منها: ولكن لاعليك... لايجب أن تخافي!... إننا لانشرب سوى دماء الحيوانات فقط!... لقد قطع أسلافنا عهداً مع البشر منذ قرونٍ بعيدة!... لذا فإننا قد أقسمنا عندما أتينا إلى هنا ، بألّا نؤذي البشر!

شعرت أغلاي بقليلٍ من الارتياح ، ثم أخذت تجُول بناظريها في أنحاء الحجرة الكبيرة ، وتتأمل حاجيات فيوليت وسريرها الوثير ، وهي تحدث نفسها بانبهارٍ مصحوبٍ بتسخُّط: «هذه الحجرة جميلة!... هكذا تنام الفتيات النبيلات!... وأنا كنتُ أنام على القش وفي الأماكن القذرة منذ صغري!... هل يجب عليّ أن أكره والديّ لتخليهما عني؟»

❁❁❁

مع فجر اليوم التالي..

كان الموكب الملكي يتأهب للعودة إلى لورديور ، وبينما كان يتم تجهيز عربة الأميرة أفروديت ، قامت باستعداء زوي إلى حجرتها..

أخذ آرميل يفكر ثم قال: إلى أين رأيتهم يتجهون؟

أجاب الرجل: لقد كانوا متجهين شمالاً!

لمعت عينا آرميل باهتمام وقال: الشمال إذن!

❁ ❁ ❁

كان الوقت...

في منزل آل بونيفيل...

خرجت أغلاي من حجرة فيوليت عندما بلغ منها العطش ، كان المنزل كبيراً ومظلماً... ودُهاناً كثيرةً وواسعة ، وعادت نحو الحجرة حاملةً كأس الماء وهي ترتعد خوفاً ، لكنَّ شخصاً ما اعترض طريقها ، فارتعشت يدها وتساقطت بضع قطراتٍ من كأسها على الأرض...

فرفعت رأسها وذهلت بذلك الشاب الوسيم الأشقر الذي يحدّق بها في الظلمة...

قال إيمانويل بصوته البارد: لقد خدعتِني!

صمتت أغلاي وابتعدت للوراء قليلاً حتى ترى ملامحه بشكلٍ أوضح ، محاولةً استيعاب جملته..

لكنه دنا نحوها قائلاً: في ذلك الاحتفال... لقد تظاهرتِ بأنكِ نبيلةٌ من أثانسيا!

حافظت أغلاي على صمتها إلى أن قال محاولاً استفزازها: لقد كنتِ تعلمين بأنني من آل بونيفيل ، هل كنتِ تحاولين الوصول إلى هدفكِ بالانضمام للعائلة ، عن طريق إغوائي؟

فتطلقت بانفعال: كلا ، الأمر ليس كذلك!... لم أكن أعرف بأنك من آل بونيفيل حينها!

إيمانويل: حسناً... ربما لو عرفتِ لحظتها بأنني مصاص دماء... فلربما تراجعتِ عن فكرتك تلك!... وفضّلتِ البقاء بعيداً عن آل بونيفيل!

ثم اقترب من وجهها وابتسم ممازحاً لإخافتها: لكنكِ علقتِ الآن مع هذه العائلة!... وليس بإمكانك التراجع!... لأن ذلك يعني الموت!

شعرت أغلاي بخوفٍ يسري في عروقها... وتراجعت نحو الخلف... وابتلعت ريقها وهي تنظر إلى عينيه الزرقاوين اللتان بدتا وكأنهما تشعان تدريجياً...

لكن ذلك الوهيج قد خفَتَ ، عندما أتى صوتٌ من خلف إيمانويل يسأل: ماذا تفعل الفتاة البشرية في منتصف الليل؟!

ابتعد إيمانويل عنها ببطءٍ وقال مبتسماً ولم يلتفت نحو مصدر الصوت: يبدو أنها كانت تشعر بالظمأ ، ولكن مالذي أيقضك في مثل هذا الوقت ، غيلبرت؟

اقترب غيلبرت من ورائه ونظر إلى أغلاي: هل لي أن أسألك نفس السؤال إيمانويل؟... هل

تحاول العبث مع هذه البشرية!

رمقه إيمانويل ، ثم قال وهو يعود لحجرته: لاشأن لك!

التفت غيلبرت نحو أغلاي ، وقال لها بازدراء: لن تمكثي هنا طويلاً!!... فأنتِ لستِ واحدةً منا ،

ولا يمكنك أن تكوني كذلك!

نظرت أغلاي بنيران بداخلها ، وهي ترى تلك النظرة المستحقرة الموجهة نحوها من غيلبرت...

❀❀❀

في صباح اليوم التالي...

في أروقة القصر الملكي...

كان الكونت إيبير يتحدث مع الملك بينما يسير إلى جواره: أتمنى أن تكون قضيت وقتاً ممتعاً

خلال الرحلة ، جلالتك!

ثم قال بعد برهة: جلالتك!... لقد مضى وقتٌ ولم تحدد بعدُ ولي عهدٍ للمملكة!

كان أليكساندروس يسير أمام إيبير رافعاً رأسه بكل كبرياء: هل أنت طامعٌ في عرشي أيضاً ،

كونت إيبير؟

ابتسم إيبير محرجاً: الأمر ليس كذلك جلالتك!... إنني أخشى على مستقبل المملكة فقط...

توقف أليكساندروس وقال متهكماً: أصولك لاتنتمي لبانسيلينوس...

تغيّر وجه إيبير وشعر بالإهانة ، فأردف أليكساندروس: لذا فيجب أن تنسى أسرة بونيفيل

طموحها بالعرش..

قال إيبير مدافعاً عن كرامته: بالرغم من أن أصول آل بونيفيل نبيلةٌ وملكية كما تعلم جلالتك ،

إلّا أننا لانطمع في عرش غيرنا!... ولكن الجميع يتساءل عن الوريث القادم!

أكمل أليكساندروس سيره متجاهلاً إياه: فلتتساءلوا حتى أموت!... أنا وحدي فقط من يعلم!!

❀❀❀

بينما في جناح الأميرة أفروديت...

قدم أحد الحراس إلى الجناح قائلاً: هناك شخصٌ أمام بوابة القصر يطلب رؤيتك ويدّعي بأنه

نبيلٌ من رومبيانيا!

استغربت أفروديت: رومبيانيا؟

الحارس: معه جوادٌ أبيض ، يعتقد الجميع بأنه أتشازا!

عندها نهضت أفروديت و قالت بلهفة: دعني أراه!

❀❀❀

[illegible] أوجوس [illegible] الخاطئ الواسعة من حد إلى [illegible] الكبير، وبرفقه [illegible]
[illegible] وبدلاً من الصلح والسعادة لعائلة الأميرة أفروديت، التي قدمت من الأخذ القليل، وهي
[illegible] ويعدها وأنها أوجوس بدل لحمايتها... ثم انحنى لها، وكذلك على
والرجل الآخر...

نكن أفروديت التفت إلى وجوه تشاور خلف أوجوس، فركضت إليه فرحةً أشارة

وقالت ما تصنعه بشدة، بينما كان الجميع يتأمل الموقف بصمت...

ثم التفت نحو أوجوس وقالت: كيف يمكنني أن أشكرك أيها اللورد؟

ابتسم أوجوس ثم قال بلباقة: إن جوائي لديكم... لقد أعطيتموه بهذا الجواد... أريد استعادة

صمتت أفروديت قليلاً وتذكرت الجواد الذي يقصده أوجوس... فأمرت حراسها أن يجلبوه من

ثم قالت لكبير الخدم المجوز بارنياس: قدّم لهذا اللورد الرومبياني ما يستحقه من الهدايا

انحنى كبير الخدم بارنياس وهو يقول: إنه لكرمٌ منكِ، سمو الأميرة... ولكن لا يمكنني قبول أي هدايا...

ابتسمت أفروديت ممازحةً بكبرياء: أترفض هديةً من أميرة غازيس؟!... كما تشاء أيها اللورد... لكنك لم تخبرني باسمك بعد!

تبادل نوي والرجل الذي معه نظراتٍ متوترة، ثم نظرا إلى أميرهما الذي قال بثقة: إنني لست سوى خادمٍ نبيلٍ من رومبيانيا... وأدعى... سيمون!

ابتسمت أفروديت بلطف: لورد سيمون!

ثم قالت: إنني أدعوك إلى حفلة هذه الليلة، أتمنى أن تكون حاضراً برفقة صاحبيك لتحظوا بوقتٍ ممتع...

قال أوجوس: سيكون شرفاً لي قبول دعوتك!

التفت إليه نوي بسرعة، ورمقه بنظرةٍ متفاجئةٍ وقلقة... من قبوله لتلك الدعوة...

(تسيليتوس - العاصمة لوردير)

في منزل آل بونيفيل...

كانت أغلاي تجلس على مائدة الطعام ولم تستطع تناول شيء ، حيث كانت تراقب أفراد العائلة وتشعر بالاستكبار ، فقد كانوا يأكلون لحوماً وأطعمةً طبيعيةً كالتي يأكلها البشر ، لكنها شعرت بالذعر والغرابة وهي ترى كؤوس الدماء تُتجرع أمام ناظريها ، في كؤوس فاخرة كالتي يُشرب فيها النبيذ ، وكأن الأمر يبدو طبيعياً لهؤلاء الأشخاص وخدمهم...

شعرت حينها بالاختناق ، وعندما همّت بالاتجاه نحو الشرفة لاستنشاق بعض الهواء ، واستعادة توازنها ، استوقفتها كلمات أرماند ، بصوته الذي يهزّ السامع: يجب أن تبقى حقيقة هذه العائلة سراً!!

التفتت أغلاي نحوه ، وذعرت من حدّة نظراته إليها وهو يقول: (من يُفشي سرّ العائلة... فمصيره هو القتل!)... تلك كانت إحدى قوانين والدنا إيفرانور!

التفت الجميع نحو أغلاي... فتخبّطت نظراتها ارتباكاً ، حتى ارتكزت عيناها على أرماند مرةً أخرى... وقالت بثباتٍ وجدية: لقد فهمت!

ثم خرجت نحو الشرفة وتنفست الصعداء ، فلحق بها الابن الأصغر للعائلة ، أندريون ، ووقف إلى جانبها: كيف كان العشاء؟

ابتسمت أغلاي متظاهرةً: لقد كان لذيذاً!

أندريون: كاذبة!

تفاجأت أغلاي ، فقال: لم تأكلي شيئاً!... لقد كنت أراقبك!

شعرت بالحرج ، حتى قال أندريون بلطف: لاعليكِ... إنها مسألة وقتٍ فقط ، وستعتادين على العيش معنا كمصاصي دماء!

ثم قال: إنها بداياتي في تذوق الدماء!

التفتت نحوه مستغربةً ، فابتسم: إن غريزة التعطّش للدماء ، لا تبدأ بالنمو إلا مع بلوغنا سن الثامنة عشر!

نظرت إليه أغلاي باهتمامٍ فأردف: لقد اجتزتُ تلك المرحلة السنة الماضية!... وبالرغم من صعوبتها ، إلا أنني كنت سعيداً بها!... فقد أصبحتُ ضمن البالغين ، واكتمل نموي!

ثم قال: قد تكونين محظوظةً بأنكِ لم تولدي مصاصة دماء كوالدكِ!

استغربت أغلاي ، فقال: عندما يتزاوج مصاص دماء وبشري ، فهناك احتمالية أن يُنجبا إما بشرياً... أو مصاص دماءٍ!

كانت تلك الكلمات ذات وقعٍ قويٍ على أغلاي ، التي استمرت تحدّق بأندريون بذهول...

ثم همست مشدوهةً: كان يُحتمل أن أكون... مصاصة دماء؟!

فقال أندريون وهو يُظهر قلادته: هذه القلادة تحمينا من الشمس ، لأنها عدوتنا!... فهي حارقةٌ وقاتلةٌ لمصاصي الدماء!

أصغت أغلاي باهتمام ، ثم نظرت إلى قلادتها وأمسكت بها بقوةٍ...

نظر أندريون إلى عينيها: يحق لك أن تكرهي والدكِ لتخليه عنك!... لكنكِ يجب أن تحبيه لأنه تخلى عن قلادته وضحّى بحياته من أجل أن يحميك!

ثم قال بنبرة أسف: لقد مات محترقاً بأشعة الشمس...

تمعّنت أغلاي في كلمات أندريون تلك ، وشعرت بالحزن لأجل والدها ، ثم تساءلت: أتمنى لو أعرف ، لمَ تخلى عني وعن مارثا؟!

أطلَّ أندريون من الشرفة نحو الحديقة ، ثم قال: لقد أقسمنا جميعنا ، على ألّا نتزوج من البشر!.. هذا الأمر محظورٌ على مصاصي الدماء منذ الأزل!

ثم قال: أعتقد بأن العم كوتريه لم يتمكن من الزواج بوالدتكِ لهذا السبب!... لذا فقد تركها ترحل!

كانت مشاعر أغلاي تخنقها ، فأمسك أندريون بكتفيها بجدية: لايجب أن تكرهي والدكِ يا أغلاي ، لتخلّيه عنك!

نظرت إلى عينيه اللطيفتين... وشعرت بالفراغ الغريب بداخل قلبها ، وهي تفكر بكلماته تلك...

❁❁❁

في المساء..

كان أرجوس يجلس في أطراف العاصمة برفقة نوي والرجل الآخر ، أمام النار...

نوي معاتباً: كيف قبلتَ دعوة الأميرة أفروديت ، ياسمو الأمير؟... تعلم بأن ذهابك للقصر مرةً أخرى قد يكون خطراً على انكشاف هويتك!

استمر نوي بعتابه: أنت تدرك بأن رجال بيلزبيل منتشرون في بانسيلينوس!!

كان أرجوس يحدّق في النار وهو يتذكر وجه الأميرة أفروديت الجميل... ويقول بهدوء: فعلاً... لقد تسرعت بإجابتي للدعوة!

رفع نوي حاجبه واقترب بوجهه من أميره متسائلاً: ألن تذهب إذن؟!

أجابه أرجوس ببرود: كلا...

عندها ابتسم نوي ، وظهر الارتياح على وجهه...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

اتجه بالتازار مع جيشه نحو معسكر أرجوس ، والتقى به وجهاً لوجه... حيث كان أرجوس يقف حاملاً نسخةً من الصورة في يده ، وقد استلمها لتوّه من أحد جواسيسه ، وكان وجهه عابساً وشاحباً...

بالتازار وهو يضع يديه حول وسطه باستملاء: بالتأكيد قد وصلتك الأنباء ، جنود الملك يبحثون عنك!... لم تخبرني منذ البداية بأنك أميرٌ أيها الفتى!

أرجوس غاضباً ومتحفظاً: مالذي تريده بالضبط؟!

بالتازار: إنني أمنحك فرصةً أخيرةً للتحالف معي!... وإلّا فإنني على وعدي بأنني سأجعلك تندم وتخسر الكثير!!

ثم قال ساخراً ومهدداً: من سيرفض مكافأةً من الملك ، لمجرد أن يجلب الأمير أرجوس إليه؟

غضب أرجوس وقال بكبرياء: لن أذعن لمطلبك!... ولستُ خائفاً منك أو من أليكساندروس!

فقال بالتازار وهو يبتسم بخبث: إذن فستقوم بتسليمك له!

وقام الفيركولاس بسحب سيوفهم استعداداً للهجوم ، وقد ارتسمت عليهم ابتسامةً كابتسامة زعيمهم الخبيثة ، وكان يتقدّمهم أرام...

فتقدّم أبوليون منُحَيّاً أرجوس ليجعله يتراجع للوراء ، ثم أشار بعينيه لنوي لكي يحمي الأمير ويهربا إلى المكان البديل الذي قد اتفقا عليه مسبقاً ، ورفع الرومبيانيين سيوفهم لحماية أميرهم..

وقعت معركةٌ عنيفةٌ بين المجموعتين ، وكان الصراع دامياً ووحشياً ، فقد قُتل الكثير من الرومبيانيين ، وذُهل البقية من سرعة رجال الفيركولاس ووحشيتهم ، فأمرهم أبوليون بالانسحاب والفرار من هذه المعركة الخاسرة ، ولحسن الحظ لم يتمكن الفيركولاس من اللحاق بهم إلى حدٍ بعيد ، فعادوا إلى الجثث ليشربوا دماءها بكل همجية ، وكان أرام يراقبهم بصمت واقفاً إلى يمين بالتازار ، الذي أثنى على انتصاره..

وتمكّن أرجوس من الهرب مع نوي وقليلٍ من رجاله ، إلى المنطقة البديلة ، جبال أثانسيا..

في تلك الليلة..

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القسم العسكري..

كان ألباين يفكر كثيراً حول مقتل والده ، وتوجه إلى أحد القادة القدماء في الجيش ، وكان يثق به كثيراً ، فسأله عن ذلك اليوم ، وأجابه القائد: الجميع يعلم بأن الجنرال إدغارد بونيفيل قد هدد والدك الجنرال مونبيتيت قبيل المعركة...

ألباين باهتمام: هل لك أن تخبرني ماذا قال له بالتحديد؟!

أجابه القائد: لايعلم أحدٌ حقيقة مادار بينهما في خيمة المعسكر ليلة المعركة ، ولكن بعض الجنود سمعوا إدغارد يهدده بالقتل إذا فتح فمه!... أعني بأن الاثنان كانا يخفيان شيئاً مشتركاً!

أخذت كلمات القائد الأخيرة تتقلب في ذهن ألباين ، وعاد إلى الكلمات وهو يفكر: «إذا فتح فمه!... مالسر الذي كان يريد والدي إفشاءه ، ولمن؟!»

ثم حدّث نفسه حاقداً: «وكما ظننت ، فالقاتل كان إدغارد بونيفيل!»

توقف ألباين عندما رأى سرير ألارد خالياً... وتساءل: «إلى أين ذهب السيرجنت ألارد؟»

وسأل الجنود عنه... فأخبروه بأن الأميرة أفروديت قد طلبته ، استغرب ألباين من ذلك الأمر ، ثم استلقى على سريره وأخرج ورقةً وحبراً... وكتب لأخته دليا ، ليُطمئنها عن نفسه ويَطمَئن عليها وعلى أحوال المزرعة ، وأخبرها بأن مهامَّه قد ازدادت منذ أن أصبح رقيباً ، ثم كتب عن آل بونيفيل وعمّا سمعه عن إدغارد بونيفيل... ووعدها بأنه سيبحث في الأمر أكثر..

❀❀❀

في منزل آل بونيفيل..

كانت أغلاي تسير في أحد أروقة المنزل الكبير وهي تشعر بالوحشة ، وكما توقعت ، بأن عبورها بين الممرات في هذا الوقت من الليل ، لن يمر بسلام ، فقد اعترض بيلموت طريقها...

كان بيلموت ذو شعرٍ أحمر كلون الدم ، يتلاءم مع جموحه وطيشه ، وكانت عيناه الضيقتان الناعستان ، تعبّران عن مدى تبلّد مشاعره..

توقفت ونظرت إلى تلك العينين ، بينما كان يحدّق في جسدها ويقول بابتسامةٍ باردة: بالرغم من من أنني لا أنجذب للفتيات... ولكن أن تتواجد أنثى ذات رائحة دماءٍ قويةٍ في منزلنا..

تراجعت أغلاي للوراء خوفاً ، حتى اصطدم ظهرها بالحائط ، فاقترب بيلموت محاصراً إياها ، وأخذ يشتم رقبتها... متحدثاً عن رائحة دمائها: نفاذةً... ودافئة!

أشعّت عيناه بلون الثلج ، فأدركت أغلاي بأنها وقعت في مأزقٍ قد يودي بحياتها ، وحاولت الهرب... لكنه قام بتثبيت يدها نحو الحائط... ورفع يده الأخرى ليلمس رقبتها: هذه الدماء ستكون عشائي..

ولكن يداً قويةً قد قبضت على معصمه بشدّة... ودفعته بعيداً..

إيمانويل بحدّة: بيلموت!!... أبعد يدك عنها!

التفت بيلموت نحو أخيه وابتسم بخبث: أنت ترغب في تذوق الدماء البشرية أيضاً ، أليس كذلك يا إيمانويل؟

استمر شقيقه الأكبر يحدّق به ناهراً: ابتعد!!

ابتعد بيلموت عن أغلاي وتلاشى إشعاع عينيه تدريجياً ، لكنّ أنيابه مازالت ظاهرةً عندما قال: جميعنا نتساءل عمّا يكون مذاقها وتأثيرها!... لقد أخبرَني أرماند بأن الدماء البشرية تجعلنا أقوى بعدة أضعاف!!

وغمز بعينه اليسرى وكانت تلك الابتسامة لاتزال ظاهرةً على شفتيه النحيلتين ، فأجابه إيمانويل وهو يرفع رأسه بإيماءةٍ مستهترة: اصمت... وتوقف عن مثل هذا التفكير!

بيلموت منزعجاً: مالذي يفكّر به إيبير؟... يجلب بشريةً إلى منزلنا ، ويتوقع منا أن نمتنع عن تذوق دماءها!

كانت أغلاي تتنقّل بناظريها بينهما ، وتبتلع ريقها بتوتر... فقال إيمانويل بجدية: يجب أن تحترم الكونت إيبير ، وقرارات كبار العائلة يا بيلموت!!

رفع بيلموت رأسه بتعالٍ ، وأمال شفتيه بتهكّم ، ثم سار متجاوزاً شقيقه ، الذي التفت نحو أغلاي وسألها: هل أنتِ بخير؟

قامت أغلاي بتعديل شعرها وثيابها ، ثم أومأت برأسها بتوتر..

أحدهم: مالأمر؟!..هل أنتِ بخير؟!..سمو الأميرة!!

أطلّت أفروديت عبر النافذة وقالت مشيرةً بإصبعها: لقد هاجمني أحدهم وهرب من النافذة!!..

الحقوا به بسرعة!!

فهرع الجنود نحو الأسفل للحاق به ، لكنه تمكّن من الفرار قبل أن يدركوه..

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

كانت أغلاي تستعد للنوم ، وتتبادل الحديث مع فيوليت: العمّة مارغريت وابنتها باربرا ، لاشك بأنهما قد عانيتا كثيراً بعد وفاة والد باربرا!... إنني أتساءل ، ماذا كانت الحادثة بالضبط؟

لم تتفاعل معها فيوليت وبدا بأنها قد سرحت إلى عالمٍ آخر: لا أعلم تماماً..

فوضعت أغلاي رأسها على الوسادة ، وهمّت بإغماض عينيها... ولكنها انتبهت إلى أن فيوليت كانت تحدّق بها بعينيها المُشعّتين ، فذُعرت!

وقبل أن تتمكن من النهوض من سريرها... كانت فيوليت قد جثمت فوقها وحاولت الهجوم عليها ، فأطلقت أغلاي صرخةً عاليةً ، حتى اقتحم إيمانويل الحجرة وأنقذها في اللحظة الوشيكة...

إيمانويل موبخاً: فيوليت!!.. مالذي تفعلينه؟!

عادت الملامح البريئة إلى وجه فيوليت ، بعد أن تلاشى وهيج عينيها ، ونظرت إلى أغلاي بقلقٍ وتأنيب ضمير ، ثم اعتذرت منها: هل أنتِ بخير؟... أغلاي أنا آسفة ، جداً آسفة!

إيمانويل: بما أن فيوليت لم تسيطر على عطشها وقواها بعد ، فإنه لمن الخطر عليكِ النوم معها في نفس الحجرة!

تبادلت أغلاي وفيوليت النظرات الحائرة ، وقرر إيمانويل أن يمنح أغلاي حجرته وينام هو في البهو بالأسفل ، على إحدى الأريكات ، رفضت أغلاي الأمر بالبداية لشعورها بالحرج... ولكنها مالبثت أن وافقت بعد إصرار منهما..

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

مرَّ غيلبرت عبر بهو المنزل مرتديلً بزّته العسكرية البيضاء ، مغادراً إلى عمله في القصر الملكي، ورأى إيمانويل ينام على الأريكة ، فاقترب منه ساخراً: لمَ يستلقي ابن الجنرال إدغارد على أريكة؟!

نهض إيمانويل وجلس مزيحاً شعره الطويل الأشقر عن وجهه: تلك الفتاة كانت معرّضةً

بتأمل ملامحه الجميلة الهادئة ، بينما يرسمها..

حاولت التحدث إليه ، لكنه ظلّ صامتاً ولم ينطق بشيء ، وذلك حسبما طلب منه ماركوس.. قد منعه من التحدث إلى الزبائن ، حتى لايتضح لهم بأنه غير عاقل...

❁ ❁ ❁

بينما في مكانٍ آخر من البلدة...

استغلّت داناي عدم تواجد دليا و إيوانا في المزرعة ، وغادرت لتلتقي برايموند في إحدى الأزقة المتواضعة في البلدة... وكانت تحمل سلّةً من الذرة والخبز...

قدّمتها إلى رايموند الذي ابتعد عن أفراد عصابته ليجلس معها في مكانٍ أكثر هدوءاً..

رايموند معاتباً: لقد تأخرتِ في جلب الطعام هذه المرة!

اعتذرت داناي: آسفة... لم أستطع القدوم الأيام الماضية ، بسبب تضييق إيوانا علي!

جلس رايموند إلى جانبها والتقط كوز ذرةٍ وبدأ بتناولها بنهم: حسناً علي الاعتراف ، إن مذاق ذرة مزرعة مونبيتيت أفضل من مذاق الأطعمة التي نسرقها!

كانت داناي تتحدث عن أخبار المزرعة والمحاصيل وهي تعبث بسوارها القشي وتتأمله...

رايموند وهو يراقبها بانزعاج: لم تتخلصي من هذا السوار بعد؟

انتبهت داناي ، فقال وهو يشمر بالشفقة عليها: يجب أن تتوقفي عن التفكير بأرام ، فلم نسمع عنه منذ هروبنا من الإسطبل أنا وأريس!... لاشك بأن أولئك الرجال قد قتلوه... يالكِ من مثيرةٍ للشفقة يا داناي!

غضبت داناي: لاعلاقة لك... أنت بالذات ، لاتحدثني عن أرام!!

تنهد رايموند: ألا زلتِ تلومينني على تركه ورائي؟

نظرت داناي بصمتٍ إلى الكرة الزجاجية الحمراء التي تتدلى من السوار...

فقال رايموند وهو ينهض حاملاً سلّة الطعام إلى أصحابه: يجب أن تتوقفي عن مثل هذا التفكير غير المجدي!... فتلك الحادثة انتهت منذ زمنٍ بعيد!

استوقفته داناي وهي تقول بنبرة لومٍ هادئة: لم يكن عليك تركه في تلك الليلة ، كنت تعلم بأن أرام ضعيفٌ ورقيق القلب!

تماسك رايموند محاولاً السيطرة على انفعاله ، وفضّل الصمت ولم يلتفت ، لكن داناي انفعلت: كنا مجموعةً متماسكةً قبل ذلك اليوم المشؤوم ، وبدأنا بالتشتت بعدها!... أصبح الكل يفكر بحياته الخاصة ، والعيش بمفرده!... ولم يسأل أحدٌ عن أرام!!

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

كان إيمانويل يزور ضريح العائلة في فناء المنزل ، وكان يحدّق في الجرّة التي تحوي رماد والديه... ويتذكر تلك الليلة التي بكى فيها كثيراً... وهو يستمع إلى أصوات الكبار وهم يتهامسون عن موت والديه الغامض في بوليشولي ، إحتراقاً تحت الشمس...

لاحظت أغلاي زياراته المتكررة للضريح ، وكانت تراقبه في ذلك الوقت بفضول ، وانتبهت إلى أن ميرابيل قد اقتربت منه ، ووقفت إلى جواره ، ووضعت زهرةً بيضاء ، ثم قالت بعد برهة: لاشك بأنك تفتقدهما كثيراً..

أجاب إيمانويل بحسرة: بينما لم يفعل بيلموت ، أبداً!

ابتسمت ميرابيل: لقد كان بيلموت صغيراً عندما رحلا ، لذلك فهو لايحمل تعلّقاً شديداً بهما!

ثم قالت بلطف: أنت تعرف طباعه الجافة جيداً ، فلا تلُمْهُ على ذلك!

عادت بها الذكريات ، والابتسامة لم تفارق شفتيها: حاولتُ الاعتناء بكما جيداً في ذلك الوقت، لكنكما كنتما مستمرّين في التنازع!

لازال إيمانويل ينظر إلى جرّة الرماد ، وقال حانقاً على كبار العائلة: لم يحاول أحدكم التحقيق في الأمر بعمق ، كيف ماتا؟!

استمرّت أغلاي باستراق السمع إلى حوارهما ، وشعرت بألمه... وبما يجول في داخله...

أومأت ميرابيل برأسها بخيبة: بعد وفاة كوتريه وزوج مارغريت ، تحت أشعة الشمس ، لم يعد الأمر غريباً أو مريباً إلى حدٍ كبير ، فتلك الحوادث تحصل!... لم نجد دليلاً يا إيمانويل!

ثم وضعت يدها على كتفه مشجعةً: ربما يجدر بك أنت أن تبحث عنه!

فكّر بعمق: «لقد تم حرقَهما بالشمس بعد أن انتُزعت قلادتيهما!... إنه شخصٌ يعلم بأنهما كانا مصاصَيّ دماء ، ويعلم عن سر القلادة... »

أصدرت أغلاي صوتاً دون إرادتها ، فالتفت الاثنان وتفاجآ من وجودها بالخارج ، وكانت تقف محرجةً ، لكن إيمانويل حاول كسر خجلها: هل قدمتِ لزيارة والدك؟

أومأت برأسها بعد تردد: أجل...

دعَتها ميرابيل للدخول ، مشيرةً إلى إحدى الجرار الفاخرة: هذا هو رماد كوتريه...

وقفت أغلاي برهبةٍ أمام رماد والدها ، وانحبست المشاعر المتضاربة في صدرها بغصّةٍ منعتها من النطق..

ميرابيل: لقد كان والدكِ طموحاً ، ما إن يضع أهدافه نصب عينيه ، حتى يعمل بجدٍ ليصل

إليها ، ولكنه لم يكن يقنع بأي منصبٍ يبلغه ، حتى يطمح إلى منصبٍ أعلى منه!

قال إيمانويل ممازحاً: قد ترثُ أغلاي صفات والدها..

وبالنسبة لأغلاي ، لم تكن تلك مزحة ، فقد كانت تؤمن بأنها حقيقة ، وتفاجأت بأن والدها كان يفكر مثلها ، حدّقت بالجرّة ، وشمرت بأن هناك ترابطاً... بينها وبين تلك الروح ، التي خلّفت برحيلها... ذلك الرماد..

كان غيلبرت قد عاد لتوه إلى المنزل ، وأطلّ من نافذة حجرته ليرى والدته تخرج من الضريح مع إيمانويل وأغلاي ، فقال حانقاً: إنها تستمر بتدليله لمجرد أنه قد فقد والديه!... وتلك العاميّة أيضاً!

كان غيلبرت منذ صغره ، يغار من اهتمام والدته بأبناء عمه إدغارد ، ولم يكن يُودّهما ، فضلاً عن كونه لايُرحب بوجود أغلاي..

قام بتبديل ثيابه العسكرية ، ثم فتح أحد أدراجه وتناول شريطة شعرٍ حريريةً بيضاء ، وأخذ يشمُها وهو يغمض عينيه بحنين ، بالرغم من كونه يعلم بأنها قد فقدت رائحتها ، مع مرور كل تلك السنين ، إلا أنه مستمرٌ في هذه العادة...

❁❁❁

في تلك الليلة..

(روميبانيا - العاصمة كليوزهيست)

في سجن المدينة ، كان أغنيس مُجهداً ومنهاراً من آلام جروحه وحروقه ، التي تلقّاها إثر التعذيب والاستجواب من قِبل جنود تريتون ، وبينما كان يلتقط أنفاسه ، انزاح الجنود عن الطريق وسمحوا لتريتون بالتقدُّم نحوه...

تريتون: ألم تعترف بعدُ أيها الحداد؟!

لم يُجب أغنيس ، فتناول تريتون قطعة حديدٍ مشتعلة ، واقترب من أغنيس: سنعذّبك بنفس طريقتك في صنع الأسلحة!... أظن بأنها ستكون تجربةً ممتعةً بالنسبة إليك!

لم وضع الحديدة الملتهبة على جلد أغنيس سائلاً: أين يختبئ أرجوس؟!!

تألم أغنيس وصرخ صرخةً مُدَوِيَّةً ، إثر احتراق جلده ، ثم نطق مُرغَماً لينهي معاناته: لا أعرف أين مكانه!!..فالصياد يُسلّم الأسلحة لأحد أتباع الأمير ، الذي يتردد على ميناء بوليشولي كل فترة!!

عندها نهض تريتون ، ثم أمر جنوده: أمسكوا بالصياد إذن!

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

عادت زوي إلى القصر ، وكانت الحراسة قد شُدّدت على أفروديت بعد تلك الحادثة..

لكنها سمحت بدخول حارسها الخاص ليون إلى الجناح ، وأمرَت باستقباله على انفراد..

أخبرتها زوي عن نتائج التحقيق... وتأثرت أفروديت مما سمعته عن مخططات بيلزبيل وفكّرت بغضبٍ شديد: استيطان؟!... وشمار رومبيانيا على أسلحتنا!!... مالذي يخطط له الوغد؟!

زوي: وأيضاً ، يؤسفني أن أخبركِ بأننا قد خسرنا أحد رجالنا في الرحلة ، إثر هجوم أحد الذئاب!

صمتت أفروديت قليلاً ثم التفتت نحوها وقالت بامتنان: ليون!... أشكرك على كل ماقمت بفعله.. أنت جنديٌ مخلص!

ثم فكّرت بيأس: ولكن ، قد يكون فات الأوان!... فقد خسرت ثقة والدي..

كانت زوي تنظر إلى الخيبة في عينيّ أميرتها ، فقالت لها: من أجل بانسيلينوس!... افعلي مابوسعكِ... وحاولي التحدث مع جلالته ، فقد تكسبين ثقته مجدداً!

اقتربت أفروديت منها وأمسكت بذراعيها ، وقالت: أرجو أن تبقى إلى جواري يا ليون ، لم يجبر بي إرسالك في ذلك الوقت ، لقد تعرضتُ لهجومٍ من أحد رجال بيلزبيل!... ولم يكن هناك من يحميني!!

أجابت زوي: أجل ، لقد سمعتُ عن ذلك الهجوم لتوي!... وإنه ليؤسفني ماحدث لسموكِ سأكون إلى جوارك دائماً لأحميك!

عندها ابتسمت أفروديت ، وحدّقت في عينيها باطمئنان...

❀❀❀

(بانسيلينوس - مولنيا)

في دكان ماركوس..

اقتربت إحدى الزبونات من ياني بينما كان ماركوس وزوجته منشغِلَين مع زبائن آخرين ، وقد لاحظت تأخر ياني العقلي ، فحاولت استغلاله وطلبت أن يُلبسها المزيد من المجوهرات: أريد تجريب هذه أيضاً!

وبعد أن ساعدها ياني على ارتداء الحليّ ، طلبت منه أن يجلب إحدى القلادات من الرف

البعيد... فأومأ ياني برأسه بسرورٍ وذهب ليجلب لها ماتريد... لكنه عندما عاد ، لم يجدها!!

وتوقف مشدوهاً لبرهةٍ ، حتى انتبه له ماركوس واقترب منه سائلاً: مالأمر ياني؟

ظلّ ياني صامتاً ، فلاحظ ماركوس الربكة في عينيه ، ثم التفت نحو الحليّ الجديدة ، ولم يجدها في مكانها!

ماركوس منفعلاً: أين هي؟... أين المجوهرات الجديدة؟!

حدّق به ياني بخوفٍ ولم يجب ، فاقتربت الزوجة إثر سماعها صراخ ماركوس عندما قال: هل سرقها ياني؟!!

حرّك ياني رأسه بالنفي مذعوراً... لكنّ ماركوس لم يُصدّقه ، وقام بتفتيش ثيابه ولم يجد شيئاً ، فانتفض الزوجان يبحثان في جميع زوايا المتجر ، بينما ظلّ ياني مُتسمّراً في مكانه ، وأشار نحو الخارج وعيناه تدمعان: لقد أخذَته تلك المرأة!... كانت ترتدي ثياباً سوداء!

اقترب منه ماركوس بانفعال: كاذب!!

لكن الزوجة حاولت تهدئته: قد يكون محقاً!... اذهب للحاق بها!

ركض ماركوس في الانحاء ولكنه عاد بعد مدةٍ خائباً: لم أجد تلك المرأة التي تتحدث عنها ، ياني!!... أعد المجوهرات الآن!!

بكى ياني وهو يردد: لستُ الفاعل!... لستُ الفاعل!

قالت الزوجة: أنا أُصدّقك يا ياني ، ولكنّ المرأة قد هربت!... ونحن قد أمرناك بألاّ تتحدث مع الزبائن ولاتبيع لهم ، لماذا خالفتَ أوامرنا؟!.. أنت مسؤولٌ الآن عن خطئك ، ويجب أن تعوّضنا عن تلك المجوهرات المسروقة!

أمسك ماركوس بمِعصم ياني بقوةٍ ، لكن ياني دفعه وهرب نحو الخارج ، فلحق به ماركوس وهو يصيح: لقد وثقنا ببراءته!!... لكنه هرب ، ذلك اللعين!!

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في الثكنات العسكرية...

كانت زوي تسير مع ألباين وتسأله عن ألارد: هل قلتَ مهمةً تخص الأميرة أفروديت؟!

أجاب ألباين: هذا ماسمعتُه!

استغربت زوي ، وتساءلت عمّا يكون الأمر الذي قد أرسلته أفروديت إليه..

في تلك اللحظة ، قطع ألباين تفكيرها: لقد كان ألارد ينتظر عودتك يا ليون!

ابتسمت زوي بخجل ، فقال الباين: يتضح بأنكما كنتما مقربين فيما مضى!

أومأت برأسها ثم قالت: أعتقد بأنك أنت والارد أصبحتما مقربين أيضاً ، من خلال عملكما في الجيش..

الباين: هذا صحيح ، لقد ساعدني الارد كثيراً في بداية التحاقي!... انضممتُ للجيش لأعيد مجد أجدادي ، الذين قادوا جيوش بانسيلينوس على مرّ الزمان!

ثم أظهر لها خاتم الفضّة الذي في إصبعه ، حيث كان يحمل شعار الفاسين... وقال متباهياً: هذا هو شعار عائلتنا!

تمعّنت زوي في الخاتم ، وتذكّرت قطعة القماش الزرقاء التي رأتها لدى أليكسيو... وكانت تحمل نفس الشعار ، مما أثار فضولها وتعجُّبها عمّا يربط أليكسيو بعائلة مونبيتيت... لكنها فضّلت الصمت... حتى يتضح الأمر..

❁❁❁

في ذلك المساء..

(بانسيلينوس - مولنيا)

رغبت دليا في زيارة متجر ماركوس مجدداً ، وذلك لإعجابها بالشاب الوسيم ياني ، ولكنها تفاجأت في طريقها... بوجود ياني الذي كان يجلس القرفصاء على حافة الطريق..

فاقتربت منه: المعذرة..

رفع ياني رأسه لينظر إليها ، ولاحظت عينيه الدامعتين ، فتساءلت بقلق: هل أنت بخير؟

تذكّرها ياني ، فابتسم لها ولم يُجب ، فسألته: لمَ تجلس هنا؟!

بكى ياني وهو يقول: لقد طردني ماركوس!... قلتُ له بأنني لم أسرق المجوهرات الجديدة ، ولكنه لم يصدقني عندما أخبرتُه بأن تلك المرأة هي التي سرقتها!

استغربت دليا من بكائه لسببٍ كهذا ، ولم يسبق لها أن رأت شاباً في مثل عمره يبكي بهذا الشكل!

أمسك ياني ببطنه الذي كان يصدر أصواتاً: أنا جائع...

أشفقت عليه وشعرت بأن هناك أمراً غريباً حوله ، فسألته: مالفائدة من جلوسك هكذا؟... فلتنهض ولتبحث عن عملٍ آخر!

مسح عينيه قائلاً: لا أستطيع ، أنا خائف...

تفاجأت دليا عندما رأت تصرفاته الطفولية ، وكلماته غير الناضجة... فأدركت بأن هناك خطباً ما في عقله... وسمعت أصوات جوعه المتكررة ، فأشفقت عليه بشدّة ، واتجهت إلى دكان

ماركوس... وأخذت تتحدث معه ، بينما كان ياني يراقبهما من بعيدٍ بعينيه البريئتين...
وأثناء حوارهما ، كان ماركوس لايزال غاضباً: لقد هرب مني هذا الصباح!... هاهو ذا... يجب
أن أقوم بتسليمه إلى الحرس!
عندها مدّت دليا بصُرّةٍ من المال وهي تقول متداركةً: كلا ، خذ هذا المال مقابل المجوهرات
المفقودة... واعتبر بأنني قد اشتريتها منك!

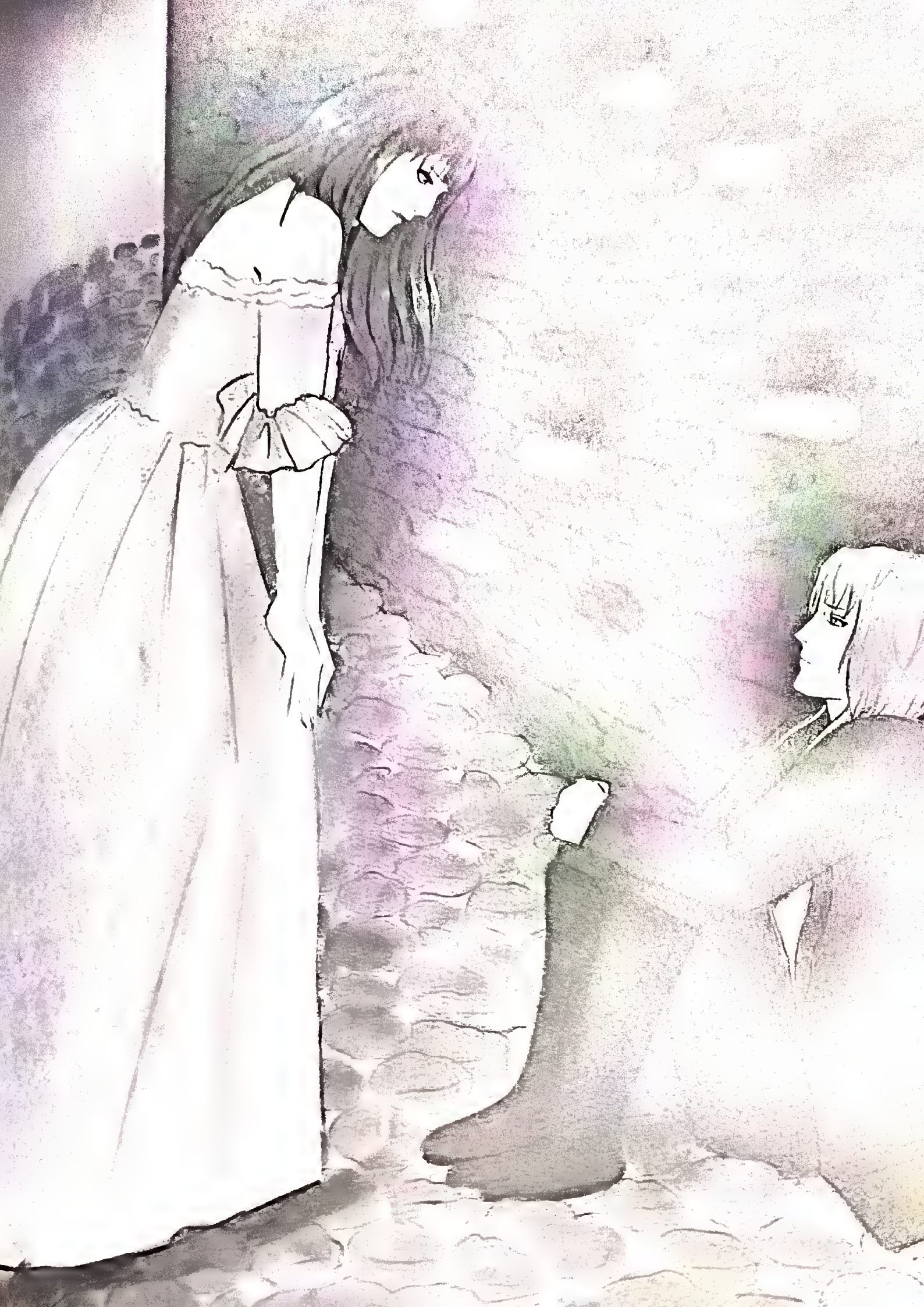

(بلتسيلينوس - أثانسيا)

... لجماعة أرجوس ، وسط جبال أثانسيا..

... الجولسيس أمام الأمير ، وكان يحمل الرسالة التي وصلته من والد نوي ، الحداد

... قرأ الرجل الرسالة على مسامع الجميع:

... الأمير أرجوس هيروديون رونثو ،

... أن أُنبئك عن الأوضاع السيئة في روميبانيا ، والتي بدأت منذ أن أعلن الملك ميلزييل بأن

... خائن للمملكة ، ويجب أن تعلم عن الذي يفعله ميلزييل بشعبك المناصر لحكمك ، إن

... يقومون بحرق المنازل وقتل الأطفال وإبادة العائلات وإعدام كل من يُعلن أو يُخفي ولاءه

... وقتله الرلحل هيروديون ، أتمنى أن تصلك هذه الرسالة بأسرع وقتٍ سموك ، فالأوضاع

تزداد سوءاً.

(خادمك المخلص: أغنيس.)

... سمعت رهيبٌ بين رجال المجموعة ، واستمرّت النظرات تُبادل بينهم بقلقٍ وتوتر ، حتى

... إلى أرجوس ، وقد بدا وجهه متجهّماً وغاضباً ، وكان يتألم بداخله ، فنهض وهو يقول: لن

... عنك عن هذا!!

... الجلوس ناقلاً الخبر الأكثر بؤساً: لقد علمتُ لاحقاً بأنه قد تم القبض على أغنيس

... الصياد الذي كان ينقل الأسلحة إلينا ، بعد أن سلّمني هذه الرسالة!

... نهض قلب نوي ونطق بانفعال: والدي!!

ثم التفت بتوترٍ إلى أرجوس ، والدم يغلي في عروقه..

❀❀❀

(بلتسيلينوس - مولنيا)

جلبت دليا ياني إلى منزلها وقامت بإطعامه وتجهيز حمامٍ دافئٍ له ، وكان التعجب والذهول مرتسماً على وجوه الخدم..

فتحت له ثياباً جديدةٍ والتقت عيناها بعينيه لوهلة ، وكانت تفكر: «يالجماله!»

لكن إيوانا قطعت تلك اللحظة الحالمة ، عندما دخلت الحجرة ونظرت إليهما ، وهمست في إذن سيدتها معاتبةً: آنستي... عندما تستضيفين شاباً في المنزل بهذه الطريقة ، مالذي سيقوله عنك الآخرون؟!

أخذت دليا تجفف شعره الأشقر بيديها وهي تقول: فليقولوا مايشاؤون!... إن هذا الشاب ضعيفٌ

يا إيوانا ، ولقد أرسلني القدر إليها

شعرت إيوانا بالقلق على سمعة سيدتها ، وكذلك بالعطف على ياني من ناحية أخرى..

بينما في حقول المزرعة ، سمعت داناي عن وجود شاب في منزل مونبيتيت ، وأن السيدة دليا قد قامت باستضافته ، ولكنها لم تلقِ بالاً للأمر..

❁ ❁ ❁

في الصباح..

استدعتها إيوانا: اذهبي بالإفطار إلى الآنسة دليا ، والسيد ياني!

داني باستغراب: ياني!!

حملت داناي الإفطار واتجهت نحو ردهة المنزل ، حيث تفاجأت فور رؤيتها لياني..!

فتوقفت في مكانها متمتمةً في ملامحه ، وهمست: يا إلهي!... أنت ياني فعلاً!

التفتت إليها دليا متعجبةً: داناي ، مالأمر؟

حدّق ياني بها محاولاً التعرّف على تقاسيم وجهها ، ثم صاح بلهفةٍ: داناي!!

وركض باتجاهها وقام بمعانقتها ، فأوشكت الأطباق على السقوط من بين يديها ، ولكنّ إيوانا قدِمت في الوقت المناسب ، وأسرعت بالتقاطها..

تساءلت دليا: هل تعرفان بعضكما؟

أخبرتها داناي عن معرفتها به منذ الطفولة ، ثم سألت عن سبب تواجده في المزرعة ، فحكت لها دليا عما حدث...

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

نهض أرجوس وركب على ظهر جواده ، رغم محاولات رجاله لمنعه ، وكان يقول منفعلاً: يجب أن أوقف بيلزبيل!!... يجب عليَّ إنقاذ شعبي من تلك المجزرة!!... لن أمكث هنا وأشاهد!!

ركب أبوليون على جواده هو الآخر ، وقال بنبرةٍ صارمة: سمو الأمير!... أرجو أن تهدأ!!

ثم قال موبخاً: لايمكنك مواجهة بيلزبيل بمفردك ، ولا حتى بجميع رجالنا!!... تعلم أن أعداد جيوش رومبيانيا كبيرةٌ مقارنةً بعددنا الذي لايذكر!!

تدخّل نوي مضيفاً: ولاتنسَ جنود أليكساندروس كذلك!

ثم أمسك بلجام جواد أرجوس ليوقفه: سمو الأمير!... أرجوك لا تتهور!

نظر أرجوس إلى عينيهما ، ثم إلى وجوه رجاله ، وصاح فيهم: أنا ذاهبٌ لحماية شعبي!!... إذا

أرغم حماية عائلاتكم فلتلحقوا بي ، أو فلتبقوا هنا إذا شئتم!!

صرخ به أبوليون وقد تملّكه الغضب: توقف عن طيشك هذا!!... لاتخاطر بحياتك وتهدم جميع مابنيناه!!

تحرك بعض الرجال مع أرجوس وركبوا خيولهم ، فاعترض أبوليون طريق الأمير بجواده وقال بنبرةٍ جادة: إنّ واجبي حمايتك سمو الأمير!... لذلك فإنني لن أسمح لك بالذهاب!!

عندها التفت أرجوس لينظر إلى عينيّ رفيقه نوي ، وقال بنبرةٍ ملكيّةٍ آمرة: إنني آمرك يا نوي ، بأن تُبعد الجنرال أبوليون عن طريقي!!..لا تدعه يلحق بي!

ذهل الجميع من أوامره ، وتعجّب نوي ، ولكنه أدرك بأن نظرات أرجوس كانت حازمةً وجادةً هذه المرة ، فاضطر أن يطيع أوامره ويمتطي حصانه ، ويتقدّم نحو أبوليون وخلفه مجموعةٌ من الفرسان ، وقد استعدوا لمواجهته ، فنظر أبوليون إلى نوي بحنقٍ ، ثم أخرج سيفه لصدّهم...

وما لبث أرجوس أن انطلق وخلفه بعضٌ من أتباعه ، بينما استمر نوي يحمي ظهره من أبوليون ، ويراقب ابتعاد أميرهِ بحسرةٍ وخوفٍ عليه... فمنذ سنين طويلة ، لم يحدث أن افترقا هكذا... ولم يحدث أن تخلى عن حمايته ، لكنّ عناده هذه المرة ، كان كبيراً...

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

ذهبت داناي إلى وكر الغربان ، لزيارة رايموند ، وكانت تجلب معها المفاجأة الكبيرة... التي ذهل رايموند حينما رآها...

رايموند مشدوهاً: ياني!!

أخبرته داناي بالحكاية ، فجذبه رايموند وأجلسه بجواره ، وسأله بتعجُّب: أين آرميل؟... هل تخلى عنك ذلك الوغد؟!

دمعت عينا ياني: أخي آرميل ، أخذه الجنود بعيداً!... أنا... أنا أشتاق إليه كثيراً!

تجهّم وجه داناي ، وأمسك رايموند بكتف ياني وسأل بجدية: أي جنود؟!... ولماذا؟!

مسح ياني دمعته: لاأعلم... لقد كنا في الحانة عندما أمسكوا بنا ، لأننا احتلنا على ذلك الثري!... وأخبرني آرميل بأن أهرب!... ولم أعثر عليه بعدها!

نظر رايموند وداناي إلى بعضهما لوهلة ، حتى قال رايموند منتقداً: آرميل المخادع ، لم يترك طباعه!... وها قد قادته إلى المتاعب!

بكى ياني وقال بصوته المبحوح: هناك شيءٌ يجب أن أخبركما به...

ثم أردف: لقد مات أريس!!.. أرام هو... من قتله!!

تفاجأ الاثنان ، ونهض رايموند مصموقاً: ماذا تقول؟!

وضعت داناي يدها على قلبها: لايمكن!!

اتسعت عيناهما فزعاً ، واستمرا للحظاتٍ على إثر تلك الصدمة ، تراجعت داناي للخلف مذعورة وغير مصدّقة ، وهمست بشفتيها الجافتين: كلا!... مستحيل!... لن يقدم أرام على فعلٍ كهذا.. رايموند وهو يهزّ كتفي ياني: أمتأكدٌ مما تقوله ياني؟!... هل رأيتَ ذلك بعينيك؟!

ياني وهو يبكي بانفعال: إنها الحقيقة!!... لقد رأتهما أغلاي!!

ذهل رايموند وهمس بعد أن خفق قلبه: أغلاي؟!

ولكن سرعان ماتجهّم وجهه ، وقال غاضباً: كيف يفعل أرام ذلك... ولماذا؟!

ثم انتبه إلى دموع داناي التي كانت تنهمر بصمتٍ وهي تمسك بالسوار القشي بقوة ، وعيناها تحدّقان في الأرض بصدمة ، وحاول رايموند صبَّ حقده الذي تولّد تجاه أرام ، على تلك المسكينة: أجل!... فلتبتهجي الآن!... فالشخص الذي تعشقينه ، لايزال على قيد الحياة!... ويبدو أنه قد تغير ، كثيراً!

استمر ياني يردد باكياً بحالةٍ هستيرية ، الكلمات التي لقّنه إياها آرميل: أرام قتل أريس!... أرام شخصٌ شرير!... أرام قتل أريس!... أرام شخصٌ شرير!

أشفق رايموند عليه ، فقام بضمّه إليه وحاول تهدئته: هيّا!... إنك رجل!... لايصحّ أن تبكي هكذا!!

❁❁❁

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس - أثانسيا)

تعرّف بعض الرُعاة في أطراف البلدة على ملامح أرجوس أثناء مُضيّه مع بعض رجاله نحو رومبيانيا ، فتهافت الجميع لإبلاغ الجنود حتى ينالوا مكافأة الملك أليكساندروس..

وحاول أرجوس التخفّي مع مجموعته الصغيرة... ثم أكملوا مسيرهم حتى اقتربوا ناحية بوليشولي ، لكنهم تفاجؤوا عندما ظهر لهم جيش أليكساندروس من فوق إحدى التلال!!

حينها أسرع أرجوس بجواده هرباً ولحق به رجاله ، كنَّ السهام أصابت بعضاً منهم ، فأمرهم بالاتجاه نحو أشجار الغابات ، وكان يضرب جواده الأبيض بقوة لتزداد سرعته ، وأخذ يتلفت وراءه وهو يرى جنوده يتساقطون خلفه مع أحصنتهم ، واحداً تلو الآخر..

لواحد دقات قلبه ولهثانه... وهو يرى الجنود البانسليين يقتربون منه أكثر فأكثر بعد أن أصبح
واحداً، كانت خيولهم سريعةً جداً، وبدؤوا بالإحاطة به من يمينه وشماله وخلفه، حتى تمكّن
فارسان منهم من اعتراضه من الأمام!

واضطر إلى التوقف بعد أن قاموا بمحاصرته تماماً، وأخرج سيفه محدّقاً بهم بحذرٍ، لكنه
سقط على الأرض عندما وجّه أحدهم رمحاً نحو حصانه وأرداه، نهض أرجوس على قدميه،
وينظر إلى جواده المحتضِر... ثم التفت إليهم بعينين شرستين... وكان يدور حول نفسه، موجّهاً
سيفه بعدوانيةٍ نحوهم... عازماً المقاومة...

سخِر أحدهم منه: مالذي ستفعله بهذا السيف؟!

تقدّم الكونت أرماند بجواده، وهو يرفع الورقة التي رُسمت عليها صورةً لملامح أرجوس... ثم
حدّق به للحظة وقال بخطابٍ رسمي: أرجوس هيروديون رونثو، إنك مطلوبٌ لدى مملكة
رومبيانيا!... ولقد تعهدَت بانسيلينوس بتسليمك إلى جلالة الملك بيلزبيل!... وأنا الكونت أرماند
بونيفيل هنا بأمرٍ من جلالة الملك أليكساندروس، لأقوم بتسليمك حيّاً إلى رومبيانيا!

أدرك أرجوس حينها بأن أعدادهم كبيرة، وأنه من المستحيل أن يغلِبهم بمفرده، فأرخى سيفه...
معلناً الاستسلام...

❀❀❀

وفي نهاية النهار...

(بانسيلينوس - بوليشولي)

كان أرماند يقف أمام تريتون وجنوده الرومبيانيين، وهو يقول: ها نحن نسلّمُكم الأمير أرجوس
رونثو، بموجب الاتفاقية بين المملكتين!

شكره تريتون وانحنى له باحترام: إن رومبيانيا شاكرةٌ لكم على إنجازكم العظيم هذا!... ولاشك
بأن الملك بيلزبيل سيكون ممتناً لجلالة الملك أليكساندروس!

كان تريتون قد وصل مع رجاله إلى شواطئ بوليشيولي، وذلك بعد أن أمسك بالصياد
واستجوبه، وبعد أن أخبره الصياد بأنه كان يلتقي بأحد جواسيس أرجوس في بوليشولي، وظلّ
تريتون يراقب المنطقة بانتظار قدوم جاسوس أرجوس، لذا فقد كان على مقربةٍ من الإمساك
بأرجوس على أي حال..

تقدّم أرجوس بخطواتٍ ثقيلةٍ أعاقتها الأغلال التي قيّدت قدميه ويديه، وأثناء تقدّمه نظر
بكبرياءٍ إلى عيني عمّه تريتون، وحدّق الاثنان في بعضهما... بعد مرور تلك السنين الطويلة...
من المطاردات والهرب، وكانت عصابةٌ تلف فمه... لذا لم يتمكن أرجوس من تفريغ حقده تجاه

عمّه ، وابتسم أرماند ليخفف حِدّة الموقف ، ويوجّه الاهتمام إلى حديثٍ جدي بين القائدين: ماذا سيدفع الملك بيلزبيل بالمقابل؟!

ابتسم له تريتون وأشار بيده... فتقدّم بضعة رجالٍ يحملون صناديق كبيرةً وثقيلة ، قاموا بفتحها وعرضِها على أرماند ، بينما قال تريتون: هذه السبائك الذهبية هي من ثروة رومبيانيا ، نتمنى أن تكون كافية!

نظر أرماند إلى السبائك الضخمة ، ثم قال: غير كافية!

رفع تريتون رأسه مستغرباً ، فقال أرماند: نريد سفناً حربية من أسطولكم!

فكر تريتون قليلاً وتشاور مع أهم جنوده ، حتى قال بعد برهةٍ من التردد: لكم ذلك!... ثلاث سفن!

نظر القائدان إلى بعضهما ، ولم يكونا يتوقعان... كيف سيكون لقاؤهما التالي... وماذا يخبئ لهما المستقبل..

❁❁❁

بعد يومين...

عاد أرماند إلى القصر الملكي... وقدّم السبائك إلى أليكساندروس الذي كان يعاني من مرضه ، وأخبره عن السفن التي حصلوا عليها بالمقابل..

أثنى أليكساندروس عليه: لم أُخطئ باختيارك!

بينما في مكانٍ آخر من القصر ، كانت أفروديت تتناول غداءها ، عندما وصلها نبأ القبض على أرجوس ، فتوقفت عن إكمال الطعام... وتجهّم وجهها ، وكان ألارد قد عاد إليها خائباً ومعتذراً فور أن وصلته تلك الأنباء ، ولاحظ بأنها كانت محبطة...

رفع ألارد رأسه لينظر إلى زوي التي كانت تقف خلف الأميرة ، وتبادلت معه النظرات المُرَحِّبة بابتسامةٍ هادئة... حيث لم يلتقيا لفترة...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

بلغ خبر القبض على أرجوس إلى أبوليون ونوي وبقية أتباع الأمير...

كان أبوليون في أوج غضبه ، حيث جلس على إحدى الصخور وهو يضرب يديه ببعضهما: لقد حذّرتُه!... لكنه ذهب إلى النار بقدميه!!

بينما ظلّ نوي يقف في مكانه ، حائراً ومنهاراً... ويقلّب عينيه مفكراً في حلٍّ ما...

عمّه ، وابتسم أرماند ليخفف حِدّة الموقف ، ويوجّه الاهتمام إلى حديثٍ جدي بين القائدين: ماذا سيدفع الملك بيلزبيل بالمقابل؟!

ابتسم له تريتون وأشار بيده... فتقدّم بضعة رجالٍ يحملون صناديق كبيرةً وثقيلة ، قاموا بفتحها وعرضِها على أرماند ، بينما قال تريتون: هذه السبائك الذهبية هي من ثروة رومبيانيا ، نتمنى أن تكون كافية!

نظر أرماند إلى السبائك الضخمة ، ثم قال: غير كافية!

رفع تريتون رأسه مستغرباً ، فقال أرماند: نريد سفناً حربية من أسطولكم!

فكر تريتون قليلاً وتشاور مع أهم جنوده ، حتى قال بعد برهةٍ من التردد: لكم ذلك!... ثلاثة سفن!

نظر القائدان إلى بعضهما ، ولم يكونا يتوقعان... كيف سيكون لقاؤهما التالي... وماذا يخبئ لهما المستقبل..

❁❁❁

بعد يومين...

عاد أرماند إلى القصر الملكي... وقدّم السبائك إلى أليكساندروس الذي كان يعاني من مرضه ، وأخبره عن السفن التي حصلوا عليها بالمقابل..

أثنى أليكساندروس عليه: لم أُخطئ باختيارك!

بينما في مكانٍ آخر من القصر ، كانت أفروديت تتناول غداءها ، عندما وصلها نبأ القبض على أرجوس ، فتوقفت عن إكمال الطعام... وتجهّم وجهها ، وكان ألارد قد عاد إليها خائباً ومعتذراً فور أن وصلته تلك الأنباء ، ولاحظ بأنها كانت محبطة...

رفع ألارد رأسه لينظر إلى زوي التي كانت تقف خلف الأميرة ، وتبادلت معه النظرات المُرَحِّبة بابتسامةٍ هادئة... حيث لم يلتقيا لفترة...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

بلغ خبر القبض على أرجوس إلى أبوليون ونوي وبقية أتباع الأمير...

كان أبوليون في أوج غضبه ، حيث جلس على إحدى الصخور وهو يضرب يديه ببعضهما: لقد حذّرتُه!... لكنه ذهب إلى النار بقدميه!!

بينما ظلّ نوي يقف في مكانه ، حائراً ومنهاراً... ويقلّب عينيه مفكراً في حلٍّ ما...

لكن أبوليون قطع تفكيره ، عندما تقدَّم وأمسك برقبته معنِّفاً: لقد قمتَ بتقييدي إلى الشجرة أيها الوغد!... وإلا لكنتُ لحقت به وأوقفته!!

زوي وهو يتمزق مختنقاً: أنا آسف ، جنرال أبوليون!... تعلم بأنني فعلت ذلك مرغماً بسبب أوامر سموها

هزَّه أبوليون بعنف: أوامر؟!... لو كنتَ تهتم بأميرك الطائش حقاً ، لكنت حرصت على سلامته ، حتى لو خالفت أوامره!!... القضية أكبر من ذلك ، إنه مستقبل عرشٍ ومملكةٍ وشعبٍ أيها المغفّل!!

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل...

تمكَّنت فيوليت أخيراً من السيطرة على عطشها ، فعادت أغلاي إلى الحجرة وهي تحمل حاجياتها ، وعانقتها فيوليت بخجل: لقد اشتقت اليكِ..

سألتها فيوليت بوجهٍ يحمرّ خجلاً: كيف كان؟... النوم في حجرة... إيمانويل؟

تحدثت أغلاي وابتسامةً ارتسمت على وجهها بينما كانت ترتب حاجياتها: فراشه وثير ، ورائحة وسادته جذابة ، وهدوءٌ غريبٌ في حجرته... ونافذته تطلُّ على أجمل شجرةٍ في الحديقة...

كانت فيوليت تستمع إلى حديثها ذلك بعينين حالمتين... وقلبٍ غيور...

بينما في حجرته ، استلقى إيمانويل على سريره أخيراً ، لكنه استنشق تلك الرائحة البشرية الجميلة تفوح في كل مكان... فقام بلمس سريره بكل رقةٍ وهو يتخيل وجود أغلاي إلى جواره...

❁❁❁

في القصر الملكي...

توجَّهت أفروديت إلى جناح الملك ، وكانت زوي برفقتها..

كان الملك أليكساندروس ملازماً لفراشه ذلك المساء بسبب مرضه ، التفت نحو ابنته: مالأمر؟

أفروديت: بيلزبيل!

امتعض وجه أليكساندروس: هذا الموضوع مجدداً!

لكنَّ أفروديت تقدَّمت أكثر ، وهي تقول بثقة: لقد أحضرتُ لك الدليل هذه المرة!

ثم أشارت لزوي ، التي تقدَّمت وانحنت على ركبتها وعرَضَت سيفاً على الملك...

نظر أليكساندروس إلى السيف ، بينما قالت أفروديت: سيفٌ صنع في بانسيلينوس ، ويحمل شعار رومبيانيا!

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

كان صباحاً بارداً ، عندما خلع الجميع قيماتهم السوداء ، أمام تابوت الملك أليكساندروس النبلاء والوزراء والحاشية ، وكذلك الشعب خلف الأسوار...

وبعد انتهاء مراسم الجنازة ، اقترب إيمانويل من أفروديت التي قد بلغ الشحوب والإعياء من وجهها ، وقال بلطف: أقدّمُ تعازيَّ الحارة سمو الأميرة!

شكرته أفروديت ، فقال: أتمنى أن تصمدي أمام المصاعب التي ستواجهكِ لاحقاً... فليتني أكون بقوتكِ وسأقف إلى صفّك دائماً!

ارتسمت على شفتيها ابتسامةً هادئة: ممتنّةً لمواقفك النبيلة ، لورد إيمانويل!

ودعها إيمانويل بانحناءةٍ ، بينما اقتربت منها شقيقتها ديميتير: لقد علمتُ بأن والدي لم يحبني يوماً... لم يذكُر شيئاً عني في وصيته!... ولم ينظر إليّ أثناء احتضاره حتى!

كانت ديميتير تتحدث بخيبة ، ثم قالت بتهكُّم: والآن يمنحكِ عرش بانسيلينوس!... الجميع سيعارض ذلك المرسوم!... أنتِ تعلمين هذا تماماً ، وكذلك كان يعلم والدي!

تنهدت أفروديت بحيرةٍ وكانت تحتضن يديها ببعضهما للحفاظ على ثباتها ، ولايزال ظهرها منتصباً كما هو شموخها...

قالت وهي تحدّق نحو الأفواج المغادرة للمقبرة: لم أتوقع هذا أبداً... إن الأمر يُثقل كاهلي... لاتعتقدي بأنني سعيدةً بذلك المرسوم يا ديميتير!

ردّت ديميتير والغيرة تعتريها: لكنك تشعرين بافتخار والدي وثقته بك!

ثم وضعت يدها على كتف أفروديت قائلةً: سأساندك!... ليس لأجلكِ بالطبع ، بل لأجل استمرارية سلالة غاريس بالحكم!

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

وصل نبأ وفاة أليكساندروس إلى بيلزبيل... عبر الحمَام الزاجل ، وكان يفكر متسائلاً: لقد رحل ذلك البدين المغفل!... من سيتم تتويجه على بانسيلينوس؟... آمل أن يكون ملائماً لمصالحنا!

أنارغيروس: للأسف... لن يسعدك ذلك ، لقد أوصى بعرشه لابنته أفروديت!

نهض بيلزبيل وضرب قبضته بانزعاج: لايمكن هذا!!

أخفض أنارغيروس رأسه ، ثم قال: الجميع في بانسيلينوس معارضون لذلك!... وسيعقدون مجلساً للتصويت والمناقشة...

في تلك الليلة الهادئة...

(باسيليتوس - مولتيا)

بعد أن تسلل باني من فراشه ، ليلتقي بصديقه القديم رايموند ، حسب اتفاقهما ، كان يجلس فوق سور مزرعة مونبيتيت و يتناولان الذرة...

رايموند: لقد قلتَ بأن أغلالي كانت هناك في إيمبياسو..

أومأ باني برأسه بينما يأكل بنهم: أجل..

رايموند بعد لحظةٍ من التفكير: كيف كان شكلها؟ ..هل تغيرت كثيراً؟

أجاب باني وهو يبتلع لقمته: أعتقد بأن أنفها قد كبُر قليلاً!

ضحك رايموند من إجابته ، ولمعت عيناه بحنين ، ثم قدّم له كوز ذرة أخرى وهو يقول بجدية حال ، يجب أن تعتني بنفسك جيداً يا باني!... ماحدث لك في الفترة الماضية ، كان سيئاً للغاية!... كن قوياً ، فالبقاء للأقوياء فقط!

ثم ضرب على كتفه مشجعاً ، فأجابه باني: كان آرميل يحميني دائماً!

امتعض رايموند: لقد استغلّك آرميل في مغامراته الاحتيالية ، ثم أهملك وتخلّى عنك لهذا الأحمق!

نظر باني إليه منهولاً ، فأردف رايموند: لاتقلق ، سأقوم بحمايتك وسأنتقم لك من آرميل!

ثم قال مشيراً نحو المزرعة: لاتعد إلى ذلك المنزل!... إنني أخشى عليك من استغلال العبلاء لاأحد يعلم ماهي نوايا تلك الفتاة النبيلة ، بجعلك تعيش معها بهذه الطريقة!

ثم قام بجذب يده: تعال معي... سأضمّك إلى عصابتي ، وسأوفر لك حياةً أفضل!

أفلت باني يده منه ، ثم نظر إليه بتحفظٍ وهو يتراجع للوراء: كلا!

وركض هارباً نحو المزرعة وهو يقول: (رايموند متعجرفٌ وعنيف!)... هذا ماكان يقوله آرميل دائماً!

صاح به رايموند منزعجاً وهو يراه يبتعد عن ناظريه: أهذا ما لقّنك إياه؟!... ذلك الوغد!

❁❁❁

بينما في منزل مونبيتيت..

استيقظت دليا في منتصف الليل على صراخ المزارعين ، وركضت نحو الخارج بثياب نومها لتستطلع الأمر ، وصادفتها إيوانا فور نزولها درجات السلم ، وكانت تصرخ بوجهها الشاحب آنسة دليا!!... المزرعة تحترق!!

ودليا وهرعت نحو الخارج ، وذهلت عندما رأت النيران تشتعل في أحد نواحي المزرعة
الواسعة ، ورأت المزارعين وهم يتراكضون بدلاء الماء...
صرخت دليا بانفعال: أسرعوا!... أسرعوا!!
وهبت دلماي تحمل دلواً ثقيلاً وتركض معهم باتجاه النار ، لكن دليا أوقفتها وأمسكت بكتفيها
بانفعال وقلق: أين ياني؟
وتطلعا دلماي بتوتر بينما تمسح العرق عن جبينها: لا أعلم!
وإيوانا مفاجئة: لم أجده في فراشه!.. وليس موجوداً في أي مكانٍ بالمنزل!!
وأزاحت دليا شعرها المتناثر عن وجهها بحركةٍ متوترة... ثم تبادلت النظرات القلقة مع إيوانا
ودلماي ، فوضعت الأخيرة الدلو على الأرض وقالت بجدية: سأذهب للبحث عنه!!
وتدارك دليا الموقف وأمسكت بيد دلماي بقوة: كلا!... احملي هذا الدلو والحقي بالبقية
لمساعدتهم!... وسأقوم أنا وإيوانا بالبحث عنه!!... لاتقلقي ، سنجده!
ووقفت دلماي تنظر إليها لوهلةٍ من التردد ، حتى صاحت بها سيدتها: هيا!!
فحملت دلماي الدلو وركضت به ، وأخذت دليا تسير في أنحاء المزرعة وهي تبحث بعينيها
المتلهفتين ، حتى لمحت خيال ياني قادماً من بعيدٍ عبر الظلام... فشهقت وركضت اليه... على
مرأىً من إيوانا... وعندما تأكدت بأنه بخير ، قامت باحتضانه باكيةً ، مما جعله يندهش...
وشعرت المربية إيوانا بالذي كان ينمو بداخل قلب سيدتها تجاه ذلك الشاب... وهي تراقب ذلك
الاحضان الصادق..
وسأله دليا: أين كنتَ ياني؟!
ونظر ياني إلى الأدخنة مذعوراً: مالذي حدث؟
وفي تلك اللحظة اقترب أحد المزارعين من دليا: تمكنّا من إخماد النار ، ولكننا خسرنا معظم
المحاصيل!!
وتوجهت دليا نحو المزارعين الذين بدؤوا بالالتفاف حولها ، وشكرتهم: أحسنتم عملاً!
ثم نظرت إلى الأنار والخسائر التي خلّفها الحريق: سنعمل بجدٍ لاستعادة محاصيلنا من
جديد... ستقلّ مبيعات المزرعة هذه السنة... لكنني أثق بقدرتكم بحلول السنة القادمة... على
إعادة المبيعات كما كانت في السابق!
ونكس المزارعون برؤوسهم بعد الإحباط الذي حلّ عليهم ، حتى قالت بنبرةٍ صارمة: من كان
المسؤول عن الحريق؟!

صمت الجميع ولم يجب أحد... وكررت السؤال بلا جدوى ، فقالت: حسناً... سيعاقب الجميع حتى تعترفوا عن المتسبب ، لن تستلموا أجوركم لهذا الشهر!!

وفي تلك الأثناء ، اقتربت داناي من ياني وأمسكت بذراعه لتجذبه بعيداً عنهم ، ثم سألته: أين كنت؟

صمت ياني ، فسألت داناي غاضبةً: لاتخبرني... بأنك كنت مع رايموند؟!

نظر إليها ياني بعينيه البريئتين وشفتيه العابستين ، ففهمت وتنهدت حانقةً: كما توقعنا.. ستقع في المشاكل يا ياني إذا ماكنتَ قريباً من رايموند ، إنه زعيم عصابة تتعرض للهجوم والمطاردة دائماً!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في الثكنات العسكرية...

وبعد أن تأكدت زوي من أن جميع الجند نيامٌ في مهاجعهم ، اتجهت إلى الحوض لتغتسل.. وكانت تجلس مسترخيةً في المياه الدافئة ، حتى سمعت أصوات أقدام وضحكات رجال تقترب.. فخرجت من الماء والتقطت ثيابها... وأطلّت من إحدى فتحات حجيرة الحوض الخشبية... لترى ثلاثة جنودٍ متجهين نحوها ، وقد اقتربوا كثيراً من الباب ، فأصابها الهلع ، وأسرعت لارتداء زيّها العسكري..

لكنها تفاجأت عندما سمعت صوت ألارد يعترضهم ، سأل ألارد وهو يضع يديه خلف ظهره: مالذي تفعلونه هنا في هذا الوقت؟

ـ سيرجنت ألارد!

ـ نحن ذاهبون لنغتسل ، هل ترافقنا؟

ألارد آمراً: غداً سيكون لدينا يومٌ شاق من أجل التتويج ، لذا فأنتم بحاجةٍ إلى النوم باكراً... عودوا إلى المهجع!... يمكنكم الإغتسال في الصباح!

امتعض الجنود من أوامره ، ثم عادوا إلى مهاجعهم ، وكانت زوي تستمع إلى كل ذلك بصمت بينما تغلق أزرار معطفها ، فالتفت ألارد نحو الباب ليسأل: ألم تنتهي بعد؟!

ارتبكت زوي ثم خرجت وهي تجفف قطرات الماء من شعرها القصير ، وقالت بحرج: شكراً لك..

ألارد موبخاً: لاتكوني متهورةً يازوي!... عندما ترغبين بالاغتسال في المرة القادمة... أخبريني حتى آتي لحراستك!!... تعلمين بأنهم سيقطعون رأسكِ لو علموا بأنكِ فتاة!!

نظرت زوي إلى الأرض بعد أن ازداد حرجها ، ثم تنهدت: أنا أشكلُ عبئاً عليك... آسفة!

ال وهو يعود نحو المهجع: لاعليكِ ، كانت مسؤوليتي منذ الصغر... أن أحميكم!!

وكرت زوي ، كيف كان الارد يحمي أصدقاءها المتسولين من غضب أبراكساس ، وكيف اعتنى بالمنبلات بعد هربهن معه ، ونظرت إلى ظهره بينما كانت تسير خلفه... وأدركت بأنه لايتحمّل عبئها لوحدها ، بل عبء المجموعة كلها ، وهي بالنسبة له فردٌ من أفراد تلك المجموعة ، فقط..

❁ ❁ ❁

في صباح اليوم التالي...

كان القصر يحتفل بتتويج الملكة أفروديت ، حيث حضرت جميع العائلات النبيلة من كل نواحي المملكة ، وكذلك بعض الممثلين السياسيين من الممالك المجاورة ، واجتمع الحضور في الساحة الخارجية للقصر حيث كانت تقام الترتيبات ، وتجمّعت حشود الشعب حول أسوار القصر لمشاهدة التتويج ، فسمعوا الموسيقى التي بدأت تُعزف... ثم رأوا أفروديت تظهر من الشرفة العالية وهي ترتدي فستاناً مُطرَّزاً بكامله باللون الذهبي... وخلفها وقفت زوي والأميرة ديميتير وأرملة الملك ، وبعض رجال الحاشية ، بما فيهم الكاهن أرتشيم والكونت أرماند...

وقف الجميع احتراماً ، وكانت أغلاي تقف إلى جوار إيمانويل الذي همس لها عندما نظر إلى قدميها: هل قدمكِ بخير؟

أومأت أغلاي برأسها محرجةً ، فقال إيمانويل: بالنسبة للأمس ، أنا آسف... أعتذر عن تصرفتا الطائش وعن إخافتك!

همست أغلاي: كلا ، إنني أتفهم ماتمرّون به!... إنكم تواجهون صعوبةً شديدة في مقاومة رائحة الدم!

إيمانويل بلطف: أرجو أن تنتبهي لنفسك ، قد يعترضكِ مثل هذا الموقف مجدداً.. طالما أنتِ تشبهين معنا!

تقدّم رئيس البرلمان إلى الشرفة العالية ، ووجّه حديثه إلى الشعب بصوتٍ مرتفع: يُعلن البرلمان نصيب أفروديت غاريس ملكةً على عرش مملكة بانسيلينوس!

وقدّموا له وسادةً حمراء فاخرةً تحمل التاج الذهبي للملك أليكساندروس ، فحمله بين يديه والتفت إلى أفروديت التي أحنت رأسها ليُلبسها إياه ، وأدّت القسم: أنا أفروديت ابنة أليكساندروس غاريس ، أتعهد بحماية مملكة بانسيلينوس ورعاية شعبها!

وبعد أن قام رئيس البرلمان بوضع التاج فوق رأسها ، وسلّمها الصولجان الملكي ، رفعت رأسها ونظرت عبر الشرفة إلى الناس ، الذين انحنوا لها...

فقال رئيس البرلمان: كما يعلن المجلس تنصيب ديميتير غاريس ولية للعهد!

واقتربت ديميتير وانحنت وأدّت قسمها ، ثم رُفعت أعلام بانسيلينوس عالياً . وتقدّمت أفروديت نحو حافة الشرفة ولاحظت وجوه الشعب العابسة وأعينهم التي كانت تحملق بها بغير رضا... فرفعت يدها ليصمت الجميع ، ثم خاطبتهم بصوتها العالي ونبرتها الواثقة: يا شعب بانسيلينوس العزيز!... أعلم بأنكم متخوفون أن تكونوا تحت حكم امرأة!... فلم يسبق للمملكة أن شهدت أمراً كهذا!... لكنني ولمرسوم والدي الملك الراحل أليكساندروس غاريس ، وتصويت أعضاء البرلمان ، فإنني أستلم الحُكم ، وأعدكم بأن مخاوفكم هذه ستزول بعد أن أعيد الإزدهار لبانسيلينوس!... سأستمع إلى مطاليكم وسأسعى لتوفير حياةٍ أفضل لكم!

هدأت تمايير وجوه الناس تدريجياً ، فأكملت: أريد أن تمنحوني ثقتكم ، فهي التي ستساعدني على إكمال الطريق الذي قطعه أجدادي من سلالة غاريس ، والذين جعلوا بانسيلينوس تصل إلى ماوصلت إليه الآن!

بدأ أفراد الشعب بتصديقها والثقة بوعودها ، وأخذت الهتافات تزداد شيئاً فشيئاً ، معلنةً الولاء لها...

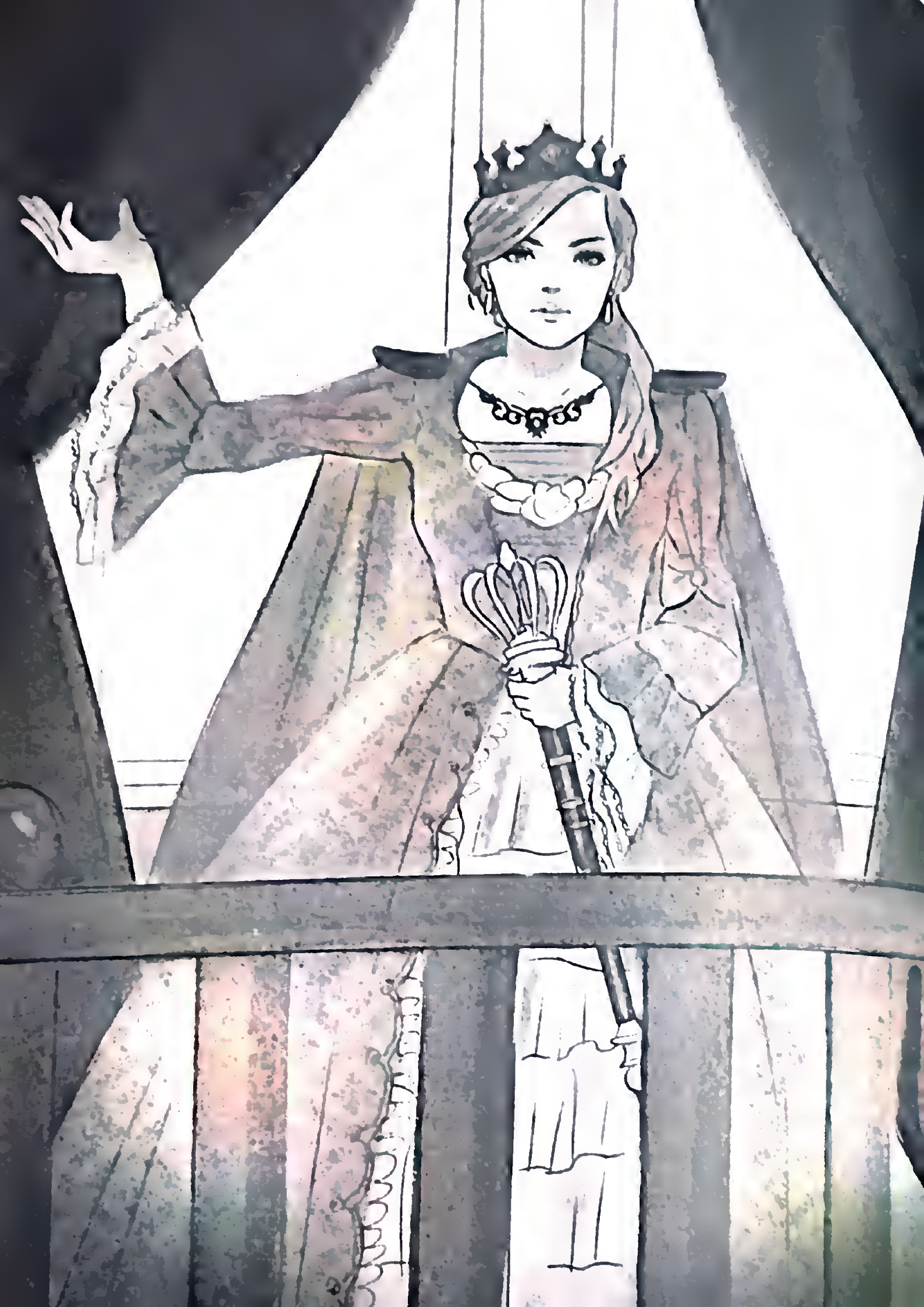

في المساء...

كانت الاحتفالات تقام في القصر ، الموسيقى والرقصات والشراب والمآدب ، والتهنئات على استمرت تُقدم إلى أفروديت...

كانت أغلاي تحدّق في زوي طوال الوقت... وهي تحاول التعرّف على ملامحها ، حتى مرّت في طريقها أمام أغلاي ، فاستوقفتها: معذرةً...

حدّقت الاثنتان في بعضهما لوهلةٍ ، واتسعت بعدها عينا زوي ذهولاً ونطقت أغلاي:

شهقت الأخرى: زوي؟!

تلفّتت زوي حولها بحذرٍ ، لكن أغلاي أمسكت بكتفيها وسألتها بانفعالٍ وحيرة وهي تحاول بدلتها العسكرية: مالذي تفعلينه هنا؟!... زوي!... لمَ تتنكرين على هيئة فتى؟!

أغلقت زوي فم أغلاي بيدها ، ثم أمسكت بذراعها وجذبتها بعيداً عن أنظار الناس ، خلف الأعمدة الضخمة للقاعة... ووبّختها بحذر: يجب ألّا يعلم أحد ، قد أُسجن أو أُعدَم ، فأنا هنا أتظاهر بأني شخصٌ آخر!!

صمتت أغلاي مشدوهةً ، بينما نظرت زوي إلى فستانها الراقي ، وسألتها: أغلاي!... أنا من يجب أن يسألك ، كيف تمكّنتِ من دخول القصر؟!

❁❁❁

بينما في مكانٍ آخر من القاعة...

عندما اقتربت فيوليت بونيفيل لتهنئة صديقتها الأميرة ديميتير: أهنئ سموك على منصب ولاية العهد!

رمقتها ديميتير بازدراء: لاتتملّقي ، فعائلتكِ خائنة!

ارتبكت فيوليت ، وتفاجأت من ردة فعلها غير المتوقعة ، لكنها فاجأتها أكثر عندما بدأت بإهانتها أمام مرأى من حولها: أنتِ حقيرةٌ كما هو والدك!!... الذي تجرأ على ترشيح نفسه... كنت تصفقين له ليكسب التصويت ، ثم تأتي لتهنئيني الآن؟

خافت فيوليت وقالت بصوتها المرتعش ، لتحسّن من صورة والدها: كلا ، لم يكن قرار والدي... الكونت أرماند ، هو من دفعه لذلك!

رمقتها ديميتير بنظرةٍ عميقةٍ ومخيفة ، فرمشت عينا فيوليت بتوتر ، وبعد أن تركتها الأميرة. اقترب إيمانويل من فيوليت وأمسك بيدها وسألها: هل أنتِ بخير؟... مالذي قالته لكِ الأميرة ديميتير؟!

طالما لمست فيوليت برأسها حرجاً ، فقال إيمانويل متعهداً: فيوليت!... عليكِ أن تحذري من تلك الأميرة!... ابقي بعيدةً عنها!

نظرت فيوليت إلى يده التي كانت تمسك بيدها بحرصٍ وحماية ، فشعرت بالخجل... وحاولت تهدئة قلبها من الخفقان...

❁ ❁ ❁

بينما توجهت ديميتير نحو أرماند الذي كان يقف في منتصف القاعة ويحتسي الشراب منحدثاً مع أحد رجال الحاشية ، فاختطفت الكأس من يده ووضعته على المنضدة بطريقةٍ وقحةٍ ، ثم وقفت أمامه...

ذهل أرماند ، فقالت وهي تحدّق في عينيه بحدة: أيها الخائن!!

نظر أرماند إلى عينيها متسائلاً ، فقالت والحقد يعتريها: كنتَ تطمع في عرش والدي منذ البداية!... لاعجب بأنك كنتَ تتقرب إليه تدريجياً حتى تمكنت من الوصول إلى منصب المستشار!!

ظهر الهدوء على ملامح أرماند ، بعد أن فهم سبب تصرفها وغضبها ، فقال ببرودٍ وهو يلتقط كأسه مجدداً: لقد طلب البرلمان تقدّم مرشحين من العائلات النبيلة ، ويونيفيل كانت من أهم العائلات... البرلمان من طلب ذلك ياعزيزتي ، لذا فإن كنتِ ستعدّين ذلك خيانةً...

ثم نظر إلى رئيس البرلمان الذي كان يقف بعيداً ، وأردف بابتسامةٍ باردة: فأعتقد بأنه هو أول خائن...

حدّقت به بنظراتٍ حاقدة... ولم تتمالك انفعالها ، فاتجهت نحو العرش الذي كانت تجلس فوقه أفروديت... وقالت بثقةٍ وبصوتٍ مرتفع: جلالة الملكة!!

صمت الجميع والتفتوا إليها ، وهدأت الموسيقى... وتوقفت أفروديت عن الحديث مع مستشاريها ، لتنظر إلى شقيقتها... التي خطفت الأضواء فجأةً...

رفعت ديميتير رأسها بكبرياء: إنني أطالب بصفتي وليةً للعهد ، بأن تتخذي موقفاً صارماً ضد العائلات الخائنة التي طمعت في عرش غاريس ، ورشّحت نفسها خلال المجلس!

تعجّب أرماند من تصرفها ذلك وأخفى ابتسامته المنذهلة ، وتبادل الجميع النظرات فيما بينهم وبدأت الهمسات والنظرات بين الملكة والأميرة المنفعلة ، منتظرين ما سيؤول إليه الموقف ، وساد صمتٌ رهيبٌ في القاعة ، بانتظار ردة فعل أفروديت... التي نقّلت عينيها بين الحضور بهدوءٍ ورزانة...

وما لبثت أن نهضت من كرسي العرش ، وتقدّمت خطوةً للأمام وقالت بصوتٍ مرتفع: إنني ألتمس

العذر لتلك العائلات ، لقد فعلوا ذلك من أجل حرصهم على مصلحة بانسيلينوس ، حيث عارض الشعب والبرلمان الخروج عن النظام بترشيح امرأةٍ للحكم ، وكان يتوجّب على القادة اتخاذ مبادرةٍ سريعة لحماية المملكة ، وكانوا من العائلات العريقة التي خدمت المملكة لأجيالٍ عديدة...

ثم قالت وهي ترى الأعين تُحملق بها: سأتغاضى عن كونها إهانةً لسلالة غاريس ، ولي أيضاً كامرأة!... وسأعتبرها مبادرةً وطنية ، والتزاماً بتقاليدَ ونظامٍ سياسيٍ قديم ، لم تصل فيه المرأة يوماً إلى العرش!... ولكن منذ اليوم ، قد تغيّر ذلك النظام بأمرٍ مني ، وأصبحت المرأة مؤهلةً لتقود مملكةً وشعباً!

هاجت القاعة بالأحاديث الهامسة حول تصريح الملكة وعن إعجابهم برؤيتها وخطابها ، بينما صُعقت ديميتير من ذلك الرد ، وكتمت غيظها بعد أن شعرت بأن كبرياءها قد سُحق أمام الجميع... وبأن أرماند مستمرٌ بالتحديق بها... وابتسامةً خفيةً تظهر في عينيه ، فأسرعت بمغادرة القاعة...

❁❁❁

في نهاية ذلك المساء..

اصطحبت زوي أغلاي للقاء ألارد... في الفناء الخارجي للقصر...

كانت أغلاي تتساءل وهي تتأمل وجهيهما بشوقٍ وانبهار: إذن التقيتما مجدداً كجنديين في الجيش؟!.. إنها قصةٌ مذهلة!!

زوي: أنا أنتمي إلى الحرس الخاص ، كحارسٍ شخصيٍ لدى الملكة!... لكننا نسكن في نفس المهجع ، ونتدرب سوياً!

أغلاي: كنتُ أراكِ تقفين خلف الملكة!... ولم أُرجّح الظنّ بأنكِ قد تصلين إلى هذا المكان إطلاقاً!... وكنتِ تبدين كفتىً تماماً ، لذلك لم أكن متأكدةً بأنها أنتِ ، زوي!!

ألارد متعجباً: إنما قصتكِ هي الأكثر إثارةً للدهشة!... ابنة آل بونيفيل غير الشرعية التي كنا نسمع عنها!... تكون هي صديقتنا أغلاي في النهاية!!

ثم سألها: هل تتعايشين جيداً مع حياتك الجديدة؟!... لم تكوني معتادةً على الحياة الأرستقراطية ، أعتقد بأن الأمر كان صعباً عليكِ...

أغلاي بكبرياء: مالذي تقصده؟... لقد ولدتُ نبيلةً!... وهاقد عدتُ إلى حيث أنتمي!!

❁❁❁

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

وصلت أخبار اعتلاء أفروديت لعرش بانسيلسنوس ، إلى بيلزبيل...

بيلزبيل متحسراً: لم تُفلح محاولتنا في رشوة أعضاء البرلمان!

ثم وجه إصبع اللوم نحو شقيقه تريتون: قلتَ بأنك ستتولى هذا الأمر!... وها قد فشلت يا تريتون!

اعتذر تريتون ، وقال أنارغيروس: سيتوجّب علينا أن نُحسّن العلاقة مع أفروديت الآن ، من أجل استمرار الاتفاقيات بين المملكتين!

بيلزبيل: إذن فأنتما تخشيان ما أخشاه ، أن تقوم أفروديت بتغيير اتفاقيات والدها!... كانت تحاول مساعدة أرجوس ، ولاشك بأنها ستفعل شيئاً لدعمه الآن..

بعد لحظةٍ من التفكير ، سأله تريتون: إذن ، مالذي سنفعله بالأمير أرجوس جلالتك؟

بيلزبيل وهو يرفع رأسه بإيماءةٍ مستحقرة: سأُعدمه أمام الملأ!!

ثم قال وهو يضع قدماً فوق الأخرى: قوموا بالترتيب لذلك!

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي...

كان بيلموت يقف إلى جوار عمّه أرماند... الذي كان يراقب الملكة أفروديت: تلك الشقراء!... قد تكشف هويتنا يوماً... وتقود عائلتنا إلى الهلاك!

ابتسم بيلموت ببرود ، وارتشف من النبيذ الأحمر القاني ، الذي بدا كحمرة لون شعره... وحمرة الدم الذي يتوق إليه باستمرار..

أكمل أرماند حديثه: تتظاهرُ بأنها تتقبل الأمر ، لكنني متأكدٌ بأنها تمقُتني... فمنذ عهد والدها ونظراتها المُرتابة لاتفارقني ، لقد عفَت عني لتكسب ولائي ، وتجعلني مديناً بالعرفان لها!... لذلك سأستغل هذه الفرصة ، وسأتمسك بمنصبي ، وأجعلها لاتستغني عني ، كما فعلتُ مع والدها..

ثم أردف بابتسامةٍ واثقة: ومن ثم سأجد اللحظة المناسبة للسيطرة!

فكّر بيلموت: لاتتصور بأن اعتماد الملك عليك ، كان يعني بأنه يحبك!... فربما كان يخشاك!... ولكن كونك مرهوباً ، أفضل من أن تكون محبوباً!... فاعتماده عليك بسبب الخشية من عواقب فقدانك ، خيرٌ من أن يكون السبب هو مَحبتك!

أرماند مؤيداً: وهذا بالضبط مايجعلني مُهمّاً عند آل غاريس!... فمِن الأحكم اختيار العمل عند الملوك قليلي الخبرة ، بحيث تصبح أنت قوتهم وذكاءهم وتماسكهم ، فإذا تخلصوا منك ، ينهار كل شيء!

تهكّم بيلموت وهو يراقبها: إنها تجهل عرقك الملكي المدفون ، باللسخرية!... أنت تعمل خادماً لأسرةٍ مالكةٍ أخرى!

همس أرماند: إننا نخدمهم الآن ، حتى نسيطر غداً..يجب على جنس مصاصي الدماء البقاء، لا الفناء!... والدماء هو أفضل وسائل البقاء ، سيستمر جنسنا ويتكاثر نسلنا ، حتى يسود ويسيطر!... فالوصول إلى العرش يتطلّب عمراً وتفانياً..

نظر إليه بيلموت وقال بنفس ابتسامته الباردة الساخرة: أوه هذا مخيف!... يبدو أنك تخطط لشيءٍ ما كعادتك ، كونت أرماند!

❁❁❁

بينما في فناء القصر..

كان ألارد وزوي يُطأطئان برأسيهما في حزنٍ وتجهُّم ، بعد أن أخبرتهما أغلاي عمّا حصل لأريس...

زوي بحزن: لاشك بأن ياني وآرميل قد تأثرا كثيراً!

تنهدت أغلاي: بالفعل ، هذا ماحدث!... لم أرَهما بعدها ، ولا أعلم إلى أي بلدةٍ قد ذهبا...

في تلك اللحظة قامت فيوليت بمناداة أغلاي لركوب العربة ، فالتفتت أغلاي إلى صديقيها واعتذرت منهما: آسفة ، علي العودة إلى المنزل الآن!... أراكما لاحقاً!

قام الاثنان بتوديعها ، ثم جلسا يتحدثان...

نظرت زوي إلى أغلاي بينما تبتعد: لقد تغيرت حياتها كثيراً ، كم هي محظوظة!... أتذكرُ بأنه كان حلمها... أن تتمكن من دخول القصر!

عبَّر ألارد عن استيائه الشديد: إنني لا أزال متعجّباً ، كيف تغيّر أرام إلى هذا الحد؟!... أعتقد بأن آرميل سيخطط للانتقام منه ، إنني أتفهم شعوره!... لقد كان يتحمّل مسؤولية ياني وأريس طوال تلك الفترة!... ولو كان أرام أمامي الآن ، لما ترددتُ لحظةً في قتله!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

بعد أن ارتدت ثياب نومها ، نظرت عبر النافذة إلى السماء المظلمة... وتنهدت...

ثم أمسكت بالكرة الحمراء الزجاجية وتأملتها ، وتذكّرت كيف كانت تقوم بنسج سوارٍ قشيٍّ بديلٍ في كل مرةٍ يتلَف فيها ، بغصةٍ عميقة... تساءلت في نفسها: «لماذا؟!..لا أُصدّق بأنك يمكن أن تُقدِم على عملٍ وحشيٍ كهذا!... كيف يمكنك أن تكون قاسياً؟!... مالذي حدث لك؟»

ثم وضعت يدها على قلبها: «قلبي يؤلمني بشدةٍ يا أرام... إنه يشتاق إليك!»

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

وصلت رسالةٌ من ألباين وفراتها دليا بلهفة...

(أختي العزيزة ،

لقد آل العرش إلى الملكة أفروديت ، وتقام احتفالاتٌ بالقصر حالياً...

نجح آل بونيفيل عندما قدّموا أنفسهم كمرشحين لعرش المملكة ، كما هو متوقعٌ منهم..

لكني قمتُ بضمّ صوتي إلى آل غاريس حتى تُحسم النتيجة ، أريدك أن تفخري بأخيكِ دائماً..

أنا قادمٌ لزيارتكم قريباً.

ألباين)

التفتت دليا إلى باني وأمسكت بيده بسعادة: ألباين قادم!

ابتسم لها ، فقالت وهي تفكر بقلق: ولكن... كيف سأخبره عنك؟!

في تلك اللحظة دخلت إيوانا مقاطعةً تفكيرها: آنسة دليا... إحدى الفلاحات تريد التحدث إليك!

دخلت الفلاحة خلف إيوانا وانحنت أمام دليا مُحرَجةً: أود أن أعترف لكِ ، آنستي!... لقد كان زوجي يقوم بالشواء في الليلة الماضية وربما لم يُخمَد النار من بعده جيداً... فتسببت بالحريق!

ثم قالت: أرجوكِ أن تسامحيه!

صمتت دليا وكتمت غضبها ، فجثت المرأة أمامها وتوسّلت إليها باكيةً...

نهضت دليا ثم قالت بحزم: حسناً ، إن لم يعمل زوجكِ على تعويض خسائر المحاصيل ، خلال سنة واحدة ، فسيتم طردكما من المزرعة!

ثم أمرت إيوانا بجمع المزارعين والعاملين لأنها تود التحدث إليهم...

وبعد أن اجتمعوا أمام المنزل ، قالت لهم دليا: ألباين قادمٌ لزيارة المزرعة!... قوموا بالاستعداد وإزالة آثار الحريق!.. يجب ألّا يعلم عن الحادثة!... سيغضب كثيراً ولن يرحم المتسبب!

أذعن المزارعون لأوامرها وبدؤوا بالعمل ، ثم أخذت تتجول عبر الحقول ، وترافقها داناي...

داناي: فمنا بقص الأعشاب التالفة من الناحية الغربية... وتبقى القليل!

دليا: أحسنتم عملاً..

ثم التفتت إليها وسألتها وهي تَمضي في سيرها: لم تخبريني من أي بلدةٍ أنتِ يا داناي؟

أجابت داناي: لقد نشأتُ لفترةٍ في لورديور ، ولكن... أعتقد بأنني من رومبيانيا!

استغربت دليا: تعتقدين؟!..هل هذا ماكانت تقوله لكِ عائلتك؟

شمرت داناي بالحرج وأخفضت رأسها ثم قالت: كلا ، لا أعرف عائلتي...

صمتت دليا متفاجئةً ، وشعرت بأنها قد آذت مشاعرها بسؤالها ذاك...

لكن داناي قالت: في الحقيقة... لقد فقدتُ ذاكرتي!

صُدمت دليا: حقاً؟!

ثم قالت: أعتذرعن مضايقتك ، لاشك بأنكِ عانيتِ كثيراً من هذا الأمر!

داناي: لقد وجدتُ نفسي في إحدى غابات رومبيانيا ، ونقلَني أحد الرجال معه إلى لورديور ، كان اسمه (أبوليون)!

وبدأت تسرد قصتها ، حيث شعرت للمرة الأولى ، بأن هناك من يستمع لها ، ويهتم بما تشعر...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

كان بالتازار يتجوَّلُ بين تدريبات جنوده ، ويقوم بجلدهم بسوطه واحداً تلو الآخر... ويحثُّهم على التحمل والقوة ، وتسخير قواهم لتحقيق حلمه الكبير...

ثم توجَّه نحو أحد الأقفاص المخصصة لصيد الحيوانات الكبيرة ، وفتحها وهو يقول مبتسماً: أحسنتم عملاً... هذه هي مكافأتكم!

خرج من القفص عشرة أشخاصٍ منهم رجالٌ وأطفال ونساء ، أحاط بهم الفيركولاس وقد سال لعابهم ، وظهرت أنيابهم الحادة ، وأشعّت أعينهم باللون الأحمر...

فقال بالتازار وهو يرفع يده: أتمنى لكم وجبةً هنيئة!

فانقضّ الفيركولاس على البشر المذعورين وقتلوهم وتجرعوا دماءهم ، بينما توجَّه بالتازار نحو كالغينيا التي سكبت له كأساً من الدم وهي تقول: تستحق القليل من الراحة ياسيدي!

ثم قامت بسكب كأسٍ آخر لأرام: لقد بذل زيس جهداً كبيراً أيضاً ، ونمَت قواه بشكلٍ ملحوظ!

التقط أرام الكأس من يدها وشربه دفعةً واحدةً ، وكان بالتازار ينظر إليه بإعجابٍ ويقول معقباً على كلمات كالغينيا: كما هو متوقعٌ من زيس ، كنتُ متأكداً بأن جهودي لن تضيع هباءً!... إنني أضع جميع آمالي في هذا الوحش الهادئ!

ظلّ أرام صامتاً ، فقال له بالتازار: سأرسلك مع مجموعةٍ قويةٍ من أفضل رجالي ، لتُكمل البحث عن زوي وآرميل!... لقد اختفت زوي كفصّ ملحٍ منذ آخر مرّةٍ رآها رجالي في أثانسيا ، ومشّطنا كل بلدةٍ في بانسيلينوس ، دون أن نجد لها أثراً!

حق لزام في عين بالتازار لوهلةٍ ، ثم قال ببرودٍ وهو يضع الكأس جانباً: زوي قد يستغرق العثور عليها وقتاً ، ولكنَّ آرميل سيأتي إلي بقدميه ، لأنه سيبحث عن الانتقام لصديقه!

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

القصر الملكي ، بالقرب من إسطبلات الخيل...

أمسكت أفروديت برأس حصانها أتشاز وأخذت تداعب شعره بيدها ، بينما تقول لزوي: لقد تغيرتُ منذ اليوم يا ليون!

ثم قالت: سأصبح أقوى وأقسى ، حتى أستطيع الصمود!... يجب ألّا أخضع للعواطف!

ساعدتها زوي على ركوب حصانها ، فقالت أفروديت وهي تنظر نحو الأفق: أرجو أن تنسى ماقد حدث بيننا يا ليون!..فلم أعُد تلك الأميرة العاطفية اللطيفة..

رمشت زوي للحظة... وتذكرت ذلك الوقت عندما قامت أفروديت باحتضانها ، ثم رفعت رأسها نحوها ، ورأت تلك النظرة الحازمة في عينيها وهي ترفع اللجام وتنطلق بخيلها...

انطلقت أفروديت بكل سرعةٍ عبر المرج الأخضر المحيط بالقصر ، وكانت أشعة الشمس الدافئة تسطع على وجنتيها ، قالت بصوتٍ قوي: سيتغير كل شيء!!

❁❁❁

في إحدى الليالي..

(بانسيلينوس - أورانوس)

كان آرميل يتجولُ طوال تلك الفترة بين القرى القريبة من أورانوس وغابة ميقالوس، ويسأل عن الرجال ذوي القبعات السوداء، وحصل على القليل من المعلومات... ولكنها كانت تُشتته، فلم يتمكن من تحديد موقعٍ ثابتٍ لهم بعد..

كان يُطعم نفسه من مال الاحتيال كما اعتاد، وكان يستمع إلى أحاديث الناس أثناء جلوسه في الحانات، كانت ليلةً كئيبةً وساكنةً، إلّا من أصوات مرتادي الحانة... الذين كانت أحاديثهم تدورعن الملكة أفروديت والأحداث السياسية الأخيرة، لكنَّ آرميل لم يكن يكترث بما يجري في المملكة، فقد كان كل همّه فقط التقاط معلومةٍ... تقوده إلى أرام...

حدّث نفسه وهو يحتسي شراباً لاذعاً من القدح الحديدي الصدىء: «الفوضى تعمّ المملكة، ولكنَّ الفوضى الحقيقية هي التي تسيطر على ذهني وروحي، يا أرام!»

كان وجهه شاحباً ومرهقاً، وكان ذلك الشراب يزيد من عطشه، فنهض ووضع بضعة آرغنتات على الطاولة، وخرج من الحانة... ليمرّ عليه جروٌ صغيرٌ ضالّ، فتوقف لينظر إلى عينيّ الجرو: اعذرني ياصديقي!... أظن بأن هذه آخر ليلةٍ لك!... لأنني عطشٌ جداً!

نظر الجرو بعينيه البريئتين إلى ذلك الشاب الطويل، الذي ركض نحوه بسرعةٍ خاطفةٍ والتقطه بيدٍ واحدةٍ واستمر بالجري... ثم توقف فجأةً، وكانت دماء الجرو تتقاطر نحو الأرض..

أطلق آرميل تنهيدةً وهو ينظر عالياً نحو السماء بعينيه الحمراوين، وقطرات الدم تسيل من شفتيه: الآن أشعر بالارتواء الحقيقي!..كم هي قاسيةٌ هذه الحياة، أحياناً يتوجب عليك أن تقتل، لتعيش..

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل...

اتجهت أغلاي إلى حجرة ميرابيل بعد أن قامت بدعوتها... وكان إيبير متواجداً..

ميرابيل مشيرةً لأغلاي بالجلوس: أريد أن أريكِ شيئاً!

جلست أغلاي فقدّمت لها ميرابيل تمثالاً صغيراً: لقد كان من المقتنيات المفضّلة لكوتريه!

أمسكت أغلاي بالتمثال الصغير وأخذت تتأمله، بينما قالت ميرابيل: جلبه معه من كروفستروفا!

سألت أغلاي: كروفستروفا؟

ميرابيل: إنها البلاد البعيدة التي أتينا منها... أرض مصاصي الدماء!

كانت الشموع المتراقصة تضيء الحجرة ، والسكون يخيّم على المكان ، قال إيبير: إمبراطورية كروفستروفا ، كانت تحكمها سلالة بونيفيل منذ الأزل!... أي أن دمائنا نقيةٌ تختلف عن بقية شعب مصاصي الدماء!... لقد كان جدنا الإمبراطور الحاكم ، وابنه والدي إيفرانور ، ولي عهد الإمبراطورية!

ذُهلت أغلاي وهي تستمع إلى ذلك ، ثم سألت: هل كانت الحياة هناك مختلفة؟!

فأومأ إيبير برأسه: بالطبع!... كنا نقوم بتربية الحيوانات والماشية ، ونتغذى على دماءها ، وكانت الشمس هناك أقل ضرراً ، فقد تميّزت الطبيعة بنباتاتٍ تمتص أشعة الشمس ، زرعها أسلافنا على مساحاتٍ شاسعة في كل أنحاء الإمبراطورية ، لذلك لم تكن تؤذينا كما يحدث هنا!... ومع هذا ، كانت الحياة تنشط فقط في الليل ، بينما يكون النهار للراحة!

أغلاي بعد تردد: هل لي أن أسأل ، لمَ أتيتم إلى هنا؟

أجابت ميرابيل وهي تخفض رأسها بحسرة: كنا نعيش بسلامٍ ، حتى ذلك الحين... عندما حدثت المجزرة!

تساءلت أغلاي بعينيها منتظرةً تفسيراً ، فقال إيبير: كانت الأسوار غير المرئية لكروفستروفا منيعةً ، فالإمبراطورية محميةٌ بالسحر بواسطة تعويذةٍ تمنع خروج أي مصاص دماء إلى عالم البشر ، وكذلك دخول أي بشريٍ إليها ، لقد قطع أسلافنا منذ العصور الغابرة عهداً مع البشر ، وعلى أساسه وُضعت تلك التعويذة!.. وكان الرخاء يعم كروفستروفا لقرونٍ طويلة... لكن اللعنة حلّت عليها عندما بدأت الحيوانات بالانقراض في العصور الأخيرة... وشاعت المجاعات في أراضيها ، فبدأ البعض بانتهاك القوانين ، وشرب دماء بعضهم البعض من أجل البقاء ، وعندما كثرت ضحايا تلك المذبحة العظيمة ، ولم يستطع الجيش السيطرة عليها ، أمرَ الإمبراطور بحرق المدن المضطربة لإيقاف تلك الفوضى من التمدد..

ميرابيل: وبسبب قرار الإمبراطور القاسي ، تناقصت أعدادهم وخشي البعض من انقراض جنس مصاصي الدماء ، فطالبوا الإمبراطور بإزالة الأسوار للخروج إلى أراضي البشر ليتغذّوا على دمائهم ويحافظوا على استمراريتهم ، وعندما لم يستجب لمطالبهم ، قامت على إثر ذلك ثوراتٌ كبيرةٌ لمحاولة إسقاط حكم آل بونيفيل ، وقُتل الإمبراطور ، ففضّلت الأسرة الحاكمة مغادرة الإمبراطورية ، وهربت عبر البحار لتستقر في بانسيلينوس..وأصبحت الآن من ضمن العائلات النبيلة المهمة في البلاط الملكي...

إيبير بأسف: كان قراراً أنانياً ، أجل ، جميعنا نعي هذا... ولكنه كان الخيار الوحيد والأمثل!...

فإما أن يحكُم أحد الثوار الإمبراطورية ويعذّب أفراد أسرة بونيفيل ليأخذ سرّ إبطال التعويذة منهم ، ثم يسمح لمصاصي الدماء بالخروج والقضاء على الجنس البشري ، أو أن يفرّ آل بونيفيل بالسرّ ليحافظوا على عهدهم مع البشر ، ويبقى مصاصو الدماء بداخل ذلك السجن المنيع للأبد...

ظلّت أغلاي تستمع إلى تلك القصة بذهولٍ وكأنها تستمع إلى إحدى الأساطير الخيالية التي كانت تُحكى في صغرها ، قال إيبير: قدّم والدي إيفرانور نفسه إلى الملك السابق ، والد الملك أليكساندروس ، وتقرّب منه... وبالمقابل أعجب الملك به وبحكمته فعيّنه بمناصب عدّة... حتى بلغ منصبه الأخير في عهد الملك أليكساندروس ، دوقاً على لورديور!

ثم قال متنهداً: لقد رحل جدُّكِ إيفرانور بعمر الثمانمائة!

اتسعت عينا أغلاي باندهاش: ثمانمائة!!

تفاعل إيبير وزوجته مع دهشتها بالضحك ، وقالت ميرابيل مهدّئةً: عزيزتي ، لقد عرفتِ اليوم معلوماتٍ كبيرةً على استيعابكِ ، فلتحظي ببعض الراحة الآن ، وستعتادين على إدراكها لاحقاً..

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة كليوزهيست)

بعد أن وصل أبوليون ومجموعته إلى رومبيانيا ، بدؤوا بجمع المزيد من الرجال المناصرين لأرجوس ، وظلّوا يراقبون العاصمة وتحركات الجند حول السجن... لبضعة أيام..

أبوليون: أعتقد بأنهم قاموا باستجواب الأمير لإيجادنا...

كان الرجال يقفون خلف أبوليون والقلق يعتريهم ، حتى أتى نوي يركض قادماً من المدينة...

وكان وجهه مذعوراً ، عندما قال لاهثاً: لقد أعلنوا قرار... إعدام الأمير!!

نهض أبوليون وشحب وجهه ، وتجهّمت وجوه البقية...

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي...

منذ تولّيها الحكم ، انهالت عروض الزواج عليها من ملوك وأمراء الممالك المجاورة ، وكانت أفروديت ترفض عروضهم بلباقةٍ ولطف ، لكونها غير مستعدةٍ للزواج بعد...

كانت أفروديت تقوم بمسؤوليتها في المجلس الملكي ، لتستمع إلى شكاوى الشعب وطلباتهم ، وكان

أحد الوزراء يقرأها عليها من مجموعة الأوراق الهائلة التي قام المسؤولون بجمعها من الشعب...

وبعد ذلك ، ربطت أفروديت بين جميع المشاكل... وعلى أساسها قررت حلولاً موحّدة ، فقالت: سنقوم بإمداد المزارعين بمعدّاتٍ زراعية جديدة ، وعمال المناجم بمعدّات تنقيبٍ ، والصيادين بمعدّات صيدٍ وقوارب جديدة ، ووفروا لجميع العاملين الآخرين مايحتاجونه من أجل كسب العيش وزيادة الإنتاج ، تُسجَّل عليهم كدين يسدد على دفعات...

ثم قالت: وسنعاقب جميع المسؤولين الذين ارتكبوا أي انتهاكات!

ثم التفتت نحو إيبير بونيفيل: أنت مُكلَّفٌ بمتابعة تنفيذ هذه القرارات ، كونت إيبير!

انحنى إيبير طاعةً ، وقد كان الكاتب يسجل كل ماتقول على الورق... حتى قال أرماند: جلالتك!... كل تلك الانفاقات الضخمة ستخفض من ميزانية المملكة!

أفروديت بجدية: ستنخفض مؤقتاً ، لكنها ستستردّ من المستفيدين لاحقاً ، وستزداد الميزانية بشكلٍ أكبر على المدى الطويل!... لأن الإنتاج سيتحسن بهذه الطريقة!

أومأ أرتشيم برأسه مؤيداً ، وكذلك ظهر الاتفاق في أعين الوزراء ، ثم نهضت وقالت بصوتٍ مرتفع: والآن اكتب أيها الكاتب ، تعديل المناصب الذي قررته..

تلفّت الجميع بحذرٍ نحو بعضهم خوفاً على مناصبهم ، وقامت أفروديت بتغيير مناصب بعض النبلاء والوزراء ودوقات المناطق الذين كثرت الشكاوي عليهم ، ثم قالت: ربما تأخر والدي في في إعلان بعض المناصب ، لكني سأعلنها الآن ، يرث إيبير بونيفيل لقب والده الراحل دوقاً على لورديور ويتولّى إدارة شؤون العاصمة ، ويُعيّن كبير الخدم بارنباس مسؤولاً عن القصر وعن الجناح الخاص بالملكة ، ويعود الكاهن أرتشيم لرعاية المعبد مع الاستفادة من مشورته إذا لزم الأمر ، ويبقى الكونت أرماند بونيفيل كمستشارٍ للملكة!

وأعلنت بعض المناصب الأخرى ، ثم بعد مغادرتها للمجلس سألتها مربيتها أديلايد على انفرادٍ عندما تبعتها مع بارنباس عبر الممر: لماذا أبقيتِ على الكونت أرماند وأنتِ لاتثقين به؟

قالت أفروديت بابتسامةٍ ماكرة: أنني أخطط لكسب ولائه بكرمي وتسامُحي معه ، فأرماند ذو طموحٍ عالٍ ، إنه يحاول قيادة عائلته نحو ذلك الطموح!... وعائلة بونيفيل لها نفوذٌ كبير وحلفاءٌ أقوياء ، لذا فهي قد تُمثّلُ خصماً خطراً!... إنني أحاول تحويل خصمي إلى صديق!

ثم أردفت: ابقِ عدوك قريباً منك ، لتعرف تحرُّكاته!.. وتعلّم كيف تستغله لمصلحتك!... ستكون جهوده مفيدةً جداً حينها ، لأنه سيحاول أن يُثبت الكثير ، لأجل أن يكسب ثقتك!

قال بارنباس: قرارك عين الصواب ، جلالتك!... فعندما يكون لديكِ خصمٌ معروف ، فإنك ستكونين أفضل حالاً مما لو كنتِ تجهلين مكان أعدائك الحقيقيين!... يمكنكِ الآن أن تراقبي

تحركات أرماند بسهولةٍ وهو تحت ناظريك!

أفروديت: بالطبع سأكون حذرةً منه ، ولكن لايمكنني الاستغناء عن مشورته في الوقت الراهن، فالكونت أرماند هو الأكثر خبرةً في إدارة شؤون المملكة ، وتحديداً الشؤون السياسية والعسكرية!... وأنا أحتاج لشخصٍ ذي خبرة ليساندني في بداية حكمي ، وفي مواجهتي ضد عدوي الأكبر ، بيلزبيل!... لن أمسك بالسيف من نصله الذي قد يجرحني ، بل سأمسكه من مقبضه الذي يسمح لي بالدفاع عن نفسي!

أومأ بارنباس برأسه مؤيداً: بالفعل ، المهارة والكفاءة ، أهم بكثيرٍ من المودّة!

ابتسمت مُتيَهةً على خادمها المخلص: أحسنتَ يا بارنباس ، فمِنك تعلّمتُ الحكمة!

واتجهت نحو المجلس الملكي ، حيث استقبلها الحاجب منحنياً: إن السيرجنت ألارد ينتظرك بالداخل ، كما أمرتِ جلالتك!

دخلت وجلست أمام ألارد الذي انحنى محيياً ، ثم جلس بعد أن سمحت له ، وقالت: لقد وصلتني أنباءٌ مؤكدةٌ مع الحمام الزاجل ، بأن بيلزبيل قرر إعدام الأمير أرجوس!

ثم قالت وهي تعقد يديها بجدية: قم بقيادة كتيبةٍ من الجيش إلى رومبيانيا ، لتحرير أرجوس من الأسر!..يجب أن يتم ذلك بسرّية ، وقبل موعد إعدامه!

ثم قالت: اعرض عليه الحماية في مملكتي!

كان ألارد يُقلّب عينيه أثناء حديثها ، فقد أدرك بأنها ستكون أكبر مهمةٍ له منذ أن التحق بالجيش... وهي التي ستثبت جدارته أمام أفروديت ، وأمام الجيش وقادته... بعد فشله في مهمّته السابقة..

نهض وانحنى قائلاً بروحٍ قتالية: أنا تحت أمرك!.. ولن أخيّب ظنّكِ هذه المرّة!

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ أورانوس)

كان أرام يتجول تحت أشعة الشمس ، وخلفه مجموعةٌ من الفيركولاس يحتمون منها بقبعاتهم الكبيرة ، استمر في بحثه عن فتاةٍ ذات شعرٍ أحمر داكن ، ولكن دون جدوى ، فقد دلّه الكثير من القرويين على عددٍ من الفتيات ذوات الشعر الأحمر ، ولكن زوي لم تكن من بينهن..

حتى مرّ عبر زقاقٍ ورأى جثة جروٍ أبيض على حافة الطريق... ونظر إلى رقبته المعضوضة ودماءه الجافة ، فسأل رجاله: هل هذا من فِعل أحدكم؟

وعندما أجابوا جميعهم بالنفي ، رمشت عيناه بهدوءٍ ، وأدرك بأن الفاعل إما أن يكون زوي... أو آرميل: لقد اقتربنا من أحدهما... أخيراً!

❁❁❁

في ذلك المساء...

(بانسبلينوس - العاصمة لورديور)

خلف الدكاكين ، كانت امرأةٌ تبكي من الفقر والجوع ، وتحتضن أطفالها الجياع ، محاولةً لكاتهم... بينما تبحث في بقايا الطعام ، واقتربت منها شابةٌ ترتدي عباءةً وقلنسوةً لم يظهر منها سوى أنفها وشفتيها ، وسألتها: لمَ لاتعملين لتوفير الطعام لأطفالك؟

ذُهلت المرأة وأجابت: كان لدي عربةٌ أبيع بها الطعام ، حصل عليها زوجي قبل وفاته ، إلّا أن أحد التجار قام بتحطيمها لأنني كنت أبيع أمام دكانه ، كان يمكنه إبعادي دون تحطيم عربتي!

سألتها الشابة: وهل اشتكيتِ للقاضي؟

أجابت المرأة: بالطبع اشتكيت ، ولكن القاضي لم يُنصفني ، فقد قام التاجر برشوته ليُنهي القضية لصالحه ، وها أنا أعاني مع أطفالي ، بسبب الظلم في هذه البلاد!... الملكة لاتكترث لشعبها ، ولفساد قضاتها!

أمرت الشابة الرجل العجوز الذي يقف على يمينها ، هامسةً: قدِّم لها المال لتشتري عربةً جديدة ، وأحضر لي اسم القاضي والتاجر...

ثم قالت للمرأة: لاتقلقي أيتها السيدة!... سأنقل قصتكِ للملكة ، فهي لن ترضى أن يُظلم أحدٌ من شعبها!

وكان يقف على يسار الشابة فتىً ذا شعرٍ أحمر داكن ، همس في أذنها: لقد تأخر الوقت ، من الخطر تواجدكِ هنا ، أنا أعرف هذا الحيّ جيداً ، يتواجد به بعض العصابات!... فلنعد للقصر ، جلالتك!

كانت تلك زوي ، بثيابٍ مدنية ، تحرس أفروديت والعجوز بارنباس ، في جولةٍ سريّةٍ لتفقُّد أحوال الشعب ، تقوم بها الملكة من حينٍ لآخر ، متخفيةً تحت عباءتها...

وكان هذا الحيّ ، هو الذي نشأت فيه زوي ، وتحفظ طرقاته ورائحته القذرة جيداً... فقد مرّت بمنزل أبراكساس ، ولكنها لم تلتفت اليه ، لتتجاهل ذلك الماضي الكئيب ، قبل ركوبها العربة مع أفروديت...

القسم العسكري...

بعد عودة زوي ، أخبرها ألارد عن مهمّته ، وبدأ بتجهيز الأسلحة والخيول لينطلق بحلول الفجر مع الكتيبة ، ابتسم ورفع رأسه لينظر إلى السماء: إنَّ الملكة تضع ثقتها بي مجدداً ، وعليَّ أن أكون جديراً بها!..لازلت أتذكّر وجهها أثناء حفل التتويج ، عندما كانت تلقي خطابها ذاك بكل ثقةٍ

وحماسة..

نظرت زوي بصمتٍ إلى ملامح وجهه السعيدة تلك ، وابتسامته المُعجبة عندما كان يصف أفروديت قائلاً: لقد كانت تتوهج!

ظلّت زوي تحدّق به ، حيث كانت مشاعرها المكبوتة الفيورة تتعمق داخل قلبها المفطور ، وقد اتضح ذلك من خلال عينيها التعيستين ، ولم تلحظ بأن ألباين كان يراقبها ؛ بنظراتٍ عميقة مصحوبةٍ بالشك والتساؤل... عن نوع العلاقة بينها وبين ألارد..

❁❁❁

وبعد بضعة أيام..

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

وصل ألارد مع كتيبته إلى رومبيانيا ، والتقى بالمجموعة المناصرة لأرجوس... وقدّم نفسه إلى الجنرال أبوليون ، محدثاً إياه عن نوايا الملكة أفروديت... ثم خاض الاثنان نقاشاتٍ انتهت بتحالف المجموعتين ، بهدف إنقاذ الأمير..

أبوليون: سيتم إعدام الأمير صباح الغد!!

أومأ ألارد برأسه وقال بجدية: إن لم نتمكن من إنقاذه هذه الليلة...

فقال أبوليون: كلا ، لن ننقذه هذه الليلة!

تساءل ألارد بعينيه ، فقال أبوليون موضحاً: صباح الغد ، سيتجه معظم الحراس لتنظيم حشود الشعب التي ستتجمهر من أجل مشاهدة الإعدام...

ألارد: فهمت... إذن فأنت تفكر بأن الحراسة على السجن ستكون أقل مع حلول الصباح!

أومأ أبوليون برأسه ، ولكنه قال بحزم: سيسهّل المهمة علينا ، ولكنها ستكون مخاطرةً كبيرةً بحياة سموه!... فإذا تأخرنا أو فشلنا ، فلن يكون هناك وقتٌ اضافيٌ للإبقاء على حياته!!

كان نوي يستمع إلى حوارهما ويفكر قلقاً على حال صديقه العزيز وسيّده.. الأمير أرجوس ، وفكّر بطريقةٍ لإنقاذ والده من السجن...

❁❁❁

(بانسيلنوس ـ العاصمة لورديور)

كان شعب بانسيلينوس سعيداً بما قدّمته أفروديت ، الفلاحون والصيادون وعمال المناجم ، كانوا يهتفون باسمها أمام أسوار القصر: فلتتبارك الملكة أفروديت!!

أطلّت من الشرفة الملكية لتحييهم وتشكر قدومهم ، ثم عادت لتأمر باجتماع الوزراء والمستشارين

في المجلس الملكي..

وأعلنت لهم: لقد خان الملك بيلزبيل الاتفاقيات بين مملكتينا ، وبغضّ النظر عن كونه قد أرسل جاموساً لتهديدي في السابق ، إلا أنه كان يخطط لاستيطان الرومبيانيين في المنطقة الحمراء وتغرب بانسيلينوس... واحتكار صناعة الأسلحة المستخرج حديدها من مناجمنا ، وهذا يُعدُّ تمادياً على الكرم والثقة التي منحه إياها والدي!... ولقد قرر والدي قبل وفاته بأن يعيد النظر في الاتفاقيات!

أخذ الوزراء يتهامسون فيما بينهم عن الموضوع ، حتى قالت أفروديت: اكتب أيها الكاتب!.. إلى الملك بيلزبيل رونثو..

ثم قالت ملقنةً: أنا أفروديت غاريس ، أعلن إلغاء اتفاقيات التحالف بين بانسيلينوس ورومبيانيا ، واسترجاع جميع مناجم الحديد التي تم منحها لكم ، وذلك بسبب تماديكم بالانتهاكات!

نظرت إلى الكاتب وأمرت: فليقم الرسول بنقلها إلى بيلزبيل بأسرع وقت!

ثم التفتت نحو أرماند: كونت أرماند!... قُم بالإجراءات اللازمة حيال ذلك!

أمرت أفروديت مسؤول القصر بارنباس بإدخال الرومبيانيين الذين قامت بدعوتهم مسبقاً ، وكانوا من أهم الشخصيات المُقيمة في بانسيلينوس ، السفير الرومبياني ومرافقه ، وثلاثةٌ من أكبر التجار في بانسيلينوس..

وبعد أن ألقوا التحية عليها ، قالت أفروديت: أيها السادة ، أشكركم على جميع ماقدمتموه خلال فترة حكم والدي!... وعلى دوركم الهام في تحسين العلاقة بين مملكتينا!... ولكني أود أن أطلب منكم العودة إلى رومبيانيا!

تجهمت وجوههم ونظروا إلى بعضهم متفاجئين ، فأردفت: لأن العلاقة لم تعد كما كانت!... والإتفاقيات قد أُلغيت بسبب تجاوزات ملككم بيلزبيل!.. وبسبب الهجوم الذي تعرضتُ له من رفيقكم الذي ولّى هارباً إلى رومبيانيا ، بعد أن خان الكرم الذي شمله في هذه البلاد!

ثم قالت: وانني لا أرغب بأن يتكرر ذلك الأمر مجدداً ، فلم أعد أثق بأي رومبياني موالٍ لبيلزبيل!

❁❁❁

في صباح اليوم التالي..

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

اجتاح شعب رومبيانيا عند معرفتهم بأن الأمير سيعدم هذا اليوم... وتجمّعت الحشود في ساحة الإعدام... لرؤية ابن الملك هيروديون يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ويودّعوا آخر آمالهم معه..

كان أرجوس يجلس في زنزانته متوتراً ، ونيرانٌ تتأجج بداخله ، وضجيجٌ من الأفكار المتزاحمة في

رأسه ، فكّر بالخطاب الأخير الذي سيلقيه على شعبه قبل موته ، وفكّر بنوي وأبوليون وبقية رجاله... الذين بذلوا وضحّوا بأرواحهم لأجله... لكنه خذلهم في النهاية ، وفكّر بأنه سيترك شعبه للمعاناة تحت ظلم بيلزبيل...

سمع صوت أقدام الحراس القادمين لأخذه لساحة الإعدام ، وأخذ يحدّق في الباب بانتظار حتفه...

لكنه سمع فجأةً أصوات قتال رجالٍ وصليل سيوفٍ تصدر من أسفل نافذة زنزانته ، ورأى خطّافاً كبيراً قد قُذف نحو النافذة ، ثم جَذب الخطّافُ قضبانها الحديدية بقوةٍ نحو الخارج لينتزعها ويُسقطها...

نهض أرجوس متفاجئاً ، فرأى الخطّافَ يُقذَف مرةً أخرى ليَعلَق في أحد أحجار حائط الزنزانة. كان الخطاف متصلاً بسلسلةٍ حديديةٍ ممتدةٍ وكان يتسلّقها أحد الجنود ، نظر أرجوس إلى الجندي الضخم الأشقر الذي خلع خوذته ، وعندما تمعّن في دروعه... أدرك بأنه بانسلي!

ذهل أرجوس ، فقال ألارد وهو يمدّ يده لاهثاً: سمو الأمير أرجوس!!... لقد أتينا لإنقاذك بأمر من الملكة أفروديت!!... هيا أسرع!

استمر أرجوس يحدّق به مذهولاً ولازال يقف في مكانه والشكّ ينتابه ، حتى فتح الحراس الباب وتفاجؤوا فور رؤيتهم لألارد الواقف أمام النافذة ، فأخرجوا سيوفهم وقاموا بمهاجمته...

وفي تلك اللحظة ، تسلق جنديان من أتباع أرجوس ، وقاما بحماية ظهر ألارد ، بينما توجّه نحو الأمير صائحاً: هيا!!

زالت شكوك أرجوس عندما رأى أتباعه ، واندفع نحو النافذة وتعلّق بالسلسلة نزولاً نحو الأسفل بمساعدة ألارد وبعض الجنود ، ثم رأى المعركة الصغيرة التي كانت تدور عند أسوار السجن بين الرومبيانيين وأتباعه ، بدعمٍ من بعض البانسليين..

بحث بعينيه عن نوي بقلقٍ ، والتفت نحوه أبوليون أثناء خوضه في القتال ، وصرخ به: اهربا!

فقال ألارد وهو يجذبه: الخيول هناك!... أسرع من فضلك!!

ركب ألارد على ظهر الحصان وساعد أرجوس على ركوب الحصان الآخر ، وانطلقا مع مجموعة من الجنود..

بينما في مكانٍ آخر من السجن ، كان نوي يركض بين الزنزانات متذكراً بزيّ جندي روميلي ليبحث عن والده ، ولكنّه لم يتمكن من إيجاده ، كان يبحث لاهثاً بتوترٍ وضربات قلبه تتسارع مع ازدياد يأسه ، حيث كان الخوف يعتريه من أن يكون والده قد أُعدم... لكنّ ذلك القلب توقف عن التسارع ، عندما سمعت أذنه ذلك الصوت المألوف:

نوي!!

توقف نوي ورجع خطوتين إلى الوراء... فرأى والده ممسكاً بالقضبان ، وقد شحّبت ملامح وجهه ونحت لحيته كثيراً ، كان مظهره قذراً... ذابلاً ومنهكاً ، اقترب منه ببطءٍ وهمس: أبي؟!

كانت عينا والده أغنيس تدمعان رغم ذعره: مالذي تفعله هنا؟... وماهذه الجلبة في الخارج؟!... مالذي يحدث؟!

عندما التفت المساجين إليهما... أشار له نوي بإصبعه طالباً منه التزام الصمت ، ثم أخذ يتلفّت حوله: سأحاول إيجاد مفتاح الزنزانة... انتظرني!

غاب نوي لبرهةٍ ، وسمع أغنيس خلالها صليل سيوفٍ ثم صرخة شخصٍ يُقتل... فتملّكه الخوف من أن يكون ابنه هو الذي قُتل ، لكنَّ قلبه قد سكن عندما سمع صوت خطواته ، فلم يلبث نوي أن عاد راكضاً وقام بفتح باب زنزانة والده ، ثم عانقه أغنيس بشدةٍ..

جذبه نوي للخارج على عجل: لا وقت لدينا ، أسرع!... أعتقد بأنهم اكتشفوني!!

أخذا يركضان عبر الممرات بكل ما أوتيا من سرعة ، ولكن اعترض طريقهما جنديان...

فاشهر نوي سيفه وقام بحماية والده..وتبارز معهما وتمكن من إصابتهما وإسقاطهما... ثم أمسك يد والده وجذبه ليكملا الهرب ، لكن أغنيس سقط على الأرض فجأةً...

التفت نوي نحو والده واتسعت عيناه ذعراً عندما رأى سهماً قد اخترق ظهره!... فرفع رأسه ورأى أحد الجنديين المصابَين يحمل قوساً ويبتسم بانتصار ، ويحاول إخراج سهمٍ آخر ليصوّبه نحو نوي...

نظر نوي إلى والده المصاب والدموع في عينيه ، حيث كان أغنيس يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحدّق بابنه قائلاً بحشرجة: أنا... فخورٌ... بك!

ثم أغمض عينيه بعد أن غادرت روحه ، وتوقف نوي لبرهةٍ دون أن يستطيع التفكير بشيء ، لكنه انتبه إلى ذلك السهم المتجهُ نحوه... فانزاح جانباً وتمكّن من تفاديه..

ونظر إلى قاتل والده فوجده يبتسم بتهكّمٍ محاولاً إخراج سهمٍ ثالث وكأنه يعلنُ بأنه لن ييأس ، فتقدّم نوي نحوه ليُنهي حياته منتقماً لروح والده ، لكنَّه سمع في تلك اللحظة أصوات أقدام الجنود الرومبيانيين وهم قادمون ركضاً عبر الممرات ، فرمقه بنظرةٍ حاقدةٍ... وغادرهارباً...

(بالسيلينوس - العاصمة لورديور)

كانت ديميتير تتجول بعربتها وحرّاسها عبر طرقات المدينة ، وقد اصطحبت معها صديقتها فيوليت بونيفيل ، بعد أن عادت علاقتهما صافيةً كالسابق..

نظرت ديميتير من النافذة مبتسمةً: الحياة خارج القصر مختلفةٌ تماماً!

ثم قالت: انظري إلى ذلك الوسيم هناك!

نظرت فيوليت فرأت شاباً نبيلاً يتبضّع من أحد المتاجر ، قالت الأميرة: لمَ لا نجد لكِ عشيقاً؟.. هل يروق لك ذلك الشاب؟

احمرّ وجه فيوليت وأخفضت رأسها ، فقالت ديميتير: فيوليت!... أنتِ خجولةٌ جداً ، لهذا السبب لايحوم حولكِ الشبان!

ثم رفعت حاجبها باستنكار: من الغريب أن باربرا لم تحاول مساعدتك في هذا الشأن ، أم أنها لاتحاول سوى استغلالكِ للتقرّب من أخيكِ غيلبرت!

ثم همست لها غامزةً: لاعليكِ... ديميتير سوف تساعدك!

نظرت فيوليت إليها مستغربةً ومتسائلةً عمّا ستفعله ، فأمرت ديميتير السائس أن يوقف العربة ، ثم قامت بجذب يدها للنزول...

اتجهت الاثنتان إلى ذات المتجر الذي يتواجد به الشاب ، ثم قامت ديميتير بدفع فيوليت عنوةً لتسقط على الأرض ، وتظاهرت بالقلق: فيوليت!!... هل تعثّرتِ؟!... هل أنتِ بخير؟

التفت إليهما صاحب المتجر وكذلك الشاب النبيل ، فتظاهرت ديميتير بمحاولة مساعدتها على النهوض ، وكانت فيوليت مذهولةً وغير مدركةٍ لما يحدث... حتى هرع الشاب نحوهما وساعدها ، فنهضت فيوليت وقامت بتعديل ثوبها ثم نظرت بحرجٍ إلى الشاب الذي سأل: هل أنتِ بخير؟

شعرت فيوليت بالحرج واحمرّ وجهها ، وبدى الإعجاب على وجه الشاب وهو يقول: أعتقد بأنكِ من آل بونيفيل!... رأيتكِ من قبلُ في القصر!

ثم انحنى لديميتير: الأميرة ديميتير!..تشرفت بلقائكما!

نظر الشاب بإعجابٍ إلى فيوليت بعد أن قام بالتعريف بنفسه ، لكن ديميتير لاحظت بأن فيوليت غير مهتمة ، فقد حاولت الصغيرة التهرّب من الموقف: هلاّ دخلنا ذلك المتجر هناك؟.. سمو الأميرة!

دخلت الفتاتان متجراً للثياب الراقية ، ثم التفتت ديميتير نحوها: إنكِ لاتبدين مهتمةً بالشبان!... فيوليت!... هل من الممكن أنكِ تحبين شخصاً ما؟!

اتسعت عينا فيوليت تفاجؤاً ، وأخفضت رأسها بارتباك: كلا... هذا غير صحيح!

فابتسمت ديميتير: كما توقعت!... من هو؟.. أعتقد بأنني قد لاحظت بأن عينيك دائماً ما تسرحان بأحدهم ، دعيني أخمن..

رفعت فيوليت رأسها بسرعةٍ ، ونظرت إلى ديميتير بتوترٍ واستمرت بالإنكار...

ديميتير: على كل حال ، سأساعدكِ في التقرب من الشخص الذي تحبينه ، بمقابل أن تساعديني ، في التقرب من الكونت أرماند!

لم يخطر على بال فيوليت شيءٌ كهذا ، فحدّقت مشدوهة إلى تلك الأميرة اللعوبة ، التي قررت أن تضع عينيها هذه المرة على عمها أرماند ، وستستخدمها كوسيلةٍ للوصول إليه ، ولكنّ إيمانويل يستحق أن تبذل أي شيءٍ لأجل الحصول على قلبه ، فأومأت برأسها موافقةً على الاتفاق.

ولم تتساءل عن نوايا ديميتير الحقيقية ، فقد كانت تحقد على أرماند يوم التتويج ، وها هي الآن تحاول التودد إليه!

❁❁❁

عند غروب الشمس..

(رومبيانيا)

تلونت السماء بحُمرة الشفق ، وتوقفت الكتائب لأخذ فترةٍ قصيرة من الراحة بعيداً عن العاصمة كليوزهيست ، بعد معركة تحرير أرجوس..

وقف نوي أمامه ونظر إليه بلهفةٍ واشتياق: سمو الأمير!!

وعندما رأى أرجوس وجه نوي شعر بالارتياح... و قام بعناقه بشدةٍ ، ثم لاحظ بكاءه الحارّ أثناء ذلك الاحتضان ، فأطلّ في وجهه سائلاً: نوي؟!

مسح نوي دموعه بينما يخبّئ وجهه الباكي عن أميره: لقد قتلوا أبي!

تجهّم وجه أرجس وحدّق بصاحبه مذهولاً ومتألماً ، ثم وضع يده ببطءٍ على كتفه... ورفع رأسه لينظر إلى الحزن في عينيه ، لكنّ أبوليون جاء مقاطعاً إياهما بتوترٍ شديد: سمو الأمير!... إنهم يسعون وراءنا!... يجب أن نهرب الآن إلى خارج حدود رومبيانيا!

سأله أرجوس بيأسٍ وخيبة: إلى أين؟!... إنني أستمر بالهرب منذ سنوات!!

لكنّ ألارد تقدّم في تلك اللحظة وانحنى له... ثم وجّه إليه رسالةً شفهيةً من أفروديت: سمو الأمير أرجوس رونثو!... أنقلُ لك رسالة الملكة أفروديت ، التي تعرض عليك التحالف... وتُرحّب باستضافتك في قصرها في لورديور!

زهل أرجوس عندما علم بأنها قد توّجت ملكةً ، وأخذ يفكر للحظةٍ ثم نظر إلى أبوليون الذي أوما برأسه مؤيداً وهو يقول: لولا دعم جنود الملكة أفروديت ، لما تمكّنا من تحرير سموك من الأسر!

أدرك الأمير بأن أفروديت قامت بخطوةٍ إيجابيةٍ لكسب ولائه ، فقرر أن يمنحها ذلك الولاء ، وذهب للقائها ، فركب على ظهر الجواد ، ثم التفت إلى رفيق دربه نوي... الذي ركب هو الآخر وسار إلى جانبه ، ولاحظ عينيه الحزينتين ، فقال له بجدية: أعدك بأننا سننتقم لوالدك يوماً... ابقَ قوياً يا نوي!

رفع نوي رأسه والتفت إليه: سمو الأمير!... أنا أثق بوعدك!..وسأدعمك لآخر يوم في حياتي!..سنعود إلى رومبيانيا حتماً ، وستدخل كليوزهيست مرةً أخرى ، ولكن كملِك!!

❁❁❁

وبينما كانت الفوضى تعمُّ مدينة كليوزهيست ، كان المجلس الملكي يواجه تلك الأزمة...

حيث كان بيلزبيل غاضباً جداً فور معرفته عن هروب أرجوس: ألم تجدوه بعد؟!!

ترينون: لقد قمنا بتطويق المنطقة!... والجنود الآن يبحثون عنه في كل شبر!... لن يتمكن من الفرار بعيداً ، لاعليك... سنجده قريباً جلالتك!

رفع بيلزبيل قبضته على المنضدة: ذلك اللعين!..يستمر بالهرب كالجرذ!..سأُعدم كل من كان مسؤولاً عن هذا الإهمال!

أنارغيروس: جلالتك ، لقد شوهد بعض الجنود البانسليين!... يبدو أن أفروديت أرسلت جنودها لتحرير أرجوس!

بيلزبيل بحنق: أمرٌ متوقَّع ، لقد حاولَت التحالف مع أرجوس قبلاً ، وقد نجحَت الآن!

❁❁❁

في اليوم التالي..

(بانسيلينوس - مولنيا)

وصل ألباين إلى المزرعة ، وهبّ العاملون والمزارعون لاستقباله... ثم أفسحوا الطريق لدليا التي ركضت نحوه وعانقته باشتياق: أخي ألباين!... مرحباً بعودتك!

ألباين بسرور: لقد علمتُ بأنكِ اعتنيتِ بالمزرعة جيداً أثناء غيابي!... أنا فخورٌ بك يادليا!

ابتسمت دليا ابتسامة أكثر ، لكن ألباين رفع رأسه ونظر إلى ياني الذي كان يقف خلف دليا ، ويشاهدهما خجلاً...

تغير وجه ألباين واختفت ابتسامته عندما سأل: هل هذا هو ياني الذي كتبتِ لي عنه؟

التفتت داليا نحو ياني وقالت مبتسمةً: أجل ، هذا ياني!

وكزّت إيوانا ياني هامسةً له: قم بتحية السيرجنت!!

انحنى ياني ، وظلّ ألباين يحدّق به للحظاتٍ ثم تمتم بغير ارتياح: إنه يبدو وسيماً أكثر مما تصورت!

جذبت داليا يد شقيقها إلى الداخل على عجل ، بينما قام الخدم بحمل حاجياته ، وهرعت إيوانا وداناي نحو المطبخ لتجهيز المائدة..

جلس ألباين مع شقيقته على المنضدة لتناول الغداء... وكان برفقتهما ياني... الذي بدأ بالأكل وعيناه تشعّان سروراً ، حيث كان ذلك هو طبقه المفضل..

نظر ألباين إليه وقال بنبرةٍ مستنكرة: هل سيشاركنا المائدة؟!

ذهلت داليا ، وصمتت للحظةٍ.. ثم نظرت إلى ياني الذي كان منسجماً مع الطعام ، وهمست لأخيها منزعجةً: لقد اعتاد أن يشاركني المائدة يومياً!... ومن غير اللائق أن أستثنيه هذا اليوم!

تضايق ألباين: إنه لايفقه شيئاً كما أخبرتني!... لمَ تحاولين مراعاة اللباقة معه إذن؟... إن الأمر «الغير الائق» يادليا..هو أن يتناول عاميٌّ مشردٌ الطعام مع سيد المنزل!

ذهلت داليا من كلمات ألباين القاسية ، والتفتت نحو ياني فرأته قد ترك طعامه ونهض مرتبكاً: أنا آسف..

ثم غادر مسرعاً نحو حجرته ، واستاءت داليا لأن ألباين جرح مشاعره بتلك الطريقة ، فنهضت لتلحق به... لكن ألباين وضع يده أمامها لإيقافها ، وقال بصرامة: عودي إلى مقعدك!!

تضايقت ثم عادت إلى مقعدها: لاتتحدث أمامه بتلك القسوة!!... حتى وإن كان لايعي جيداً ، فهو لايزال إنساناً ، لديه مشاعرُ رقيقة!

ألباين بشكّ: ولمَ تكترثين لمشاعره إلى هذا الحد؟... من الجيد بأني سمحتُ ببقائه في منزلي، احتراماً لرغبتكِ الإنسانية!... لذا لاتحاولي إغضابي ، حتى لايعود إلى الطرقات مجدداً!

عندها التزمت الصمت ، وأكملت طعامها بهدوء... حتى يبقى ياني في المنزل...

❁❁❁

في المساء..

(بانسيلينوس ـ أورانوس)

دخل آرميل إلى الحانة التي كان يتردد عليها ، فهرع نحوه صاحب الحانة هامساً: هل تذكر أولئك الرجال ذوي القبعات الكبيرة الذين كنتَ تسأل عنهم؟!

نظر آرميل إليه باهتمام ، فأردف الرجل: لقد مرّوا من هنا قبل يوم مع قائدهم!

ذهل آرميل وتحفّز: كيف كان القائد؟!

أجاب الرجل: كان شاباً قاسياً وبارداً كالثلج!... شعره أسودُ طويل... وأعتقد بأن هناك ندبةً على وجهه ، لست متأكداً!

حدّث آرميل نفسه: «أنت موجودٌ في هذه البلدة يا أرام ، للبحث عني!... سأجعلك تعثر علي!»

بينما في أحد الأزقة الضيقة والخالية من الناس ، طوّق أرام قبضته حول عُنق المرأة التي وجدها تسير بمفردها في ذلك الزقاق ، كان يدفع رأسها بقوةٍ نحو الحائط ، وهي تحاول إبعاد قبضته المُحكمة عن رقبتها... وكانت عيناها تدمعان مستجديةً الحياة... بينما تحدّقان بآخر مشهدٍ تراه ، الندبة التي تظهر من خلال تمايل خصلات شعره مع ذلك النسيم اللطيف ، واستمر بخنقها حتى آخر نفس ، ثم قام بعضّ رقبتها ، وبعد أن ارتوى من دماءها أفلت يده... فسقطت المرأة جثةً على الأرض ، وابتعد عنها بهدوءٍ... وتعابير وجهه لازالت ساكنةً ولم تتغير..

كان متجهاً نحو الغابة ، فبعد رؤيته لجثة ذلك الجرو... فهِم بأن آرميل يتغذى على دماء الحيوانات فقط ، وتيقّن بأنه سيتوجه إلى الغابة لشرب المزيد من الدماء ، لذلك قرر انتظاره هناك..

في اليوم التالي..

(رومبيانيا - العاصمة كليوزهيست)

وصل الرسول من بانسيلينوس يحمل رسالة أفروديت:

(أنا أفروديت غاريس ، أُعلن الغاء اتفاقيات التحالف بين بانسيلينوس ورومبيانيا ،

واسترجاع جميع مناجم الحديد التي تم منحها لكم ،

وذلك بسبب تماديكم بالانتهاكات.)

طوى بيلزبيل الرسالة بعنفٍ ثم مزّقها: هذا ما كنت أتوقعه!!

بعد ذلك ، وصل الرومبيانيون الخمسة من بانسيلينوس إلى قصر بيلزبيل ، وعندما أخبروه بأنهم عادوا إلى رومبيانيا بناءً على قرار أفروديت في انهاء العلاقة بين المملكتين...

جلس بيلزبيل على عرشه وقال بهدوء: أفروديت تُعلن العداوة!

وتبادل النظرات مع أنارغيروس ثم قال: أعتقد بأننا يجب أن نجهز جيوشنا!.. انتهى زمن

الاستقرار!

في تلك اللحظة دخل شقيقه الآخر تريتون ، بوجهٍ شاحب: لم نعثر على الأمير أرجوس جلالتك!!... لقد تمكّن من الهرب إلى خارج رومبيانيا!

انهار بيلزبيل وأخذ نفساً عميقاً خائباً ، وقال وهو يحاول تمالك غضبه: لقد فقدته للمرة الثالثة!... إنك تستمر بالفشل ياتريتون!... سأعزلك من منصبك إذا لم تُثبت جدارتك!!

انحنى تريتون معتذراً ، ووعد بأنه سيطوّر من أداء جنوده..

❁❁❁

قبيل الغروب..

(بانسيلينوس - غابة ميقالوس)

شعر آرميل بالعطش مجدداً واتجه نحو الغابة ليصطاد غزالاً ، وأثناء بحثه بين الأشجار ، سمع حركةً من إحدى الاتجاهات... فأزاح الشجيرات وتقدّم أكثر ، حتى خرج على مساحةٍ واسعة.. يتوسطها صخرةٌ صغيرة ، كان يجلس عليها شابٌ يتشح بالسواد... ذو شعرٍ طويل..

توقف آرميل وحدّق به للحظةٍ ، حتى نطق أرام ببرود:... مرحباً!

ثم رفع رأسه ، ومن بين خصلات شعره السوداء.. ظهرت عينه الضيقة ، التي نظرت إلى آرميل بحدّة..

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

قام الخادم بسكب الشراب الدموي في كؤوس أفراد العائلة ، بينما قال الدوق إيبير: ستستضيف الملكة الأمير أرجوس في قصرها..

إيمانويل: إنه تصرفٌ نبيلٌ من الملكة أفروديت ، ولكن بعد أن قامت بتحريره من الأسر ، وألغت التحالف مع رومبيانيا ، سيكون بيلزبيل غاضباً جداً الآن ، عليها أن تستعد لحربٍ قادمة..

ميرابيل بقلق: أخشى أن تعود الحروب ، لقد عشنا باستقرارٍ في العَقد الأخير!

أرماند: جيش بانسيلينوس يوازي قوة جيش رومبيانيا ، بالإضافة إلى تحالفها مع مملكة تشيستوتا والممالك الأخرى ، لذا لن يخاطر بيلزبيل بالهجوم..

لم يكترث بيلموت لأيٍّ من حديثهم ، فقد التقط كأسه وخرج نحو الشرفة ، ليرتشف الدماء بعزلة...

نهض غيلبرت متنهداً: بسبب وجود الأمير أرجوس ، فستكون الحراسة مشددةً على القصر!... وسيكون عملي أكثر جهداً!

بينما في ناحيةٍ أخرى من البهو ، كان يقف الأبناء الأصغر عمراً ، ارتشفت باربرا من كأسها وقالت بازدراء: لمَ تصرّين على مرافقتنا في أوقات شرب الدماء؟.. ألا تلاحظين بأنكِ منبوذة؟

رمقتها أغلاي بنظرةٍ منزعجة ، فقال أندريون: يكفي يا باربرا ، أنتِ تستمرين بمضايقتها!

باربرا مستصغرةً: كيف تجرؤ على انتقاد من هم أكبر منك؟

اقترب غيلبرت بعد أن سمع حوارهم ، وكان ينظر إلى كأس أغلاي الذي يحوي نبيذاً بدلاً من الدم: إلى متى تنوين البقاء معنا أيتها العامية؟... ألا ترين بأن المنزل وعاداته لاتلائمك؟

ابتسمت باربرا بعد أن دعمها غيلبرت بكلماته تلك ، بينما تضايقت أغلاي: لم يكن اختياري أن هناك صلة دمٍ تربطني بكم!

اقترب غيلبرت منها وأخفض رأسه ليكون محاذياً لرأسها وقال: أمتأكدةٌ بأن هناك صلة دم تربطك معنا؟... أعني ، هل أنتِ ابنة كوتريه حقاً... أم أنكِ طامعةٌ مخادعة؟!

حدّقت أغلاي في عينيه بحنق ، وفي تلك اللحظة لاحظ إيمانويل مايجري ، وأدرك بأن غيلبرت يحاول مضايقتها ، فنهض وتوجه نحوهم: مالذي يحدث هنا؟!

التفت غيلبرت وقال ساخراً: هل تَراها تشبه العم كوتريه حقاً؟!.. مارأيك يا إيمانويل؟

نظر إيمانويل إلى غيلبرت بحدة: لو كان كوتريه هنا ، فبالتأكيد لن يرضى بأن تضايق ابنته بتلك الطريقة!

باربرا مدافعةً: لقد كان غيلبرت يتساءل فقط!

التفت إليها غيلبرت متعمداً إحراجها: من سمح لكِ بالتحدث نيابةً عني؟

ضحك أندريون ضحكةً مكتومةً ، بينما شعرت باربرا بالحرج والغيظ ، لكن الجميع تفاجأ عندما تحدثت أغلاي بخيبة: لابأس!... يحق لكم أن تتساءلوا وأن تشكّوا بي ، وأن تتضايقوا مني أيضاً... لأنني بشريةٌ عامية ولقيطة... ودخيلةٌ على منزلكم!!... هذه هي الكلمات التي لاتكفّون عن قولها لي!!

قالت جملتها تلك بسرعةٍ ثم ركضت نحو الحديقة... فلحق بها إيمانويل وقال بصوته الرزين: انتظري!

توقفت وكانت تبكي ، فاقترب منها: لاتكترثي لما يقوله غيلبرت وباربرا ، فأنتِ تعلمين بأنهما أوقح اثنين في العائلة!

ثم قال: أنتِ ابنة كوتريه بالفعل ، ألا يكفيكِ بأنني أؤمن بهذا؟

وأردف: هذا المنزل منزلكِ كما هو منزلنا...

ثم رفع رأسها بيده: أن تكوني بشريةً... فهذه أجمل ميزةٍ بك ، إن ذلك يعني بأن رائحة دمائك جذابةً على الدوام...

نظرت أغلاي إلى عينيه ، اللتين كانتا تراقبان دموعها ، فقام بمسحها بكل لطفٍ بأنامله وهو يقول: لاعليكِ ، أنا سأحميكِ!

ثم أمسك بوجنتها وتأمل وجهها لوهلةٍ..وقال بصوته العذب: هل تعلمين بأنكِ جميلةٌ يا أغلاي؟

تراجعت للوراء بخجل.. وهمّت بالهرب من أمامه... ولكنه أمسك بيدها ، فالتقت لتلتقي عيناهما من جديد ، بينما كان يقول: هل تكونين..آنستي؟

ذهلت أغلاي من جملته تلك!... واحمرّت وجنتاها ، فقال: منذ أول وهلةٍ رأيتكِ فيها..خلال تلك الحفلة الراقصة ، أدركتُ بأنني قد رغبت بامتلاكك!

شعرت أغلاي بالحرج ، فأفلتت يدها منه بهدوءٍ ، وركضت إلى الداخل...

وكان شقيقه بيلموت لايزال يقف في الشرفة التي تعلوهما... وقد استمع إلى كل ماحدث ، وابتسم بسخريةٍ ، ثم ارتشف من كأسه...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ غابة ميقالوس)

نهض أرام وتوجه بخطواته الثقيلة نحو آرميل... الذي وقف مشدوهاً ، إلى أن نطقت شفتاه: أرام!!

ذهل من تغيّر هيئة أرام ، ملامحه البريئة الخجولة التي تحولت إلى مايشبه التمثال المتبلّد ، وشعره الطويل الذي كان يتمايل مع كل خطوةٍ يخطوها...

كان أرام ينظر ببرودٍ إلى عيني آرميل ، الذي قال بانفعال: ها أنت أمامي أخيراً!!... لقد بذلتُ الكثير لكي أعثر عليك!!... وأعتقد بأنك بذلت أكثر ، لتجدني!

ثم قال بحقدٍ وغضب: لا أصدق بأنك قتلت أريس... أيها الوغد!!

لم يجب أرام ، بل استمر يتقدم نحوه ببطءٍ... فقال آرميل: أنا هنا لأنتقم لروح ذلك البريء!... لن تنجو بفعلتك الشنيعة!... لأنك ستموت الآن على يديّ!!

أرام: حقاً؟... أشك بأنك قادرٌ على ذلك!

ابتسم آرميل بثقة: سترى!!

لتنتعلت رغبة الإنتقام في قلبه ، وتوهجت عيناه باللون الأحمر... وصدرت طاقةً قويةً من جسده... جعلته يركض مندفعاً بقوةٍ وهاجماً على أرام...

لكن أرام تفاداه بحركةٍ خاطفةٍ ، وقام بدفعه بعيداً..حتى اصطدم ظهره بجذع شجرةٍ وسقط على الأرض...

رفع آرميل رأسه وأمسك بظهره متألماً ، وفتح عينيه بصعوبةٍ... محاولاً التركيز على ذلك الشعاع الأحمر الذي تراءى له بأنه يظهر من عينيّ أرام ، ذعر آرميل ونطق متفاجئاً: أنت!!

وجحظت عينيه بذهول: لايمكن!!... هل يعقل بأنك...

قاطعه أرام بصوته البارد: نعم ، أنا مصاص دماءٍ مثلك!

نهض آرميل مشدوهاً ، ثم نظر إلى الوسم الذي على ذراع أرام... وانخفض الوهيج من عينيهما ، فنطق أرام بصوتٍ هادىء: أعلمُ بأنك تنتظر تفسيراً لكل هذا!

صرخ آرميل مهتاجاً وبصوتٍ مبحوح ، وقد شعر بأنه وجد ضالته أخيراً: مالذي يحدث لي؟!..ماهذا العطش الدموي؟... وماهذه اللعنة التي أُصبت بها؟!..أخبرني يا أرام!!

كان آرميل ينظر إليه بلهفةٍ منتظراً الإجابة التي ستريح روحه...

حتى أجابه: نحن لم نعد بشراً!... أنا وأنت مختاران يا آرميل!

ذهل آرميل وظلّ يحدّق به باهتمام ، فأكمل: إن هدف وجودنا..هو لخدمة بالتازار وقيادة الفيركولاس ، ضد البشرية!

استنشق آرميل نفساً بصعوبةٍ ، وقال بعينين ذابلتين وهو يشعر بالدنيا تدور أمام عينيه: ماهذا الذي تقوله يا أرام؟... لم أفهم شيئاً...

قال أرام وهو ينظر إلى الوسم في ذراعه: بهذا الوسم ، تم اختيارنا... وتحويلنا إلى وحوشٍ تسمى «الفيركولاس» ، لكننا نحن «المختارون» ، قد مُنحنا مزايا وقوىً خارقةً تفوق غيرنا من الفيركولاس ، لأننا قد أُختِرنا لقيادتهم ولتكوين إمبراطورية جديدةٍ خاصةٍ بمصاصي الدماء!

تراجع آرميل إلى الخلف محاولاً استيعاب مايسمعه ، ثم قال متعجباً وساخراً: أتعبثُ معي؟

جثا على الأرض ، ثم وضع قبضته على الأرض وصرخ غاضباً ومنهاراً: من هو اللعين الذي قام بتحويلي إلى هذا الوحش؟!

دخل في حالةٍ هستيرية ، وأخذ يلهث ويقلّب عينيه حول المكان ، ويحاول منع دموعه بينما يتأمل يديه بذعر وخيبة..

فأجابه أرام ، بعد أن شاهد حالته المزرية: بالتازار ، هو من قام بتحويلنا نحن الثلاثة ، ليلة

هروبنا تلك!

تمتم آرميل محاولاً التذكر: نحن الثلاثة...

ثم رفع رأسه: إنني أعلم بأن الثالثة فتاة!... من تكون؟!!

رمشت عينا أرام ببرودٍ وقال:... زوي!

طأطأ آرميل برأسه ، وأخذ نفساً عميقاً وقال وهو يقلب عينيه بصدمة: إنها زوي إذن!!... الفتاة التي كنت تبحث عنها في إيمبياسو ، وقتلتَ أريس لأجلها!!

ثم قال والألم يخنقه: لا أصدق بأن زوي قد مرّت بكل مامررنا به ، إنه يصعب عليّ احتمال هذه المعاناة كرجل ، فكيف لفتاةٍ أن تحتملها!

أرام مُستنتجاً بعد أن رأى مقدار صدمته: يبدو بأنكما لم تلتقيا بعد تحولّكما..

رفع آرميل رأسه مجدداً وحدّق بأرام بحدّةٍ: لقد أخبروني بأنك تبحث عنها!!... أنت تنوي ايذاءها أيضاً!

رد أرام بجدية: إنها أوامر بالتازار!... المختارون يجب أن يعودوا لسيدهم ومالكهم!

نهض آرميل وقال بنبرةٍ حاقدة: (بالتازار)!... ذلك الشخص الذي تسبب في تعاستي!!... كلا ، لن أُصبح عبداً مثلك لبالتازار!

قاطعه أرام: الدماء التي تجري في عروقك الآن ، هي دماء بالتازار!... أنت جزءٌ منه ، ومِلكٌ له!... وعليك أن تكون ممتناً للقوة التي منحها لك!

تفاجأ آرميل وارتعشت شفتيه: ماهذا الذي تقوله؟!

أخرج أرام سيفه: انتهى وقت الحديث!!

استعد آرميل لمواجهته: لن أغفر لك مافعلته بأريس ، من أجل لعبة سيدك البائسة!!

ثم تقدم نحوه والحقد يُشعّ من عينيه اللتين بدأتا تتوهجان ، وأمسك بطرف ثوبه بعنفٍ وهو يقول ضاغطاً على أسنانه: أخبرني.. ماهو.. ذنب.. أريس؟!!

قال أرام متحدياً ومستفزاً بنبرته الباردة: إنك جبانٌ كما عهدناك ، فلتقتلني الآن لتحقق انتقامك!

استمر التحديق بين عينيهما المتقاربتين ، واشتعلت النيران في جوف آرميل مجدداً ، وظهرت أنيابه وصرخ هاجماً ، لكنه شعر فجأةً بقوةٍ عظيمةٍ تعترضه وكانت تخرج من جسد أرام لتزيحه بعيداً عنه.. وتدفعه ليصطدم فيسقط ويتقلب على الأرض جريحاً...

قال أرام وهو لايزال ثابتاً في مكانه: لم تتدرب على قواك أبداً!... لهذا تبدو ضعيفاً ، كما

توقفنا.. لقد أمرتُ رجالي بعدم التدخل ، حتى تكون مواجهةً عادلة ، لكن يتبين لي الآن بأنها
أقل من عادلة!
حاول آرميل رفع رأسه بصعوبةٍ ، بينما قال أرام: بالإضافة إلى كونك جباناً ، لقد كنتَ اختياراً
خاطئاً لبالنازار!... على كل حال ، عليّ أن آخذك له الآن!
حاول آرميل النهوض بكل قوته... وكان يدرك في أعماقه بأن قوة أرام لاتضاهى ، وبأن خصمه
سيتمكّن منه في نهاية الأمر ، لكنه قال قبل أن ينطلق راكضاً: صحيحٌ بأنني لم أُدرَّب قواي...
لكنني دربت سرعتي!... فقد اعتدتُ اصطياد الحيوانات السريعة!... وساقيّ الطويلتان
تساعداني على هذا!
واستمر بالمقاومة والمناورة... ومحاولة التملّص من هجماته ، وكان منهاراً ، منهكاً ومتألماً ،
وجروح سيف أرام تغطي جسده ، لكن صورة أريس لاتزال تستمر بالظهور أمامه... وتدفعه
للمقاومة أكثر ، من أجل ألا تكون روح صديقه قد أُزهِقت هباءً...
وكلما حاول آرميل الهرب بين الأشجار الضخمة ، تمكّن أرام من اعتراض طريقه ، لكنه تفاجأ
عندما مرّ سهمٌ بينهما ، وسمعا في تلك اللحظة أصوات الصيادين يهتفون بأنهم رأوا دببةً
تتحرك في الجوار... وأخذوا يركضون باتجاههما...
وبسرعة بديهة آرميل ، أدرك بأنها لحظة الفرار... وتمكّن من الهرب مارقاً بين الأشجار بسرعته
الخاطفة ، مما جعل أرام يذهل ويدرك بخيبةٍ بأن آرميل قد مرّن سرعته فعلاً ، وأفلت من بين
يديه..

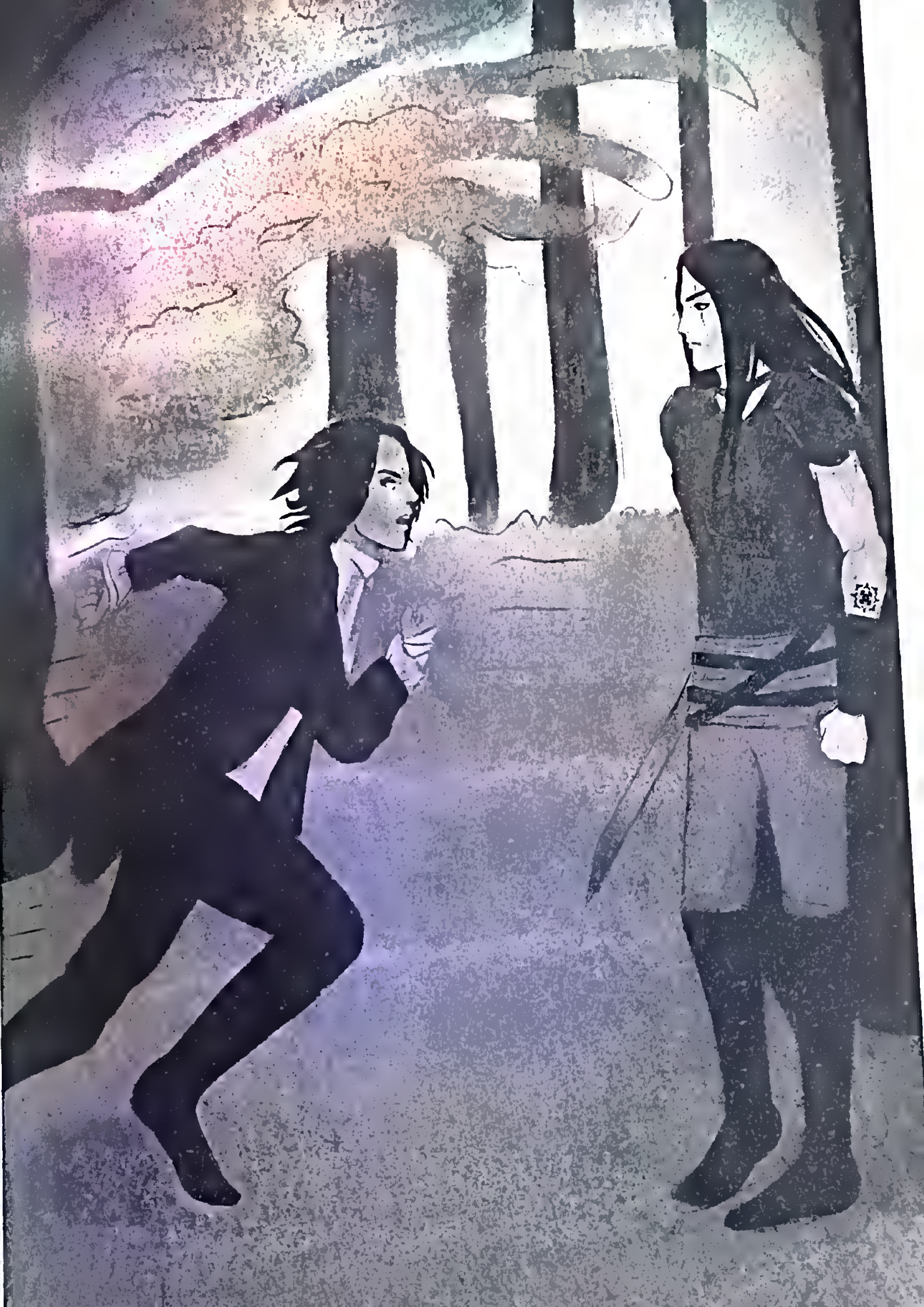

بعد منتصف الليل..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل...

تقلّبت أغلاي في سريرها ، لكن النوم قد ودّع عينيها ، لأنها استمرت بالتفكير بالموقف الذي حصل مع إيمانويل ، وكلماته الأخيرة ترنّ في أذنها...

«هل تعلمين بأنكِ جميلةٌ يا أغلاي؟

هل تكونين.. آنستي؟

منذ أول وهلةٍ رأيتكِ فيها خلال تلك الحفلة الراقصة ، أدركتُ بأنني قد رغبت بامتلاكك!»

وضعت يدها على قلبها: «مالذي يحدث بالضبط؟... لمَ يحاول إغوائي؟... أليس هناك مايربطه مع فيوليت؟... ألا يحبان بعضهما؟!»

ونظرت إلى فيوليت النائمة بسلامٍ في السرير المجاور لها... وتنهدت: «هل يحاول خيانتها؟»

وقعت عيناها فجأةً على التمثال الصغير الذي يخص والدها ، والذي حصلت عليه من الدوقة ميرايل ، فأمسكت به وأخذت تُقلّب رأسها على وسادتها وهي تتأمله وتفكر بحنينٍ وحيرة: «أبي ، أمي... هل مررتما بمثل هذه المشاعر الغريبة في علاقتكما؟!»

❁❁❁

بعد يومين..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

دخل أرجوس ورجاله عبر أسوار القصر الملكي ، ورأى الملكة أفروديت تقف في استقباله مع حرسها وحاشيتها في فناء القصر...

فوقف على بعد مسافةٍ أمامها ونظر إلى التاج الذي كان يزيّن رأسها ، و شعرها الذهبي الذي كانت خصلاته تتمايل مع رياح ذلك النهار... فشعَر وكأن جزءاً جميلاً من حياته قد عاد إليه في تلك اللحظة الرهيبة...

انحنى أرجوس بلباقة: جلالة الملكة أفروديت!

وانحنى جميع مرافقيه ، ثم تحدّثت الملكة برزانة: سمو الأمير أرجوس رونثو!... مرحباً بك ضيفاً كريماً في قصر لورديور!

واستمرت لحظةً من التحديق العميق بين عينيهما ، تُعلن عن بدء حكايةٍ جديدة... تُسَطَّر فصولها بين زوايا القصر..

في المجلس الملكي...

قام الخدم بسكب الشراب لأرجوس وأفروديت والأميرة ديميتير ، بحضور أرماند وبعض رجال الحاشية ، وابتسمت أفروديت مرحّبةً: أتمنى أن تجد الراحة في القصر ، لقد تم تخصيص جناح لك ، ومكانٍ لإقامة رجالك!

أرجوس: أنا شاكرٌ وممتنٌ لجلالتكِ!... وسأردُّ لكِ هذا الدين يوماً!..سأعود إلى رومبيانيا وأجعل العلاقة بين مملكتينا أفضل مما كانت عليه في عهد والدي ، وعهد بيلزبيل!

أفروديت: أنت الوريث الشرعي لعرش رومبيانيا أيها الأمير أرجوس ، لذلك سأدعمك حتى تستعيد عرشك من بيلزبيل!

انحنى لها أرجوس: لقد دعمتِني بما فيه الكفاية جلالتك!... ولن أنسى أنا ، ولن تنسى رومبيانيا كلها.. هذا الفضل لك!

أثناء تلك الجلسة ، لاحظ أرماند نظرات ديميتير المتسمّرة نحوه ، وكانت ترمش وتبتسم بزاوية شفتيها ، كلما التقت عيناهما ، فحدّث نفسه بريبة: «غريبة الأطوار تلك تخطط لشيءٍ ما..»

❁❁❁

بينما في القسم العسكري...

تجمّع الجنود كعادتهم أثناء استراحة التدريبات لتناول وجبة الغداء ، وحدثت بعض الجلبة أمام إحدى الطاولات ، فقد تهجّم أحد الجنود على زوي.. وكان اسمه إيتون ، دفعها بعنفٍ وهو يقول: بما أنك لست نبيلاً ، فلا يفترض أن تأكل معنا على نفس الطاولة!..اذهب إلى تلك الناحية مع جنود الطبقة العامة!

سقطت زوي على الأرض ونظرت إليه بعينين حاقدتين... فقال صاحبه ساخراً وهو يُسند ذراعه على كتف إيتون: هل لأنك أصبحت مقرباً من الملكة يا ليون ، ظننت نفسك قد وصلت إلى مستوى النبالة؟!

ثم اقترب منها وأدنى رأسه نحوها: لاتغتر بنفسك كثيراً أيها العامي اللقيط!!..أجل ، لقد أخبرونا بأنك لقيطٌ متشردٌ لاعائلة لك!

كان الجنود يشاهدون كل مايحدث بصمتٍ ، وصدرت ضحكاتٌ من بعضهم... بينما كان البعض الآخر يتحاشى التدخل ، لأن تلك المجموعة كانت من أقوى الجنود في الجيش ، ومن أعلى الطبقات النبيلة..

نهضت زوي وحدّقت فيهم بحنقٍ ثم قالت بنبرةٍ مستحقرة: لستَ سوى جبانٍ تستخدم اسم عائلتك للتظاهر بالقوة ، إنك لاتعرف كيف تكون القوة الحقيقية..

نظر إليها إيتون بازدراءٍ وقال مستفزاً: أرِني القوة الحقيقية الآن ، ماذا ستفعل أيها الضئيل؟!

كان الفرق كبيراً بين حجم جسدها وبين ضخامته هو وأصحابه ، الذين لم يتركوا لها فرصةً للنهوض ومواجهتهم ، فقد تقدم أحدهم ودفعها من كتفيها بعنفٍ وركلها خلف ركبتها فأسقطها على الأرض مرةً أخرى ، وصاح ساخراً: هل تتحدانا؟!

انتبه ألارد لما يحدث فهبّ للدفاع عنها ، وكان أحدهم مُقدماً على ركلها ، لكن ألارد اعترضه ودفعه بعيداً ، وقال بنبرةٍ آمرة: أوقفوا هذا!!

قال إيتون: لاتفتر بنفسك أيها السيرجنت!... لاتنسَ بأنك تظل عامياً ، ولقيطاً مشرداً مثل صديقك!

شعر ألارد بالإهانة ، فقد كانت تلك الكلمات توجّه إليه أمام أفراد سريّته ، وقال الآخر متهكماً: كيف يحصل لقيطٌ على رتبة سيرجنت بهذه البساطة؟!

تمالك ألارد أعصابه ولم يُرِد أن يبدأ العراك لولا أن إيتون مدّ يده عليه ، فاضطر ألارد للدفاع عن نفسه ولكمه على وجهه... فأصاب فكّه ، وشهق الجنود... وازداد تجمهرهم لمشاهدة العراك المشوّق...

قام صاحبه بالإنتقام له وهجم على ألارد ، واستمر الاثنان بالعراك ، وعندما حاولت زوي التدخل دفعها ألارد بعيداً لحمايتها: لاتتدخل!!

في تلك اللحظة ، دخل ألباين إلى القاعة ، وكان قد عاد لتوه من مولنيا ، فذهل عندما رأى الفوضى وسأل منزعجاً: مالذي يحدث هنا؟!

أفسح الجنود له الطريق ، وقام بالتدخل لإيقاف العراك وإنهاء المشكلة ، وتحدث مع إيتون ورفاقه عن تصرفهم الشائن بحق ألارد وزوي ، فصمت الفريق الآخر لكون ألباين من طبقةٍ نبيلة وعائلةٍ عريقة لايمكنهم التطاول عليها...

في القصر الملكي..

أطلّت الملكة أفروديت من شرفتها ، وكان يقف خلفها مسؤول القصر ومستشارها الخاص الذي نُعزّه كثيراً ، العجوز بارنباس..

أفروديت: أخبرني يا بارنباس!... هل تتوقع نجاح غزونا لبيلزبيل؟... إنها المرة الأولى التي أخوض فيها حرباً!

ثم نهدت وهي تثبّت يديها على حافة الشرفة بقوة: أشعر بالقلق من هذه الخطوة!... فإما أن ننتصر ونتخلص أخيراً من عدونا بيلزبيل ، ونكسب رومبيانيا وأرجوس كحلفاء لنا...

ثم أكملت: أو نُهزم!... ونتعرض لخسارةٍ ضخمة... ونعرّض بانسيلينوس لخطرٍ أعظم مما هو عليه الآن...

بارنباس: إن الخيارين كلاهما مرّ!... تركُ بيلزبيل يطمع ببانسيلينوس ويحاول مدّ نفوذه إليها، أو البدء بمهاجمته والمخاطرة بالنصر أو الهزيمة!... ولايمكنكِ التراجع أيضاً جلالتك... لأنك قطعتِ وعداً للأمير أرجوس!

ثم قال بحزم: إنني أؤيد جلالتكِ على خطوتك هذه!... انهبي اللص قبل أن ينهبك!... إن جيوشنا قويةٌ بما يكفي لمجابهة جيوش بيلزبيل!... واحتمالية انتصارنا عالية!... أرجوك تطمئني ، وتهبي ثقتك لجيشك!

ابتسمت أفروديت بهدوءٍ وثقةٍ وهي تحدّق بالأفق...

❁❁❁

في القسم العسكري..

عبّرت زوي عن امتنانها لألباين على تواجده في الوقت المناسب ، وبينما كانت تسير إلى جواره في الساحة ، وقعت عيناها على الخاتم في يده.. وقد كان يحمل شعار عائلة مونبيتيت ، الفأسين المتقاطعين..

ثم فكرت قليلاً وقالت: سيرجنت ألباين!... أعتذر بأنني لم أخبرك عن هذا...

أنصت ألباين إليها ، فأكملت: لقد رأيتُ هذا الشعار من قبل!.. كنت أتدرب في جبال أثانسيا على يد رجلٍ يدعى أليكسيو!... وقد رأيت قطعة قماشٍ زرقاء ، أعتقد بأنها راية ، وكانت تحمل شعار الفأسين!

توقف ألباين عن السير ونظر إليها بذهول: هل قلتَ أليكسيو؟!..هل أنت متأكدٌ يا ليون؟!

أومأت زوي برأسها ، ثم حدّق بها بعمقٍ وقال: لهذا لاحظتُ بأن تقنياتك مألوفة لدي!... إنها مشابهةٌ لتقنيات والدي في القتال!!

تعجبت زوي وفكّرت قليلاً محاولةً فهم مقصده: هل تعني... أن لأليكسيو علاقةً بوالدك... لهذا تقنياتهما القتالية متماثلة؟!

أومأ ألباين برأسه: كانت علاقتهما وثيقة ، فأليكسيو كان الساعد الأيمن لوالدي في الجيش!.. لكنه اختفى بعد وفاة والدي ، واعتقد الجميع بأنه مات!.. أنا متفاجئٌ بأنه لايزال حياً!

ثم قال معاتباً: لمَ لم تخبرني بهذا من قبل يا ليون؟!... لكنتُ ذهبت للقائه وعرفتُ الكثير من الأمور الغامضة التي لا أزال أبحث عنها!!

مالت شفتا زوي بحسرة ، وشعرت بالذنب لأنها ترددت بإخباره عن تلك الحقيقة... والتي لم

تكن تعي بأنها ستعني له الكثير...

❁ ❁ ❁

بينما في ناحية أخرى...

انزوى غيلبرت إلى مكانٍ هادئ ، ثم أخرج تلك الشريطة البيضاء التي بهت لونها... وكانت تحمل معها عبقاً من الماضي ، فابتسم وهو يتذكر:

(في ذلك النهار الدافئ ، عندما كان غيلبرت في عمر الحادية عشرة...

وكان في الطريق عائداً مع والده من رومبيانيا ، بعد مهمة عملٍ له هناك ، كان ينظر عبر نافذة العربة ، مستمتعاً بمناظر الطبيعة...

ثم نظر إلى شريطة الشعر الناصعة البياض والتي كانت معقودةً حول معصمه... وقال لوالده بثقة: عندما أكبر ، سأتزوجها!!

ضحك إيبير: لقد كنت تلعب معها طوال الوقت أيها المشاكس!.. هل أحببتها بهذه السرعة؟

نظر غيلبرت إلى والده بامتنان: شكراً لأنك أحضرتني معك إلى رومبيانيا!)

فكر غيلبرت في نفسه مبتسماً بعينين حالمتين: «ربما يكون الوقت قد حان... »

❁ ❁ ❁

في القصر الملكي...

كانت أفروديت تتجول في أروقة القصر ذات الأعمدة الضخمة والنوافذ الطويلة التي كانت تطلّ على الحديقة... وتسطع خلالها أشعة الشمس...

كان أرجوس يسير برفقتها ، فقالت بنبرةٍ متهكمة: سيمون أوديت إذن!.. لمَ كذبت علي يا سمو الأمير أرجوس؟!

صمت أرجوس وتحركت شفتاه بترددٍ ، ولم تساعده ربكته على الحديث...

فقالت أفروديت مستاءةً: بالرغم من أنني كنت أشك بك... لكنك نجحت في خداعي ياسمو الأمير!... كنت تراوغ كثيراً في محاولة إثبات أنك تاجر!... ماذا كانت نواياك حينها؟!

طأطأ أرجوس برأسه: أعتذر من جلالتك!... لم أقدّم نفسي لك جيداً في ذلك الوقت!..فأنتِ تعلمين بأنني كنت هارباً ومتخفياً عن بيلزبيل وجنوده ، ولم تتح لي الفرصة لأطلعك على هويتي الحقيقية حينها!... لأنها كانت مخاطرة!

أفروديت بجدية: لقد حضرتَ الاحتفال عندما دعوتك ، وقدمتَ لزيارتي في الحديقة مرةً ، فالذي دفعك لأن تخاطر بنفسك بالدخول إلى القصر؟

نظر أرجوس إليها لوهلة ، ثم قال بعد تردد: سأصدقكِ القول.. وأتمنى ألا تنزعجي... الواقع ، لقد كنت منجذباً لك!

ذهلت أفروديت من كلماته تلك ، فقال وهو يحني رأسه قليلاً: سامحيني على جرأتي ووقاحتي!... إنني لم ألتقِ بأي أنثى جميلةٍ وذكية ، منذ هروبي من قصر كليوزهيستا... عشت طفولتي ومراهقتي بين رجال جيشي فقط ، ولم أعرف سوى حياة الهرب والحياة العسكرية القاسية...

ثم رفع رأسه ونظر إلى عينيها اللتين كانتا تحدّقان به ببرود ، وشعر بالانجذاب لهما وقال بنبرة رقيقة: لاعجب بأني حين التقيتكِ لأول مرةٍ لأُعيد اليك جوادك... قد..

تفاجأ عندما قاطعته أفروديت بنبرةٍ جادة: فلننسَ جميع ماحصل سمو الأمير!... لقد قطعت وعداً لمساعدتك على استعادة مملكتك... وتعويضك عن السنين التي قضيتها هارباً ، والتي لم تكن تليق بمكانتك ، وبصفتي فردٌ من سلالة غاريس فإنني ألتزم بهذا الوعد... وسأبلغ الجيش بالاستعداد والتجهيز للمرحلة القادمة!

تفاجأ أرجوس من تغييرها للموضوع ، وجديّتها الشديدة ، وتجاهلها التام لمشاعره ، فتدارك نفسه وقال: أنا ممتنٌ لهذا الوعد ، وأثق به تماماً!... سيقوم جنودي بإمداد جيشك بما يحتاجونه من معلوماتٍ عن خرائط رومبيانيا ، وكذلك جميع التفاصيل عن جيش بيلزبيل!

ثم أكملت سيرها ورافقها أرجوس بينما كانت تقول: سنقيم احتفالاً الليلة ترحيباً بك ، وأتمنى أن يكون لائقاً بسموك!... يجب أن ترفّه عن نفسك قليلاً بعد كل الأيام الصعبة التي مررت بها!

أرجوس: بالطبع سأكون مسروراً!... شكراً لكرم جلالتك!

وبعد أن ودّعها ليعود إلى جناحه ، اقترب منها بارنباس يحمل رسالةً وانحنى وهو يمدّها: هذه رسالةٌ وصلت من ملك تشيستوتا ، الملك رودولف..

أمرته أفروديت بأن يقرأها عليها ، فقرأها وكانت تفيد بأن الملك رودولف قادمٌ لزيارةٍ دبلوماسية...

فقالت: قم بالاستعدادات لاستقباله!

❀❀❀

في المساء..

كان الاحتفال قائماً على شرف الأمير الرومبياني ، أرجوس...

بدأت الموسيقى الصاخبة ، والاستعراضات البهلوانية التي أبهرت الأعين... وكان الابتهاج يرتسم على وجوه الحاضرين...

كانت أغلاي تدور وتتمايل برشاقةٍ وانسجامٍ مع الأنغام السريعة ، وتفكر أثناء رقصها:

«هذه الحياة التي طالما تمنيتها!... بالرغم من صعوبة العيش بين مصاصي الدماء ، وأن أكون ابنة غير شرعية وغير مرحّبٍ بها ، لكن السعادة تغمرني الآن!... أن أرقص وأتمايل على أرضية هذا القصر الكبير... بينما أرتدي فستاناً جميلاً ، وأتزين بأثمن الحليّ ، والشبان النبلاء حولي ، والفتيات يرمقنني بغيرة ، في هذه الحياة الراقية المترفة... مالذي أرغب به أكثر؟!»

ثم انتبهت بأن إيمانويل كان يحدّق بها من بعيد ، وابتسامةٌ باردةٌ ترتسم على شفتيه ، كانت نظراته تطاردها وتخنقها ، وكأنه كان يطرح سؤالا وينتظر إجابةً منها...

ارتبكت وتوقفت عن الرقص... وكانت تحاول الوقوف على قدميها جيداً ، متخبطةً بين رقصات الفتيات ، بينما تسترق النظر إليه من خلالهن...

اقترب أندريون من إيمانويل هامساً: لن تصدق ماسمعتُ يا إيمانويل!

انتبه إيمانويل له ، فأكمل والجدية في عينيه: لقد سمعتُ الكونت أرماند يتحدث مع والدي ، كان يقول بأن الكاهن أرتشيم قد تنبأ بظهور جنس مصاصي الدماء... وكان ذلك في عهد الملك أليكساندروس!

ذهل إيمانويل: هل تعني بأن الملك أليكساندروس كان على علمٍ بتلك النبوءة؟!

أومأ أندريون برأسه بجديةٍ ، ثم التفت الاثنان نحو الملكة أفروديت..وقال أندريون: وبالطبع ابنتها... آمل بأنها لم تصدّق النبوءة حتى الآن!

نهض إيمانويل: إنها صارمة!... عندما تعلم عن حقيقتنا ، فلن ترحمنا!

ثم نظر بحقدٍ نحو أرتشيم: ذلك الكاهن العجوز ، علينا أن نحذر منه!... إما أن يكون يعرف سرنا بالفعل واستخدم النبوءة كوسيلةٍ لتحذير الملك أليكساندروس ، أو أن قدراته على التنبؤ حقيقيةٌ!

نظر أرتشيم إليهما من بعيدٍ ، بعد أن لاحظ تحديقهما به... فحاولا صرف نظرهما عنه ، ونهضا ليتجولا في القاعة ، قال إيمانويل بينما كان أندريون يسير إلى جواره: أخبرني بكل مالاحظه!

كان الاثنان مقرّبين من بعضهما منذ فترة دراستهما مع معلم العائلة ، فقد كان المعلم يثني على تميّزهما في الحفظ والفهم عن بقية أبناء بونيفيل...

نظر أندريون إلى أرماند وبيلموت اللذَين كانا يتحدثان بينما يحتسيان الشراب ، فقال: سأخبرك بأول شيءٍ لاحظته ، شقيقك بيلموت.. أصبح أكثر قرباً من الكونت أرماند!

نظر إيمانويل إلى أخيه بشك: أجل ، أنا أيضاً لاحظتُ ذلك مؤخراً!

❁❁❁

بينما في ناحيةٍ أخرى..

نظرت باربرا إلى فستان أغلاي: هل هذا ماكنتِ تقومين بحياكته طوال تلك الفترة؟

أومأت أغلاي برأسها ونظرت إلى فستانها بسعادةٍ: لقد بذلتُ جهداً كبيراً حتى يصبح بهذا الشكل ، وهذه الغرز كانت..

لكن باربرا قاطعتها: هل تعتقدين بأنه جميل؟!

رفعت أغلاي رأسها مذهولةً ، فقالت باربرا ساخرةً: إنّ هذا الفستان لايليق بآنسةٍ من آل بونيفيل يا عزيزتي!

ثم قامت بلمس قماشه: عليكِ أن تتعلمي كيف تتأنقين كالنبيلات!... أما أن تحيكي ثيابك بنفسك ، وبأقمشةٍ رديئة ، فذلك غير لائقٍ بسيدات الطبقة الراقية!

رمقتها أغلاي بحنقٍ وقالت: لايهمني أن يلائم فستاني ذوقك ، عزيزتي باربرا!

ثم سارت بالاتجاه المعاكس لها ولامست كتفها وهي تقول: قد أكون سكتُّ لك طويلاً ، ولكنني الآن لن أستمر بالسكوت!... أنا آنسةٌ من آل بونيفيل ، وعليكِ أن تتقبلي هذه الحقيقة!

ثم ابتسمت بثقةٍ وتركتها خلفها ، فاقتربت مارغريت من ابنتها عندما رأتها ترمق أغلاي بوجهٍ عابسٍ من الغيظ... وسألتها: عمَّ كنتما تتحدثان؟!

باربرا منزعجةً: لاشيء!

أمسكت مارغريت بوجنة ابنتها: هيا لاتجعلي أحداً يضايقك ، فأنتِ ابنتي المدللة!

نظرت باربرا إلى غيلبرت وقالت: تعرفين من هو الشخص الوحيد الذي يضايقني فعلاً!

تنهدت مارغريت: يجب أن تتخلي عن غيلبرت المغرور ، إنه لايعرف قيمتك!... ولن يلتفت إليكِ أبداً!

أوشكت باربرا على البكاء: تعلمين كم أعشقه يا أمي!... لاتطلبي مني شيئاً مستحيلاً!... توقفي عن تكرار هذه النصائح!

❁❁❁

بينما على مقربةٍ من عرش أفروديت ، جلس الأمير أرجوس أمام الطاولة المخصصة له ، وعلى يمينه جلس الجنرال أبوليون ، الذي همس له: سمو الأمير!... لاتنسَ بأن البانسليين هم أعداؤنا!... الملك أليكساندروس كان في حروبٍ مستمرةٍ مع جلالة والدك ، الملك هيروديون!

كان أرجوس يشاهد الرقصات وهو يجيب: ومن قال بأني لا أكره الإسكندروس؟!

أبوليون: لاتثق بابنته إذن!... لقد عرَضَت عليك المساعدة بجيشها ، هل ستضحي بجنودها ولسلحتها لتخدمك بلا مقابل؟... .قد لايقتصر الأمر على التحالف ، ربما يكون لديها نوايا أخرى!

التفت أرجوس لينظر إلى أفروديت التي كانت تجلس على عرشها وتشاهد تمايل الراقصين مع الموسيقى ، وكان يفكر بعمقٍ في كلمات أبوليون الأخيرة..

ثم همس له: لاخيار لدينا سوى أن نرحب بهذه المساعدة يا أبوليون ، بغض النظر عن احتمالية وجود نوايا مضمرة!... فنحن الآن بحاجةٍ ماسّةٍ إلى جيشها ، والذي سنتمكن بواسطته من استعادة رومبيانيا!... أمضينا سنينَ طويلةً في الهرب والاختباء ومحاولة تشكيل جيشٍ قوي... بلا جدوى!

❁❁❁

وفي ناحيةٍ أخرى ، كانت فيوليت تجلس إلى جوار الأميرة ديميتير ، والتي لاحظت نظراتها المتلهفة لإيمانويل ، فسألت مبتسمةً: إذن اللورد إيمانويل.. هو من يحتل قلبك؟

ارتبكت فيوليت ، ثم أجابت بخجل: أ..أجل!

ابتسمت ديميتير بمكر: سأجعل قلبه في يدك ، ولكن عليكِ أن تساعديني أنتِ أيضاً..

توماً فيوليت برأسها متلهفةً لتنفيذ طلبات ديميتير ، والتي ستجعل معشوقها يلتفت إليها أخيراً: أنا تحت أمرك!

سألتها ديميتير وهي تحدّق بأرماند من بعيد: أخبريني ، ما أكثر شيءٍ يحبه الكونت أرماند؟

نظرت فيوليت إلى الكونت... وفكّرت قليلاً ، ثم قالت: لا أعلم تماماً ، ولكن... أعتقد بأنه يحب رائحة الياسمين ، إنني أراه يستنشق أزهارها كل صباحٍ من حديقة منزلنا ، قبل ذهابه إلى القصر...

ظلّت ديميتير تحدّق به والأفكار تعبث بداخل رأسها: معلومةٌ ليستِ بسيئة ، شكراً يافيوليت!

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

جلست داليا مع ياني للاسترخاء مع الهواء العليل ، ومشاهدة النجوم المتوهجة فوق أرض المزرعة ، والتقط ياني غصناً صغيراً ليرسم به على التراب وهو يقول: إنني أفتقد أخي آرميل!

تساءلت داليا: أخاك؟

بأبٍ وهو يكمل العبث بالغصن: ليس شقيقي الحقيقي ، لكنه بمثابة كل عائلتي!... لقد اعتنى بي

لاحظت داليا الحزن العميق..والحنين في عينيه اللتين كانتا تتلألأن في تلك الظلمة . وضعت يدها على كتفه لتواسيه . فالتفت نحوها وبادلها تلك النظرات..

كان باني يشعر بالاطمئنان إلى داليا... لذا كان مرتاحاً بالحديث معها عن آرميل...

قال: كان آرميل يصطاد لنا الغزلان من الغابة . أنا وأريس!... كان قوياً . طيباً.. وحنوناً... أراد أن يشتري لي مرسماً . قبل أن...

مسح دموعه بحركة طفولية . فأمسكت وجهه برقة بين يديها الناعمتين . ورفعته لينظر إليها وقالت: لاعليك... أعلم بأنك تحب آرميل كثيراً . سأجعلك تراه مجدداً!

برقت عيناه وكأن كلماتها قد أعادت أملاً إلى قلبه الصغير . سألته: أخبرني فقط . إلى أي سجن قد أخذوه؟!

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي..

اقترب أرماند من ديميتير وانحنى بلباقةٍ وقال بابتسامةٍ تخفي خلفها تهكماً: أتمنى أن تكون الأميرة قد عفَت عنّا!

ابتسمت ديميتير بهدوءٍ... ثم أزاحت خصلات شعرها إلى خلف أذنها بأطراف أناملها الناعمة... متعمدةً أن تلفت انتباه أرماند إلى زهرة الياسمين التي وضعتها في جانب شعرها، بعد أن أمرَت خادمتها تيرزي باقتطافها من الحديقة..

لاحظ أرماند تلك الأزهار... ونظر إليها لوهلة ، بينما قالت: لايمكننا الاستغناء عن خدمات آل بونيفيل ، وسأعفو طالما عفت الملكة!

❁❁❁

بينما في زاويةٍ أخرى ، ألقت أغلاي التحية على زوي ، ونظرت إلى الكدمة التي على وجنتها ولمستها سائلةً: مالذي حدث؟..هل أنتِ بخير؟

أشاحت زوي بوجهها للناحية الأخرى بلامبالاة: لقد حدث عراكٌ في الثكنات!... لاشيء مهم!

أومأت أغلاي برأسها وقد ظهر القلق على عينيها: أنتِ تواجهين أوقاتاً صعبةً بين الرجال!

ثم قالت وهي تتنهد: وأنا أيضاً أواجه أوقاتاً صعبةً ، فالأمور ليست على مايرام في منزل بونيفيل!

سألت زوي باهتمام: مالذي حدث؟

انتبهت أغلاي إلى نظرات إيمانويل المستمرة نحوها ، فارتبكت وقالت: في الواقع ، أمورٌ لايمكنني البوح بها!... لكنني لم أتأقلم جيداً بعد ، ولم أحظَ بقبولٍ من جميع الأفراد في العائلة!

نظرت إليها زوي بقلق ، ولكن أندريون قد اقترب منهما في تلك اللحظة وقام بمقاطعتهما ، وسأل مستغرباً وهو ينظر إلى زوي: أغلاي!... هل هناك مشكلةٌ ما مع الحرس الخاص؟!

ارتبكت أغلاي وقالت: كلا... لقد كنت أسأله فقط عن... عن ممرات القصر... فأنا لا أعرف الطريق إلى الشرفات!

ابتسم أندريون: كان بالإمكان أن تسأليني فقط ، إنها من ذلك الاتجاه!

أومأت أغلاي برأسها ، فنظر أندريون إلى زوي مرةً أخرى ، وأحسّ بشعورٍ مريبٍ حيالها... ثم قام بمد يده ليصافحها معرّفاً بنفسه: أندريون بونيفيل!..أنت حارس الملكة ، ليون!... أليس كذلك؟

مدت زوي يدها بهدوءٍ: هذا صحيح..

شعر أندريون ببرودة يدها فور أن لمسها وكذلك شعرت هي ، وهمس في نفسه مذهولاً:
مستحيل!... إن يد هذا الجندي باردةٌ كبرودة أيدينا!!»
سحبت زوي يدها وانحنت وتركتهما مودعةً: سأعود إلى حراسة الملكة ، أرجو أن تعذراني!
نظر أندريون يحدّق بها وهي تبتعد بريبةٍ ، وأفكارٌ متضاربةٌ تدور داخل رأسه..

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

أجاب باني: لا أعلم في أي سجنٍ هو!
فكرت دليا ثم سألت: إذن ، في أي بلدةٍ كنتما ، عندما أمسك به الجنود؟
حاول باني التذكر: بلدةٌ تدعى.. إيميسيا!
دليا باهتمام: إيميسيا؟... إذن سيكون في أحد سجون شرق بانسيلينوس!..سآخذك لزيارته!
ابتهج باني ولمعت عيناه بلهفةٍ: حقاً؟!
أومأت دليا برأسها بابتسامةٍ لطيفة ، فبادلها تلك الابتسامة بامتنان: شكراً ، آنسة دليا!
اتجهت دليا إلى مارسمه على التراب ، كان وجه شابٍ ذا شعرٍ متموجٍ يصل إلى كتفيه... وعينين جاحظتين ، ذات نظراتٍ ثاقبة...
سألت: هل هذا هو آرميل؟!
نظر باني إلى الرسمة الترابية وأومأ برأسه ، ثم أخذ يرسم نقاطاً صغيرةً حول العينين ، فاستغربت دليا وسألته: ماهذا؟
باني وهو منسجمٌ بالرسم ويحدّق بعينيّ الرسمة بعمق: إنهما تُشعّان!... لقد كانت عينا أخي آرميل تتوهجان بلونٍ أحمر في ذلك اليوم... عندما قبض عليه الجنود!
ضحكت دليا متعجبةً: أعتقد بأنك تعني.. بأن عينيه كانتا غاضبتين جداً!

❁❁❁

بينما في وسط بلدة مولنيا ، وكر الغربان..

عاد رايموند إلى الوكر مع أفراد عصابته بعد أن سطوا على إحدى العربات المحملة بالبضائع خارج مولنيا ، ثم بدؤوا بتوزيع المسروقات فيما بينهم ، والنشوة تغمرهم بعد ذلك الانتصار..
صاح رايموند بهم بافتخار: أحسنتم عملاً... أيها الغربان!
لم ينتبه عندما أشار أحدهم نحو الخارج: لقد أتت صديقتك الشقراء!
توجّه للخارج ، فرأى داناي تقف بخجلٍ حاملةً سلّة طعام... فتقلّبت تعابير وجهه متضايقاً ،

لكنها مدّت السلة له: أعلم بأنك تفتقد الذرة ، ورغيف المزرعة اللذيذ!

التقطها على مضضٍ ثم قال بجدية: سآخذ ياني للعيش معي!

ذهلت داناي وردّت بسخط: لماذا؟!... هل تريده أن يساعدك في السرقة؟!... أنت تشوي أن تجعل ياني لصاً مثلك!!

أمسك بيدها بقوةٍ وانتزع السوار من معصمها بحركةٍ سريعة... فشهقت: مالذي تفعله؟

قال وهو يرفع السوارعالياً: سأعيد إليكِ سوار معشوقكِ أرام ، بعد أن تقومي بإقناع سيدة المزرعة بشأن ياني!

غضبت داناي: انتظر ، أعده لي!.. لمَ تحاول استغلالي بهذه الطريقة؟!

لكنه تجاهلها وعاد إلى الوكر مغلقاً الباب خلفه ، وتركها تقف مذهولةً وقلبها معلقٌ بذلك السوار الذي استولى عليه بكل تطاول..

❁❁❁

(بانسيسلينوس ـ العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

بعد أن جلس الحضور على مأدبة العشاء ، التي كانت على شرف الأمير أرجوس...

لاحظت الملكة أفروديت بأن جميع الأنظار متجهةً نحو آل بونيفيل ، وانتبهت بأنهم لم يبدؤوا بتناول الطعام... وكانت الربكة ظاهرةً على وجوههم..

سألت أفروديت مستغربةً: لمَ لاتأكلون يا آل بونيفيل؟!

كانت أغلاي تتناول من طبقها ، لكنها توقفت في الحال عندما لاحظت نكهة الثوم القوية، والتفتت نحو عائلتها... وفهمت الأمر...

كان آل بونيفيل يتبادلون النظرات فيما بينهم ، حتى اتجهت أنظارهم نحو أرماند وايبير... منتظرين من أحدهما أن يقوم بالإجابة على الملكة... واستمر الحضور يحدّقون بآل بونيفيل، منتظرين إجابةً على ذلك السلوك الغريب...

حتى قال أرماند: نعتذر جلالتك!... ولكن عائلتنا تحمل تحسساً وراثياً من نكهة الثوم ، أرجو أن تعذرينا في هذه المأدبة...

كانت زوي تقف خلف الملكة ، وذهلت عندما سمعت ذلك ، فهي تشعر بمثل هذا التحسس منذ أن شاهدت الوسم على كتفها... وظلّت تفكر بحيرةٍ وهي تحدّق بأفراد آل بونيفيل...

قالت أفروديت: فهمت... أعتذر لكم نيابةً عن الطهاة ، سأجعلهم يحرصون في المرات القادمة

على استبعاد النوم من المآدب ، سنعد لكم أطباقاً أخرى الآن... أرجو أن تطمئنوا...

❁ ❁ ❁

وبعد العشاء ، عندما كان أرجوس عائداً إلى جناحه وخلفه مرافقه نوي ، صادف أرماند يسير في الاتجاه المقابل...

توقف للحظة محدقاً بملامح الكونت ، فسأله نوي: مالأمر يا سمو الأمير؟

تمتم أرماند: سمو الأمير!.. طابت ليلتك!

رد عليه بإكمال طريقه... ولكن أرجوس استوقفه: أنت!

التفت الكونت إليه ، ولاحظ الحقد ظاهراً على عينيه ، وبلحظةٍ مباغتةٍ قام الأمير بدفعه وهو يقول حاقداً: أنت هو القائد الذي قام بتسليمي إلى تريتون!!

تهاجأ نوي وقام بإبعاد أميره: سمو الأمير!... تمالك نفسك!..لاتنسَ بأنك ضيفٌ هنا!

كان أرماند ينظر إلى أرجوس بصمتٍ ، فقال أرجوس وهو يلهث حاقداً: هذا هو يانوي ، من قام بمحاصرتي وتسليمي لأواجه الإعدام ، مقابل بعض الذهب والسفن!

قام أرماند بتعديل معطفه ، ثم انحنى احتراماً: أرجو أن تسامحني سموك!... لقد كنت أنفذ أوامر الملك أليكساندروس فقط ، أتمنى أن تعذرني وتتفهم هذا الأمر!

رمقه أرجوس بنظرةٍ منزعجة ، فقام نوي بتوجيهه بلطفٍ وهو يقول: من الأفضل أن نعود الآن إلى الجناح ، سمو الأمير!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

منزل آل بونيفيل...

عندما عادت أغلاي إلى المنزل ، تنهدت بارتياحٍ لأنها قد تخلصت من تحديق إيمانويل المستمر بها. ولكنها عندما دخلت إلى حجرتها... تفاجأت بأن إيمانويل قد سبقها ، لينتظرها في الحجرة!

وفور دخولها ، همّت بسؤاله مستغربةً: ايمانويل...

لكنه جذبها إليه بحركةٍ سريعة قبل أن تكتمل دهشتها ، وقام بتقبيلها... !

مرّت تلك اللحظة طويلةً على أغلاي ، كما لو كانت تحلّق نحو عالمٍ آخر... ساكنٍ تماماً.. لاتسمع فيه سوى صوت خفقات قلبها..

قال لها هامساً: لن أنتظر إجابتكِ أكثر من ذلك ، فأنا من يقرر بأنكِ لي!... سامحيني على هذه

القبلة... أنستني ، فلم يعد بوسعي الإحتمال!

نظرت أغلاي إلى عينيه الذابلتين... مذهولةً مما فعله!... واحمرّت وجنتاها خجلاً ، وظهرت الحيرة على شفتيها المرتعشتين...

ابتعد إيمانويل عنها عندما دخلت فيوليت إلى الحجرة مستغربةً وجوده: إيمانويل!

ثم نظرت إلى وجه أغلاي الخَجِل ، ولونها المخطوف ، وجسدها المتسمّر في مكانه..

فقال إيمانويل مبتسماً ببرودٍ وهو يغادر الحجرة: كانت أغلاي خائفةً من ذلك الجرذ ، وأتيت لسماعي لصراخها... طابت ليلتكما!

بحثت فيوليت بعينيها في الأرض: جرذ؟... أين هو؟

أشارت أغلاي بارتباكٍ نحو النافذة: إنه... أعتقد بأنه... قد خرج من هناك!

استلقت فيوليت على سريرها ضاحكةً: أنتِ جبانةً يا أغلاي...

سألتها أغلاي بعد تردد: فيوليت!... هل... هل أنتِ على علاقةٍ عاطفية... بإيمانويل؟

ارتبكت فيوليت ثم أجابت محرجةً: كلا ، ذلك غير ممكن..

ثم فكرت بقلق: «يا إلهي!..هل أخبرَتها الأميرة ديميتير شيئاً عن إيمانويل؟!..كلا لا أظن!»

فيوليت مستغربةً: لمَ... لمَ تسألين؟!

تظاهرت أغلاي: لاشيء ، لقد اعتقدتُ بأن إيمانويل لطيفٌ وجذاب... فقط!

ابتسمت فيوليت واستلقت على ظهرها وأسهبت تتحدث عن إيمانويل بعينين حالمتين: إيمانويل جذابٌ منذ صغره!... ليس لوسامته فقط ، بل إنه قويٌ ويمكن الاعتماد عليه..والثقة بالنفس يضع شيئاً نصب عينيه ، فإنه يبذل مابوسعه إلى أن يحصل عليه!.. باردٌ وقاسٍ أحياناً ، لكن حنونٌ ومرهفٌ في أحيانٍ أخرى!

استلقت أغلاي وابتسمت وقد سرحت في أوصافه... وتخيلت وجهه الوسيم ، وعينيه الحالمتين ، ثم لمست شفتيها بخجل...

❁❁❁

بينما في حجرةٍ أخرى من المنزل..

عندما كانت ميرابيل تستعد للنوم ، وتجلس أمام المرآة وسط ضوء الشموع المتراقصة... وتتسلل شعرها الأشقر..الذي بدأت خيوط الشيب تتسلل اليه.. بعد أن عمّرت لأربعمائة سنة..

كانت تشعر بالسرور بعد حصولها على لقب دوقةٍ بعد تنصيب زوجها دوقاً على لورديور.. لكن سرورها انغمر ، وعبست شفتاها عندما تذكرت مسؤولية الأبناء على عاتقها ، نظرت إلى زوجها

...ل الرائق ، وقد كان يبدل ثيابه استعداداً للنوم...

...حضرة الدوق..

...ة بحصية : إنها ابنة كوتريه!... لقد بدأ الشبّان يفقدون صوابهم تجاه دماءها ، قد تتعرض ...ة للأذى ، إذا ما انتهك أحدهم القَسَم!

...نعة وجه إيبير ، وكأنه كان ينتظر سماع مثل هذا الخبر... وبعد أن خلدت زوجته للنوم ، ذهب ...ربة صريح والده ، إيفرانور...

...ح زهوراً بيضاء أمام جرّة الرماد: إننا نحاول جاهدين أن نحافظ على ذلك القَسَم يا ...ي ، ونبقي أبناءنا بعيداً عن دماء البشر!... لكن وجود ابنة كوتريه البشرية... قد يزعزع كل ...ء... إنني أخشى أن نفقد استقرارنا في عالم البشر!

...ه تذكّر ليلة القسم...

...إلى منزل آل بونيفيل الكبير...

...ت ليلةً حالكة الظلام ، إلّا من ضوء الشموع الأربعة المنتصبة فوق الشمعدان الرباعي الذهبي ...كبير... على الطاولة المستديرة... وقد اجتمعت العائلة حولها ، عندما بلغ إيمانويل وغيلبرت ...ن ثامنة عشر ، وبدآ بالتحول...

...كان أنزيون الصغير يحدّق فيهما منبهراً ومحللاً في ذهنه التطورات التي تحصل لهما ، بينما ...كان بيلموت يحدّق بشقيقه إيمانويل غيرةً ، مُمنّياً نفسه بانتظار سنتين أخريين... ليتحول إلى ...صاص دماءٍ ناضج ، وقد كان الجميع يعرف بأن بيلموت نشأ متوحشاً متمرّداً ، يتوق إلى الدم ، ...بل أن يبلغ سن التحوّل...

...ل أجد إيفرانور بنبرةٍ حازمة: نحن هنا لنتعهد بعدم أذية البشر أو الاقتراب من دماءهم ، ...د أتينا من كروفستروفا بسلامٍ... وسنستمر بالعيش هنا بسلام!... وجميعنا الآن هنا لنُلقي ...سم أمام الشمعدان الرباعي المقدّس ، والذي يرمز لسلالة آل بونيفيل ، حاكمة إمبراطورية ...روفستروفا العظيمة ، وعِرق مصاصي الدماء!

...ظر الجميع إلى الشمعدان ، واحتضنوا قلاداتهم التي تحمل نفس الشعار... حتى قال إيفرانور:

...سم نحن آل بونيفيل ، على تجنب دماء البشر ، وإخفاء حقيقتنا ، لنتعايش معهم بسلام!

...د الجميع وراءه تلك الكلمات ، بأعينٍ جادة ، وقلوبٍ صادقة...)

في اليوم التالي..

اتجه الجنرال أبوليون إلى وسط لورديور ، ليلقي التحية على رجلٍ كان يعرفه فيما مضى.. وأخيراً وصل إلى المكان المنشود ، منزل أبراكساس..

كان المنزل لايزال متهالكاً كما كان ، وتعجّب عندما وجد الباب مكسوراً ، فدخل وتفاجأ.. بأنه كان خاوياً.. سوى من بضعة قططٍ ترقد في إحدى الزوايا..

مرّت امرأةٌ عبر الزقاق عائدة إلى بيتها المتواضع ، فسألها الجنرال: أين أبراكساس؟

أجابته متعجبةً: أوه!..هل تقصد ذلك المتسول الجشع؟!

ثم قالت وهي تقلّب برأسها: يا إلهي!.. لقد مضى زمنٌ طويل!..فقد وُجد مقتولاً في أطراف لورديور ، وهجر أطفاله المكان دون أن يعرف أحدٌ السبب!

أخذ أبوليون يقلّب عينيه حول المكان في ذهول.. وكان شعورٌ بالذنب يخالجه ، عندما تذكر الطفلة التي جلبها من رومبيانيا ، داناي..

لام نفسه: «مالذي فعلتُه بتلك المسكينة؟!»

❀❀❀

(بانسيلنوس - القصر الملكي)

وصل الملك رودولف لزيارة أفروديت ، وقدّم تعازيه لرحيل الملك أليكساندروس... وقام بتهنئتها على توليها الحكم ، وتمنى لمملكتها ازدهاراً وعلاقةً أفضل مع مملكته ، تشيستوتا..

تناقش الاثنان لفترةٍ... وشكرته أفروديت على اهتمامه وتأديته لواجب العلاقة بين المملكتين ، ثم قدّمت له الأمير أرجوس...

حيث عرض الاثنان على رودولف التحالف في حربهما القادمة مع بيلزبيل ، وطلبا دعمه العسكري ، لكنه اعتذر متذرّعاً بعدم رغبته بنقض صلحه مع بيلزبيل.. فضلاً عن المشاركة في حربٍ احتمالية خسارتها عالية ..

كان رودولف يقيّم شخصية أفروديت أثناء تلك الحوارات ، ونظر إليها مفكراً: «يتضح لي بأنها تحاول فرض سيطرتها ، وكسب المزيد من الحلفاء!... إنها تحاول بناء ماهدمه والدها بأساساتٍ جديدةٍ وقوية!.. ليست كوالدها أبداً!... فقد كنتُ مسيطراً على أليكساندروس ، لكن مع هذه المرأة.. لا أظن بأن الأمر سينجح ، فربما سأضطر لاستخدام طرقٍ أخرى!»

بعد أن استضافته أفروديت في جناحٍ مخصصٍ لراحته ، التقى رودولف بالأميرة ديميتير... أثناء تجوله في أحد الأروقة..

انحنت له ديميتير محيية: جلالة الملك رودولف!

قال رودولف وهو ينظر إليها بإعجاب: لقد كبرتِ ونضجتِ كثيراً ، سمو الأميرة ديميتير!

تبسمت ديميتير ، فاستغل الفرصة: هلّا سمحتِ لي بالتحدث اليكِ على انفراد؟

تقربت ورفعت حاجبها مع ابتسامةٍ متعجبة ، ثم أمرت مرافقيها بالانصراف ، وأمر رودولف مرافقيه بالانصراف كذلك ، ثم نظر إلى عينيها اللامعتين ، اللتين كانتا تحدّقان به ، بانتظار ما سيقول...

رودولف: هل تذكرين ذلك اليوم الذي أتيتُ فيه لزيارة والدك... وقمتِ بإطلاق السهم على قدم الحارس؟

ضحكت ديميتير ببرود ثم قالت: أجل ، أتذكّره..

رودولف: لقد أثرتِ إعجابي منذ تلك اللحظة!

ثم أردف: لقد كنتِ جريئةً ، مغامرة ، ماكرةً وقاسية..بعكس شقيقتك تماماً!

تمالكت ديميتير برأسها وهي تقول بثقة: أجل ، أنا كذلك!..ولكن ، مالذي تحاول قوله ياجلالة الملك؟

قال رودولف وهو يحدّق بعينيها: أرى بأن شخصيةً كهذه... هي التي ستسيطر على بانسيلينوس ، وتنهض بها!.. ستصلين إلى هذه المرحلة يوماً!

ثم وقف بمحاذاتها ووضع يده على كتفها وهمس لها: عندها ، ثقي بأنني سأدعمكِ دائماً!... وسأقف بجانبكِ متى ماحتجتني!

وأردف: ابدئي بكسب الحلفاء حتى تقوي ، واعتبريني الحليف الأول!

ثم غادر عائداً إلى جناحه ولحق به حرّاسه ، بينما ظلّت ديميتير تفكر بعمقٍ في كلماته المبطّنة: «هذا الرجل ، يعرف تماماً ما أفكر به!»

في اليوم التالي..

(باسيليبنوس - العاصمة لورديور)

خرجت أغلاي مسرعةً للحاق بعربة فيوليت . لكنها تفاجأت عندما استوقفها إيمانويل سائلاً:

ماهي علاقتك بحارس الملكة ليون؟

توقفت متعجبةً من سؤاله المفاجيء . فقال: لقد كنتِ تتحدثين إليه بطريقة ودية . بل أكثر من البارحة!

أغلاي: لقد كنت أسأله عن... الملكة!

قال وهو يحدّق بها بحدّة: لقد رأيتكِ تلمسين وجهه!!

تذكّرت أغلاي:

(ألقت أغلاي التحية على زوي . ونظرت إلى الكدمة التي على وجنتها ولمستها سائلة: ماذا حدث؟..هل أنتِ بخير؟)

ارتبكت عندما لاحظت بأنه لازال يحدّق بها منتظراً الإجابة . لكنها تماسكت وقالت بابتسامة مصطنعة: لقد كان وجهه مصاباً . فحاولت الاطمئنان عليه!

تقدم إيمانويل خطوةً نحو الأمام ، وقال بابتسامة ساخرة: الاطمئنان عليه؟!

تغيرت نبرة صوته وبدا بأنه غاضب: من يكون ليون بالنسبة لكِ . لتطمئني عليه؟!

تلعثمت شفتا أغلاي وقالت بارتباك: أ..أتمنى ألاتفهم الأمر بصورةٍ خاطئة . إيمانويل..

لكن إيمانويل أشار إلى سائس العربة آمراً أن ينطلق ، فنظرت أغلاي بتوترٍ نحو العربة التي تقلّ فيوليت وقد غادرت تاركةً إياها ، وكانت تلك الأخيرة متعجبةً مما يحدث بين أغلاي وإيمانويل.

وبدأت الشكوك تتسلل إلى قلبها الصغير ، الذي لم يعرف يوماً الغيرة...

قال إيمانويل بجدية: لن تذهبي إلى القصر مع فيوليت!... ولن تري ذلك الـ.. ليون!!

اعترضت أغلاي غاضبةً: انتظر!.. لايحق لك أن تمنعني...

لكن إيمانويل دخل إلى المنزل وتجاهلها ، فركضت للخارج محاولةً اللحاق بالعربة... وهي تناديه على فيوليت ، ولكنها قد ابتعدت كثيراً...

❀ ❀ ❀

في القصر الملكي...

استضافت ديميتير فيوليت بجناحها ، ثم أجلستها أمامها وقدمت لها هديةً: سأهديكِ هذا الخاتم الثمين!... إنه مزينٌ بأندر الألماسات كما تلاحظين!

حاولت فيوليت الخاتم بسعادةٍ وقامت بارتدائه في اصبعها.. وأخذت تتأمله بانبهار ، ثم انحنت:

شكراً لكرمك... سمو الأميرة!

قالت ديميتير: غداً هو يوم احتفال الفرسان...

ثم أردفت: وبلا شك ، فإن باربرا قد انتظرت هذا اليوم طويلاً...

ثم نظرت إلى عيني فيوليت وقالت: ستقومين بخدمةٍ لأجلي!..كما اتفقنا!

فتحت فيوليت عينيها باهتمامٍ واستعداد ، فقالت ديميتير: عليكِ ألا تطرّزي اسم باربرا!

قبّت فيوليت عينيها بتردد ، فقالت ديميتير بنبرةٍ تتضمن تهديداً: منحتكِ هذا الخاتم ، لأني أعلم بأنكِ ستفعلين ما طلبت!... لاتريدين أن تخسري حظوتكِ عندي ، ومن ثم تتعرضين لمكائدي..كما يحصل لباربرا الآن!

رفعت فيوليت رأسها ونظرت إلى عيني ديميتير بتوتر... وبدأ الخوف يتسلل إلى أعماقها...

❁❁❁

(بانديلينوس - مولنيا)

كانت دليا ترتدي تلك القلادة التي ابتاعتها من دكان ماركوس ، فتحتها ورأت صورتها التي قد رسمها ياني فيما مضى ، ثم ابتسمت... ونزلت درجات السلم سائلةً إيوانا عنه...

إيوانا: أعتقد بأنه بالقرب من الإسطبل كعادته ، إنه يحب الخيل!

اتجهت دليا نحو الإسطبل ، ورأت ياني يجلس أمام لوحةٍ ممسكاً بالفرشاة ، ويرسم فرساً أمامه...

فاقتربت منه مبتسمةً ، ونظرت إلى الحامل الخشبي ، والفرش والألوان... ثم سألت: هل ناسبتك أدوات الرسم التي جلبتها لك؟

ابتسم ياني ونظر إليها: أجل ، أنا سعيدٌ بها!

واستمر بالرسم ، فقالت وهي تشير إلى القلادة: هل تذكر هذه الرسمة؟... أتود أن ترسمني مجدداً؟

التفت إليها: بالطبع!... الآنسة دليا جميلةٌ وفاتنة... لذلك فإنني سأسعد برسمها!

ضحكت دليا ، ثم مسحت على رأسه: أنت لطيفٌ ياني!..كيف تعرف تصفيف مثل هذا الكلام المنمق؟

باني: أخي آرميل!... كان يردد مثل هذه العبارات للفتيات ، فتعلمت منه!

نظر إلى ابتسامتها الخجولة تلك... وكان مستمتعاً أثناء عبثها بشعره الأشقر ، شعورٌ بالأمان

والراحة... وحنانٌ أنثوي يدفئ قلبه...

❀❀❀

بينما في ناحيةٍ أخرى من المزرعة..

كانت داناي تعمل على قطف الثمار وجمعِها مع المزارعين ، تحت أشعة الشمس الدافئة..

نظرت إلى يدها المتشققة من آثار العمل ، وإلى معصمها... حيث مكان السوار المفقود.. الذي انتزعه رايموند منها ، وفكّرت في كلماته الأخيرة:

(قال بجدية: سآخذ ياني للعيش معي!

قال وهو يرفع السوار عالياً: سأعيد إليكِ سوار معشوقكِ أرام ، بعد أن تقومي بإقناع سيدة المزرعة بشأن ياني!)

قلّبت الموضوع برأسها ، لكن تفكيرها قطع عندما صاح بها المشرف على المزارعين داناي!!..لاتتقاعسي!... استمري بالقطف!

❀❀❀

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي...

كان الأمير أرجوس يقيم في قصر لورديور تحت حماية الملكة أفروديت...

في جناحه الخاص ، تمدد على الأريكة بينما يتناول الفاكهة تحت أشعة الشمس الدافئة ، التي تنفذ عبر شرفته...

أرجوس بكسل: هلّا قمت بتدليك كتفيّ يا نوي!

أمال نوي شفتيه: إنك لاتزال مدللاً كما كنت في صغرك... سمو الأمير ، عدتَ الآن إلى حياة الرفاهية ، والتي تليق بمقامك!... أعتقد بأنك افتقدتها طوال تلك السنين!

قضم أرجوس من التفاحة وهزّ رأسه مؤيداً ، والتفت نوي إلى الحديقة بينما يدلّك كتفيه: يالها من طقسٍ جميل!... الأجواء هنا تختلف عن أجواء كليوزهيست!

تنهّد بعينين تلمعان بحنين: كم أشتاق إلى كليوزهيست ، وإلى قصري!... والأماكن التي كنا نلعب بها أنا وأنت!

ابتسم نوي: بدعم أفروديت ، نحن جاهزون الآن للعودة إليها!... واستعادة كل ذكرياتنا الجميلة!

تذكّر أرجوس اجتماع الأمس مع رودولف ، وقال حانقاً: الملك رودولف ، شارك في الحرب السابقة ضد رومبيانيا ، متحالفاً مع الملك أليكساندروس!... أعتقد بأن رفضه لدعمي ، لم يكن بسبب

مدينة مع بلزبيل ، بل بسبب عداوته السابقة مع والدي!

في تلك اللحظة طرق الحارس البابة: الأميرة ديميتير قدمت لزيارتك ، سمو الأمير!

سيدرس أن يجلس واعتدل في جلسته..

في منزل آل بونيفيل...

كان إيمانويل يتنزه برفقة أندريون في حديقة المنزل...

إيمانويل: لقد كنتَ تقف مع أغلاي والجندي ليون في تلك الليلة.. من المؤكد بأنك قد لاحظت شيئاً ، مانوع العلاقة التي تربطهما؟

فكر أندريون للحظة: لاأظن بأنهما على معرفةٍ ببعضهما ، لقد كانت أغلاي تسأل الحارس عن الطريق إلى الشرفات..

تمايل إيمانويل واضعاً يديه خلف ظهره: هل هذا ما أخبرتك به أغلاي؟

أومأ أندريون برأسه: أجل..

تنهد وهو يكتم غضبه ويتذكّر كلمات أغلاي الأخيرة وتناقض إجاباتها:

(لقد كنت أسأله عن... الملكة!)

ثم توقف ونظر إلى داخل المنزل عبر النافذة ، حيث كانت أغلاي تجلس في القاعة وتتفحص القصة الجديدة ، بصحبة فيوليت وميرابيل...

استمر يحدّق بها بريبةٍ ، حتى قطع أندريون تحديقه ذلك عندما قال: ولكنني لاحظت شيئاً آخر ، أكثر أهمية..

ثم قال بعدما أرعى إيمانويل انتباهه: عندما صافحتُ ليون ، كانت يده باردةً جداً...

سأل إيمانويل باهتمام: مالذي تعنيه؟

نظر أندريون إلى عينيه ، ثم قال بنبرةٍ جادة: تماماً كيرودة أجسادنا!

فهم إيمانويل مايقصد ، وظهرت ملامح الحيرة والتعجب على وجهه...

ثم قال: قم بمراقبته!... إنني أعتمد على ذكائك وفطنتك يا أندريون!... محالٌ أن يكون هناك مصاصو دماءٍ غيرنا نحن وآل بيلفرين!... أو على الأقل ، هذا ماقاله الكبار لنا!... تأكد ماذا يكن ذلك الـ ليون!!

القصر الملكي...

في جناح الأمير أرجوس ، حيث كان يستضيف الأميرة ديميتير...

أرجوس: يالها من زيارةٍ مفاجئة!... سموك!

ديميتير: أعلم بأنك تتساءل عن سبب زيارتي ، لكن لاتشغل بالك!... لقد أتيتُ من أجل الاطمئنان على سموك... والتأكد من أنك تنعم بإقامةٍ مريحة!... أتمنى أن يكون كل شيء متوفراً؟

أومأ أرجوس برأسه بامتنان: الشكر للملكة أفروديت على كل شيء!

اتجهت ديميتير نحو الشرفة ولحق بها أرجوس ليقف إلى جوارها ، فالتفتت إليه وقالت بلطف: لقد واجهتَ حياةً قاسيةً لاتليق بمكانتك!

قال أرجوس وهو ينظر نحو الأفق بكل ثقة: سأعود إلى مكاني الصحيح قريباً!

نظرت ديميتير إلى يده التي كان يسندها على حافة الشرفة ، ومدّت يدها وهي تنظر إليه بانجذابٍ وقالت مبتسمةً وهي تلمس يده: ستعود إلى عرشك يا أرجوس!

كان نوي ينظر إليهما مذهولاً ، وتعجّب أرجوس من تصرفها وكلماتها تلك ، ومنادتها له باسمه المجرّد دون لقب احترام ، ونظر إلى يدها التي كانت تعلو يده..

ثم سحبها ببطءٍ... وقال بهدوء: مالذي تريدينه بالضبط سمو الأميرة ديميتير؟

أمسكت ديميتير بذقنه بأناملها وأمالت وجهه تجاهها برقةٍ ، وجعلته يحدّق في عينيها السوداوين وهي تقول بنبرةٍ جذابةٍ خافتة: أميرة من آل غاريس تقف الآن بين يديك!... مالذي تريده سموك أكثر من هذا؟

فتح نوي فمه ذهولاً وهو يرى ذلك المشهد ، واحمرّت وجنتاه خجلاً...

كانت جملةٌ واحدة تتردد في ذهن ديميتير لتدفعها بإصرار: «ستكون الحليف الثاني..»

أكملت ديميتير: عندما تعود إلى عرشك ، ألم تفكر... كيف ستحافظ على قوة العلاقة بين مملكتك وبين بانسيلينوس بشكلٍ أبدي؟... فحينما يتحتم عليك الزواج ، من أي سلالةٍ ستتزوج؟

أزاح أرجوس يدها عن ذقنه بهدوءٍ ثم قال بجدية: أنا أعلم مالذي سأفعله بعرشي ومملكتي وعلاقاتها!... لست بحاجةٍ للنصائح!

ثم تراجع خطوتين نحو الوراء وانحنى لها انحناءةً خفيفةً: شكراً لزيارتكِ واطمئنانك ، سمو الأميرة!.. أتمنى أن نحتفظ بمسافة الاحترام بيننا!

فهمت ديميتير بأنه يطلب منها المغادرة... وكتمت غيظها ، وابتسمت منحنيةٍ له بهدوء...

في نهاية النهار..

منزل آل بونيفيل..

لهت أغلاي تعديل ثوب فيوليت التي قامت بارتدائه وعرضته أمام والدتها ، ميرابيل بإعجاب:

ما مذهل!... كم أنتِ ماهرةٌ يا أغلاي!... لم أكن أتوقع يوماً بأنه يمكننا إصلاح هذا الفستان

ابعض الثمن!

ضحت أغلاي والابتسامة تشع على وجهها ، فقالت ميرابيل مشجعةً: خذي هذه الأقمشة ،

وبيني بحياكة فستانٍ جميل!

حملت أغلاي الأقمشة بين ذراعيها: لطالما تمنيت شراء أقمشةٍ فاخرةٍ كهذه!..أعدكِ بأنه سيكون

ستاناً رائعاً!

في تلك اللحظة دخلت مارغريت وابنتها باربرا إلى المنزل...

بعد أن تبادل الجميع التحية ، جلست مارغريت بجوار أغلاي وهي تنظر إلى الأقمشة في يدها:

باتها من أقمشةٍ جميلة ، هل اشتريتِها مؤخراً؟

قامت باربرا باستدعاء فيوليت بإشارةٍ بيدها ، واصطحبتها إلى الحجرة... بينما غادرت

ميرابيل: سأذهب للإشراف على إعداد العشاء!

جبت أغلاي مع عمتها مارغريت ، التي التفتت وسألتها: هل تقيمين براحةٍ هنا؟... مع تلك

المرأة؟

ستغربت أغلاي ثم ابتسمت: أجل ، فالدوقة ميرابيل امرأةٌ طيبة ، إنها تعتني بي جيداً..وأنا

ممتنةٌ لها!

وملت مارغريت برأسها وقلّبت شفتيها بامتعاضٍ: أتمنى أن تكون باربرا شاكرةً لي هكذا...

ثم تنهدت: إنني أبذل الكثير لإسعادها ، لكنها لاتقدّر ذلك!... إنها تتذمر مني طوال الوقت!

مالت أغلاي شفتيها برأفةٍ ، فأكملت مارغريت حديثها بنبرةٍ حزينة: إنني أحاول تعويضها عن

فقدان والدها...

سألت أغلاي بعد تردد: هل تمانعين لو أخبرتِني.. كيف توفي هو ووالدي؟

تنهدت مارغريت: من حقكِ أن تعرفي القصة...

ثم قالت: لقد كان الكونت كوتريه عائداً في رحلةٍ بالقارب مساءً مع زوجي من رومبيانيا ، لكنّ

عاصفةً قد أبعدتهما عن مسارهما الصحيح ، وأصبحا تائهَين في البحر حتى طلعت الشمس!...

وكونريه لم يكن يرتدي قلادته آنذاك ، لأنه قد منحها لك!

ثم قالت: حاول تغطية نفسه من أشعة الشمس ، لكن ذلك لم ينجح... لأنه يحتاج إلى مستحضر بالتجديف... فقام زوجي بمساعدته وضحّى بقلادته لأجله ، وأخذ الاثنان يقلبان على أرديتهما القلادة ، مواصلين إبحارهما باتجاه الشاطئ... بينما يغطس أحدهما في الماء لتفادي الركوب ، لكنهما...

ثم قالت وهي تحاول منع دموعها: لقد كنّا نترقّب وصولهما بينما نشاهدهما من الشاطئ... ثم مات كوتريه بعد أن انزلقت القلادة من يده لتغرق في البحر!... وفور وصول زوجي إلى الشاطئ تحوّل إلى رمادٍ هو الآخر ، بعد أن أخبرنا بما حدث ، أثناء احتضاره... ألبستُه قلادتي ، ولكن ذلك كان متأخراً... جداً...

مسحت مارغريت دمعةً سقطت قبل أن تتمكن من منعها ، وشعرت أغلاي بالحزن لما حدث لوالدها ، وبالشفقة تجاه مارغريت ، وابنتها باربرا...

❁❁❁

بينما في حجرة فيوليت ، قالت باربرا بلهفة: احتفال الفرسان غداً... إنه يومي المنتظر!

نظرت فيوليت إليها بتوتر ، فأكملت: تعلمين مالذي يجب عليكِ فعله ، أليس كذلك؟

قالت فيوليت بتردد: تريدين... أن أطرّز اسمكِ على منديل غيلبرت...

أومأت باربرا برأسها ثم أخرجت منديلاً ومدته إليها: لاحاجة لتجهدي نفسك ، قدّمي له هذا المنديل... لقد أعددته مسبقاً وطرزت اسمي عليه ، ستدفعين غيلبرت نحوي ، هل فهمتِ؟

لاحظت باربرا الخوف والتردد في عينيّ فيوليت ، فقالت لها: إذا نجح الأمر ، أعدكِ بأنني سأحاول تقريب إيمانويل منك ، وسأتحدث إليه لأجلك!

رفّ جفنا فيوليت برقةٍ وخفق قلبها ، فأمسكت باربرا بكتفيها وقالت بحزم: تعلمين بأنني أحب غيلبرت منذ صغري ، ستساعديني أليس كذلك؟

حينها ارتبكت فيوليت وأدركت بأنها وقعت بين نارين مشتعلتين ، تستغلان حبها البريء لإيمانويل ، لتحقيق غاياتهما...

❁❁❁

في القصر الملكي...

تحدثت ديميتير إلى مربيتها تيرزي حانقةً: اخترتُ أرجوس ليكون حليفاً لي بعد الملك رودولف. وحاولتُ إغواءه لكنه امتنع!... هنالك سببٌ ما ، فلا أحد يمكنه مقاومتي إلى هذا الحد!

ثم قالت وهي تجلس وترفع قدماً فوق الأخرى مكابرةً: إنه مغترٌ بنفسه!

أومأت تيرزي برأسها: الجميع يتمنون أن يحظو باهتمام سموك ، لكنه هو من خسرك...

...محمدين حلفاء آخرين!

...قالت بتدليك كتفي أميرتها وهي تفكر بقلق: ولكن ، إنني أخشى أن تعلم الملكة عمّا حدث!...

...لا بخبر ما الأمير أرجوس و...

...قاطعتها ديميتير: ألا تلاحظين بأنكِ تخافين أفروديت كثيراً يا تيرزي؟... سأحاول استمالته

...بطريقة أخرى... وسأضمن سكوته...

وبعد لحظة ، قالت آمرةً: قومي بجلب وردٍ حمراء جميلة!

...فانت تيرزي على جلب الورود للرجال الذين تحاول أميرتها اغواءهم ، كانت تلك إحدى

...وسائلها ، وكانت غالباً ما تنجح ، فلغة الورود تختصر الكثير..

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

...كان باني يجلس خلف لوحته ، ممسكاً بريشته وألوانه ، ويرسم دليا التي كانت تجلس بثباتٍ

...تام ، وما أن أنهى رسم وجهها فقط ، حتى نهضت: باني ، لقد تعبت من الجلوس لمدةٍ

...طويلة... سنكمل الرسمة لاحقاً!

...فما برأسه بابتسامةٍ لطيفة ، فاقتربت لترى ما أنجزه ، وشعرت بالسرور والانبهار عندما رأت

...وجهها مطبوعاً بجمالٍ على الورق...

وبعد أن غادرت ، استمر باني بإكمال رسم جسدها من خياله ، وكان منسجماً مع تفاصيله...

...هبطت دليا إلى الأسفل ، وتحدثت مع أحد المزارعين على انفرادٍ ، آمرةً إياه أن ينطلق للبحث في

...ليمسيا وفي سجون منطقة الشرق ، عن سجينٍ يدعى آرميل... أو بالاسم الذي يتخفّى خلفه

(سيون بيكارد)...

...قالت معقبةً: إذا لم تجده في تلك المنطقة ، فابحث في جميع سجون بانسيلينوس..

...فما المزارع برأسه طاعةً ثم غادر ، وفي تلك اللحظة اقتربت داناي منها بتردد: أودّ محادثتكِ في

...موضوعٍ ما ، آنسة دليا!

...التفتت دليا إليها ولاحظت الارتباك في عينيها ، فسمحت لها بالحديث...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

في منزل آل بونيفيل..

كانت فيوليت تجلس بمفردها محدّقةً بالمنديل الذي طرزته باربرا ، وبيدها الأخرى كان الخاتم الذي أهدته لها الأميرة ديميتير...

أخذت تفكر بحيرةٍ شديدة... وهي تتذكر كلماتهما...

(ديميتير: عليكِ ألا تطرّزي اسم باربرا!... منحتكِ هذا الخاتم ، لأني أعلم بأنكِ ستفعلين ما طلبت!... لاتريدين أن تخسري حظوتكِ عندي ، ومن ثم تتعرضين لمكائدي..كما يحصل لباربرا الآن!)

(باربرا: إذا نجح الأمر ، أعدكِ بأنني سأحاول تقريب إيمانويل منك ، وسأتحدث إليه لأجلك!)

التقطت فيوليت نفساً عميقاً وفكّرت ، كيف تحمي نفسها من تهديد ديميتير... وهل ستستفيد من نفوذ الأميرة وحِيلها الاغوائية لمساعدتها على الوصول إلى عشيقها ، أو تتبع رغبتها بأن يلتفت إيمانويل إليها عن طريق قريبتها التي تعرفه جيداً...

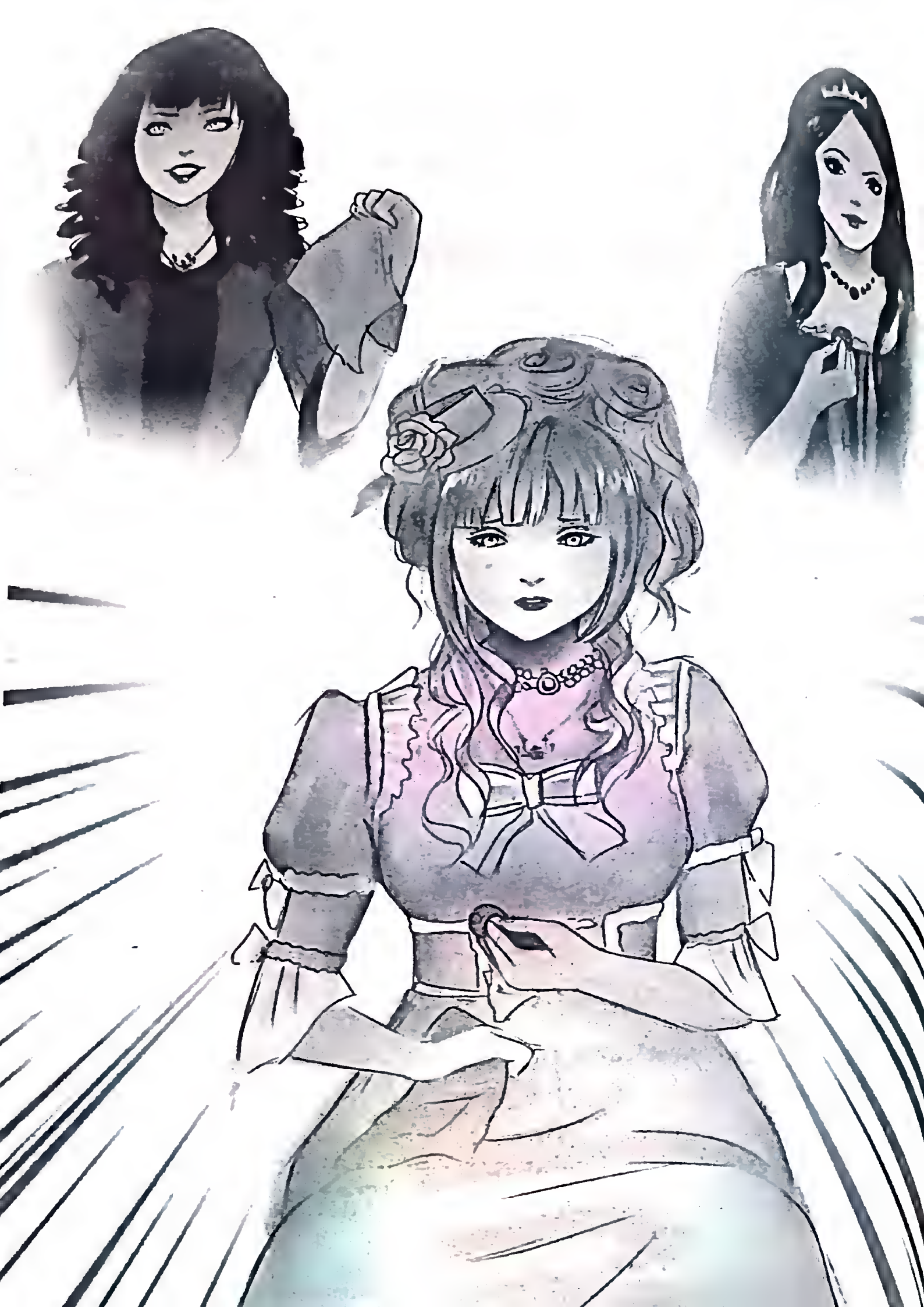

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

في منزل مونبيتيت..

غضبت دليا بعد أن أخبرتها داناي عن رغبة رايموند برعاية يافي لكونه قد توقع معه

دليا: كيف يجرؤ صديقك على طلب كهذا!.. إن يافي الآن من رعيتي... وهو بعنايتي في قرية جلين

ويعمل هنا في مزرعة مونبيتيت!

ثم قالت مستحقرةً: اسمه رايموند؟!... لقد سمعتُ بأن هذا هو اسم قائد العصابة المسماة

«الغربان»!

داناي محرجةً: سامحيني آنستي!... لاعلاقة لي بالأمر ، إنما أحاول إيصال طلبه فقط

قالت دليا: أخبريه بأنني أرفض!.. وإن كانت لديه مشكلةٌ مع ذلك ، فليأتِ للتحدث معي شخصياً

❁ ❁ ❁

في المساء..

(بانسيلينوس ـ غابة ميثالوس)

في كهف الغيركولاس..

كان بالتازار يمدّ سيفه تجاه وجه أرام ، الذي كان راكعاً على الأرض... وشعور الخزي يظهر في عينيه...

بالتازار وهو يتأجج غضباً: كان آرميل بين يديك وتمكّن من الفرار؟!... لمَ منعت الرجال من التدخل وقررت أن تواجهه بمفردك؟... لقد خيبت ظني يازيس!!

لم يرفع أرام رأسه ولم تتغير تعابير وجهه الساكنة ، دفع بالتازار سيفه إلى وجهه أكثر ، لم لامس به خصلة الشعر التي كانت تغطي نصف وجهه ، فتساقطت بضعة شعراتٍ من حدة السيف. وظهرت الندبة واضحةً وممتدةً من فوق عينه اليسرى وحتى منتصف خده.

وضع بالتازار نصل السيف على خده الآخر ، مهدداً إياه بتوسيم ندبةً أخرى: هل تريد مثلها؟

كان الغيركولاس ينظرون إلى أرام بقلق ، حيث يرونه قدوتهم... لأنه أهم وأقوى قائدٍ فيهم. فضلاً عن كونه الذراع اليمنى لبالتازار بعد كالغينيا ، لكن المسؤولية التي يتحملها الآن أمام قسوة بالتازار... جعلتهم يرتعدون...

نطق أرام أخيراً بعد صمته الطويل: أعدك بأني سأجلب المختارين لك!.. أرجو أن تمنحني فرصةً أخرى!

❁ ❁ ❁

(انسيلينوس - العاصمة لورديور)

القصر الملكي...

دخلت تيرزي إلى جناح الأمير أرجوس واستقبلها نوي ، فقدّمت له باقةً من الورود الحمراء ، وهي قالت بتواضع: هذه هديةٌ من الأميرة ديميتير إلى الأمير أرجوس!

أخذ نوي الباقة وشكرها ، ثم توجه إلى الداخل وقدّمها لأرجوس...

نظر أرجوس إلى الورود متعجباً ، وقرأ جملة الاعتذار المكتوبة على الورقة المرفقة ، وقال: تلك الأميرة ، يبدو أنها لا تيأس!

نظر منها إلى نوي آمراً: تخلص منها!

❁❁❁

في اليوم التالي...

في احتفال الفرسان...

تعالت أصوات الموسيقى العسكرية ، كانت الأبواق تُنفخ والطبول تُقرع ، في ساحة القسم العسكري ، التي كانت مكتظةً بالنبلاء ، الذين بدؤوا بالتصفيق أثناء عبور الفرسان على خيولهم ، كان بعضهم من أفضل الخيّالة النبلاء ومن الجنود من مراتب مختلفةٍ بالجيش... وقد جاؤوا من جميع مناطق بانسيلينوس للمشاركة في هذا الاحتفال المميز..

احتفال الفرسان يقام كل خمس سنوات... حيث ينضمّ شبان من العائلات النبيلة إلى المنافسة في المبارزة على ظهور الخيول ، ويتقاتل كل اثنين على جواديهما ، والفائز يحصل على منديلٍ حريري من إحدى نساء عائلته ، ويكون قد طُرّز عليه اسم لفتاة تختارها عائلته لتكون خطيبته المستقبلية ، فيتجه الفارس إلى الفتاة إذا رغب بحبها وفق اقتراح أسرته ، ويلقي عليها المنديل ليعبّر عن انجذابه لها...

أما إذا لم يرغب بالفتاة التي اختارتها عائلته ، فيمكنه أن يقدم منديلاً آخر ، إلى الفتاة التي يحب..

كانت ميرابيل تجلس على يمين ابنتها فيوليت وتهمس في إذنها: بالرغم من أنني لا أطيق مارغريت ، إلا أنني أشفق على مشاعر ابنتها!... تلك الفتاة قد أحبت ابني حباً بائساً لسنين طويلة... تستحق أن يسعدها غيلبرت في مثل هذا اليوم ، ولكنني أرجو ألا يخيّب غيلبرت ظنوننا..تعرفين كم يصبح أخوكِ قاسياً أحياناً!

نظرت فيوليت ريقها بارتباك ، واحتضنت المنديل بين يديها بشدة ، بينما كان الخاتم يلمع في

إصبعها...

سألت أغلاي: أين هما إيمانويل وبيلموت؟

أجاب أندريون: بيلموت لايهتم كثيراً بمثل هذه الاحتفالات ، في الحقيقة ، ذلك الشخص لايهتم بشيءٍ آخر عدا الدماء!... أما إيمانويل ففضل عدم المشاركة ، لأن معجباته كثر ، ولايريدهن أن يتوقعن منه شيئاً!... ألا تلاحظين الخيبة على وجوه أولئك الفتيات هناك!

همست مارغريت لابنتها: باربرا ، لاتتلهفي كثيراً ، فأنتِ تعلمين بأن غيلبرت لايبادلك المشاعر ، وأخشى أن يجرح قلبك!

رمقت باربرا والدتها بنظرةٍ متضايقة: يكفي يا أمي!... لقد نضج غيلبرت كثيراً في الآونة الأخيرة ، وبالتأكيد قد بدأ يتفهم مشاعري!... وسيعلم اليوم بأن عائلته تريد خطوبتي منه!.. ولا خيار له سواي!

كانت الملكة أفروديت تجلس على المنصة وعلى جانبيها شقيقتها الأميرة ديميتير والأمير أرجوس ، وكانت تقف خلفها زوي وبقية أفراد الحاشية ، وكان الجميع مستمتعين بمشاهدة المنافسة..

استمرت المبارزات وسقط العديد من الفرسان ، وكان ألارد يشاهد المبارزات مع الجانب العسكري من الحضور ، حتى سأله أحد الجنود من سَريَّته: سيرجنت ألارد!... لم نرَ السيرجنت ألباين مونبيتيت هذا اليوم ، من الغريب أنه لم يشارك في المنافسة!.. حتى أن شقيقته لم تحضر!

أجاب ألارد: استأذن السيرجنت ألباين للذهاب في عملٍ خاص!..وأظن بأن أخته لن تأتي طالما لم يكن موجوداً!

سأل جندي آخر: أليس ذلك هو غيلبرت بونيفيل؟

في تلك اللحظة ، دخل غيلبرت إلى الحلبة فوق ظهر جواده... وكان يرتدي درعاً و خوذةً حديديةً تغطي وجهه... ثم توقّف أمام خصمه...

فظهرت ابتسامةٌ عريضةٌ على محيا باربرا فور أن تعرّفَت على فارسها خلف الخوذة: ذاك هو غيلبرت!!

رفع غيلبرت رمحه عالياً وبدأ بالهجوم ، فصاحت مشجعةً: هيا يا غيلبرت!!

التفتت فيوليت إلى المنصة الملكية ، حيث كانت تجلس ديميتير... التي أخذت تراقب باربرا وابتسامةٌ غامضةٌ ترتسم على شفتيها...

وفي تلك الأثناء ، قامت باربرا بوكز فيوليت ، وهمست لها: استعدي الآن ، أنا متأكدةٌ من أن غيلبرت سيفوز ، وستنهضين وتقدمين له المنديل فوراً!

كان صراعاً شديداً وعنيفاً ، أوشك غيلبرت على السقوط من جواده عدة مرات ، لكنه ظل متماسكاً حتى النهاية ، وكانت فيوليت تنظر إلى أخيها والعرق يتصبب من جبينها... وتتمنى بشدة ألا يفوز ، حتى لاتضطر لمواجهة الموقف الصعب...

لكن غيلبرت تمكّن من إسقاط رمح خصمه ، ووجّه رمحه نحو صدر الخصم... وكسب بذلك المبارزة ، ثم خلع خوذته... بينما ارتفعت أصوات التصفيق ، واتجه فوق ظهر جواده إلى آل ويتفيل على مضض متوقعاً مايخططون له... فنهضت فيوليت بعد تردد ، وقدّمت له المنديل بيدين مرتعشتين ، فالتقط غيلبرت المنديل منها ، وفتحه ونظر إلى التطريز على عجل... ثم قام بالمرور أمام باربرا التي نهضت لهفةً ووضعت يديها على صدرها لتهدّىء خفقان قلبها... بانتظار استلام المنديل ، وكانت ديميتير تشاهد ذلك عن كثب باهتمام شديد ، فنظر غيلبرت إلى عيني باربرا لوهلة ، وابتسمت له بثقةٍ وشغف ، لكنه أشاح بنظره عنها و تجاوزها... وغادر الحلبة...

صُدمت باربرا والتفتت نحو فيوليت حانقةً ومتفاجئة ، ومشاعرٌ تتضارب في قلبها ، وظهر التوتر والذهول على وجوه أفراد العائلة ، بينما ابتسمت ديميتير برضى... محاولةً كتم ضحكة تتصارعها...

❁❁❁

(بانسيلينوس - أثانسيا)

وصل ألباين إلى جبال أثانسيا على ظهر حصانه ، وبدأ يبحث عن كوخ أليكسيو عبر الطريق الجبلي الذي أخبرته عنه زوي ، حتى وجد الكوخ أخيراً وتوقف أمامه...

وعندما عاد أليكسيو بأغنامه... وجد ألباين بانتظاره ، فسأله بحذر: من أنت؟

ارتسمت على وجه ألباين ابتسامةٌ غامضة ، ثم نهض وعرّف بنفسه: أنا ألباين مونبيتيت!

ولاحظ الدهشة التي كان يحاول أليكسيو إخفاءها...

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

على أطلال لورديور ، كان آرميل يركب إحدى عربات البضائع المتجهة نحو العاصمة..

نظر إلى جروحه ولاحظ بأنها بدأت تختفي شيئاً فشيئاً ، وكان يدرك بأن جسده يتعالج ذاتياً ، فتنم متذمراً من فقدانه لبشريته: كل ما يحدث لي ، لايصدق!

أخذ يفكر بعمقٍ فيما قاله أرام عنه ، وعن زوي ، الفيركولاس ، وبالتازار... نظر إلى الوسم: «قد أشكّل خطراً على باني... من الجيد أنني ابتعدت عنه ، فأنا الآن وحشٌ مطاردٌ من قِبل مجموعة

وحوشٍ أخرى ، عليّ أن أتوقف عن البحث عنه ، فسيبقى يأتي في مأمنٍ بعيداً عني... »
ثم نظر نحو الأفق بينما كانت العربة تتأرجح به ، وأطلق تنهيدةً تحمل ضيقاً كبيراً...

❁❁❁

بينما في القصر الملكي...
كتمت باربرا غيظها ودموعها.. ثم غادرت المدرّج ، ولحقت بها والدتها بقلق...
وفي تلك اللحظات ، تم إعلان انضمام فارسٍ جديدٍ إلى المنافسة ، بدأ الفارس بالقتال بكل قوةٍ ومهارةٍ... وأذهَل الجميع بسرعته وذكائه... لكنه لازال مجهولاً ، فلم يسجّل نفسه رسمياً ، لذلك لم يقف أحدٌ لتشجيعه...
تمكّن من الفوز بالنهاية ، لكنه لم يخلع خوذته حتى بعد تصفيق الحاضرين ، ولم يكشف عن وجهه... بل اكتفى بإخراج منديلٍ واتجه بحصانه نحو المدرج... واقترب من سيدات آل بونيفيل ، فارتسمت الدهشة على وجوههن...
لكنه نظر إلى أغلاي وألقى بالمنديل الأرجواني لها ، فتعجّبت والتقطت المنديل لتقرأ اسمها مطرزاً عليه ، ثم رفعت رأسها وأدركت بأن الجميع يكان يحدّق بها بذهول ، ثم التفتوا نحو الفارس منتظرين أن يعرّف بنفسه ، لكنه غادر الحلبة دون أن يفعل...

❁❁❁

(بانسيلينوس ـ أثانسيا)

استضافه أليكسيو في كوخه المتواضع ، وقام بإعداد الشاي الساخن له ، وقال وهو يسكب الشاي في القدح: كيف يمكنني خدمتك أيها النبيل؟
ألباين جالساً أمام المنضدة بثقة: كفاكَ تظاهراً يا أليكسيو!... إنني أعلم بأنك كنت مقرباً من والدي!
قدّم أليكسيو القدح إليه: اعذرني أيها اللورد ، ولكنني لا أعرف من هو والدك ، ولا علاقة لي بما تدّعيه!
التقط ألباين القدح واحتضنه بين يديه: علمتُ بأن تقنياتك في القتال كانت مشابهةً لوالدي الجنرال أركاديوس!... وبأنك تخبئ شعار عائلتنا لديك!
أبرز ألباين الخاتم الذي في يده ، ونظر بثقةٍ إلى عيني أليكسيو اللتين اتسعتا ذهولاً مع انعكاس وهيج نيران المدفأة عليهما ، بينما يحدّق بالخاتم... فأردف ألباين: توقف عن إخفاء هويتك ، وأخبرني بكل شيء!
كان وجه أليكسيو مخطوفاً ، وأدرك بأنه لافائدة من التظاهر أكثر ، فأطلق تنهيدةً عميقةً: سامحني ، لورد ألباين!

❁❁❁

(إبنسيلينوس - العاصمة لورديور)

خارج أسوار القصر العسكري...

بكت باربرا تبكي ، وخلفها وقفت مارغريت...

ضعت باربرا قبضتها على الحائط: لماذا يا غيلبرت؟!... لا أصدق بأنك...

بكت تختنق بحروف كلماتها ، فاحتضنتها مارغريت وهي تشعر بالأسى على حال ابنتها: لطالما حذرتك!... متى ستتوقفين عن حبكِ البائس له؟... لقد تجاوز غيلبرت حدوده هذه المرة... سأذهب للتحدث معه ، فلن أتركه يهينكِ بهذا الشكل!

لكن باربرا أوقفتها بعينين يائستين: لاتتحدثي إليه ، فلم يعد هناك جدوى ، إن غيلبرت يكرهني!

❀❀❀

(إبنسيلينوس - أثانسيا)

بعد لحظة من الصمت.. قال أليكسيو: أنا مسرورٌ لأنك بحال جيدة!... أرجو أن تكون أختك كذلك...

أجابه ألباين مطمئناً: كلانا بخير!

بدأ أليكسيو يحكي قصته: لقد كنتُ الذراع الأيمن لوالدك في الجيش ، كنتُ ولازلت أحمل الولاء للجنرال أركاديوس ولعائلة مونبيتيت ، التي كان والدي في خدمتها من قبلي!

نظر أليكسيو لعينيّ ألباين وقال: لاشك بأنك أتيت لمعرفة سبب مقتل والدك!... أليس كذلك؟

حدق به ألباين بعينين متلهفتين وأومأ برأسه بهدوء: لقد علمتُ بأن والدي قد تنازع مع إدغارد بونيفيل قبل وفاته!... وانني أعتقد بأن لذلك علاقةً بالأمر!

أليكسيو: أجل صحيح... لقد أخبرني الجنرال أركاديوس بأن عائلة بونيفيل تخفي سراً خطيراً وقوة كبيرة قد تهدد الملك والمملكة ، وأعتقد بأن والدك قد اكتشف أمراً ما يتعلق بهم ، لقد أخبرني بأن حياته كانت مهددةً لهذا السبب..

لمعت عينا ألباين بلهفةٍ شديدة وأدرك بأنه أمسك بطرف الخيط أخيراً ، فسأل: ماهو ذلك السر؟!... وماهي القصة بالضبط؟!

هز أليكسيو وقال بيأسٍ قبل أن يرتشف من قدحه: ذلك هو مالم يخبرني به والدك!

ضرب ألباين بقبضته على المنضدة بخيبة: تباً!!... هل تعني بأن والدي مات وخبأ ذلك السر معه؟!

هز أليكسيو برأسه بهدوء.. فسأله ألباين وهو يرفع حاجبه: هل أنت من قتل إدغارد بونيفيل إذن

هزّ أليكسيو رأسه نفياً ، فأخذ ألباين يفكر بعمقٍ شديد...

قال أليكسيو: وفاة والدك.. ومن بعدها وفاة والدتك إثر مرضٍ مفاجئ ، ثم اختفائكما الغامض... ورسالة إيوانا لي ، والتي كانت تقول بأن الطبيب يظن أن زوجة الجنرال ماتت مسمومة ، لقد تركتُ الجيش فور سماعي بكل تلك الأخبار السيئة!.. وأدركت بأنني سأكون التالي... وأن آل بونيفيل سيحاولون قتلي لأني المقرب من الجنرال مونبيتيت ، لقد فررت منهم ليس جبناً.. وانما لحماية ابني الصغير ليون ، حتى استقررنا في هذه الجبال!

ألباين متسائلاً: ليون... هو ابنك؟

تذكر أليكسيو زوي ، وانتبه بأنه قد منحها اسم ابنه ليون ، وقبل أن يجيب... قال ألباين: إنه يعمل في الحرس الخاص للملكة ، وهو من دلني على مكانك...

ذهل أليكسيو ، وابتسم بإعجابٍ ورضىً... وأدرك بأن زوي لاتزال متخفيّةً كفتى حتى الآن.. وقد حققت ماكانت تصبو إليه ، فقال: هذا صحيح ، أنا فخورٌ به!

فكر ألباين وهو يحدّق بعينيّ أليكسيو: «لمَ لم يخبرني ليون بأنه والده؟... لقد كان يتظاهر وكأنه لم يعرفه إلا لفترةٍ وجيزة!... هناك أمرٌ غامضٌ حولهما... »

تساورت الشكوك في ذهنه ، وظن بأنهما يخفيان شيئاً عنه..

❁❁❁

في تلك الليلة...

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القسم العسكري..

كانت ليلةً هادئةً ، عندما تلألأت النجوم في السماء المظلمة...

وقفت زوي بقوىً منهكةٍ مستندةً على إحدى الأعمدة في القسم العسكري ، بعد أن هدأت الساحة من ضجيج احتفال الفرسان الذي استمر حتى الغروب..

وبعد أن خلد الجنود للنوم في مهاجعهم ، ظلّت تقف هناك لبرهةٍ ، تفكر أين ستجد دماء حيوانٍ في مكانٍ كهذا ، كانت تلهث عطشاً... وتمايل رأسها مع دوارٍ شديد ، حتى وقعت عيناها على إسطبل الجيش...

❁❁❁

في الصباح..

فتى غيلبرت بالمنديل بين الحشائش بلا مبالاة... وكان مطرزاً باسم باربرا ، وعندما سمع ضجةً

يجي من إسطبلات الجيش ، اتجه إلى هناك على الفور ، وفهم بأنهم وجدوا حصاناً مقتولاً..

وكان فاقداً لكميةٍ كبيرةٍ من دماءه..

كان الجنود يتساءلون عن هذا الأمر المريب... حتى استقر تفسيرهم بأنه من فِعل أحد الذئاب ،

ولكنهم لازالوا يتساءلون كيف يقترب ذئبٌ من المدينة ، فضلاً عن كونه يتمكّن من العبور إلى

داخل أسوار القسم العسكري؟!..وكيف أصبحت الجثة جافةً تماماً من الدماء؟!... في الواقع ، لم

يقنع أحدهم بذلك التفسير.. لكنه الأقرب للمنطق..

كانت زوي تقف بينهم ، وتستمع إلى نقاشهم بصمتٍ تام ، وكان ألارد منهمكاً في النقاش مع بقية

قادة الجيش ، بينما كان غيلبرت الوحيد الذي ظلّ يفكر بعمق ، ويتفقّدُ آثار الأنياب التي كانت

على جثة الحصان ، حيث انتابه الشك بأن مثل هذا التصرف وهذه الآثار ، قد يكون من فعل

مصاص دماء...

(بانسيلينوس - مولنيا)

رايموند غاضباً: ماذا تظن نفسها ، ابنة مونبيتيت!!... هل أصبحَت تتملّك ياني الآن؟

تنهدت داناي ومدّت يدها بضجر: يكفي ، أعِد إليَّ سواري الآن!

أدخل يده في جيبه وأخرج السوار ، وفور أن وقعت عيناها عليه... خفق قلبها بلهفة وحاولت التقاطه... لكنه رفعه عالياً...

تفاجأت ، فقال: لم تُقنعي سيدة المزرعة بعد!

انفعلت داناي: لقد أخبرتُها كما طلبت مني!... إنها ترغب منك أن تواجهها لتطلب منها ذلك بنفسك!

امتعض رايموند وقال وهو يضع يديه حول وسطه مستخفاً: تريد أن تتحداني!

ثم قال بجدية: لا أرغب بإيذاء ياني!... لأنني عندما أواجه ابنة مونبيتيت ، فسأكون مضطراً لاختطافه رغماً عنها!

شهقت داناي: لن تفعل ذلك يا رايموند!!

أمال برأسه: بالطبع لن أفعل... فعلى كل حال ، ياني أصبح لايستلطفني مؤخراً... وكل ذلك بسبب آرميل ، الذي استمر بتشويه أفكاره عني!... سيكرهني أكثر إذا حاولت إجباره على المجيء معي!.. لذلك سأحاول إقناعه بطريقةٍ أخرى!... يجب أن يخوض غمار الحياة ، ويعيش كرجل قوي ، ليتعلم كيف يحمي نفسه!... فحياته المدللة في المزرعة ، بين أحضان تلك النبيلة ، لن تصنع منه رجلاً!

ألقى السوار عليها: خذي!

التقطته داناي على الفور وارتدته في معصمها من جديد ، ثم نظرت إلى ظهره وهو عائدٌ إلى وكر عصابته ، وفكّرت في نفسها: «بالرغم من قوة رايموند وقسوته ، إلا أنه يهتم لأمر ياني فعلاً.. حبه للتحدي والمنافسة كان سيجعله يواجه دليا بطريقةٍ عنيفة ، لكنه تنازل عن ذلك ، لأجل مصلحة ياني فقط!... هذه المجموعة مترابطةٌ أكثر مما ظننت!... باستثناء أرام ، الذي قد يكون فعل شيئاً يلغي هذا الترابط ، كلا!!... هناك خطأٌ ما!... إن أرام هو الأكثر لطفاً في المجموعة ، أشعر بأن هناك سوء فهمٍ ، في الحادثة التي تتعلق بأريس... »

(الفصل الثاني عشر: العاصفة (أوردبور)

وجدا في منزل آل بونيفيل..

كانت أغلاي في حديقة المنزل ، بصحبة فيوليت وأندريون ، وباربرا...

كانت متسائلة: من يكون فارسك الغامض؟... يالله من رجلٍ شهم ، لقد قاتل بشجاعة لكي يتعرف عليكِ... من الغريب أنه لم يخلع خوذته ، أعتقد ربما... لأنه وسيمٌ جداً!

بينما أغلاي تفكر محرجةً ومترددةً وهي تحدّق بالمنديل الأرجواني: أعتقد بأني أعرف من يكون ، لكني لستُ متأكدةً بعد..

سأل أندريون ببرود: هلّا سمحتِ لي؟

تناول أغلاي المنديل ، فأخذ يقلبّه واطّلع على اسمها المطرز عليه ، ثم تأمله بعمقٍ... وحدّث نفسه متمتماً: «كما توقعت ، إنه خطُّه!!»

حاولت باربرا مضايقة أغلاي: لاتفرحي كثيراً ياعزيزتي ، فذلك الفارس كان يحاول التلاعب بكِ... والا لمَ لايفتخر بإعجابه بكِ ويعرّف بنفسه؟... إنه يعلم بأنه من العار على نبيلٍ أن يرتبط بابنةٍ غير شرعية!... لذا فإنه سيتّخذكِ تسليةً له ، ولن يفكر بالارتباط بكِ بصفةٍ رسمية!

غضبت أغلاي: أنا ابنة بونيفيل ، كما هي أنتِ!... ولم أطلبِ منكِ هذا التحليل ، فاحتفظي به لنفسكِ... أنتِ تحاولين التنفيس عن غيرتكِ مني فقط ، بعد أن فطر غيلبرت قلبكِ!

شعرت باربرا بالاستفزاز ، بعد أن طعنت تلك الكلمات قلبها المجروح ، فأجابتها: احذري أن تسيئي فهمكِ بي!... فأنا ابنةٌ شرعيةٌ..وأنتِ...

قاطعها أندريون ناهراً: توقفي يا باربرا!!

انتفضت باربرا وحدّقت في عينيّ أندريون لوهلةٍ حتى جذبتها فيوليت للتنزه في الحديقة ، لتهدئة ذلك التوتر ، وبعد أن بدأت باربرا تسترخي أخيراً بالسير بين الأزهار ، سألتها فيوليت بخجلٍ شديد: بشأن ماوعدتِني به...

أمالت باربرا شفتيها: انسي أمره!.. طالما أنني لم أحصل على شقيقكِ غيلبرت ، فإنكِ لن تحصلي على إيمانويل يافيوليت!

صمتت فيوليت ، وظلّت فاغرةً فمها الصغير ..بعد أن غادرت باربرا وتركتها تلملم مشاعرها البائسة تجاه إيمانويل ، الشاب الذي طالما اعتنى بها... وكانت تراه أميرها الوسيم ، الذي لاتستطيع ولاتجرؤ بالبوح له عن مشاعرها...

كانت عيناها يائستين ، فقد خاطرت وعارضت رغبة الأميرة ديميتير... وقدّمت منديل باربرا

إلى غيلبرت ، متمنيةً بأن يستمر على قسوته ويرفض تقديم المنديل إلى باربرا ، فعلت ذلك فعل لأنها اختارات الطريقة الأسهل للوصول إلى قلب محبوبها إيمانويل ، ولكن كانت بلا جدوى... وبقي لها أمل الحصول على دعم ديميتير ، علّها تفي بوعودها...

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

مزرعة مونبيتيت..

أثناء تفقدها للإسطبل ، كانت دليا تصطحب ياني معها ، ولاحظت اهتمامه الشديد بالخيول.. فابتسمت وعبثت بشعره وهي تقول: حسناً ، سأسمح لك بقضاء وقتٍ مع الأحصنة...

ثم لاحظت بأن ياني لايزال مخفضاً رأسه وابتسامةً تظهر على وجهه ، ففهمت الأمر وضحكت، وسألته وهي تمدّ يدها نحو رأسه من جديد: إذن فأنت تحب أن يعبث أحدٌ ما بشعرك!

أوما برأسه خجلاً ، فمررت دليا أصابعها بنعومةٍ بين خصلات شعره الذهبية...

رأتهما داناي من بعيدٍ ، وأخذت تفكر بقلقٍ: «مالذي يحدث بينهما؟... وإلى أين تتجه دليا في تلك العلاقة معه؟»

نظرت إلى ضحكته المشعّة: «لقد عانى ياني كثيراً في طفولته القاسية لدى أبراكساس ، إنه يبدو سعيداً جداً معها الآن... »

اقتربت إيوانا من خلفها: هل تتجسسين عليهما؟

التفتت داناي مذهولةً ومرتبكة ، لكن إيوانا نظرت إليهما وقالت بعطف: لقد حُرمت الآنسة دليا من حنان والديها ، وعاشت الذعر والخوف أثناء هروبنا من لورديور ، كنتُ أحاول جاهدةً الإعتناء بالسيدين الصغيرين ، كبرت دليا تحت رعاية ألباين... وتعلقت به بشدة ، لكنه الآن رحل ليكمل حياته في الجيش ، وأصبح مكانه فارغاً... ليملأه ياني!... إنها تشعر بالوحدة ، لذا لاتتعجبي إن رأيتِها تتعلق بياني هكذا!

وأكملت حديثها بنبرة قلق: لكنها بدأت تتعمق بمشاعرها ، وأعتقد بأنها واقعةٌ في غرامه الآن!

والتفتت إلى داناي ، لتنظر إلى عينيها محذّرةً: إياكِ أن يعلم أحدٌ عن هذا!... لن يكون جيداً لسمعة الآنسة!... وخاصةً عندما يعلم اللورد ألباين!

نظرت داناي إلى عيني إيوانا ، ولم يسبق أن رأت مثل تلك الجدية عليها ، فأومأت برأسها مؤيدةً..

❁❁❁

القصر الملكي:

كانت الأميرة ديميتير فيوليت بونيفيل في جناحها ، وكانتا تطلان من الشرفة نحو حديقة القصر...

كانت ديميتير إلى الملكة أفروديت والأمير أرجوس اللذَين كانا يتنزهان بين ممرات الحديقة ، وبينهما حاشيتهما ، ويتناقشان عن الشؤون السياسية...

قالت ديميتير: كم أمقته!.. أرجوس رونثو!

نظرت فيوليت مذهولةً إلى الأميرة التي كانت مستمرةً بالتحديق بهما ، فسألتها: لمَ تكرهينه؟!

ابتسمت ديميتير ساخرةً: لقد قمتُ بمحاولةٍ خائبةٍ لنيل إعجابه!... ولكنني أدركت الآن ، بأنه كان ينظر إلى أفروديت!... شاهدي كيف ينظر إليها ، وكأنها آلهةٌ مقدسة ، نزلت من السماء لتهبه

ابتسامة

التفتت نحو فيوليت وقالت بغرورٍ وكبرياء: إنني أحصل على الشبّان بإشارةٍ من أصبعي!... لم

يجرأ أحدٌ أو يتحامق ليخسر فرصةً مع الأميرة ديميتير غاريس... .

التفتت نحو الحديقة مجدداً وأشارت باستحقار: سوى ذلك الأمير...

ابتسمت فيوليت بابتسامةٍ مصطنعة: لاتكترثي لأمره سمو الأميرة!... فالجميع يتمنّون رضاكِ!

رمقت ديميتير نظرةً متعالية نحو فيوليت التي كانت أقصر منها طولاً ، وارتسمت ابتسامة كبرياء ورضىً على شفتيها ، فقالت وهي تلمس ذقن فيوليت بنعومةٍ: كم تعجبينني يافيوليت!... أنا معجبةٌ بك!... لقد كنتِ على قدر ثقتي وتوقعاتي ، وكان تصرفكِ حكيماً في احتفال الفرسان!

ضحكت بسخريةٍ وانتصار: لقد بدا وجه باربرا مزرياً... وتلاشى كبرياؤها كقطع الزجاج!

نظرت إليها فيوليت ، فسألتها ديميتير: هل كان المنديل الذي قدّمتِه خالياً من أي تطريز ، كما

توقعتِ؟

تورد وجه فيوليت عندما انطلت حيلتها على ديميتير ، فأجابت بحماسة: أجل!... لم أقم بتطريزه

بعد!

ابتسمت بابتسامةٍ خجلةٍ عندما قالت الأميرة: أنا عند وعدي!... سأساعدكِ لتكسبي قلب

أرجوس!... سأقدم لكِ خطةً للاعتراف له ، وعليكِ أن تتبعي ما أقوله لكِ فقط!

عاد غيلبرت إلى المنزل..

وطرح سؤالاً مغلّفاً بالشك على أفراد عائلته: هل تواجد أحدكم في القسم العسكري ليلة البارحة ، بعد انتهاء الاحتفال؟

أجابوا جميعهم بالنفي... واستفهاماتٌ على وجوههم ، وبعد أن أخبرهم بحادثة الإسطبل. أنكروا ارتباطهم بها... والتفتوا بريبةٍ إلى بيلموت الذي كان يتكئ في الزاوية ، فرفع يده ببرود: كفاكم تحديقاً بي!.. أدرك بأنني أكثر من يتعطش للدماء ، وأكثر من يجرؤ على تخطّي الحدود. ولكني لن أفعل شيئاً أحمقَ كهذا!

بدؤوا يتناقشون حول الحادثة ، محاولين التوصل للفاعل ، وتساءل غيلبرت: إن لم يكن أحد أفراد العائلة متورطاً في حادثة إسطبل القسم العسكري... فمن سيكون؟

قال والده إيبير مستبعداً: لن يستدعي الأمر من شخصٍ نبيلٍ أن يشرب دماء حصانٍ تابع لإسطبلات الجيش ، فمن السهل لنا العثور على أفضل أنواع الحيوانات... دون تكبّد هذا العناء. إنها خطوةٌ غبيةٌ ومفضوحة!

تحدّث أرماند بصوته الأجشّ ، فأرعى الجميع أسماعهم: يوجد مصاص دماءٍ آخر ، لاينتمي إلينا ، أو حتى إلى آل بيلغرين!

حدّق به غيلبرت بعينين مرتابتين: هل تعني... بأنه يحتمل أن يكون هناك مصاص دماءٍ لانعرفه؟

فكّر إيمانويل: طالما لم نعرف عنه حتى الآن ، ربما كان يخبّئ هويته جيداً ، لذا لن يكون غبياً ليكشف نفسه بهذا الشكل الواضح ، هذا يعني بأنه اضطر لهذا الفعل في تلك الليلة ، ولم يكن من سلوكه المعتاد...

أيدّه أندريون: ربما بلغ العطش منه حتى أفقده صوابه ، ولم يكن له خيارٌ آخر سوى الإسطبل ، والنتيجة التي نتوصل لها ، أنه يعمل في القطاع العسكري ، جندياً كان أو حتى سائساً!

تبادل إيمانويل وأندريون نظراتٍ مفادها الشك في شخصٍ واحد... وفهم أندريون بأن إيمانويل يريده أن يلتزم الصمت ، إلى أن تتأكد لهما الحقيقة...

استغلّت فيوليت الفرصة وتسللت إلى حجرة معشوقها ، لتضع وردة حمراءً على سريره ، مع رسالة ، كما أخبرتها ديميتير...

...ط العشاء،
...ما عاد إيمانويل إلى حجرته ، تفاجأ من وجود تلك الوردة ، وقرأ الرسالة:
...ة يا إيمانويل ، ضع الوردة في الإناء الخزفي في زاوية الممر ، عندها سأعرف بأنك
...لي هذا الحب).
...حتى بانت أنيابه ، وشكّ في أن تكون صاحبة الوردة هي فيوليت ، إلا أنه استبعد ذلك لأنه
...بأنها خجولة جداً ، ولن تتجرأ على الإقدام بمثل هذا الاعتراف... الذي قد تأخر الزمن
...به ، فرجح الظن بأنها أغلاي...

❁ ❁ ❁

...لحديقة ، لحقت باربرا بغيلبرت فور خروجه ، وبينما تراقصت الحشائش مع نسمات
... كانت الأزهار في حديقة المنزل المعتمة تستجدي ضوء القمر الخافت لينير ألوانها..
...باربرا بصوتٍ يائس: غيلبرت!
...لم يلتفت لها ، فقالت بنبرةٍ متألمة: لمَ لم تقدّم لي المنديل؟
...غيلبرت الصمت ، فأكملت باربرا وحزنٌ يخنق صوتها: ألهذا الحد تكرهني؟!... على
...لم لم تفعل ذلك... مجاملةً؟!... حتى تحفظ اعتباري أمام ذلك الحشد ، فأنا قريبتك
...ي حال!
...عندما قال: لم يقل أحدٌ بأني أكرهك...
...قبها ، واتسعت عيناها لهفةً فور سماعها لتلك الجملة ، وكأنها رأت بصيصاً من الأمل:
...بلبرت لايكرهني!
...لتفت إليها ، وقد بدا الانزعاج على تقاسيم وجهه: أنتِ من يجعل الآخرين يكرهونك ،
...بب تصرفاتك يا باربرا!
...ت وظلّت صامتةً ، فأردف: كوني فتاةً جيدةً ، وابحثي عن شخصٍ آخر يحتوي مشاعرك
...ه، فإنني لست ذلك الحلم الجميل الذي تريده فيني!
...غادر بخطواتٍ هادئة ، وظلّت باربرا تفكر في عباراته... بعينين دامعتين ، فقد كانت نبرة
...به لطيفةً لأول مرة ، وكلماته صادقةً رغم وقعها المؤلم ، وكأنها تعني الوداع... والحقيقة
...ه

أطلّت أغلاي من الشرفة ، لتستنشق نسيم المساء العليل ، لكنها فجأةً سمعت همساتٍ خلف أذنها: هل ناسبكِ لون المنديل ، آنستي؟

التفتت مذهولةً ورأت إيمانويل يقف خلفها ، وقالت: كنت أعرف بأنك الفارس!... لكن..

ابتسم إيمانويل بهدوءٍ ولمس وجنتها بلطفٍ..ثم سأل: لكن ماذا؟

نطقت بعد تردد: لكن ، ماذا بشأن فيوليت؟... ماذا تكون بالنسبة لك؟

ابتسم إيمانويل: حسناً ، أعلم بأن فيوليت معجبةٌ بي...

ثم أردف: لكني لا أنظر إليها إلا كأختٍ صغيرة!... نعم ، لدي الكثير من المعجبات ، إلا أنني..لا أميل إلا لفتاةٍ واحدةٍ فقط...

وغمز لها بعينه الزرقاء: كان من الأفضل أن تتحدثي إلي ، بدلاً من لغة الرسائل والورود..

ثم انحنى بلباقةٍ.. وغادر الشرفة ، ليتركها تقف هناك ، وعيناها تتلألآن كنجوم ذلك المساء الحالم ، متعجبةً: رسائل... وورود؟!

❁❁❁

بينما في وسط العاصمة..

بعد أن وصل آرميل إلى لورديور ، قرر المكوث في المنزل المهجور الذي ترعرع فيه ، والذي احتضن ذكريات طفولته ، السعيدة والتعيسة معاً ، منزل أبراكساس..

خرج يسير في الطرقات بحذرٍ مُخفياً ملامحه تحت قبعةٍ ومعطفٍ طويل ، حتى ولج إلى إحدى الحانات وطلب كأساً من الجعة ، وأخذ يشربه والأفكار تتزاحم في ذهنه...

ثم رمشت عيناه التائهتان: «لماذا نحن؟!»

وتذكّر كلمات أرام:

(تم اختيارنا... وتحويلنا إلى وحوشٍ تسمى «الفيركولاس» ، لكننا نحن «المختارون» ، قد مُنحنا مزايا وقوىً خارقةً تفوق غيرنا من الفيركولاس ، لأننا قد أُختِرنا لقيادتهم ولتكوين إمبراطورية جديدةٍ خاصةٍ بمصاصي الدماء!)

وضع كأسه بقوةٍ على المنضدة ، فتساقطت بضع قطراتٍ منه ، وقال وهو يضغط على أسنانه ويُميل شفتيه بامتعاض: أبراكساس ، هو من اختارنا ليجعلنا ضحايا ودُمىً في يديّ بالتازار ، تركه يعبث بمصيرنا ويُدمرّ إنسانيتنا!

ظلّت القطرات تتصادم بداخل الكأس ، وهمس بحقد: إن كان هناك من يستحق أن نَصُبَّ حقدنا عليه ، فهو أبراكساس ، عبدُ المال ، الذي باع ضميره ليقتل إنسانية أطفال أبرياء ، من

أجل المال فقط!

بعد لحظات اقتربت منه امرأة متبرّجة ، كانت تصبغ شفتيها بصبغ شديد الحمرة ، جلست إلى جواره ثم احتضنت ذراعه ، وأطلّت نحو وجهه وهي تقول بغنج: أيها المكتئب الوحيد ، التفت إليّ وابتهج!

صمت آرميل.. فقالت وهي تحاول رفع القبعة عن عينيه: لمَ لاتريني وجهك ، أيها الغامض؟

التفت آرميل نحوها ثم أمال رأسه وهو يقول بنبرةٍ جذابة ، بعد أن أثارت طاقته الاحتيالية: أمتأكدةً بأنكِ تريدين التقرّب مني؟

قالت المرأة بإطراءٍ ، بعد أن ظهرت لها ملامحه: من هي الحمقاء التي لن تتقرّب من وجهٍ وسيم كهذا؟

نظر آرميل إلى أقراطها وحليّها ، وقدّر قيمتهم المالية ثم ابتسم وقال: إذن ، أتمنى ألاّ تندمي لاحقاً يا سيدتي!.. أُدعى بيون بيكارد!

ابتسمت المرأة بثقةٍ ، ومكثت مع آرميل طوال تلك الليلة... وكانت تظنّ بأنها قد اصطادت فريسةً تمتص منها المال ، ولم يكن يخطر ببالها بأنها هي من وقعت فريسةً لأمكر محتال ، سيغادر في الصباح حاملاً مجوهراتها تلك...

❁❁❁

في اليوم التالي..

في منزل آل بونيفيل..

قفزت فيوليت فرحاً فور أن رأت الوردة في قد وُضعت الإناء الخزفي ، فقد استقبل محبوبها مشاعرها بالموافقة!... شعرت بالامتنان لديميتير التي أعطتها طرف خيطٍ بسيط لتمسك به ، فلم تكن تتوقع أن الأمر سيجري بهذه السهولة ، لقد اختفت الرهبة من قلبها الصغير.. أخيراً!

❁❁❁

بينما في مكانٍ آخر...

هجم آرميل على إحدى النعجات في إحدى المزارع القابعة في أطراف العاصمة..

وبعد أن ارتوى من دماءها ، ومسح فمه... أخرج قطعاً من المجوهرات من جيبه ونظر إليها برضىً.. بعد أن حصل عليها من تلك المومس من الليلة الماضية ، ثم قال ساخراً: لمَ النساء بهذا الغباء؟!.. إنهن أسهل ضحاياي..

❁❁❁

...لم تكن بعيدة عن أطراف لورديون..

...لملكة أفروديت الأمير أرجوس معها في نزهة على الخيل للصيد ، مع الحرّاس ...من الحاشية ، كان أرجوس مستمتعاً بالصيد ومطاردة الغزلان بسهامه ، بصحبة نوي ، ...قرب من أفروديت التي كانت تمتطي ظهر خيلها الأبيض ، أتشاز ، شدّ لجام حصانه وهو ...من نودين مسابقتي ، جلالتك؟

...أفروديت ، فقال متحدياً: صحيحٌ بأنك ماهرةٌ في ركوب الخيل ، ولكني لا أظنكِ قادرةً ...أمير نشأ في الغابات!

...أفروديت بعد أن أثارها شعور التحدي ، ورفعت لجام أتشاز وانطلقت مسرعةً بين ...فتحق بها أرجوس محاولاً منافستها في السرعة...

...سمو الأمير لم يترك طيشه وتصرفاته المراهِقة ، حتى مع الملكة!

...نوي متعجباً: ...لكنها فضّلت البقاء ، واطمأنت إلى أنها ستكون بخير...

...نوي باللحاق بملكتها ، ...

...أرجوس يلاحق شعرها الأشقر المتموج مع سرعة الريح ، التي كان يعاكسها أتشاز ، وكأنه ...جميل لايريد الاستيقاظ منه ، تمنى أرجوس أن يكتفي بالتحديق بخصلات شعرها للأبد...

...منطلقاً معها نحو الأمام بلا توقف...

...أفروديت نحوه ورأى ضحكتها التي اختفت منذ أن استلمت مسؤولية ذلك العرش على ...كان يفكر: «هذه الجميلة ، مهما بدت قاسيةً وشامخة... إلا أنها تخبئ مثل هذه ...البريئة الأخّاذة!»

...أرجوس يبتسم لها وهو يسابقها ، حتى تمكّن من تجاوزها ، وضحِك منتصراً... فضربت ...أفروديت حصانها ليزيد من سرعته ، لكنه تعثر بأحد جذوع الأشجار الساقطة ، ففقدت ...أفروديت توازنها وحاولت التشبث به ولكنها سقطت على الأرض...

...أتشاز وتوقف عن الجري ، وذعر أرجوس وأوقف حصانه ، ونزل عنه راكضاً نحوها:

...أفروديت!

...لها لاهثاً: هل تأذيتِ؟

...تشعر بالدوار ، ولاترى أمامها سوى أشجارٍ ضخمةٍ وأوراقٍ خضراء... وشعاعٍ ضئيلٍ من ...بتسلل عبر تلك الأغصان ، ووجهٍ وسيمٍ قلقٍ يحدّق بها...

...نحو ساقها متألمةً: ساقي!..أعتقد بأنني آذيت ساقي!

...أرجوس إلى ساقها المغطّاة خلف ثيابها ، ثم التفت نحوها مستأذناً: هل تسمحين لي بأن

ألقي نظرة على جرحك؟.. سأحاول معالجته!

أومأت أفروديت برأسها على مضض، فرفع أرجوس ثوبها بأرنبة ليكشف عن ساقها...

قال مطمئناً: لايبدو جرحاً عميقاً!

ثم قام بانتزاع أحد الأربطة من ثيابه، وقام بلفها حول ساقها ليوقف النزف، وكانت تلك اللحظات تمر طويلةً على أفروديت... وتمنّت لو تنتهي بسرعة، فقد كان الألم يفتك ساقها، وكان الخجل يأكل وجنتيها...

قام أرجوس بربط لجام الفرس مع جواده، ثم حمل أفروديت معه، وسار عائداً بها إلى مكان تخييم الحاشية...

وطوال الطريق، كانت أفروديت تجلس بين أحضانه، منشبثةً بثيابه بقوة خشية أن تسقط، وشعرت بأنفاسه الدافئة تداعب جبينها، وأخذت تفكر بتوترٍ فور أن لاح لها الحراس من بعيد... كيف سيرون ملكتهم بهذا الوضع...

هزمت زوي فور رؤيتها لأفروديت، وشعرت بالقلق عمّا يكون قد حدث لها...

ثم هرعت نحوها مع بقية الحراس وساعدت على إنزالها من على ظهر الجواد وهي تسأل بذعر: مالذي حدث؟!

أجاب أرجوس: وقعت من على ظهر الحصان!

انحنت بمارٍ وخيبة: سامحيني جلالتكِ لأني قصرت في حمايتك!... كان يفترض أن ألحق بك!

لكن أفروديت لم تعاتبها، بل اكتفت بالصمت ومدّت بيدها طالبةً مساعدتها باعتضاد ذراعها، بينما هبّت أديلايد لتمسك بها من الجانب الآخر، وساعدتاها على ركوب العربة...

❁❁❁

(روميبيانا ـ العاصمة كليوزهيست)

بدأ الملك بيلزبيل يستعد للدفاع عن مملكته ويؤمّن حدوده، ويجهز جيوشه وسفنه بالأسلحة والمدافع، وكان شقيقه تريتون يشرف على استعدادات القوّات البريّة، بينما انحنى شقيقه الآخر أنارغيروس عندما وقف بيلزبيل ليشاهد جيوشه بفخر...

أنارغيروس: جميع الترتيبات تسير كما أمرت جلالتك!... تم تجهيز الأسطول البحري، وتأمين الموانيء!

ابتسم بيلزبيل بثقة: سأجعل أفروديت تندم إذا حاولت أن تتخطى حدود روميبيانيا!

في القصر...

(إلى الصباح التالي . العاصمة لوردبور)

منزل آل بونيفيل...

رفعت أغلاي الفستان الذي كانت تسهر على حياكته ، ثم استعرضته أمام الدوقة ميرابيل ، التي وقفت وأخذت تتفحصه بيديها: الأقمشة الأخيرة جميلةٌ جداً ، لكنكِ جعلتِها أجمل بتصميمك لهذا الفستان!

ثم استندت إلى ظهر المقعد وأخذت تفكر للحظةٍ ، ثم قالت: أغلاي... أعتقد بأنني وجدتُ شراءاً مناسباً لك!

ضحكت أغلاي متلهفةً ، فأردفت ميرابيل: ماذا لو قمتِ بحياكة الثياب للسيدات النبيلات؟

ابتسمت أغلاي فقالت ميرابيل: ستمتلكين اسماً ودخلاً خاصاً بك!... وبالتأكيد سيُعجبن بما تصنعينه!

كانت تلك الفكرة جزءاً هاماً في نفس أغلاي ، فقد كانت تدرك بأنها شغوفةٌ للمال والشراء ، وبأن هذا العمل سيجعل لها مكانةً كبيرةً في تلك الطبقة الأرستقراطية..

ضمت عيناها: شكراً لك ، دوقة ميرابيل!... ستكون تجربةً رائعة!

ابتسمت ميرابيل: سأساعدك بذلك ، وأخبر سيدات البلاط ، دعي هذا الأمر لي!

دخل إيمانويل إلى الردهة.. ورأى أغلاي والدوقة ميرابيل وابنتها فيوليت وهنّ يتهيأن بالاستعداد للمغادرة ، فتحدثت ميرابيل إليه: نحن ذاهباتٌ إلى القصر الملكي للاطمئنان على صحة الملكة ، سمعنا بأنها وقعت من فوق حصانها!... وسيدات البلاط كذلك بالتأكيد سيتواجدن هناك!

ثم قالت وهي تشير نحو أغلاي بافتخار: ستصبح لأغلاي سمعةً جيدة في القصر إذا ما استخدمت مهارتها كحائكةٍ بارعةٍ لثياب النبيلات!

نظر إيمانويل إلى أغلاي وأومأ لها مشجعاً ، لكنه لم ينسَ غيرته من حارس الملكة ليون (زوي)... فقال موجهاً حديثه إلى ميرابيل: سأرافقكنّ إذن!.. يجب أن أقوم بواجبي تجاه الملكة ، أيضاً!

ربتت ميرابيل على كتفه بلطفٍ وإعجاب: أنت تهتم بأداء المسؤوليات ، ومثاليٌ دائماً ، عزيزي إيمانويل!

ابتسم إيمانويل لها بإطراء: إنها تربيتك ، دوقة ميرابيل!

وانحنى لها ثم اصطحب معه الفتاتين نحو العربة ، فاقترب غيلبرت من والدته وهو لايزال مستمراً بالتحديق في إيمانويل: إنك لاتكفيّن عن الاعتناء بأبناء الآخرين!... منذ أن مات والداه

وأنتِ تستمرين في تدليله هو وبيلموت!... لقد أصبحا رجلين إذا لم تلاحظي بعد!

ضحكت ميرابيل: كنت تشعر بالغيرة من إيمانويل وبيلموت منذ صغرك!... سامحني إذا لم أمنحك الرعاية الكافية ، لأني اضطررت لتولي مهمة تربية خمسة أطفال!

ثم تنهدت ونظرت إلى عيني ابنها: توقف عن هذا التفكير ، عزيزي غيلبرت!... فجميعنا أسرةٌ واحدة... ونتشارك في نفس الطبيعة والمصير!

ثم ارتدت قبعتها المزيّنة بالريش وخرجت ، وظلّ غيلبرت يقف محدّقاً بالعربة وهي تبتعد...

❀❀❀

في القصر الملكي...

فور عودته إلى لورديور... دخل ألباين إلى معبد القصر ، للقاء الكاهن أرتشيم...

كانت الرهبة تلفّ ذلك المكان العتيق ، أخذ يسير بين أروقته... وأعمدته الضخمة التي بهت لونها ، حتى توقف خلف أرتشيم الذي كان منهمكاً في طقوسه...

ألباين باحترام: حضرة الكاهن أرتشيم!... أتمنى أني لا أقاطعك!

نهض أرتشيم ثم التفت ببطءٍ نحو ألباين وقال محيياً: لورد ألباين مونبيتيت!

أحنى ألباين رأسه بلباقةٍ ثم نظر إلى عينيه: أتيت إليك في موضوعٍ خاص!

حدّق به العجوز باهتمام ، فأردف ألباين: لقد سمعتُ بأنك تتلقى الرشاوي ، وأنك قد تفعل أي شيءٍ لأجل المال!

نظر إليه أرتشيم بتحفّظ ، فقال ألباين رافعاً رأسه بتعالٍ: لاتقلق!... فإنني لن أشيَ بك!..بل أتيتُ لأمنحك المزيد ، إذا أخبرتني بجميع ما تعرفه...

ثم أمسك بيده ووضع صرّةً من الآرغنتات في يده ، وقال بجدية: عن... آل بونيفيل!

بادله أرتشيم بنظراتٍ مذهولةٍ ، ثم قبض على الصرّة الثقيلة في يده... وخبأها في ثيابه... ورفع رأسه ، وقد ظهر الهدوء على قسمات وجهه..

ألباين هامساً: جميع الأسرار التي تعرفها يا أرتشيم!... سأعطيك المزيد ، كلما اكتشفتَ المزيد...

❀❀❀

بينما في جنبات القصر...

كانت السيدات النبيلات يتبادلن الأحاديث في حضرة الأميرة ديميتير ، وكنّ قد أعجبن بعمل أغلاي الذي قدّمته لهنّ الدوقة مبرايا...

استتام الحضور في وقوفهم فور أن صاح الحاجب معلناً دخولها للقاعة: جلالة الملكة أفروديت!
وانحنوا احتراماً ، بينما توجّهت أفروديت نحو عرشها وهي تعرج متكئةً على عصا..
فاموا بإلقاء التحية عليها وأخذوا يطمئنون على صحتها ويعبرون عن قلقهم مما حدث لها ،
بينما كان إيمانويل يحدّق طوال الوقت بزوي التي وقفت خلفها بعينين حذرتين وجسدٍ متحفزٍ
لحمايتها ، حتى لاحظت نظراته المستمرة ، وانتبهت أغلاي إلى حرب النظرات بينهما: «إنه يغار
منها بشكلٍ لايصدق ، أخشى أن يتطور الأمر ، ويُقدم على إيذائها ، ربما يجب أن أتدخل!»

❁❁❁

في العربة المتجهة إلى القصر ، والتي تُقلّ الدوق إيبير وابنه غيلبرت...

إيبير مطمئناً: أجل ، لقد تحدثنا أنا والكونت أرماند حول هذا الأمر ، وسيتولى هو بنفسه العثور
على المشتبه به!

غيلبرت: جيد ، سأستلم قيادة الورديّة هذه الليلة في حراسة القصر ، أمرتُ حرّاسي بتكثيف
النوبات ، ونبّهت بقية قادة الحرس الخاص ، فوجود مصاص دماءٍ هناك ، سيكون خطراً على
الأسرة المالكة!

ثم تنهد: وبما أننا أتينا على ذكر آل بيلغرين بالأمس ، أعتقد بأنه حان الوقت... لزواجي من
أندرونيكا بيلغرين!

إيبير ضاحكاً ومذهولاً: لا أصدق بأنك وقعت في حب تلك الطفلة فعلاً!... لم أتوقع بأنك لاتزال
تذكرها أو تتذكر تلك الرحلة إلى رومبيانيا حتى!!

غيلبرت مستهتراً بردة فعل والده: كيف لي أن أنسى حب حياتي؟

ثم قال معاتباً: لم أكن أعلم بأن اللورد بيلغرين كان من الذين هربوا مع آل بونيفيل إلى أرض
البشر!... لقد أخفيتم حقيقة عائلة بيلغرين عنا حتى بلغنا!... لقد ظننت في البداية بأن
أندرونيكا بشرية ، مما جعل أملي يخيب في فكرة الزواج منها!

قال إيبير بجدية ، بعد أن التفت وحدّق بعيني ابنه: لكنهم مختلفون عنا!... أتمنى ألّايخيب أملك
في تلك الفتاة فعلاً!

غيلبرت مستغرباً: مالذي تقصده؟

إيبير بنبرةٍ جادة: إن والدتها بشريةٌ ياغيلبرت!

شحب وجه غيلبرت ، وشعر بأن والده يستمر في تحطيم آماله... كلما قرر بناءها...

❁❁❁

وبعد حديثٍ ممتعٍ مع صديقتها ، اتجهت زوي إلى القسم العسكري... وكان أندريون يتعقبها خلسةً كما أوصاه إيمانويل...

لكن الجندي إيتون الذي كان يضايقها دائماً ، قد اعترض طريقها!... وكان يمسك بفكّه المتورم ويقول حاقداً: سأجعلك تندم أنت وألارد على تشويهكما لوجهي!

توقفت زوي عن السير ، وحدّقت به بعينين متحفظتين ، فقال محاولاً استفزازها: ليون!... أيها العامي اللقيط الذي يحتمي خلف السيرجنت ، إذا لم يكن صديقيكَ موجودان لحمايتك ، أخبرنا كيف ستنجو منا؟

أمالت زوي برأسها ببرود ، وقالت بتحدٍ: افعل ماتشاء يا إيتون!... فأنت لاتعلم بعد ، مدى قوتي!... لا أحتاج إلى حماية ، فأنا من يحمي!... أم نسيت بأن هذا هو عملي؟... وأيضاً ، ليس لدي ما أخسره ، بينما أنت لديك الكثير!

ابتسم ايتون بخبث: حسناً ، يبدو أنك لاتكترث بنفسك ، لكني أؤكد لك... بأن لديك ماتخسره بالفعل!... فقد لاحظتُ بأنك تكترث للسيرجنت ألارد كثيراً!

نظرت إليه بحدةٍ ، فاقترب منها: أعدك بأنني سأجعل ألارد يخسر لقبه ومنصبه... وحتى حياته!.. يمكننا أن نقوم بتلفيق تهمة تواطئه هو وألباين مع جواسيس بيلزبيل وخيانة الملكة ، وعندها لن يكون هناك من يقف معك!

كان أندريون يراقبهما وينصت لتلك التهديدات ، وقد لاحظ مقدار العداوة بينهما...

نظرت زوي إلى عيني إيتون بحقدٍ عميقٍ... ثم تجاوزته وأكملت سيرها بصمتٍ تام ، ولكنه لم يكن يتصور أبداً حجم القوة التي كانت تختبىء خلف تلك البُنيَة الضئيلة ، والنظرات الحاقدة... وذلك الصمت الغريب...

وعندما عادت إلى القسم العسكري ، كان ألباين ينظر إليها ، ويتذكر كلماتها له:

«كنت أتدرب في جبال أثانسيا على يد رجلٍ يدعى أليكسيو!... وقد رأيت قطعة قماشٍ زرقاء ، أعتقد بأنها راية ، وكانت تحمل شعار الفأسين!»

توجّه نحوها وقال باستياء: لمَ لم تخبرني بأنك ابن أليكسيو؟!

ارتبكت ورمشت بعينيها بتوترٍ: لـ..لقد التقيتَه إذن؟

ألباين غاضباً: مالذي تخطط له؟... هل كنتَ تحاول خداعي يا ليون؟

ابتلعت زوي ريقها بارتباكٍ وقالت: أرجو أن تصدقّني من فضلك... لم أكن أقصد شيئاً سيرجنت ألباين ، لم أظن بأن من الأهمية القول بأنه والدي..

في تلك الليلة الماطرة...

(باسيليوس ـ العاصمة لورديور)

في ضواحي العاصمة...

بعد أن ارتوى أرميل من دماء أحد الحيوانات ، كان يفكر بحالته المزرية... وأخذ يصيح في الطرقات بائساً... تُراوده الوساوس: «أراهم يبحثون عني الآن ، ولن يهدأ لهم بال حتى يجدني ، سينشر وحوشه في كل مكان... وسيكثفون البحث عني... عليّ أن أكون أكثر حذراً»

قام بتغطية رأسه بالقبعة المهترئة التي يرتديها ، ومن ثم رأى امرأة نبيلة تخرج من أحد الدكاكين... وكعادته ، نظر إلى الجواهر الثمينة التي كانت تزينها... وقام بتقدير قيمتها في ذهنه وهمس: عشرون ألف أرغنتا

ابتسم بعد أن لمعت عيناه ، ولم يستطع مقاومة ذلك المبلغ... فسأل أحد التجار: من تكون تلك المرأة؟

أجابه التاجر: إنها السيدة ليلي ، أرملة أشهر كاتب في لورديور!

فتوجّه نحوها وهو يحدّث نفسه بسرور: العمل في لورديور مربحٌ جداً!

❀❀❀

في منزل آل بونيفيل..

بدأت أغلاي بعملها في حياكة الثياب لسيدات الطبقة الراقية ، وكانت منهمكةً في عالمها الجميل.. لكن إيمانويل اقتحم ذلك العالم ، وقطع تركيزها عندما اقترب سائلاً: من يكون ليون بالنسبة لك؟!

نظرت إليه ثم نهضت بصمتٍ فأخذ يتفحص الثوب الذي تعمل كانت عليه ، ويقلّب ثناياته بيده ، بينما يقول ببرود: لقد رأيتكِ تتبادلين الضحكات معه في حديقة القصر... لوحدكما!

ثم حدّق بعينيها دون أن يبدي أي تعبيرٍ على ملامحه ، منتظراً إجابتها ، وشعرت أغلاي بالاستفزاز وهي ترى الحدّة في عينيه الزرقاوين... حيث بدأت شكوكه وغيرته تضايقها...

قالت محاولةً السيطرة على انزعاجها: سأكون صريحةً معك يا إيمانويل ، ليون هو صديق طفولتي ، نشأنا سوياً في ذلك الحيّ الفقير!.. هل أصبح هذا مطمئناً الآن؟

تنهد ثم قال معاتباً: ولمَ أخفيتِ هذه الحقيقة منذ البداية؟

تلعثمت ثم قالت: ليون يحاول الحفاظ على خصوصيته ، لحساسية منصبه كحارسٍ للملكة ، لايريد أن تُنشر الشائعات حوله!

في زاوية أخرى من المنزل ، اقترب أرماند من بيلموت.. فسكب له الأخير كأساً من الدم ، بعد أن ارتشف أرماند ، سأله بيلموت بابتسامةٍ هادئة: لم تخبرني بعد عن خططك ، كونت

أرماند: ولمَ تظن بأنني سأكشفها لك؟

بيلموت منجباً: حسناً ، لقد أخبرتَني بنواياك على عرش بانسيلينوس.. واهتمامك بمستقبل كمصاصي دماء..

أرماند: لم أخبرك بهذا إلا لأني أُخضعكَ تحت اختبار الثقة ، أرى بأنك ستكون مناسباً للعمل كمصاصي الأيمن يا بيلموت ، ولكن الثقة هي المعيار!

صمت بيلموت ووضع كأسه الدموي على المنضدة وأخذ يحدّق بقطرات الدم في لحظة تأملٍ ثم قال: أياً كان ماسيجعلني أرتوي من الدماء... فسألحق به!... سأثبت لك بأنني أهلٌ لهذه الثقة!.. وسأنجح في اختبارك المزعوم!

ابتسم أرماند ببرود ، ثم قال: إنني أُبقي الناس في حالةٍ من عدم التوازن ، بعدم الكشف عن الغرض الحقيقي من وراء أعمالي ، لأنهم إذا لم يعرفوا نواياي الحقيقية ، فلن يخلقوا دفاعاً ، بل أتركهم يقطعون مسافةً عبر الطريق الخاطئ ، بحيث يكون الأوان قد فات.. عندما يدركون مقصدي الحقيقي!

نظر إلي عينيّ ابن أخيه بجدية: أخفِ غرضك واكتم تقدّمك ، ولاتكشف خططك إلى أن تصبح نافذة المفعول ، بهذا تحصل على النصر قبل أن تعلن الحرب!

ظهرت أنياب بيلموت مع ابتسامته الخبيثة ، قبل أن يسأل: وكيف تنوي الوصول إلى ذلك المكان العالي يا أرماند؟... على الأقل ، أخبرني بالخطوة الأولى...

قال أرماند: الأميرة ديميتير ، هي خطوتي الأولى ، وورقتي الرابحة!

رفع بيلموت حاجبه تعجباً: يبدو أنك قد بدأتَ باستمالتها بالفعل!

أرماند متنهداً: إنها فتاةٌ صعبة!... لكن الأمر يستحق جهداً!

انتبه أندريون أثناء عبوره الممر مع إيمانويل ، وهمس له: بيلموت والكونت أرماند ، إنهما يتناقشان بسريةٍ مجدداً!

حدّق الشقيقان إيمانويل وبيلموت بعيني بعضهما لبرهة... وكأن كلاً منهما يخبر الآخر بأنه يعلم عن سعيه خلف شيءٍ ما..

❁❁❁

في ذلك المساء...

كانت السيدة النبيلة ليلي تستضيف آرميل في منزلها ، قالت بإطراءٍ بعد أن أمرت خادمها بسكب الشاي: يبدو أنك كاتبٌ منمقٌ كما هو لسانك ، لورد بيون!

كان آرميل قد انتحل شخصية كاتبٍ ليتعرف عليها ويدخل منزلها... بعد أن عرف بأنها أرملة كاتبٍ شهير ، وكان حينها منهمكاً بالاطلاع على رفوف مكتبة زوجها... ثم قال وهو يُبدي إعجابه بالكتب المعروضة: لقد وصلَت كتبي لمبيعاتٍ مرتفعة ، لكنني أتمنى أن أصل لمستوى زوجكِ الراحل في شهرة كتبه!

ابتسمت السيدة ليلي بسعادةٍ ثم نهضت بحماسةٍ وأخذت تعرض كتب زوجها على آرميل ، حتى أثار اهتمامه أحد الكتب المسمى «نبلاء بانسيلينوس» فسألها عنه ، وعرضته عليه بشكلٍ سريع وهي تقول: لقد كان زوجي مهتماً بالبحث والتنقيب عن كل مايتعلق بتاريخ مملكة بانسيلينوس... ثم أعادته إلى الرف وأغلقت الباب الزجاجي عليه بإحكامٍ وهي تقول: لكنه لم يعرض هذا الكتاب للبيع ، أو حتى يُطلعه على أحد!... كان متحفّظاً بشأنه وكان يخشى بأنه سيثير جدلاً بين النبلاء ، لأنه يتحدث عن تفاصيل وأسرار كل عائلة ، لذلك فهذه هي النسخة الوحيدة من الكتاب!

شعر آرميل بالفضول أكثر تجاه ذلك الكتاب ، فسيكون كنزاً ثميناً بالنسبة له... حيث سيتمكن من خلاله من تحديد الأثرياء ومعرفة تفاصيلهم ، ويختصر الطرق للاحتيال عليهم والتغلغل بداخل عالمهم ، وكذلك انتحال أسمائهم... .

في صباح اليوم التالي...

(بانسيلينوس - مولنيا)

كان ياني منهمكاً في إكمال رسمته لدليا ، بوحيٍ من خياله... وكان ينظر إلى الجمال المرسوم بعينين تذوبان ولعاً ، التفت ليُطلّ من النافذة ، فرآها تعبر الحقول لتتفقد عمل المزارعين والمحاصيل ، وإلى جوارها كانت تسير داناي..

نظرت دليا إلى السوار في معصمها وسألتها: بالرغم من أن سوارك يبدو بسيطاً وهشاً للغاية ، إلا أنني لاحظت بأنكِ لاتزالين ترتدينه منذ أن بدأتِ العمل هنا!

أمسكت داناي بسوارها واحمرّ وجهها خجلاً: إنه مهمٌ بالنسبة لي!

لاحظت دليا احمرار وجنتيها فقالت مبتسمةً: هكذا إذن!... يبدو أنه قد مُنح إليكِ من شخصٍ مميز!

وهمست داناي ثم أومأت برأسها ، فضحكت دليا: أخبريني عنه!... ما هو اسمه؟

همست داناي ونظرت إلى الأفق البعيد أمامها ، وقالت بنبرة حنين: أرام!

ثم شهدت وهي تحدّق بالسوار بابتسامةٍ دافئة: لقد كان لطيفاً للغاية!... وكنت أشعر بالأمان والراحة إلى جواره ، ومع أنني كنت صغيرةً جداً في ذلك الوقت... إلا أنني أتذكّر جميع تفاصيله ، في الواقع ، لا أتذكر شيئاً عداها...

تفاعلت معها دليا بانبهار: يظهر بأن حبكِ له عميقٌ وقويٌ يا داناي!

ثم شهدت: إنني أرغب في العطاء ، وحماية من أحب!... هكذا أدرك بأنني..غارقةً في الحب.. أنا أيضاً!

سألت داناي بعد تردد: هل تقصدين... ياني؟

التفتت إليها دليا ، بابتسامةٍ هادئة... دون أن تنطق بشيء...

وبعد بضع خطوات ، تنهدت ونظرت نحو زرقة السماء الصافية وقالت: ياني هديةً مُنحت إلي من السماء... أتمنى لو أنني كنتُ أعرفه قبل أن يؤخذ من قِبل أبراكساس ، ويعيش تلك الطفولة البائسة!

وأردفت بعينين حنونتين: ربما ستكون حالهُ أفضل!

كانت داناي تنظر إلى جمالها وشعرها الأشقر الذي يتمايل مع نسمات الهواء اللطيفة: إن ياني الآن أفضل حالاً بقربكِ ، آنسة دليا!... أرجوكِ اعتني به!

تبسمت ابتسامة دليا: وأنا كذلك ، أفضل حالاً بقربه!

❀❀❀

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي...

كان أرجوس يقف إلى جوار أفروديت أمام الطاولة التي تتوسط المجلس الملكي.. ويحدّقان باهتمام في الخريطة المعروضة فوق الطاولة ، حيث كان قادة الجيش يطرحون آراءهم أثناء التخطيط للحرب القادمة مع رومبيانيا ، والتي سيكون هدفها الإطاحة بالملك بيلزبيل واستعادة عرش أرجوس رونثو...

وكان الجنرال أبوليون هو المترأس لذلك الاجتماع ، حيث رشّحه أرجوس عندما قال: الجنرال أبوليون هو الأكثر خبرةً في تضاريس رومبيانيا ، وفي استراتيجيات قادة جيش بيلزبيل!

ثم استمعوا باهتمامٍ إلى رأي الكونت أرماند ، حول الخطط الحربية... وأشاد الجميع بحكمته ،

وكانت أفروديت الأكثر انبهاراً ، فقالت: كونت ارماند!

رفع أرماند رأسه ونظر إلى عينيها.. فقالت آمرةً: أكلّفك بقيادة الجيش!... ستذهب إلى رومينيا لتجلب لي رأس بيلزبيل!... فلتبدأ بالاستعداد!

انحنى لها: إنه لشرفٌ لي جلالتك!... أوامرك مطاعة!.. سأشرف على الاستعدادات بنفسي ، وسأقود جيوشنا نحو النصر!... أعدكِ بأنني لن أعود إلى بانسيلينوس وإلا ومعي رأسه!

❁❁❁

بينما في القسم العسكري...

شاهدت زوي عدوها إيتون وهو يقوم بالتخطيط مع أصحابه ، كانوا يسترقون النظرات إلى الارد المنشغل بتدريبات سريّته ، التفت إيتون إليها بعد أن لاحظ وجودها ، ورمقها بتلك النظرة المصحوبة بابتسامةٍ خبيثة ، وكأنه يخبرها بأنه يعمل على تنفيذ وعده ، بالتآمر على الارد.. وبالفعل ، كان تقدمه سريعاً ، فقد التقى على الفور بأحد كبار القادة طالباً التحدث معه على انفراد ، جُنّ جنون زوي ، لكنها تمالكت أعصابها... وقررت التريّث قليلاً...

❁❁❁

في المساء...

توافد النبلاء كالعادة لقضاء أمسيةٍ صاخبة في بهو القصر الكبير...

وكانت أغلاي تسير سعيدةً بالإطراء الذي تسمعه عن ثيابها التي بيعت بثمنٍ مرتفع مما جعلها تشعر بالكبرياء بعد كمية المال الذي حصلت عليه ، كانت ترى العديد من النبيلات يرتدين فساتين جميلةً من صنع يديها ، ويتباهين بها... مما جعل اسمها ينتشر في أوساط الطبقة الارستقراطية:

- أغلاي ، الابنة غير الشرعية لآل بونيفيل ، تميزت بذوقها الرفيع!

- فتاة الشوارع تصبح غنيةً بسبب الثياب!

- إنها اللقيطة التي تمتلك موهبةً وسحراً في يديها!

وليس ذلك فحسب ، بل حتى أنّ الشبان بدؤوا بمحاولة التقرب منها ، رغم محاولات إيمانويل لتملّكها ، حيث اقترب منها وجذبها من بينهم ، فابتعدوا فور أن رأوا هالته العدوانية..

ثم دنا من أذنها وهمس بصوته البارد: أنتِ مُلكٌ لي!... عليكِ ألّا تنسي هذا ، آنستي!

خفق قلب أغلاي للحظة ، وكأن دماءها تجمدت ثم عادت للجريان في عروقها من جديد...

ولم يكن هناك شخصٌ أكثر اغتياظاً من نجاحها... سوى باربرا ، التي كانت تشاهد كل ذلك

جسدي، وترمق أغلالي بنظرات حاقدة، بعد أن استفزتها والدتها عندما قالت بحسرة: انظري
إلى هذه المؤذية... إنها تقدم سمعة جيدة لعائلتنا!... ومالذي فعلته أنت حتى الآن يابارعوا
بين الفضائح والمهاترات مع ديميتير؟

❀ ❀ ❀

وبينما كانت الأجواء صاخبة في القصر... ظلت طرقات لورديور أكثر هدوءاً، حتى سُمع نباح كلب
في إحدى الأزقة، ومالبث أن انقطع فجأة...
كان جرواً صغيراً... قد تناثرت دماؤه حول الطريق المظلم... وكان هناك شخصٌ يبتعد عنه بخطواتٍ متثاقلة، وبينما كان يمسح فمه من بقايا الدماء... كان يحمل في يده الأخرى كتاباً كُتب على غلافه بخطٍ عريض «انبلاء بانسيلينوس»...
لقد خرج آرميل هذا المساء من منزل السيدة ليلي بعد أن تمكّن من خداعها واستمالتها حتى تعاره ذلك الكتاب، بالإضافة إلى مبلغٍ من المال...
وبعد أن ارتوى آرميل من تلك الوجبة الدموية، ركض مسرعاً وقفز بقوته غير البشرية نحو أحد الأسطح وفتح الكتاب بشغف، ثم بدأ يتصفحه باهتمام... تحت ضوء القمر... وشعلةٍ صغيرة...

❀ ❀ ❀

في نهاية تلك الليلة..

في المهاجع العسكرية بالقصر الملكي... وبينما كان الجندي إيتون مستغرقاً في نومه... وقفت زوي فوق رأسه وأخذت تحدّق به بعينين باردتين وهي تفكر بكلماته الأخيرة:
(أعدك بأنني سأجعل ألارد يخسر لقبه ومنصبه.. وحتى حياته!)
مدت يدها نحو رقبته بهدوءٍ وقامت بخنقه، ففتح إيتون عينيه فزعاً ومحاولاً الدفاع عن نفسه:
إيون!!... أيها الوغد الـ...
لكنه ذُعر عندما رأى الشعاع الأحمر الذي يتوهج من عينيها، وصُدم من قوتها التي تفوق قوته عدة أضعاف، همست بنبرة انتقام: لقد كنتَ تعبث مع الشخص الخطأ!
بدأ بالاختناق ولم يتمكّن من إبعاد قبضتها، ثم لم يشعر إلا وأنيابٌ تُغرس في رقبته بعنف، وأخذت دماءه بالتدفق نحو فمها... واستمرّت بتجرعها بكامل حقدها وزعتها في حماية محبوبها ألارد، حتى جفّت دماؤه.. وفقد روحه..
نهضت ثم التفتت حولها واطمأنت بأن بقية الجنود في المهجع لايزالون يغطّون بالنوم ولم يلحظوا شيئاً... ثم نظرت إلى جثته برضا... وقامت بلفّها بملاءة سريره وجذبته نحو الخارج.. لتتوقف بين الأشجار المحيطة، والبعيدة عن الأنظار... وقامت بحرق الجثة.. ثم أخمدت النار...

❀ ❀ ❀

في صباح اليوم التالي..

أطلّت الأميرة ديميتير من شرفتها ، وجلست لتناول الإفطار تحت أشعة الشمس الدافئة... بينما اقتربت مربيتها تيرزي لسكب الشاي ، وهي تقول: لقد بدأت الملكة بالتجهيز لغزو رومبيانيا...

قالت ديميتير وهي تنظر إلى حديقة القصر وتُضيّق عينيها: أجل ياتيرزي ، إن أختي تحاول أن تبدأ حكمها كعظيمة!

ثم قالت وهي تلتقط قدحها بهدوء: بعيداً عن السياسة ، لقد سمعتُ عن تلك المدعوّة أغلاي بونيفيل!..أعتقد بأنها ستكون منافِسةً جيدةً لباربرا... ووسيلةً للحصول على بعض المعلومات!

ثم ارتشفت من الشاي ، وقالت: قومي باستدعائها... سأستضيفها في جناحي هذا المساء!

❀❀❀

في القسم العسكري...

أثناء التدريب ، أخذ كل سيرجنت يتفقّد أفراد سريته كما جرت العادة... ولاحظ سيرجنت السرية التي ينتمي إليها إيتون بأنه كان متغيباً ، وبعد أن سأل عنه وأجاب الجميع بعدم معرفتهم ، بدأت عملية البحث عنه بعد انتهاء التدريبات...

كانت زوي ترافق الملكة أثناء ذلك الوقت ، موقنةً بأنهم سيجدون الجثة المحترقة قريباً... وكانت تأمل بأن يظنوه حادثاً أو انتحاراً...

لم يُعثر على أثرٍ له حتى المساء ، وبدأ الجميع يعتقدون بأنه هرب من الخدمة العسكرية... واطمأنت زوي عندما سمعت تلك الأنباء...

لكن ذلك الاطمئنان لم يدم طويلاً ، فقد قدِم أحد الجنود من ناحية الأشجار وأخبرهم عمّا رآه هناك ، فتجمّع القادة حول الجثة المتفحّمة... وأخذوا يفكرون بأنه قد يكون انتحر حارقاً نفسه... وتمنّت زوي ألّا يلاحظوا أكثر من هذا ، لكنها ابتلعت ريقها عندما رأت غيلبرت من جديد ، وكما فعل مع الحصان ، أخذ يتفقّد الجثة ويقترب من منطقة الرقبة...

وكانت الشكوك الحذرة تدور في ذهنها: «غيلبرت بونيفيل يعرف شيئاً!... إنه يقصد الرقبة في كل مرة!... عليّ أن أحذر منه!»

❀❀❀

ثم مالبث أن نهض وبدأت عيناه تتقلبان بين وجوه الجنود... وتوجّه نحو قائد الجيش وطلب التحدث معه على انفراد ، وكانت زوي تسترق النظر إليهما متمنيةً لو تمكّنت من سماع مايقولان ، كانت قدرتها على السمع قويةً... لكن صوت غيلبرت كان منخفضاً جداً...

غيلبرت: بصفتي أحد قادة الحرس الخاص ، فإن من واجباتي حفظ الأمن الداخلي للقصر

رقبته... لذلك فإنني أطلب الإذن منك بأخذ الجثة وتفحّصها بشكلٍ دقيق... للتأكد ما إذا
كان قد مات مقتولاً ، لامنتحراً!

بعد برهة من الرفض والنقاش ، اضطر غيلبرت إلى استدعاء تدخُّل أرماند ، فوافق القائد على
تسليم الجثة للتحقيق...

❀ ❀ ❀

في نهاية ذلك المساء...

تمددت جثة الجندي إيتون فوق طاولةٍ في أحد مستودعات القصر ، وكان غيلبرت يقف أمامها
برفقة الكونت أرماند والدوق إيبير ، وكانت وجوه الثلاثة شاحبةً وهم يفكرون بجدية ، بينما كان
يتفحصها أكبر طبيبٍ في القصر...

وبعد أن انتهى الطبيب قال: لقد نزف كثيراً قبل أن يموت ، إن شرايينه تبدو بأنها كانت جافةً من
الدماء تماماً قبل أن يحترق..وهذا أمرٌ غريب!... مما يعني أن سبب الوفاة الرئيسي كان
النزيف.. وليس حرقاً!... ويبدو أن النزف كان من رقبته!... كما حدث بالضبط مع الحصان في
الإسطبل العسكري!... هذا يعني بأن الجندي إيتون مات مقتولاً ثم تم إحراق جثته!

تبادل أفراد آل بونيفيل النظرات بعد سماع تحليل الطبيب ، ثم طلب أرماند من الطبيب
المغادرة ، حيث كان التوتر واضحاً على عيني إيبير ، والغضب ظاهراً على وجه غيلبرت الذي أخذ
يجول ذهاباً وإياباً..

أرماند: تحقيقاتنا في حادثة الإسطبل لم تأتِ بنتيجة!... لابد وأنه يختبئ جيداً ذلك المصاص!

إيبير: قد يهدد ذلك وضع أسرتنا واستقرارها في عالم البشر!.. لقد ارتكب المصاص جريمتين
في مكانٍ واحد... وسيكتشف البشر ذلك قريباً!!... يجب أن نمسك به قبل أن يتمادى أكثر!!

أرماند بنفس نبرته الواثقة: قد يكون هناك أكثر من مصاص دماء واحدٍ دوق إيبير!... يجب أن
نفكر بالأمر برويّة!

تفاجأ إيبير من كلمات شقيقه الأصغر ، وأخذ يفكر: وهل يعقل بأنهم تمكّنوا من اللحاق بنا من
كروفستروفا؟!

غضب غيلبرت مقاطعاً: ذلك محال!... لقد قلتم بأن التعويذة المحكمة تحيط بكامل
الإمبراطورية ، ولم يكن هناك سبيلٌ للنجاة!!

قال أرماند وهو يضع يديه خلف ظهره: لن نعرف شيئاً حتى نمسك بالفاعل ، ونستجوبه
عندها... لاتستبقوا الأحداث!

ضرب غيلبرت بقبضته على الطاولة: اتركوا أمر ذلك اللعين علي!... بما أن الحادثتين وقعتا في

القسم العسكري ، فهو ينتمي إلى هذا القطاع ولايزال موجوداً فيه ، سأقوم بالتحقيق وسأجد!

نظر إليه والده بثقة: سنعتمد عليك!

❁❁❁

في حديقة منزل آل بونيفيل...

كان أندريون يقف خلف إيمانويل الذي كان يفكر بعد أن وصله خبر وفاة الجندي إيتون ، وقد زاد اهتمام إيمانويل بعد سماعه عن هذه الحادثة: حارس الملكة ليون!... وكما توقعنا تماماً ، لقد أخبرتني يا أندريون بأنه كان على عداوةٍ مع الضحية!

أومأ أندريون برأسه بجدية: لقد كانت نظرات الحقد واضحةً في عينيّ ليون!... ولاشك بأنه الفاعل!

❁❁❁

في تلك الليلة..

اجتمعت الأسرة وقد تجهّمت وجوههم ، بعد أن سمعوا الخبر الذي نقله إليهم إيبير... وأدركوا حجم الخطر الذي يهدد وجودهم...

مارغريت: من يكون؟!.. وكيف خرج من كروفستروفا؟!

كان بيلموت المبتهج الوحيد ، الذي ابتسم بنبرةٍ مشاكسة: لاشيء يدعو لهذا القلق!... سيبدأ المرح أخيراً ، وسيتعرّف البشر على جنسنا!... وسنتمكن حينها من تجرع دماءهم علناً!

إيمانويل ببرود: لاتستهن بقدرات البشر يابيلموت!... فبمجرد أن يعرفوا نقاط ضعفنا... سيتمكنون من إبادتنا!

❁❁❁

في القصر الملكي...

التقى ألباين بالكاهن أرتشيم في ردهة المعبد...

ألباين: أخبرني... مالذي يمكنك إفادتي به؟

أرتشيم بعينين متحمستين: لقد كان آل بونيفيل مهتمّون جداً بجثة الجندي إيتون!... وكانوا متأكدين بأنه قُتل في ظروفٍ غامضةٍ في القسم العسكري!

أومأ ألباين برأسه: أجل.. لقد لاحظت ذلك الاهتمام!

أرتشيم: اجتمع الكونت أرماند والدوق إيبير ، وابنه غيلبرت ، ولم يسمحوا لأحدٍ بحضور التحقيق عداهم والطبيب الذي فحص الجثة ، وقد أفاد بأن الضحية نزفت بشدةٍ قبل أن تُحرق ، ثم طلبوا منه المغادرة ليكملوا تحقيقهم السرّي ، لقد حصلتُ على هذه المعلومات من الطبيب..

ألبابن مفكراً باهتمام: ذلك يعني بأن القاتل كان يريد تزييف الحقيقة!... القضية محيّرة
وبنسام آل بونيفيل بها محيّرٌ أيضاً!... قد يكون القاتل مرتبطاً بهم ، إما أن يكون منهم أو
عدوهم!

نفذ ألبابن نفساً عميقاً وقال: عائلة بونيفيل تحاول أن تتوغل في نفوذها ، وذلك بشغل أفرادها
مناصب هامة في المملكة!... كان للعجوز إيفرانور ولابنه الجنرال إدغارد مكانةٌ هامةٌ لدى الملك...
والآن ، الكونت أرماند مستشاراً ملكياً وقائداً للجيش ، وإيبير دوقاً على العاصمة... وابنه غيلبرت
قائداً في الحرس الخاص ، ويبدو أن إيمانويل يحاول تملّق الملكة لتمنحه منصباً هو الأخر...

رمى أرتشيم برأسه مؤيداً وأضاف ساخراً: عدا بيلموت ، الوحيد الذي لايبدو بأنه يكترث لشيء!

قدم له ألبابن المزيد من المال وهو يقول: اجلب لي معلوماتٍ أكثر أهمية!... فذلك لم يكن مفيداً
كفاية!

نفذ أرتشيم المال وخبأه في ثيابه ، وانحنى باحترام...

❁❁❁

في اليوم التالي...

في القصر الملكي...

سكب الخدم الشاي لأغلاي... ثم تركوا المساحة لمنح بعض الخصوصية بينها وبين الأميرة
بيميتير... التي أشارت نحو كوب أغلاي: فلتتفضلي بالشرب ، آنسة أغلاي!

رفعت أغلاي كوبها بتهذيب: إنه لشرفٌ لي تلبية دعوتكِ سمو الأميرة!

ابتسمت ديميتير: لاشك بأنك تتساءلين عن سبب هذه الدعوة!

صمتت أغلاي وابتسمت بلطفٍ فقالت ديمتير: حسناً... لن أدع تساؤلكِ يدوم طويلاً!

ثم رضعت كوبها على المنضدة وقالت: تعلمين عن نوع العلاقة بيني وبين باربرا!... وأنا أعلم
بالمقابل بأن علاقتك معها أنتِ أيضاً ليست على مايرام!

هزّت أغلاي رأسها وهي تضع كوبها: كلا ، الأمر ليس بذلك السوء كما يبدو ، إن باربرا...

قاطعتها ديميتير: إن باربرا تضايقكِ دائماً... لاداعي لأن تفكري ، فهي لاتستحق أن تقومي
بحماية صورتها... أليس كذلك؟

صمتت أغلاي ، فنهضت ديميتير وتوجهّت نحو زجاج شرفتها... ثم لاحظت انعكاس وجه أغلاي
على الزجاج... بينما كانت تتأمل الجناح الفاخر بعينيها المبهورتين...

ابتسمت ديميتير ثم التفتت: أرى بأن الجناح قد راق لك!

أومأت أغلاي برأسها وقالت بإطراء: لايمكنني مقارنة جمال جناحك بأي مكان رأيته على الإطلاق!

تقدّمت ديميتير نحوها: يمكنني أن أجعلك تصلين إلى جناح الملكة إن أردتِ!... يمكنني ترشيحك لتصبحي حائكةً لثيابها!

رفعت أغلاي رأسها ونظرت إلى عيني الأميرة السوداوين ، وقد راقت لها كلماتها كثيراً...

ديميتير: عليكِ فقط أن تنفّذي ما آمرك به!... أولاً ، ستجلبين لي المعلومات التي احتاجها ، عن بضعة أشخاص ، وعلى رأس هذه القائمة... باربرا!

ثم اقتربت وهمست: لاشك بأنك تكرهينها أنت كذلك!

تغيرت تعابير وجه أغلاي ، فاستقامت ديميتير في وقفتها... وقالت: إن فيوليت هي عصفورتي الصغيرة في منزل بونيفيل ، وهي التي تنقل لي جميع الأخبار!... وهاهي تنعم الآن بالحظوة والهدايا الثمينة!... ولكنكِ أذكى وأقوى منها يا أغلاي!... أراهن بأنكِ ستكونين ملائمةً لتصبحي عصفورتي!

كانت أغلاي تنظر إليها بصمت ، فأردفت: على كل حال ، لايجب عليكِ أن تتخذي قراراً الآن!... لأنه حالما تنضمي إلى جانبي ، فلا مجال للتراجع!... لذا خذي وقتكِ بالتفكير ، إما أن تبقي كما أنتِ... ابنة غير شرعيةٍ ومحتقرةً لآل بونيفيل... أو أن تصعدي لأعلى ، كحائكةٍ ووصيفةٍ مرفهةٍ بداخل الجناح الملكي!

فهمت أغلاي الأمر ثم نهضت وانحنت بلباقة: شكراً على استضافتكِ سمو الأميرة ، سأفكر جيداً في عرضك هذا!

وعندما همّت بالمغادرة استوقفها صوت ديميتير وهي تقول بنبرةٍ مهددة مغطّاةٍ بلطفٍ مصطنع: بالطبع لن يخرج حديثنا اليوم من باب جناحي ، عزيزتي أغلاي!

❀ ❀ ❀

في القسم العسكري..

وقف الجنود في صفوفٍ منتظمة... جميع من كان منتسباً للقطاع العسكري ، بما فيهم الحرس الخاص وقوّات الجيش... استعداداً للاستجواب..

كان الكونت أرماند يقف على المنصة ، ليراقب جولة غيلبرت ورجاله أثناء التحقيق...

وبصفته قائداً في الحرس الخاص ، ومسؤولاً عن تحقيقات الأمن الخاص ، أخذ غيلبرت يتفحص الرجال ممسكاً بيد كل شخصٍ ليتحسس برودة جسده ، بينما يسأله ليشتت انتباهه...

غيلبرت: أين كنت في الليلة التي قُتل فيها إيتون؟

كنت نائماً!... أقسم بهذا!

ولم يكن غيلبرت مهتماً بإجاباتهم بقدر ماكان مهتماً بإيجاد تلك البشرة الباردة ، وانتبهت زوي إلى مايفعله ، وخشيت أن يكشفها: «ليست طريقته في تفحص رقبة الجثة فحسب ، بل في تحسس أيدي الجنود أيضاً بهذه الطريقة المريبة ، لقد تأكدَت ظنوني ، غيلبرت يعرف شيئاً عن حقيقتي وسيكشفني!!»

كان إيمانويل يراقب التحقيقات من خلف أسوار القسم العسكري ، برفقة أندريون... الذي كان ينظر إلى زوي ويقول: يجب أن أخبر الكونت أرماند عن البرودة التي لاحظتُها على جسد ليون!

وضع إيمانويل يده على كتفه مستوقفاً إياه... فالتفت أندريون ورأى تلك التعابير الهادئة عندما قال إيمانويل: لننتظر ونشاهد فقط!

كان أندريون يشك بوجود هدفٍ شخصي ، يسعى إيمانويل وراءه ، بإخفائه حقيقة ليون عن العائلة ، وبالفعل ابتسم إيمانويل ورفع نظره عالياً... فلديه هدفٌ ولغزٌ يسعى لحلّه ، وقد يكون ليون هو مفتاح ذلك اللغز...

❁❁❁

بدأت زوي تتعرق ، وأخذت نفساً عميقاً... وهي تضغط يديها بتوتر ، كان يقترب منها أكثر وأكثر ، ويتجاوز الصفوف شيئاً فشيئاً ، ابتلعت ريقها... وحبست أنفاسها عندما بدأ يستجوب الحراس في نفس صفها...

ولكن في تلك اللحظة ، تم إعلان دخول الملكة أفروديت ، فتوقّف الجميع عن الحركة والتفتوا نحو المنصة وانحنوا احتراماً ، وأدركت زوي بأنها ستكون فرصتها للفرار من هذا المأزق...

وبعد لحظاتٍ قال أندريون بذهول: انظر!... لقد اختفى ليون!!

ذهل إيمانويل وبحث بعينيه ، حتى رأى زوي قد انسحبت لتقف خلف الملكة على المنصة ، متظاهرةً بحراستها ، فقال وهو يحدّق بها: لقد نجا!... ياله من ماكرٍ محظوظ!

أندريون: يجب أن أبلّغ الكونت أرماند!

لكن إيمانويل منعه: كلا!... دع أمره علي!

تأكدت ظنون أندريون ، فسأله: مامصلحتك بإخفاء الحقيقة عن العائلة ، يا إيمانويل؟

إيمانويل: في الحقيقة ، أريد أن أحلّ لغز مقتل والديّ الغامض ، وقد يدلّني ليون على قاتلهما!

تساءل أندريون: إذن ، فأنت تظن بأن قاتلهما مصاص دماء!

أومأ إيمانويل [illegible] ولا أحد من البشر يعرف في ذلك الحين

بأن أشعة الشمس هي أقوى نقاط ضعفنا!.. لم يكن أحدٌ يعرف هذه الحقيقة ، سوى مصاصي الدماء أنفسهم!

ألقت الملكة أفروديت خطابها لجنودها: لقد أوكلتُ الكونت أرماند للإشراف على التحقيقات المتعلقة بالحوادث التي وقعت في القسم العسكري ، وسيتم إعدام الفاعل! .. وأتمنى أن يكون هذا ردعاً لكل من يحاول الإخلال بالأمن الخاص!

كانت زوي تقف خلفها بصمتٍ وقلبها يخفق ذعراً ، متمنيةً النجاة من هذا المأزق ، أردفت الملكة: يجب أن ننتهي من هذه المهزلة سريعاً ونبدأ بالاستعدادات للحرب القادمة!... فليبذل الجميع جهدهم لنثبت قوة بانسيلينوس ضد أعدائها!... إنني أثق بكم!

لاحظ ألباين نظرات ألارد السارحة نحو الملكة ، فسأل: هل أنت معجبٌ بها ، أم بخطابها يا ترى؟

انتبه ألارد لنفسه: أجل.. لقد كان خطاباً رائعاً بالفعل!

أخفى ألباين ضحكته ، وغادرت أفروديت وخلفها حاشيتها وحارسها الشخصي ، زوي... التي استمر إيمانويل بالتحديق بها وهي تغادر ناجيةً ، وابتسامةٌ باردةٌ كالثلج ترتسم على شفتيه ، بينما عاد غيلبرت ورجاله لاستكمال التحقيق...

❁❁❁

في جناح الأمير أرجوس بالقصر الملكي...

عندما كان نوي يساعد أرجوس على ارتداء ثيابه ، وصلته أخبار زيارة الملكة للقسم العسكري ، ثم قال وهو يغلق أزرار ياقته بإحكامٍ وينظر إلى نفسه عبر المرآة: إنها تثير إعجابي يوماً بعد يوم..

نظر نوي إليه وهو يجهّز معطفه: عليك أن تركز أكثر على الحرب القادمة سمو الأمير!... أرجو ألّا تدع عاطفتك تؤثر عليك...

تنحنح أرجوس وقال وهو يمد يديه استعداداً لارتداء المعطف: رومبيانيا ستعود إليّ!... وأنا متأكدٌ من هذا!... وأفروديت ، ستكون لي أيضاً!

وبعد أن ألبسه نوي المعطف قال: لاتتفاءل كثيراً سموك!... فقد رفضت الملكة خُطّاب الممالك الأخرى ، يبدو أنها غير مستعدةٍ للزواج بعد!

❁❁❁

بينما في مكانٍ آخر من العاصمة...

ذهبت السيدة ليلي لتقديم شكوى لقاضي لورديور...

القاضي: أعتقد بأن اسمه (بيون بيكارد)... أليس كذلك؟

أومأت ليلي برأسها وكانت عيناها غاضبتين: أجل ياسيدي... لقد سرق بيكارد كتاب زوجي

[illegible] لكنه اختفى من يومها ولم يعدا

قال القاضي وهو يحمل ذقنه: حسناً حسناً... لقد استلمنا العديد من الشكاوي ضدّ ذلك الرجل المدعو بدون بكارد ، ولازلنا غير قادرين على إيجاده...

استدارت ليلي: هل تعني بأنه قد فعل الشيء ذاته مع أشخاصٍ آخرين؟!

قال القاضي: إنه محتالٌ معروف ، كان يستميل قلوب اللبيلات ومن ثم يهرب بأموالهن...

وضعت السيدة ليلي يدها على صدرها بعد شعورها بالصدمة والعار لأنها انجذبت لشخصٍ محتالٍ تمكّن من خداعها... ثم قالت غاضبةً: يجب أن تقبضوا عليه ياسيدي!... أريد باستعادة أموالي!!

قال القاضي مطمئناً: لاتقلقي من فضلك ، الحرس يبذلون جهودهم في محاولة القبض عليه!... وستعود إليك أموالك قريباً!

ثم قال معاتباً: لكن الخطأ الأكبر يقع على عاتقكِ وعاتق بقية الضحايا ، لقلّة حذركنّ وتهاونكن!... كيف يمكنكن تصديق كذباتٍ ووعود من شخصٍ مجهول؟!... هل كان معسول الكلام ووسيماً إلى ذلك الحدّ الذي يعمي أعينكن؟

تأثرت ليلي بالحرج الشديد ، وتقلّبت عينيها محاولةً التهرّب...

❀ ❀ ❀

في نهاية اليوم...

في ثكنات القسم العسكري...

ألباين وهو يبدل ثيابه العسكرية إلى ثياب النوم: لقد اعترف الكثير من الجنود بأن إيتون قد خاض عراكاً معكما مؤخراً ، واعترف أحد القادة بأن إيتون تحدّث معه عن احتمالية خيانتك للمملكة يا ألارد ، ووعده بتقديم البراهين التي تدعم ادّعاءه ، لذا فأصابع الاتهام تتجه نحوكما الآن!

ألارد بثقةٍ وبرودة أعصاب: لايوجد دليل ، لذلك لن يجرؤ أحدٌ على توجيه أي تهمةٍ إلينا!

كانت زوي تجلس في زاوية الحجرة محتضنةً نفسها ولاتزال مرتديةً زيّها العسكري ، وتتنقّل نظراتها القلقة والمتوترة بين ألباين وألارد ، فقد كان يومها عصيباً ، وغدُها قد يكون أكثر رعباً...

ألقى عليها ألارد ثياب نومها ، وكان مستغرباً بأنها لم تتجه إلى تلك الزاوية المعتادة لتبديل ثيابها ، فأدرك بأنها ليست على مايرام...

ألارد بقلق: هل أنت بخير... ليون؟

انتبهت زوي إلى نفسها والتقطت الثياب وقالت وهي تنهض بتثاقل: أجل ، أنا... بخير.

ألباين بحماسة: علينا أن نبذل المزيد من الجهد منذ الآن لإعداد سَريّتينا..سيرجنت ألارد!

التفت نحوه ألارد ثم خلع بذلته لتكشف عن عضلات جسده القوية وهو يقول: أعتقد بأن أفراد سريّتي جاهزون بما يكفي للخوض في الحرب!

ألباين وهو يغلق الخزانة: لقد اتخذَت جلالتها قراراً صعباً بالتحالف مع ابن هيروديون!... كان هيروديون عدواً كبيراً لوالدها!

قال ألارد مبتسماً بينما يرتدي قميص نومه: إنها الملكة أفروديت ، سيرجنت ألباين!... وأنا أثق بقراراتها!

ابتسم ألباين ساخراً: لأنك معجبٌ بها؟

ضحك ألارد بتهكّم: ألا تلاحظ بأنك قد أكثرت إلحاحك على تلك الفكرة ، إلى حدٍّ أصبح مزعجاً؟... لن يجرؤ جنديٌ متواضعٌ مثلي على طموحٍ كهذا!... لذا أرجو أن تكفّ عن إصرارك ، سيرجنت ألباين!

ثم قام بالتربيت على كتف ألباين: علينا أن نركّز على ماهو أهم ، سيطول غيابنا عن لورديور ، آمل أن تنتصر ونحقق لها وعدها الذي قطعته للأمير أرجوس!

كانت زوي تحدّق بألارد وهي تتخيله مغادراً إلى الحرب ، خشيت بأنه لن يعود إليها مجدداً... ربما يموت هناك ، و قد تكون هذه هي آخر أيامٍ تُنعّم ناظريها به...

«ألارد راحلٌ إلى الحرب... وقد لايعود!»

كانت تخبّئ خلف صمتها خوفاً وحزناً ، ومعاناةً من نوعٍ آخر ، لغزٌ لايمكن لأحدٍ حلُّه ، وشعورٌ لايمكن لأحدٍ فهمه ، أرادت التنهد بعمقٍ ، لكنها لم تستطع... لأن هناك شيئاً ما يخنقها...

❁❁❁

في اليوم التالي..

في المجلس الملكي..

تحدّث القاضي إلى الدوق إيبير عن المحتال (بيون بيكارد) ، الذي يسرق قلوب النبيلات ومجوهراتهن وقد اشتكى العديد من الضحايا عنه ، وطلب من الدوق تسخير المزيد من الحرس لإيجاده ، حيث إنّ جهود حرس المدينة لم تفلح ، فالمحتال يتخفّى بشكلٍ جيد...

أثارت تلك القضية فضول أفروديت ، وكانت مبتسمةً بتعجبٍ وهي تستمع إلى القاضي...

التفتت نحو الدوق مبتسمةً: دوق إيبير!... تولّى الإشراف على هذه القضية ، وتأكد من القبض

على المدعو بيون بيكارد سريعاً!

وبعد أن أنهت أفروديت مجلسها اليومي مع الوزراء والقضاة والمستشارين ، عادت إلى جناحها وقامت مربيتها أديلايد بتدليك رأسها وكتفيها... بعد يومٍ مجهدٍ... .

أديلايد: تبدين متعبةً اليوم كثيراً جلالتك!

أغمضت أفروديت عينيها لتحاول الاسترخاء: مشاكل الشعب لاتنتهي!... إنها مسؤوليةٌ كبيرةٌ وقاتلةٌ يا أديلايد!... أتمنى أن أصمد حتى النهاية!

كانت زوي تقف عند باب الجناح ، وتنظر إلى ملكتها... وبعد ترددٍ ، تقدمت نحوها: جلالتك!

ردت أفروديت ولاتزال مغمضةً عينيها: ماذا هناك ياليون؟

طلبت زوي من أفروديت أن تسمح لها بأن تنتقل للعمل بالجيش لتلحق بالحرب القادمة ، وعبّرت عن رغبتها في إثبات ولائها ، فتحت أفروديت عينيها بهدوءٍ وقالت بجدية: ستُثبتُ ولاءك عندما تبقى إلى جواري لتحميني يا ليون!... أنت تعمل في الحرس الخاص ولا صلة بالجيش!

ثم عادت لتغمض عينيها: يمكنك المغادرة الآن!

انحنت زوي وغادرت ، وخرجت إلى فناء القصر وهي تفكر ، إنها ترغب بالبقاء بالقرب من ألارد فقط... لتحميه ، ويجب عليها أن تجد طريقةً لذلك..

كانت تسير في ممرٍ ضيقٍ متجهة نحو القسم العسكري ، وتوقفت عندما شعرت بأن هناك من يتبعها ، فأمسكت بسيفها... وعندما همّت بالالتفات بسرعتها الخارقة... فوجئت بأن هناك شخصاً يفوقها سرعةً قد هجم عليها وقام بدفعها وتثبيت جسدها نحو الحائط بيديه القويتين...

كانت زوي مذعورةً وذهلت كثيراً عندما رأت وجهه: لورد إيمانويل!!

كان إيمانويل يحدّق بها بصمتٍ وبعينين باردتين ، فتساءلت وهي تحاول إبعاده: مـ... مالأمر؟!

لكن إيمانويل لم يزح يده عن كتفيها واستمر بتثبيتها مهدداً: ابتعد... عن... آنستي!!

استغربت زوي: آنستك؟... أتعني..أغلاي؟!

دُهشت عندما لم تشتم رائحة دمه ، التي اعتادتها تصدر من البشر ، فلم يكن هناك رائحة دماءٍ على الإطلاق!

دفعته وأبعدت يده عنها ثم قالت بنبرةٍ رجولية صارمة: أنا وأغلاي كنا أصدقاءً في صغرنا ، اطمئن!... فإني لستُ مهتماً بها من ذلك الجانب!

أومأ إيمانويل برأسه وقال بنبرةٍ حادة: أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً!

قامت زوي بتعديل معطفها ثم ابتعدت عنه لتكمل طريقها ، لكنه جذبها من يدها... فالتفتت نحوه مذهولةً ، وأصابها الذعر عندما شعرت ببرودة يده!

قام بدفعها نحو الحائط مجدداً ولكنه قام بخنق رقبتها بيده هذه المرة: من.. أنت؟؟!

ذعرت زوي من قوته الهائلة ، ومن سؤاله الغريب: مالذي تقصده لورد إيمانويل؟!... أنا لست حارس الملكة!

استمر إيمانويل بتحديقه القاتل نحو عينيها وقال بصوته المخيف: من أنت يا مصاص الدماء؟

اتسعت عينا زوي هلعاً ، وأدركت بأنها نهايتها: «إنه يعلم عن حقيقتي!... كيف ذلك؟!... مالذي سيفعله الآن؟!... بقوته الخارقة هذه ، وبرودة جسده... من يكون هو أيضاً؟!»

قطع إيمانويل أفكارها عندما سأل: لمَ أقدمتَ على تلك الأفعال الحمقاء بالقسم العسكري؟!... وكيف خرجت من كروفستروفا؟!... ومالذي تخطط له؟!

كانت زوي ترمش مذعورةً من أسئلته المتتابعة ، دون أن تستطيع النطق بشيء ، قال لها: سأعطيكَ الأمان إذا ما أخبرتني بكل شيء ، و إلا فإنني سأسلمك إلى الكونت أرماند لتقضي حتفك!!

كانت زوي في غاية جزعها وتوترها ، اختنقت كلماتها مع يده التي كانت تطبق على رقبتها... فقد كانت تجد صعوبةً بالتنفس والتفكير ، ولم تتمَنَّ شيئاً سوى الخلاص...

ولكنها لم تلحظ بأن ذراعه كانت ملامسةً لصدرها ، حتى انتبه إيمانويل لذلك... وشكّ بأمر ما... فضغط ذراعه ، ثم تفاجأ!!..وتراجع مبتعداً عنها!... فسقطت على الأرض وأخذت تسعل محاولةً التقاط أنفاسها...

إيمانويل مشدوهاً: أنتِ فتاة!!

كانت زوي تواجه صعوبةً بالتنفس ، ورفعت رأسها وعينيها المذعورتين إليه... وشعرت بالضياع، أجل... إنها النهاية!!

اعتاد ألارد أن تعود زوي إلى القسم العسكري في وقت راحة الملكة ، ولكنه تباطأ قدومها هذه المرة فذهب ليتفقدها ، وذهل عندما رآها على تلك الحال ، جاثيةً على الأرض ، وإيمانويل يقف أمامها ، فسأل بقلق: مالذي يحدث؟!

وساعدها على النهوض منتظراً إجابتها: ليون!!

نهضت زوي ونظرت إلى إيمانويل بطرف عينها ، ولاحظ ألارد نظراتها الخائفة والمتوترة ، فالتفت نحو إيمانويل بعدوانية مُبطّنة: لورد إيمانويل!... هل بإمكانك إخباري مالذي يجري هنا؟!... أتمنى ألا يكون قد حصل مايؤذي الحارس الخاص بالملكة!

ابتسم إيمانويل ببرود وسخرية ، وقال بهدوء: حارس الملكة... فتاة!... ويتضح بأنك تعرف هذا مسبقاً ، من طريقة قلقك عليها ، أيها السيرجنت!

صُدم ألارد ، والتفت على الفور نحو زوي وحدّق الاثنان ببعضهما لوهلة ، ثم وقف بحزم: لورد إيمانويل!... لنتحدث من رجلٍ إلى رجل!... إنني أعلم بأنك من عائلة نبيلة للغاية!... لذا فلتني متأكدٌ بأن أفعالك ستكون أكثر شرفاً ونبلاً من أن تؤذي فتاةً تعمل بإخلاصٍ في موقعٍ حساس!

وضع إيمانويل يديه خلف ظهره بكبرياء: إذن فأنت مقربٌ لها كما يبدو ، سيرجنت ألارد!... وهذا يعني بأنك متورطٌ بتهمة التستر عليها!... وأصبح مصيركما أنتما الاثنان بين يديّ الآن!

ثم ظهرت ابتسامةٌ هادئةٌ على محياه: لكن لاتقلقا!... سأحتفظ بسركما الصغير هذا!

سأله ألارد: ماذا تطلب بالمقابل؟

هزّ إيمانويل رأسه نفياً: لا أطلب مقابلاً لأعمالي النبيلة!

❁❁❁

في مكتب الكونت أرماند..

التقاه الدوق إيبير على انفراد: المحتال المدعو بيون ، سرق كتاباً سرياً عن نبلاء بانسيلينوس ، والذي لم ينشره الكاتب خوفاً على حياته ، تبيّن لنا بعد التحقيق مع أرملته بأنه كان على علاقة وطيدةٍ بالجنرال أركاديوس مونبيتيت ، أعتقد بأن اسم آل بونيفيل سيكون متضمناً في ذلك الكتاب... وربما كُتب بداخله معلوماتٌ لا نحبذ انتشارها!... على كل حال ، لقد وضعت مكافأةً لمن يجد المحتال ، وأرسلتُ المزيد من الحراس للقبض عليه ، ومصادرة الكتاب منه... قبل أن يقع بيد أحد...

أرماند: بما أنك ذكرت مونبيتيت ، إذن لاشك في ذلك!... يجب أن نحصل على الكتاب ، وسأتولى أنا مهمة التحقيق مع المحتال!

❁❁❁

في القسم العسكري...

كان القلق واضحاً على وجه ألارد عندما قال معاتباً: يجب أن تكوني أكثر حذراً!!

ثم قال بجدية: مالذي كان يريده منكِ اللورد إيمانويل بونيفيل؟!... وكيف اكتشف؟!

اخفت زوي ارتباكها ونظرت إلى عينيه بثقة: لقد التقينا صدفةً وتبادلنا الحديث ، ثم تعثرت وحاول اللورد مساعدتي... وحدث ماحدث...

قال متوتراً: لايمكننا الوثوق بكلماته!... فطالما عرف شخصٌ ما عن حقيقتك ، فتأكدي بأن الجميع سيعرف!!

ثم أمسك بكتفيها وقال بنبرةٍ جادة: محدّقاً بعينيها: زوي!.. يجب أن تتركي الخدمة العسكرية ، حالاً!!

كانت تنظر إلى عينيه بذهول ، وأردف: إن علموا بأنك فتاة... فسيكلّفكِ ذلك حياتك!!... أنت تعملين في حراسة الملكة!!... أتدركين حجم هذه المخاطرة؟!... لمَ تفعلين هذا يا زوي؟!... لمَ تُصرّين على العمل في هذا المجال؟!

أخذت زوي نفساً عميقاً... ولاتزال تحدّق بعينيه القلقتين... وكان قلبها يؤلمها كثيراً: «سبب إصراري ، هو البقاء معك ، وحمايتك!»

حاولت تمالُك نفسها ثم أزاحت يديه عن كتفيها بهدوءٍ ، وقالت بثقةٍ وقوة: لاتقلق أرجوك!... سأعتني بنفسي جيداً!

ثم غادرت من أمامه وهي تفكر: «عندما تقلق وتهتم بي إلى هذا الحد ، فهذا يخيفني... كثيراً!»

كانت تخشى أن يزداد حبها له أكثر.. إذا ما أحاطها باهتمامه ، وكانت تشعر بالذنب: «هل يستحق وحشٌ قاتلٌ... كل عنايتك هذه يا ألارد؟»

وذهبت لتتحدث مع أحد كبار القادة المعجبين ببراعتها في القتال ، وطلبت منه ترشيحها عند الملكة للانتقال إلى خدمة الجيش ، والمشاركة في الحرب..

قالت: أرجوك أيها القائد!... لم أطوّر مهاراتي ، وأتقدّم للالتحاق بالقطاع العسكري ، لأجل أن أبقى في بلاط القصر!... أريد استخدام هذه المهارة بالخوض في أرض المعارك!

وفي الحقيقة ، هي كانت ترغب البقاء بجوار معشوقها... لا أكثر...

في المساء...

بينما في إحدى الحانات الراقية في شوارع لورديور...

كان آرميل يرفّه عن نفسه بالأموال التي حصل عليها ، تناول ألذ الطعام وشرب من كؤوس النبيذ الفاخرة... وضع المال على المنضدة وطلب زجاجات نبيذ جديدة للفتيات اللاتي برافقنه...

وأثناء ذلك رأى أحدهم يعلّق لافتةً على الحائط ، رُسم عليها ملامح رجل يشبهه ، وقد كُتب على اللافتة: (محتالٌ مطلوب ، خمسة آلاف أرغنت لمن يجده)...

نهض آرميل على الفور وارتدى قبعته وأنزلها على جبينه ليُخفي بها عينيه... وخرج مسرعاً من الحانة ، وعندما التفت النادل إلى المنضدة حاملاً الزجاجات ، وجد الفتيات منشغلات بمتسائلات ، عن سبب مغادرة مُضيفهن الثري فجأةً...

سار آرميل في الطرقات متخفّياً ، وتنهد ساخراً من وضعه: لمَ يستمر الآخرون بمطاردتي وتكدير مزاجي الرائع؟

❁❁❁

وصل أرام إلى لورديور ، وكان النسيم يداعب شعره الطويل... عندما توقف أمام إحدى اللافتات المنتشرة في العاصمة ، والتي قد رسم عليها وجه آرميل ، كمحتالٍ مطلوبٍ للعدالة...

لمعت عيناه أخيراً... فقد وجد غايته ، وعزم أن يُمسك به قبل أن يفعل جنود الملكة...

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل..

دخل إيمانويل إلى الحجرة ، ووجد أغلاي بمفردها ، منهمكةً في عملها بحياكة الثياب. ولم تلحظ وجوده... وعندما نهضت لتعديل رأس الثوب... اقترب إيمانويل من خلفها وقام باحتضانها بهدوء...

شهقت متفاجئةً وخجلة: إيمانويل!!

أمسك بيدها ورفعها نحو وجهه ، وكان لايزال مُطوّقاً خصرها باليد الأخرى..

وأخذ يستنشق معصمها: يالدفء دمائك!... كم هي شهيةً رائحتها!

كانت ترتعش بداخلها ، عندما قال: أتساءل كيف سيكون... مذاقها؟

سرت برودةً في شرايينها.. وهي تشعر بأنفه الحاد يلامس بشرتها الناعمة...

في تلك الأثناء ، عادت فيوليت إلى حجرتها ، وعندما همّت بالدخول... انتبهت إلى وجودهما. وذهلت من ذلك المشهد ، فتراجعت خطوتين ثقيلتين نحو الوراء... ولاتزال عيناها متسعتين

...ودموعٌ صغيرةٌ قد بدأت تتسلل عبرهما ، فقد فهمت الذي يحصل بينهما ، وبأن تلك الوردة لم تكن سوى مزحة ، ليتلاعب فارسها بقلبها ، ففادرت المكان بهدوء...

همس إيمانويل لأغلاي معاتباً: لمَ لم تخبريني منذ البداية؟... بأن صديقكِ حارس الملكة...

صمتت أغلاي ظهرها عنه والتفتت نحوه مذعورةً!

إيمانويل: اطمئني!... يبدو أنني أنا الوحيد الذي علم بالأمر ، على الأقل... حتى الآن!

كانت أغلاي تنظر إليه مذهولةً: كيف؟!..كيف علم...

أجاب مقاطعاً: دعيها تخبرك...

واقترب منها ليتفحّصها بعينيه: هل قامت بإيذائك؟!

استغربت أغلاي: إنها صديقتي!..مالذي تقصده؟!

إيمانويل بحدّة: لن أسمح لأحدٍ بأن يتعرض لدمائكِ!!..فأنتِ ملكٌ لي ، لوحدي!

أغلاي مشدوهةً: دمائي؟!... ماهذا الذي تتفوه به يا إيمانويل؟!... أنا لا أفهمك!

توقف إيمانويل ونظر إليها لوهلة ، ثم فهم بأنها لاتعلم بأن صديقتها... مصاصة دماء...

تراجع إلى الخلف وأخذ يفكر: «إنها تخبّئ الحقيقة عن أصدقائها!... هذا قد يعني بأنها وحيدة ، ولن يحميها أحد!»

ثم سأل: لقد أخبرتِني سابقاً بأنكِ تعرفينها منذ طفولتك!.. أليس كذلك؟

نوملت أغلاي برأسها ولاتزال مستغربةً من اهتمام إيمانويل الشديد بزوي ، فقال: هل يعقل بأنكِ لم تلاحظي شيئاً عليها منذ ذلك الحين؟

أغلاي وقد بدأت تُستفز من أسئلته: إيمانويل!... . إنها زوي صديقتي!... مالذي تفكر به؟!... لاتخبرني بأنك لاتزال تشعر بالغيرة!

ثم نصب ظهره وقال وهو يرمقها بنظرةٍ جدية: آمل بأنكِ لاتزالين محتفظةً بسرّ آل بونيفيل... ولم يصل إلى أسماع صديقتكِ زوي!

غضبت أغلاي وقالت بنبرةٍ مهددة: طالما حافظتَ أنت على سرّ زوي ولم تؤذِها!

ذهل إيمانويل من جرأة كلماتها ، ومخاطبتها له بتلك الطريقة...

بينما في الحديقة..

كانت فيوليت تسير بخطىً خائبة... وتفكر: «أتمنى أنك سعيدٌ معها!... سأبقى أحبك بالخفاء يا إيمانويل، وسأكون كظلك... الذي تسير ولاتراه... »

ورفعت رأسها نحو السماء، ونظرت إلى النجوم... التي توهجت لتضيئ عتمة قلبها، وتزيح عنها بعضاً من الوحدة...

❀ ❀ ❀

(بانسيلينوس - مولنيا)

بعد يومٍ مجهدٍ من العمل في الحقول، سبقها جميع العمال والمزارعين إلى مهاجعهم... بينما كانت داناي عائدةً إلى المهجع، بخطواتٍ ثقيلة... تستمع إلى فحيح الأشجار... وصرير حشرات الليل، التفتت حولها... كان النسيم عليلاً وكانت المزرعة الشاسعة هادئةً ومظلمة، ورأت أرام يعبر الحقول، قادماً نحوها من بعيد... فابتسمت ولمعت عيناها وركضت نحوه وهي تهمس مذهولةً: أرام!!

حتى وصلت إليه، فنظر إلى عينيها... عندما أمسكت بيده، ثم رفعتها نحوها... واحتضنتها إلى صدرها وقالت متأملةً وجهه الهادئ: اشتقت إليك!

وأغمضت عينيها... وابتسمت بارتياح، ثم فتحتهما... لكنها تفاجأت!... فقد اختفى تماماً.. ولم يعد له وجود!.. شعرت وكأن الأرض بدأت تدور بها... بسرعةٍ كبيرة، وفتحت عينيها بقوةٍ ونهضت من فراشها وهي تلهث، و أدركت بأنه كان حلماً رهيباً... وجميلاً...

التفتت نحو النافذة، حيث كان القمر ساطعاً... وهمست بصوتٍ يائس: «أرام!... أخبرني أين أنت؟... أريد أن أراك!»

❀ ❀ ❀

في المساء التالي..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

أُقيمت حفلةٌ راقصةٌ في القصر الملكي...

وقفت باربرا لتحدّق بأغلاي وإيمانويل وهما يرقصان، وقالت بنبرة شكٍ لفيوليت التي تقف إلى جوارها: مالذي يجري بين هذين الاثنين بالضبط؟

صمتت فيوليت، فابتسمت باربرا ساخرةً: يبدو أن تلك البشرية تحاول أخذ فارسك منك!... هل ستسمحين لها؟!

ابتلعت فيوليت غصتها وغيرتها الصغيرة، وكانت ديميتير تراقبها من بعيد، وقد لاحظت ذلك

الحزن على وجهها ، فهمست لتيرزي: يبدو أن رسالة الورد لم تنجح مع فيوليت ، فقلب إيمانويل قد خُطف من فتاةٍ أخرى!... عليها أن تقاتل بشراسة ، إذا أرادت استعادته!

كانت أغلاي تدور راقصةً بين أحضان إيمانويل... وتشعر بأنها ملكت الدنيا أخيراً ، كان غرورها وتعاليها يزداد يوماً بعد يوم ، فهاهي قد بدأت تحاط بسمعةٍ جيدةٍ من الشباب الجميلة التي تحبكها... في هذه الطبقة الأرستقراطية التي طالما حلمت أن تعيش بها ، وهاهي تتعايل بين ذراعي أوسم النبلاء... وأقواهم من حيث طبيعته كمصاص دماء ، وكانت تشعر بنظرات معجباته الحارقة نحوها...

ابتسم لها إيمانويل واحتضنها ، واستمرا بالتمايل مع الموسيقى العذبة ، وكان يسترق النظر إلى زوي... التي كانت تقف في حراسة الملكة...

كانت زوي تبادله تلك النظرات وتفكر: «من تكون يا إيمانويل أنت وعائلتك؟!..أغلاي تعشقك وترقص بين يديك ، دون أن تعي حقيقتك المخيفة... »

ثم أخذت تنقّل ناظريها بين أفراد آل بونيفيل ، بعينين مرتابتين وحذرتين: «هل هم مثلي؟!»

❁❁❁

كانت الملكة أفروديت تتحدث إلى الجنرال أبوليون ، وإلى الأمير أرجوس الذي كان يجلس على يمينها..

أفروديت: لقد اطّلعتُ على استعدادات الجيش ، وعقدتُ اجتماعاً مع القادة ، سيتأهب الجنود للانطلاق قريباً...

قال أبوليون مؤيداً: علينا أن نستعيد رومبيانيا قبل حلول الشتاء!... فلن يصمد الجيش للقتال فوق الثلج!

أرجوس: لقد بذلتِ جلالتك الكثير لأجل مستقبل مملكتنا ، وستردّ لكِ رومبيانيا هذا الدين!

ابتسمت أفروديت وقالت بهدوء: إنني فقط أطمح لبناء مستقبلٍ جيدٍ للعلاقة بين مملكتينا.. عوضاً عمّا كانت عليه في عهد والدي!... ولا أنتظر مقابلاً!

❁❁❁

انتظرت أغلاي اللحظة التي ابتعدت فيها زوي عن حراسة الملكة ، وتوجهّت إليها هامسةً: زوي!

التفتت زوي واقتربت منها ، لتتحدثا بعيداً عن الأعين ، قالت أغلاي: أعتذر لكِ عن موقف إيمانويل السيء تجاهك!... لقد أخبرني بما حدث...

لم أردفت: لكن لاتقلقي!... سأتأكد بألايعلم أحدٌ آخر... لقد وعدني بهذا ، وأنا أثق به!

توترت زوي وخشيت من أن تكون أغلاي قد علمت عن حقيقة كونها مصاصة دماء... فنظرت

إليها بتحفظٍ مترقبةً ماستتفوه به ، لكن أغلاي قالت: عليكِ أن تتوخي الحذر يازوي!... فليس من السهل إخفاء حقيقتك كفتاةٍ لوقتٍ طويل!

استرخت زوي فور سماعها لذلك... واطمأنت بأن إيمانويل لايزال يحتفظ بسرها الأعظم..

«إنني أتساءل لمَ يفعل هذا؟... مامصلحته من حفاظه على وعوده بكتمان سري؟... أنا أدرك بأنه يخطط لأمرٍ ما... وبأنه يُخفي الكثير!»

لاحظت أغلاي شرودها: هل أنتِ بخير؟... زوي!

انتبهت زوي إلى نفسها ، وأومأت برأسها وتصنعت ابتسامةً: أجل..

بعد لحظة صمتٍ ، قالت أغلاي: أنتِ تستحقين الحب يازوي ، يجب أن تعترفي لألارد حتى يبادلكِ الشعور...

أجابت زوي بيأس: ألارد لاينظر إلي سوى كصديقةٍ من مجموعة المتسولين ، إنه يحب جميع أفراد المجموعة بنفس المستوى ، ويعتبر نفسه الحامي لهم...

ثم قالت ساخرةً: ألارد لايرى سوى الملكة ولايتحدث إلا عنها ، إنه معجبٌ بها يا أغلاي!... حتى أن رفيقه ألباين لاحظ ذلك!

ثم أردفت: الملكة تستحق الإعجاب فعلاً!... وأنا أحترمها كثيراً!

أغلاي: اجعليه يراكِ أيضاً!

استغربت زوي ، فوقفت أغلاي أمامها وقالت: دعي الأمر لي!... سيراكِ ألارد قريباً!

❁❁❁

اقترب أندريون من إيمانويل عندما رآه منفرداً ، ووقف إلى جواره: الدوق والكونت أرماند يبحثان بأمرٍ من الملكة... عن محتالٍ شهيرٍ قد هرب حاملاً كتاباً مثيراً للاهتمام...

نظر إيمانويل إلى أرماند من بعيد ، ثم قال: إنني أعرف أهم مما يعرفه أرماند!

تساءل أندريون عمّا يقصده ، فقال إيمانويل وهو يعقد يديه ويميل نحو أندريون: سأثق بك وأشاركك هذه المعلومات يا أندريون!... وستساعدني في معرفة الحقيقة الكاملة!

أرعى أندريون انتباهه ولمعت عيناه باهتمام وقال: يمكنك الاعتماد علي!

أشار إيمانويل بعينه نحو زوي وهويقول: إنها فتاةٌ ومصاصة دماء ، ذلك الحارس!

تفاجأ أندريون: ماذا؟!... هل تأكدت؟

إيمانويل وهو يحدّق بها متنهداً: أجل ، لكنني لست متأكداً من أين أتت؟... وكيف جاءت إلى بانسيلينوس!... يجب أن نعرف سرّ وجودها في عالم البشر؟... فقد يكون هناك آخرون غيرها!

❁❁❁

اقتربت باربرا من أغلاي وفيوليت ، وقالت ساخرةً كعادتها: أرى بأنكِ سعيدةً بالرقص بين النبلاء!... لقد تحسّنت خطواتك!... أتساءل هل كنتم ترقصون هكذا في الشوارع القذرة بينما تتسولون؟!

نظرت إليها أغلاي بحدةٍ... وقبل أن تنطق ، كانت الأميرة ديميتير قد اقتربت منهن بعد أن شدّ مسمعها ذلك الحوار... فانحنت الفتيات لها ، ورمقت إلى باربرا بازدراءٍ ، ثم التفتت نحو أغلاي: تبدين جميلةً اليوم يا أغلاي!... وأنتِ كذلك يافيوليت الصغيرة!... لقد طلبتُ معزوفةً رائعة ، أرغب برؤيتكما ترقصان عليها وتبهران الجميع!

ثم نظرت إلى باربرا لتغيظها بعد أن قامت بحماية عصفورتيها منها ، انزعجت باربرا والتفتت لتغادر ، لكن ديميتير أمسكت بكتفها هذه المرة ، وجذبتها من ثوبها وهي تقول: إلى أين أنتِ ذاهبةً يا باربـ...

في تلك اللحظة تمزّق فستان باربرا من الوراء... وظهر جزءٌ كبيرٌ من جسدها!

وشهق كل من كان بالجوار ، بينما تجمّدت باربرا في مكانها محاولةً تغطية جسدها ، والتفتت نحو ديميتير لتجدها تضع يدها على فمها بدهشة ، وتتحدث بصوتٍ مرتفعٍ لتُسمع الجميع ، متظاهرةً بالتعاطف: لقد تمزّق ثوبكِ ياباربرا!!... لاشك بأن الحياكة كانت رديئة!... يجب ألّا يراكِ أحدٌ بهذا المنظر المخجل!!... قومي بتغطية جسدكِ وغادري بسرعةٍ ياعزيزتي!

احمرّ وجه باربرا وحاولت كتم غضبها والسيطرة على دموعها وكبريائها الذي انهار وسط همهمات وضحكات الحضور وأعينهم المحملقة بها ، تلفتت حولها لتستنجد ، ووقعت عيناها على غيلبرت... الذي كان يشاهد الحادث ، ترجّته بنظرةٍ أن ينقذها ، لكنه لم يفعل شيئاً ، وظلّ صامتاً في مكانه ، فتمنت لو ابتلعتها الأرض ، حتى أسرعت نحوها فيوليت وكذلك والدتها مارغريت التي كان وجهها محرجاً وشاحباً... وساعدَتاها على تغطية جسدها ومغادرة المكان...

بينما التفتت ديميتير نحو أغلاي ، واقتربت لتهمس لها: أحسنتِ عملاً ، أغلاي!

أكملت: لقد أثبتِّ إخلاصك لي ، وانتقمتِ من عدوتك ، وبدأتِ بالصعود نحو أحلامك!... إنني على وعدي ياعصفورتي!

انحنت أغلاي باحترام ، ولمعت عيناها وهي تتذكر كيف قبلت التعاون مع الأميرة ونفذّت ماطلبَته منها ، عندما قامت بمهارتها بقص الخيوط الأساسية الخلفية في فستان باربرا ، قبل أن ترتديه...

❁❁❁

وبينما كانت الأجواء صاخبةً في القصر الملكي...

كانت شوارع لورديور هادئةً ، وكان آرميل يتسلل خفيةً للحصول على الطعام والدماء ثم يعود للاختباء في منزل أبراكساس ، وكان يراقب الجنود بحذرٍ حيث كانوا منتشرين في أنحاء العاصمة وحولها...

نظر آرميل إلى المال الذي يملكه وقد بدأ في التناقص ، تنهد وهو يفكر بقلق ، إنه الآن مطاردٌ من قِبل الفيركولاس ، ومن قِبل الجنود أيضاً... ولا يمكنه حتى الفرار ومغادرة لورديور!... كان يعي بأنها مسألة وقتٍ فقط... حتى يتمكّنوا من القبض عليه ، وبأن مصيره بات مُحتّماً بين يدي أحد الطرفين ، لكن الخيار الوحيد المتاح أمامه... هو أي الطرفين سيفضّل أن يلقي بنفسه في قبضته؟

وقعت عينه على كتاب النبلاء ، والتقطه ليكمل قراءته بشغف... ويسلّي نفسه أثناء اختبائه... ويتناسى نهايته البائسة...

كان اسم كل عائلةٍ مدوناً في صفحةٍ مستقلةٍ... تحوي تفصيلاً عن تاريخ العائلة وأصولها وأبرز أفرادها ، ومقدار ثروتها وممتلكاتها ، وامتداد نفوذها ومناصبها ، وسمعتها ومايشاع عنها ، أخذ آرميل يتصفح الكتاب لوقتٍ طويل... حتى فتح صفحةً كُتب في رأسها: (آل بونيفيل)...

❁❁❁

في نهاية الأمسية...

وأثناء تنقّل ديميتير بين الحضور ، اعترض أرماند طريقها وانحنى بلباقة: سمو الأميرة..

نظرت إليه ديميتير باستعلاء ، فقال بثقة: لقد علمتُ بأنك أنتِ من طلب هذه المعزوفة الرائعة!... ولاشك بأنه سيسعدك الرقص على أنغامها...

ومدّ يده نحوها ، لكنه تفاجأ عندما قالت: ربما سيسعدني ذلك ، ولكن ليس معك ، كونت أرماند!

ثم أكملت سيرها متجاوزةً إياه ، لكنه استوقفها مرةً أخرى: لم تجربي بعد مايمكن للكونت أرماند فعله ، قد تسعدكِ المحاولة يا أميرتي!

توقفت ديميتير ونظرت إلى يده التي لاتزال ممتدةً نحوها ، وبعد لحظة تردد... وضعت يدها على مضضٍ فوق يده... واستمرت تحدّق بعينيه بحدةٍ ورغبةٍ في تجربة مغامرةٍ جديدة... مع الفريسة التي وقعت في طُعمها... بسهولة...

رفع أرماند يدها بلطف ، ثم جذبها من خصرها بيده الأخرى... وبدأ الاثنان بالدوران بخفةٍ وبخطواتٍ متناسقةٍ وسط زحام الراقصين...

قالت ديميتير بنبرةٍ متحفظةٍ وقد بدأت تشعر بالجاذبية نحوه: قد تكون تخطط لأمرٍ ما كونت أرماند ، لكنني سأجاريك في ذلك!

نظر أرماند إلى عينيها وقال: إنني أخطط لمنحكِ قلبي ، والحصول على قلبكِ ورضاكِ فقط ، أميرتي الجميلة!

ثم همس لها مبتسماً وهو يحدّق بعينيها بعمق: أحب عنادكِ... والمكر الذي يظهر في عينيك!

رفعت ديميتير حاجبها وابتسمت بكبرياءٍ وإعجابٍ بكلماته...

ثم قال: إن عدم قدرة الآخرين على قراءتكِ ، هو مايجذبهم إليكِ ، ويجعلكِ ذات قوةٍ وتأثير..

فردت بثقة: كما يحدث معك أنت أيضاً ، أيها الكونت!... فلم يتمكّن أحدٌ من قراءتك ، سواي!

ابتسم ساخراً: تبدين واثقةً من هذا!... أخبريني ، ماذا قرأتِ إذن؟

أجابت وهي تحملق بعينيه لتتوغل في أغوار أعماقه: طموحك عالٍ ، يشابه طموحي ، تتخفّى تحت قناع النزاهة والإخلاص ، بينما تُبطن العكس ، لتُعمي الآخرين عن طريقك الحقيقي!... تتدخل في كل صغيرةٍ وكبيرة ، لتوسّع نفوذك وتزيد حلفاءك!... أعتقد بأننا متشابهان أيها الكونت!

تعجّب أرماند من صراحتها ، وشعر بأنه قد بدأ بكسبها أخيراً... فستكون هي وسيلته للصعود إلى القمة...

في نهار اليوم التالي..

خرجت أغلاي للتبضّع مع فيوليت في وسط المدينة ، واشترت العديد من الأقمشة الفاخرة ، وأثناء سيرهما في الطرقات... اقتربت منهما فتاةٌ متسولةٌ بثيابٍ رثةٍ وهيئةٍ معدمة...

نظرت الفتاة إلى أغلاي بعينين متوسلتين وهي تمد يدها لتتشبث بطرف ثوبها: أنا جائعةٌ جداً... أرجوكِ أيتها الآنسة ، القليل من المال فقط!

نظرت أغلاي إلى يد الفتاة المتسخة وهي تمسك بالثوب الفاخر ، فأزاحت ثوبها بسرعةٍ وتراجعت خطوةً للوراء ، وحدّقت بعينيّ المتسولة لوهلة... وكانت المشاعر والأفكار تتردد في ذهنها ، وشعورٌ بالتعاطف يجتاحها: «لقد كنتُ في مكانها يوماً!... إنني أعرف جيداً كم هو مؤلمٌ شعور الجوع والبرد... والذل!... وأعرف تلك الرائحة النتنة!... شعورٌ مؤلمٌ جداً!»

قالت فيوليت بصوتها الرقيق: أغلاي!... أنا خائفة!... العديد من المشردين يحومون حول المكان!..هلّا عدنا إلى العربة؟!... الخدم بانتظارنا هناك!

توتّرت أغلاي ثم عاودت النظر إلى الفتاة المُعدمة وهي تفكر بتردد: «أنا انتمي إلى طبقة النبلاء الآن.. وهذا ما كنت أحلم به!... ولم أعد مرتبطةً بهذا العالم البائس!»

مدّت الفتاة يدها مرةً أخرى ، فانزاحت أغلاي عنها بتقزز ، وهي تحدّق بيدي الفتاة الملطختين ، وهمست: يالللقذارة!

ثم قالت وهي تبتعد جاذبةً فيوليت معها: فلنعد للمنزل يا فيوليت!..يجب ألّا نمرّ من هذا المكان مجدداً!

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل...

كانت العائلة مجتمعةً حول نقاشٍ متوترٍ... عندما أبلغهم غيلبرت عن نتائج التحقيقات...

إيير غاضباً على ابنه: لقد خيّبتَ أملنا ياغيلبرت!!.. لاشك بأنه تمكّن من الهرب!

اعتدل أرماند في جلسته وقال آمراً: اطلُب من القادة إحصاء عدد الجنود الحالي ، ومقارنته بسجلات الجند!... وأجلب لي الاسم المفقود!

غيلبرت: لا أعتقد بأنه تمكّن من الهرب ، إنه لايزال يتخفّى هناك بطريقةٍ ما!... لكنني سأفعل ما تأمر به أيها الكونت!

كان إيمانويل متّكئاً بثقة ، يستمع إليهم دون أن يشاركهم الحوار... وكانت عيناه تخفيان وراءهما الكثير ، بينما كان شقيقه بيلموت كعادته... يداعب كأسه الدموي ، ولم يُبدِ اهتماماً بالموضوع ،

ولم يكترث للقلق الذي كان يعتري وجوه نساء العائلة...

❁ ❁ ❁

وفي المساء...

عادت أغلاي و فيوليت إلى المنزل ، بعد يومهما الطويل في سوق العاصمة ، وسبقتها فيوليت مع الخدم إلى الداخل ، وبينما كانت أغلاي تلحق بهن... توقفت أمام نافذة إحدى حجرات الطابق السفلي... ورأت الدوقة ميرابيل بالداخل وهي تخاطب بعض النساء النبيلات اللاتي كنّ في استضافتها...

ميرابيل: إنني أقدّم لأغلاي تصميم الثياب ، وأختار لها الأقمشة حسب ذوقي الرفيع ، لهذا جعلتها مميزة!... فعملها يقتصرعلى التنفيذ فقط!

ـ كم أنتِ ماهرةٌ دوقة ميرابيل!

ـ كيف أخفيتِ هذه الموهبة طوال هذا الوقت؟

ـ تصاميمكِ الراقية تنتشر بشكلٍ واسعٍ بين النساء!... يجب أن يعلمن من يقف خلف كل ذلك الجمال!

كانت ميرابيل تبتسم بفخرٍ وهي تتلقى الإطراء ، ولم تكن تعلم من يقف خلف النافذة مصدوماً ، ذهلت أغلاي مما تسمعه... وجفّ ريقها ، وكانت عيناها مشدوهتين ، وغضبت من استغلال ميرابيل لسمعتها ، تلك المرأة التي منحتها كامل ثقتها...

ركضت مبتعدةً ، لكن إيمانويل انتبه لها ، فخرج ليلحق بها منادياً: أغلاي!!

توقفت أغلاي عن الركض ، والتفتت إليه... فاقترب منها سائلاً: مالأمر؟... لاتبدين على مايرام!!

أشارت أغلاي نحو المنزل بانفعالٍ وغضب: إنها مخادعة!!... تلك المرأة!

تغيرت ملامح إيمانويل إلى الجدية وقال: هل تعنين الدوقة ميرابيل؟!

صمتت أغلاي ، فقال موبّخاً: عليكِ أن تتعلمي الاحترام يا أغلاي!... لا أسمح لكِ بالتحدث عن الدوقة بهذا الأسلوب!

حاولت منع دموعها: أعلم بأنك تعُدّها كوالدتك يا إيمانويل!... لكن اسمح لي بأن أخبرك... بأن الدوقة تنسب جهودي إلى نفسها!... وتتظاهر أمام السيدات بأنها هي من يصمم الثياب وينسّقها ، إنها تضحك لي ، وتكذب من ورائي!!

أخفى إيمانويل صدمته ، وأخذ يفكر قليلاً ، ثم تقدّم بخطواته ليقترب منها أكثر: لن تفعل دوقةٌ

أمراً كهذا ، لأنها قطعاً لن تكون بحاجةٍ إلى رفع سمعتها أكثر مما هي عليه ، ولكني سأتحدث معها لأجلك ، وإذا كان ماتقولينه صحيحاً...

تراجعت أغلاي خطوةً نحو الوراء بتحفظٍ وهي تضيّق عينيها: أنت لاتصدقني!!

أخفضت رأسها وأشاحت بنظرها عنه وقالت متضايقةً: بالطبع ستثق بالمرأة التي ربّتك عوضاً عن الثقة بفتاةٍ عاشت حياتها متسولةً في الشوارع الفقيرة!!

تفاجأ إيمانويل من ردة فعلها... ثم تنهد: بالطبع أُصدّقكِ يا أغلاي!..اطمئني ، ستظهر الحقيقة للجميع!

لكن أغلاي لازالت تشيح بناظريها عنه... فأمسك بذقنها وقام بلف وجهها نحوه ، بينما كانت غاضبةً: مالذي تفعله إيمانويل؟... دعني!!

ثم حاولت إزاحة وجهها عنه ، إلا أنه أمسكها بقوةٍ واقترب من شفتيها وهو يقول: أحبكِ وأنتِ غاضبة... آنستي!

ذهلت أغلاي: إيمانويل!!... انتظر...

لكنها في النهاية ، أغمضت عينيها واستسلمت لقبلته العذبة...

❁❁❁

بينما كانت زوي عائدةً إلى القسم العسكري... شاهدت الحراسة المشددة أمام بوابات القسم ، فضمّت قبضة يديها بحركةٍ متوترة ، فهي المجرمة المطلوبة ، ولن تشعر بالأمان حتى تَعبُر البوابة بسلام...

لكنها فجأةً شعرت بأن هناك من يتعقبها ، والتفتت بحركةٍ سريعة... لتلمح ظلاً قد اختفى بسرعةٍ تفوق سرعتها ، ذهلت وأمسكت بسيفها بحذرٍ ، وأخذت تنظر إلى جميع انعكاسات الظلال حولها بتركيزٍ شديد ، حتى غيّرت مسارها وتوجّهت إلى إحدى الممرات الضيقة وأخرجت سيفها والتفتت بسرعةٍ مباغتةٍ وهي تقول: أعلم بأنك تتبعني منذ مدة!... أظهر نفسك وواجهني!!

ظهر من بين الظلال أندريون بونيفيل ، وتقدّم نحوها بخطواتٍ خجلة... وكانت زوي تشهر سيفها تجاهه مذهولةً: لورد أندريون!

أندريون مرتبكاً: سامحيني ، لقد لحقتُ بكِ حتى أخبركِ بأمرٍ ما... لكنني كنت محرجاً كيف أبدأ بالحديث معك ، إذا أمكنني مناداتكِ.. زوي!

ذهلت عندما عرف هويتها ، وانزعجت من نقض إيمانويل لوعده: لقد أرسلك اللورد إيمانويل إذن!... لقد وعدني بألّا يخبر أحداً!

أندريون: اطمئني أرجوكِ ، فأنا وإيمانويل نعمل معاً... وسيبقى سرّكِ طي الكتمان!

اقتربت منه وحاولت اشتمام رائحة دمه ، فشعر أندريون بالحرج ، وأغمض عينيه بينما يتراجع نحو الوراء: مـ... مالذي تفعلينه؟!

ابتعدت زوي وقد هدأت تعابير وجهها وهمهمت في نفسها: «كما توقعت ، جميع أفراد آل بونيفيل... لاتنبعث منهم رائحة دماءٍ كالبشر والحيوانات!»

قالت بنبرةٍ صارمة: أخبِرني!... من تكونون يا آل بونيفيل؟... ومالذي تريده مني لورد أندريون؟!

أجابها: لايمكنني إجابتكِ بشيءٍ الآن!... إيمانويل يرغب بالتحدث إليكِ بشكلٍ ودي!... وأتيت لتحديد مكان ووقت اللقاء نيابةً عنه ، حيث لايمكنه التواجد هنا بعد مصادفته للسيرجنت الأرد في ذلك اليوم!

❀ ❀ ❀

في صباح اليوم التالي..

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

بدأت أوراق الخريف تتساقط من الشجيرات المحيطة بحقول المزرعة ، وكانت دليا تُطِلُّ من النافذة... والرياح اللطيفة تداعب شعرها الذهبي ، اقتربت الخادمة إيوانا لوضع كوب الشاي الصباحي على المنضدة...

دليا: الشتاء قادمٌ يا إيوانا... وعلينا البدء بجمع المتبقي من المحاصيل ، سنوقف الزراعة مبكراً هذا الخريف...

أومأت إيوانا برأسها: سأُبلِّغ المزارعين بهذا... آنستي!

التقطت دليا كوبها الدافئ وأطلّت مرةً أخرى نحو المزرعة... وشاهدت ياني يركض ملاعباً الخيل بداخل سياجها...

قالت بنبرةٍ متألمة: لقد مرّ ياني بحياةٍ قاسية!... أسوأ كثيراً من أن يحتملها إنسانٌ طبيعي!... لقد كان يحدثني كيف قام الآخرون باستغلاله وإيذائه!... يالقلوب البشر التي تتغلف بالقسوة والطمع!

قالت إيوانا: لقد كنتِ طيبةً معه جداً آنسة دليا ، وهو سعيدٌ الآن ، ومتعلقٌ بك للغاية!

ابتسمت دليا واستمرت تتأمله بعينين حنونتين: لقد أصبح مظهره رجولياً أكثر عندما قصصنا شعره يا إيوانا!

في تلك اللحظة دخلت إحدى الخادمات وقالت باحترام: آنسة دليا ، عاد المزارع الذي أرسلتِه إلى الشرق ، وهو يرغب بمقابلتك!

التفتت دليا وظهرت الحماسة على عينيها: أدخليه إلى الردهة!... فسأنزل لمقابلته الآن..

والتفتت بالمزارع الذي انحنى لها محيياً ثم أخبرها عن رحلته: لقد بحثتُ في شرق بانسيلينوس ، وسألت الحراس في جميع السجون... .ولكنني لم أجد شخصاً يدعى آرميل.. أو بالمواصفات التي ذكرتها ، آنسة دليا!... أرجو أن تسامحيني لأني خيبت ظنك!

تغيّرت تعابير وجه دليا ليظهر اليأس والإحباط عليها: شكراً لك!... لقد بذلتَ مابوسعك!

وطلبت من إيوانا تقديم بعض المال مكافأةً له ، ثم اتجهت نحو النافذة ونظرت إلى ياني الذي لايزال يتسلّى مع الخيل بالخارج ، وتنهدت وهي تفكر كيف ستخبره بالنتيجة... فكم كان يتوق لرؤية آرميل...

في تلك اللحظة ، اقتربت داناي من ياني وهي تحمل سلةً من الذرة وتشير نحو الأسوار قائلةً بحماسة: لقد أتى رايموند جالباً بعض الشراب الذي تحبه ، هيا بنا!

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

التقت أغلاي بزوي بالقرب من القسم العسكري..

كانت زوي قلقةً للغاية مما ينوي إيمانويل فعله عندما طلب لقائها ، ونظرت إلى أغلاي التي كانت تلتقط أوراق الخريف الحمراء بسعادةٍ... كانت زوي تدرك في أعماقها بأنها لن تستطيع اخبار أغلاي عمّا يجري ، ورؤيتها سعيدةً مع إيمانويل بهذا الشكل... جعلها تخشى أن تتعرض أغلاي للأذى ، لأن إيمانويل وآل بونيفيل قد يكونون وحوشاً مثلها... يتغذّون على دماء البشر...

أغلاي مستغربةً: لمَ تحدّقين بي هكذا؟!

ابتسمت زوي بهدوءٍ ثم التفتت للناحية الأخرى وأسندت ذراعيها على حافة بركة الماء وأخذت نفساً عميقاً أزالت به جميع أفكارها المتشابكة ، وقلقها حول الأمور المصيبة التي تواجهها...

ثم بدأت تغني بصوتٍ هادئٍ منخفض ، لتبعد عنها التوتر... وترخي أعصابها:

(أتينا من كل مكان... .أصبحنا إخوةً ولا دم يربطنا..سوى أننا نتشارك في المصير..♪)

❁❁❁

التفتت نحوها أغلاي مندهشةً!... حيث أعادت إليها تلك الأغنية ذكرياتها القديمة البائسة... وأوقظت قلبها كما يوقَظُ النائمُ من حلمٍ جميل!

تذكّرت حياتها الماضية وطفولتها المعدمة في شوارع لورديور القذرة ، وتذكّرت تلك الفتاة الفقيرة بالأمس...

(نظرت الفتاة إلى أغلاي بعينين متوسلتين وهي تمد يدها لتتشبث بطرف ثوبها: أنا جائعة جداً... أرجوكِ أيتها الآنسة ، القليل من المال فقط)

فهمت بأن حياتها الجديدة المخملية.. جعلتها تنسى ذاتها الحقيقية ، وماعانته في صغرها ، لقد نسيت شعورها حين كانت تغني لتُعطى أرغنتاً واحداً.. وأدركت بأنها تنغمس في حياة الترف شيئاً فشيئاً ، حتى باتت تنسى نفسها القديمة...

نثرت أغلاي الأوراق لتتساقط برقةٍ طافيةً فوق سطح ماء البركة ، ورددت بصوتٍ حزين ، لتكمل الأغنية... وشعورٌ بالندم يغمرها ، على القسوة التي غلّفت قلبها:

(نحن الأزهار الجياع... لا نملك غير ابتسامتنا البريئة... لنهديكم إياها...)

في تلك اللحظة شاهدهما آلارد ، وقد جذبت مسمعه تلك الأغنية التي قد انمحت كلماتها من ذاكرته... ولكن لحنها ظلّ يتردد في ذهنه مراراً ، فاقترب منهما ليستمع إلى غنائهما...

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولتيا)

بينما كان الثلاثة يجلسون فوق سور المزرعة ، داناي ورايموند..وياني ، ويتناولون الذرة ، مع شراب التوت الذي اعتاد رايموند أن يجلبه من وسط المدينة...

كانوا يتبادلون الضحكات ويغنون بسعادة وبصوتٍ مرتفع:

(فهل يمكنكم جعلنا نستمر بالابتسام؟!... آرغنتٌ واحدٌ فقط سيجعلنا نبتسم طوال العمر...)

❁❁❁

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

كان أرام يسير وخلفه رجاله ، مصاصو دماء الفيركولاس المتّشحون بالسواد ، وكانت أعينهم وحواسّهم بأعلى تركيزها ، ترصُّداً لأي شخصٍ يشتبه بأن يكون آرميل...

❁❁❁

ولكن أمام منزل آل بونيفيل...

كان آرميل متخفّياً فوق جذع شجرةٍ وفي يده الكتاب ، بعد أن قرأ ما كُتب بداخله عن هذه العائلة ، وكان يجلس هناك بشعره الأسود المتموج المتمايل مع الهواء ، وملامح وجهه الساكنة.. وعيناه اللتان كانتا تحدّقان بالمنزل بغموض ، بينما كانت شفتاه ترددان بهدوء... آخر جزءٍ من تلك الأغنية القديمة:

(آرغنتٌ واحدٌ فقط سيجعلنا نبتسم طوال العمر...

آرغنتٌ واحد!)

❁❁❁

في ليلةٍ ساكنة...

وفي مكانٍ هادئٍ قريباً من القصر الملكي...

كان ذلك هو موعد لقائهما ، وقف إيمانويل وزوي أمام بعضهما ، في وضع عدائي ، وعيناهما كانتا تفسران الكثير مما يجري بينهما...

تذكّرت زوي ذلك اليوم:

(كانت ترمش مذعورةً من أسئلته المتتابعة ، دون أن تستطيع النطق بشيء ، قال لها: سأعطيك الأمان إذا ما أخبرتني بكل شيء ، و إلا فإنني سأسلمك إلى الكونت أرماند لتلقى حتفك!!)

تشجعت وسألته: مالذي تريده مني لورد إيمانويل... عندما دعوتني إلى هذا اللقاء؟

إيمانويل ساخراً وهو يعقد ذراعيه أمام جسده: يبدو أنكِ عزيزةٌ على قلب آنستي... أغلاي ، لكني لم أحتفظ بسرّكِ لأجلها! ..فكونكِ فتاةً... ومصاصة دماء... لمَ تظنين أني لازلت أخبئ أسرارك الخطيرة هذه؟!... أعتقد بأنكِ تعرفين السبب ، يا مصاصة الدماء الفاضحة... زوي!

ردّت متحفظةً: لأنك ترغب بمعرفة إجاباتٍ عن تساؤلاتك؟

صمت إيمانويل علامةً للتأييد ، فقالت بجدية: وأنا أرغب بإجاباتٍ عن تساؤلاتي أيضاً!

نظر إليها إيمانويل منتظراً تفسيراً ، فقالت بانفعال: ماذا تكونون أنتم أيضاً... يا آل بونيفيل؟!.. هل أنتم مصاصو دماءٍ كذلك؟!

قالت تلك الكلمات ولم تدرك بأنها ستفاجأ عندما هجم إيمانويل عليها دافعاً إياها ، كانت قوته عظيمة!..حاولت تثبيت قدميها على الأرض ، لكنه كان أقوى منها بكثير ، وقد أفزعها رؤية الوهيج في عينيه... واستمر جسدها يندفع نحو الوراء رغم مقاومتها ليديه وصدره القوي ، حتى سقطت على ظهرها في النهاية...

فوقف فوقها مباعداً ساقيه وعيناه تشعان بلونٍ ثلجي ، وقال بنبرةٍ قاسية: عليكِ أن تعلمي بأن مكانكِ هو الأرض!... لذا لاتجرئي على طرح اسئلةٍ كهذه مستقبلاً!... فأنتِ لاتنتمين إلى طبقة مصاصي الدماء النقية... كما هو واضحٌ من لون إشعاع عينيك!

انتبهت زوي إلى الفرق بين لون إشعاع عينيهما ، وأصابها الذهول!... ثم قالت بانفعالٍ بعد لحظةٍ من الذعر: لقد وعدتني... بأنك ستمنحني الأمان إذا تعاونت معك!!

ابتعد عنها وقال ببرود وثقة: لهذا السبب أنتِ لاتزالين على قيد الحياة الآن!

نهضت ورتّبت معطف بدلتها الرسمية ، ثم أخذت نفساً عميقاً ووقفت مواجهةً إياه ، وأخبرته عن جميع ماحدث لها ، وعن مراحل التحول التي مرت بها ، وعندما سألها عن عائلتها التي قد تكون

فهمت من كروفستروفا ، أخبرته بأن أبراكساس قد وجدها ملقاةً في الطريق... وأنها لاتعلم شيئاً عن والديها ، ولم يسبق لها أن سمعت بمكانٍ يدعى كروفستروفا...

وبعد برهة سألها: أرى بأنكِ لاتتأثرين بالشمس!... هل ترتدين أي تعويذةٍ واقية؟!

تعجبت زوي من سؤاله: الشمس!... تعويذة!... مالذي تقصده؟!

تفاجأ من ردة فعلها ، ثم فكر قليلاً وقال: هل يوجد على جسدكِ أي شيءٍ إضافي؟

فكرت زوي للحظةٍ ثم قالت: لقد اكتشفتُ وجود وسمٍ خلف كتفي في يومٍ ما... ولم أكن أتذكر وجوده في صغري...

أثار اهتمامه ذلك وأسرع مقترباً منها وخلع معطفها بحركةٍ خاطفة ليرى كتفها ، تفاجأت من تصرفه الوقح ، وقالت محرجةً وهي تستر كتفها: كلا ، إنه... الكتف الآخر...

ثم كشفت عن الوسم بتردد... والتفتت لتريه إياه... فأمعن النظر في ذلك الرمز الغريب وبعد أن أغلقت زوي معطفها ، كان إيمانويل يحاول تحليل أقوالها...

ثم قال بعد لحظة صمت: أعتقد بأنك مصاصة دماءٍ مستحدثة!... إذا أمكن هذا ، فأعتقد بأنه قد تم تطوير خصائص جسدك!... وبالنظر إلى طريقة تحولّك التي أخبرتِني عنها... فإن هناك أمراً يختلف عن خصائص مصاص الدماء الحقيقي...

نظرت إليه بدهشةٍ واهتمام: ماذا؟!

إيمانويل: كل هذه الافتراضات بالطبع... إذا وثقتُ بك واعتمدتُ على صحة قصتك!

قالت بجدية: أتمنى أن تصدقّني ، فلايوجد مايدفعني لخداعك!... إنني بحاجةٍ لأفهم مايحدث لجسدي ، وإلا لَما تعاونت معك وأخبرتك بكل شيء!... أريد أن أعرف انتمائي!

ثم قالت وهي تتحدث من أعماق قلبها: لقد مررتُ بمعاناةٍ كبيرة ، كرهتُ ذاتي لاعتقادي بأنني وحشٌ غريب... قد أشكّل خطراً على البشر من حولي!... حاولت السيطرة على ذلك العطش مراتٍ... ولكنني أخفقت مراتٍ أخرى!... واستغللت تلك القوة التي تزداد يوماً بعد يوم!

ثم نظرت إلى عينيه بأمل: سأساعدك لورد إيمانويل في أيٍّ ما تريد ، طالما ستساعدني في معرفة ماذا أكون؟!

ثم قالت بانفعال: أريد أن أعرف من الذي فعل بي كل هذا؟!... ولماذا؟!

إيمانويل مفكراً: سأتحقق من ذلك!... ولكن يجب أن تثيقني أيضاً... بأن من استحدثكِ... قد استحدث آخرين مثلك!

كانت زوي تفكر بحيرةٍ وقلق ، فقال لها: ربما قد أصبح جسدكِ بهذه القوة ، لأنك تغذيتِ على

دماء البشر... بينما لم نفعل نحن حتى الآن!... وهذا يؤكد بأن الطاقة القوية موجودةٌ في الدم البشري خلافاً عن الدماء الحيوانية!

فهمت زوي بأن تلك العائلة لاتتغذى على دماء البشر... وسألته: هل دماء الحيوانات كافيةٌ بالنسبة لكم؟!

أخبرها إيمانويل عن القَسَم والقرار الذي اختاره جدهم إيفرانور... ثم قال: لذا عليكِ التوقف عن الهجوم على البشر يازوي!... . حتى لايتزعزع استقرار عائلتنا!... وإلا فإنني سأضطر إلى إيقافكِ بطريقتي!

ابتلعت زوي ريقها بعد أن أدركت خطورة التهديد خلف كلماته ، ثم سألت بتوترٍ وهي تخشى سماع الإجابة: وهل لأغلاي... علاقةٌ بالأمر؟

أجاب إيمانويل بهدوء: أغلاي تعلم عن كل شيء ، وبالرغم من أنها ابنةٌ لمصاص دماءٍ من العائلة ، إلّا أنها بشريةٌ تماما كوالدتها!

ذهلت زوي ، ثم قالت مهددةً: لن أسمح لأي مصاص دماءٍ من آل بونيفيل بأن يقترب من دماء أغلاي!.. لن تؤذِها يا إيمانويل... فهي تحبك!!

إيمانويل بجدية: أغلاي هي فتاتي ، وهي في حمايتي!... التهديد ذاته موجهٌ لكِ أنتِ أيضاً!

ثم قال: سأمنحكِ نعمتي يا زوي!... طالما ظلّت جميع هذه الحقائق... سراً بيننا!

وبعد أن غادر ، ظلّت زوي تفكر في الحوار الرهيب الذي دار بينهما... وكأنها قد فتحت عينيها أخيراً... عن الحقيقة الغائبة عن علمها... وعن علم جميع البشر ، إنها ترى الآن عالماً آخر ، يختلف عمّا كانت تعرفه في صغرها!... عالمٌ مخيف ، يتّسم بالوحشية ، لاشيء يهم فيه سوى الدماء ، والقوة...

نظرت إلى يديها ، وأدركت بأن تلك القوى التي مُنحت إياها... هي ميزة!... يجب أن تبدأ بالسيطرة عليها... إلى أن تعرف سبب انتمائها لهذا العالم الوحشي... وتعرف جميع الإجابات...

❁❁❁

بينما في إحدى المناطق الفقيرة في لورديور..

قدّمت أغلاي ثياباً جديدةً وطعاماً مع صرةٍ من المال إلى تلك الفتاة المشردة التي قست عليها..

ولم تصدّق الفتاة عينيها ، حيث لم تتمكن من التعبير سوى بابتسامةٍ ممتنة...

عبرت أغلاي بعدها أمام منزل أبراكساس.. لتكفّر عن ذنبها عندما تستعيد الحنين ، وتلك الذاكرة التي لم تُمحَ... عن رائحة المكان القذرة ، وضحكات أصدقائها... ودموعهم ، وقسوة أبراكساس حيناً ، ولطفه حيناً آخر...

ودخلت المكان الذي كانت تحيط به الوحشة ، ولم تكن تعلم ، بأن بداخله كان يختبيء أحد أصدقائها القدامى ، كان آرميل يتضور جوعاً وعطشاً للدماء ، وبدأت قواه بالانهيار لأنه تَعمّل البقاء مختبئاً لثلاثة أيام.. فقرر انتظار الليل حتى يخرج لشرب الدم من أقرب حيوان يراه أمامه...

وفي طول تلك الليلة ، نهض وخرج بعينين حذرتين... مُخبئاً وجهه بقبعته ، كانت الطرقات مظلمةً وهادئة ، تسلل بخفةٍ وحذر... حتى مرّ من أحد المنازل ، ولمح كلباً مقيداً أمام بابه... فاقترب منه عطشاً ، وقبل أن يخطو خطوته الأخيرة... فطن الكلب لوجوده فأخذ ينبح بشدةٍ... حتى صاح صاحب المنزل فزِعاً: من هناك؟!

وعندما همّ بالهرب ، سمع صوت أقدام رجلٍ قادمٍ من نهاية الطريق ، تفاجأ آرميل عندما أدرك بأنه جندي ، وفور أن لمحه الجندي صرخ منادياً بقية الجنود: إنه هنا!!... المحتال المطلوب!!

التفت آرميل للهرب من الناحية الأخرى ، ولكن صاحب المنزل اعترض طريقه حاملاً سيفاً لمواجهته ، وكان الكلب ينبح إلى جواره مستعداً للهجوم...

أدرك آرميل بأنه محاصرٌ من الناحيتين فنظر لأعلى ، حيث كان الطريق الوحيد لنجاته... هو سقف المنزل ، وحاول القفز إلى هناك ، لكن قواه كانت في أضعف حالاتها ، فنظر إلى الكلب وشعر بأنه سيكون الوسيلة الوحيدة لاستعادة قوته ، فحاول التملّص من ضربات السيف التي كان يوجهها له الرجل... ومناورة الفك المفترس لذلك الكلب النابح ، حتى تمكّن من الهجوم عليه أخيراً وشَرِب جرعةً من دمائه ، مطبقاً على رقبته بإحدى يديه ، وممسكاً بسيف الرجل بقبضته الأخرى ، وجرحٌ عميقٌ بدأ ينزف منها ، فذُهل الرجل وحاول جذب سيفه من قبضة آرميل المحكمة ، مذعوراً من هول ما يراه ، لكن قوة آرميل كان تثبتُ السيف بإحكام...

وفور أن سمع آرميل أصوات الجنود:

- إنه هو بلا شك!!

- اقبضوا عليه!!

قفز نحو سطح المنزل... وأخذ يجري متنقلاً فوق الأسطح... بسرعةٍ تسابق الريح...

انتشر الجنود حول الأزقّة لمطاردته ، وأرسلوا الكلاب لتعقب رائحة الدماء من يده النازفة ، وحاولوا إطلاق السهام على ساقيه لإيقافه... لكن قفزاته كانت أسرع من سهامهم...

كانوا مذهولين للغاية من سرعته الخارقة تلك... وثبات قفزاته فوق الأسطح دون أن يسقط أو يتعثر ، تلك القدرة العجيبة التي يستحيل أن تصدر من أي بشري...

- لايمكنني إصابته!

- كيف يُتقن ذلك المحتال مهارة تملّصٍ كهذه؟!!

قفز آرميل إلى أحد الأزقّة ، ليتفاجأ بوجود أرام والفيركولاس بانتظاره!... فتراجع للوراء ، وكان يلهث تعباً بعد تلك المطاردة الطويلة ، عندها رفع أرام يده إشارةً للهجوم..

تقدم مصاصو الدماء ذوو الثياب السوداء لمحاصرته ، ورأى أعينهم المشعّة الحمراء تحدّق به بانتصار ، فقد كانوا واثقين بأنهم تمكّنوا منه هذه المرة...

لكنه قفز نحو السطح مجدداً... وعندما همّوا بالقفز وراءه ، رفع أرام يده مستوقفاً إياهم ، فالتفت الفيركولاس إلى قائدهم المدعو زيس ، ووجدوه يشير إلى أذنه ، طالباً منهم الإصغاء بحاسة سمعهم القوية ، فسمعوا أصوات الجنود في الناحية الأخرى ، من على بُعد مسافات ، وفهموا بأنه من الأفضل التأنّي ، وعدم كشف قواهم الخارقة ، فالجنود يفوقونهم عدداً وأسلحةً...

أطلّ آرميل للأسفل ، ورأى أسهم الجنود المصوّبة نحوه ، وكان قائد الجند يصيح به: المتّهم بيون بيكارد!... استسلم فأنت محاصر!... وعند أي مقاومةٍ منك ، فسنضطر إلى اطلاق هذه السهام... وقتلك!

أدرك آرميل أنه وقع في مأزقٍ عظيم ، وأن نهايته محتمةٌ بين طرفين...

التفت للناحية الأخرى ، فوجد أرام والفيركولاس متأهبين بانتظار أي خطوةٍ منه... للانقضاض عليه...

حدّث نفسه بتوتر: «إنها النهاية!... وعليَّ أن أختار... أهون المصيرين!»

ثم نقّل ناظريه بين المجموعتين المتربصتين به بالأسفل ، وكانت الأعين تحدّق به بترقّب ، فكر: «البشر ، أم الفيركولاس!»

ثم رفع يديه وأغمض عينيه وقال بصوتٍ مرتفع: حسناً ، أنا استسلم!

وقفز ناحية الجنود ، وتم الإحاطة به وتقييده ، واقتياده للسجن...

فرحل أرام خائباً ، وتبعه رجاله وهم يدركون... بأنه الآن في أوج غضبه وهزيمته ، وحذره من ردة فعل بالتازار ، وكانوا يتساءلون عمّا سيفعله زيس... بعد ذلك الإخفاق...

لكنه قطع أفكارهم تلك ، عندما قال بصوتٍ حازم: سنخرجه من السجن!!

ولم يكترث لذهول رجاله من ذلك القرار...

في صباح اليوم التالي..

في القصر الملكي...

أمرت ديميتير الخدم بسكب الشاي لضيفتها ، وقالت: تعلمين لمَ دعوتكِ اليوم؟

نظرت إليها أغلاي.. ولازالت محافظةً على صمتها ، فأجابت ديميتير بعد أن ارتشفت من كوبها: لأكافئكِ بالطبع ، كما وعدتك!

ظهر الرضا على وجه أغلاي ، وأشارت الأميرة لمربيتها تيرزي... فتقدمت الأخيرة تحمل فستاناً...

ديميتير: هذا الفستان يا أغلاي هو خاصٌ بجلالة الملكة!... سأعطيه لكِ لتأخذي قياساته.. وتحيكي فستاناً مميزاً لأقدّمه هديةً لها!

وقبل أن تتساءل أغلاي ، دَنت منها ديميتير لتُعطيها اللبّ الذي يهمّها: يجب أن تُعجب الملكة بمهارتكِ... حتى تصلي إلى المكانة الرفيعة التي تطمحين لها!

فهمت أغلاي ماترمي إليه ، ثم قالت وهي تنحني طاعةً: شكراً لكِ ، سمو الأميرة!... سأتأكد بأن يكون الفستان جميلاً ، لكي يرضي جلالتها... ويكون هديةً لائقةً من سموكِ إليها!

قدّمت لها تيرزي العديد من الأقمشة الفاخرة ، بينما قالت ديميتير: اختاري من بينها ماتجدينه مناسباً!

لمعت عينا أغلاي بانبهارٍ من جمال تلك الأقمشة وارتفاع جودتها ، وكانت تحدث نفسها: «يبدو أنها قد جُلبت من بلدانٍ بعيدة!... يالروعتها!»

و عندما غادرت جناح الأميرة ، كانت تسير عبر أروقة القصر وخلفها خادمةً تحمل صندوقاً بتلك الأقمشة المقدمة لها ، وصادفت زوي أثناء عبورها الرواق...

كانت زوي تفكر وهي تنظر إلى صديقتها... وأخذت نفساً عميقاً ، وهي تحدّق بقسمات وجه أغلاي الهادئة: «أغلاي تنتمي لسلالة مصاصي دماء!..لمَ أخفت هذه الحقيقة عني؟!... ربما هددوها حتى تتكتم عليها!»

ثم تساءلت متعجبةً: مالذي كنتِ تفعلينه في جناح الأميرة؟

أشارت أغلاي إلى الصندوق: طَلبت مني الأميرة ديميتير حياكة فستانٍ لتقدّمه هديةً للملكة!

ذهلت زوي وقالت بإعجاب: أنتِ تحققين أحلامكِ يا أغلاي!... أتمنى لك التوفيق في هذا!

بينما في جناح ديميتير..

حدثت الأميرة مربيتها تيرزي: الهدية هي الطريقة المثلى لنزع سلاح الآخرين ، إنها تجعلهم يُخفضون دروعهم الدفاعية على الفور ، فهي أفضل شيء يمكن للمرء أن يخفي خلفه حركةً مخادعة ، فالإعطاء قبل الأخذ ، يجعل من الصعب على الشخص الآخر أن يلاحظ الأخذ..

ثم قالت: ستبدأ أفروديت بتقبُّلي ثم ترخي دفاعاتها ، بعد أن تستلم الهدايا مني...

❁ ❁ ❁

بينما في السجن...

فور أن أبلغه الجنود بالقبض على المحتال ، أوضح لهم أرماند بأنه سيحقق معه على انفراد ، وكان ينوي الحصول على الكتاب منه ، قبل أن تتم إحالته إلى القاضي...

وقف أرماند أمام آرميل الذي كان يجلس على أرض زنزانته ، وركله الحارس: انهض لتحية المستشار الملكي ، الكونت أرماند بونيفيل!

رفع أرماند يده إشارةً له بالاستمرار بالجلوس في مكانه ، وأومأ برأسه للحارس حتى يغادر مغلقاً باب الزنزانة خلفه ، ومالم يكن يعلمه الكونت ، بأن أرتشيم كان يتنصّت خلف باب الزنزانة.. بعد أن قام برشوة الحارس ليتكتم على ذلك...

حدّق أرماند بآرميل لوهلةٍ ثم قال متهكماً: بيون بيكارد!... إنني أحسدك على قدرتك في استمالة النساء!

ثم قال وهو يسير بخطواتٍ بطيئة متجولاً في الزنزانة: أنا متأكدٌ بأنك تمتلك دهاءً كافياً حتى وصلت إلى ماتريد!... ولكن كون غالبية ضحاياك من النساء ، هذا يعني بأنك جبان!... لأنك لاتستطيع مواجهة الرجال!

كان آرميل يراقب خطواته تلك وابتسامةً واثقةً وغامضةً على شفتيه: يبدو بأنك تفتقد إلى تلك المهارة أيها الكونت ، يمكنني مساعدتك ببعض النصائح إذا أردت!

توقف أرماند عن السير وقال: أين هو ذلك الكتاب؟

اتسعت ابتسامة آرميل وقال: لقد أحرقته!

أرماند ساخراً: قد تجد دعابةً أفضل من هذه!

أرماند باهتمام: ماهي العائلات المتضمّنة في الكتاب؟... وماذا قرأت؟

ابتسم آرميل بسخريةٍ وأمال شفتيه بلامبالاة: في الحقيقة ، لا شيء مهم!

أرماند: الجميع يعرف بأن الكتاب مهم ، وإلا لَما كان الكاتب قد احتُفظ به بهذا القدر من

آرميل متهكماً: إذا كنت مصراً إلى هذا الحد ، فربما أن هناك سراً تخشى انكشافه عن آل بونيفيل... أيها الكونت؟

استمر آرميل بالمراوغة ، ولاحظ أرماند بأن إجاباته تنمُّ عن المكر ، فتقدم خطوتين نحوه وقال بنبرةٍ جادة واضعاً يديه خلف ظهره بثقةٍ وحزم: قد تتهرب من الإجابة الآن ، لكن بعد أن نقوم بتعذيبك ، ستنطق وتسلّمنا الكتاب!... إنها مسألة وقتٍ فقط!

في تلك اللحظة ، طُرق باب الزنزانة ثم فُتِح على الفور... وكان الحارس يقول: كونت أرماند!... اعذرني على مقاطعة التحقيق ، ولكن جلالة الملكة أرسلت في طلبك حالاً!

حينها رمق أرماند آرميل بنظرةٍ متوعّدة ، ثم غادر الزنزانة مسرعاً وهو يقول للحارس: لاتسمح لأحدٍ بالدخول ، سأعاود التحقيق لاحقاً!

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل...

عندما عادت أغلاي إلى المنزل ، وجدت أولئك السيدات كعادتهن يجتمعن مع الدوقة ، وفور أن رأتها ميرابيل ، دعتها لتحيتهن ، ولكن مالم تكن تتوقعه ، بأن إيمانويل كان يترقب حضور فتاته ، ليتدخّل..

إيمانويل: أتمنى أنكن تقضين وقتاً ممتعاً سيداتي!... أعتقد بأن الدوقة قد قدّمت لكنَّ أغلاي ، وأطلعتكنَّ على أعمالها الجميلة!... أغلاي تصمم وتنسق تلك الثياب بمهارتها العالية ، فأنا أراها تقضي أوقاتاً طويلةً للعمل عليها!... فتاةٌ تنجز كل هذا بمفردها ، ألا تستحق الإعجاب؟

ذهلت أغلاي ، واحمرّ وجهها ، فلم تكن تتوقع بأن إيمانويل سيحل المشكلة بهذا الشكل المباشر!

تبادلت السيدات النظرات المتسائلة بينهن والمرتابة نحو الدوقة ، التي كانت كما لو أنها تلقّت صفعةً قوية ، عندما سألتها إحداهن: ألم تكوني أنتِ من يصممها كما أخبرتِنا ، دوقة ميرابيل؟

نظرت أغلاي إلى الدوقة بحدّةٍ منتظرةً إجابتها ، كما فعل الجميع ، فتدخّل إيمانويل لإنقاذها: ربما أسأتنَّ فهمها ، الدوقة تبذل جهدها لمساعدة أغلاي بتعريف الآخرين على أعمالها!... وأغلاي ممتنةٌ لها بالطبع!

ونظر إلى أغلاي ليجعلها تُظهر ذلك الامتنان ، ويحفظ ماء وجه ميرابيل ، فاضطرت أغلاي إلى مجاراته رغم استيائها من الدوقة: بالفعل ، أنا ممتنةٌ للدوقة ، فلولاها لم أحصل على هذه السمعة الجيدة!

اطمأنت ميرابيل بعد أن شعرت بأنها استعادت جزءاً من كبريائها ، لكنَّ نظرات الريبة لم تفارق

الفضة ، فقد فهمن بأنها كذبت عليهن...

عادت أغلاي إلى حجرتها ، وعندما توجهت نحو المرآة لتخلع مجوهراتها... التفتت نحو الباب على الفور... عندما شعرت بوجود إيمانويل...

كان يقف مسنداً ذراعه على باب حجرتها ، وعندما نظرت إلى عينيه وابتسامته تلك ، صار إيمانويل نحوها بخطىً واثقة: لن أسمح لأحدٍ بإيذاء آنستي!.. أياً من كان!

احضنته أغلاي بهدوء ، وكان إيمانويل يمسح على رأسها... فقالت: شكراً لك!

❁❁❁

في المجلس الملكي...

انحنى أرماند أمام الملكة باحترام: لقد أرسلتِ في طلبي جلالتك!

أفروديت: كونت أرماند!..أريدك أن تعقد اجتماعاً الآن مع قادة الجيش لإعادة دراسة ميزانية الحرب وتقليل التكاليف ، فقد أخبرني أمين الخزنة بأن الميزانية المخطط لها لن تكون كافية!... قم بهذا حالاً!

تردد أرماند لرغبته في معاودة التحقيق مع آرميل: جلالتك ، من الأفضل عقد الاجتماع في المساء ، فالقادة الآن مشغولون بتجهيز جنودهم!

كانت نبرتها صارمةً عندما أكدّت على أوامرها: حالاً!

❁❁❁

كان ألباين يقف مع الكاهن أرتشيم ، بعيداً عن الأنظار...

أرتشيم: أجل صحيح ، ولقد بدا الكونت أرماند قلقاً بشأن كتاب النبلاء ذاك ، وقام بالتحقيق مع المحتال بيون بنفسه ، ولم يسمح لأحدٍ بحضور التحقيق!... لقد كان مهتماً بالكتاب أكثر من المحتال!... الأمر مثيرٌ للريبة ، لذلك أعتقدتُ بأن تلك الأخبار قد تكون مفيدةً لك ، سيرجنت ألباين!

ثم قال: وهناك ما هو أهم!... سمعتُ بأن الكاتب كان على علاقةٍ بوالدك!

ذهل ألباين ، وكان الاهتمام واضحاً على عينيه ، فكر قليلاً: «المعلومات التي كان يعرفها والدي ، والتي كانت السبب في قتله ، قد يكون نقلَها إلى صديقه ، وربما قام بتدوينها ، هذا يفسر اهتمام آل بونيفيل بالكتاب!»

ثم قال: أعتقد بأن تلك العائلة تخفي سراً وتحرص على كتمانه بشدة ، سيكون من المفيد لو عثرتُ على ذلك الكتاب قبلهم!

ثم قام بإعطاء أرتشيم المزيد من النقود هامساً: أريد مقابلة ذلك المحتال الآن!

أرتشيم متوتراً: لا تستطيع الدخول إلى السجن!... ذلك غير مسموح إلا لرتبٍ ومناصبَ معينة!

ضغط ألباين على صرّة النقود في يد الكاهن ، وحدّق في عينيه بإصرار: مكّن لي الطريق للدخول إلى هناك!... إنها مهمتك!

❁ ❁ ❁

منزل آل بونيفيل...

تحت أشعة الشمس الخافتة ، التي أوشكت على المغيب ، متسللةً عبر شرفة أغلاي...

بدأت أغلاي في حياكة ثوب الملكة ، وكانت مفعمةً بالسعادة ، فهذه المرة يجب أن تصنع أجمل مالديها وتركّز على الإبداع بالتفاصيل ، لأن هذا الثوب سيقدّم للملكة أفروديت ، فإما أن يعجبها ويجعلها تلاحظ مهارة أغلاي... مما قد يفتح لها آفاقاً جديدة ، أو أن تُلقي الملكة بالثوب بعيداً ، فتبقى أغلاي على حالها ، مجرد ابنةٍ غير شرعية لآل بونيفيل... تحيك الثياب للقبيلات...

«هذا الفستان... سيكون أول خطوةٍ في طريقي... للصعود إلى القصر الملكي!»

في تلك اللحظة ، دخلت الدوقة ميرابيل إلى الحجرة ، وتفحّصت الثوب مبتسمةً: ياله من قماشٍ فاخر!... أعتقد بأنه من طلب دوقة أثانسيا ، أليس كذلك؟!... لقد تحدثتُ معها عنكِ قبل يومين!

نظرت إليها أغلاي بحدةٍ ثم أشاحت بوجهها عنها ، وظلّت منهمكةً بالحياكة... فلستقامت ميرابيل في وقفتها ونظرت لأغلاي بتحفّظ: هل هناك مايزعجكِ يا أغلاي؟!

تجاهلتها أغلاي ولم ترد ، فغضبت ميرابيل وقالت باستعلاء: هل تتجاهلينني؟

نهضت أغلاي ، واعتقدت ميرابيل بأنها ستعتذر منها ، لكن الفتاة لم تنطق بشيءٍ ولم تنظر إلى وجهها حتى ، بل توجهت نحو الرفّ لتجلب بعض الخيوط...

شعرت ميرابيل بالإهانة: لمَ تفعلين هذا؟!

عندها توقفت أغلاي ، ورفعت عينيها ونظرت إلى الدوقة بحقد: أعتقد بأنكِ تعرفين مافعلتِ دوقة ميرابيل!

ارتبكت ميرابيل ثم قالت بترفّعٍ محاولةً إخفاء ارتباكها: مالذي تقصدينه؟

أغلاي: لقد حاولتِ نسب جهودي لنفسك!

غضبت ميرابيل وحاولت الإنكار: هل تتهمينني بشيءٍ كهذا؟!... ابنة كوترية البشرية ، أصبحتِ وقحةً وتتطاولين على كبار العائلة!!

أخذت أغلاي نفساً عميقاً ولازالت تحدّق بها ، فهددتها ميرابيل قبل أن تغادر الحجرة: أنتِ تُكرين الجميل ، ولاتستحقينه!... تذكّري بأنني أنا من صنعتكِ!... وقدّمكِ إلى مجتمع القبيلات

والى الطبقة الأرستقراطية!... وأنا من سيجعلك تغادرين تلك الطبقة!!

غادرت الدوقة وظلّت أغلاي تحدّق في الباب بقلق ، وجلست على الأرض وهي تفكر بذلك التهديد ، ثم التفتت نحو فستان الملكة... ولمسته بيدها ثم تشبثت به بقوة ، وقالت بعزم وصوت يرتعش مسخطاً: لن تبعدوني عن هذه الطبقة... لأني سأكون تحت حماية العائلة المالكة!... ستترين هذا دوقة ميرابيل ، ستترين بأن أغلاي لن تستسلم... ليس بعد أن وصلت إلى هذا المستوى!... لن تعود أغلاي إلى الشوارع القذرة مجدداً!!

❁❁❁

بينما في زاوية أخرى من المنزل...

كان أندريون يستمع باهتمام إلى حديث إيمانويل ، وكان يقول وهو يُسند ظهره نحو الحائط ويعقد ذراعيه أمام صدره بنبرة حائرة: لقد توصلتَ إلى إدراك أمرٍ خطير!... إنه سرٌ كبيرٌ وغامض يا أندريون!... ويبدو أنه لم يتمكن أيٌ من الدوق إيبير و الكونت أرماند إلى الوصول إليه بعد!

ثم قال بهدوء: نشوء جيلٍ جديدٍ من مصاصي الدماء!

أندريون مذهولاً: ماذا تعني؟

أخبره إيمانويل عن المعلومات التي حصل عليها من زوي ، ثم قال: لاشك بأن هناك المزيد مثل زوي!... هناك مصاص دماءٍ قد استحدثها ، هي والعديد غيرها ، ويجب أن نعرف من يكون...

صمت الاثنان في لحظةٍ من التفكير ، حتى تساءل إيمانويل: قد يكون... من آل بونيفيل!

نفى أندريون: لاأعتقد هذا يا إيمانويل!... لو كان بمقدور العائلة استحداث مصاصي دماء ، لفعلوا ذلك منذ مدة!... فكما تعلم بأن العائلة تحرص على الحفاظ على نسلها واستمراريتها!... وسيكون الجدّ إيفرانور أول من يقوم باستحداث مصاصي دماءٍ من دمائه النقية!

ابتسم إيمانويل بهدوء: إنك ذكيٌ كما أعهدك دائماً يا أندريون!... وبذكائك هذا ، يجب أن تتوصل إلى مصاص الدماء الذي استحدث هذا الجيل الجديد!

نظر أندريون إليه بحزمٍ وثقة ، وأومأ برأسه موافقاً ، ثم خرج وانطلق بالعربة...

❁❁❁

وفي ناحيةٍ أخرى من المنزل...

لم يلحظ أحدٌ باربرا ، عندما تسللت إلى حجرة غيلبرت كعادتها ، حيث كان فضولها وشغفها به يدفعانها للاستمرار باكتشاف تفاصيله ، أخذت تعبث بثيابه وتستنشق رائحتها ، بينما تُغمض عينيها وتحلّق بعيداً بخيالها ، وترى نفسها تقف بين أحضانه ، في ذلك العالم الخيالي الجميل...

كانت باربرا تحفظ في ذاكرتها جميع متعلّقات غيلبرت الشخصية ، وحتى ألوان ثيابه... وجميع ماتتضمنه زوايا حجرته ، وبينما هي كذلك ، لفت انتباهها ذلك الدُرج الذي اعتاد غيلبرت على إقفاله ، وكان هو أكثر مايثير فضولها... حتى يئست بشأنه مؤخراً...

لكن في هذه المرة ، اتسعت عيناها اندهاشاً عندما رأته شبه مفتوح!... وأدركت بأن غيلبرت قد نسي أن يقفله ، فهرعت نحوه وفتحته... ووجدت بعض الأوراق والكتابات الخاصة... ولكنها لم تكن ذات أهمية ، إضافةً إلى أنها وجدت بعض المتعلقات الشخصية العادية...

وعندما همّت بإغلاق الدرج... وقعت عيناها على شريطةٍ باهتة اللون... تختبئ في نهاية الدُرج ، فالتقطتها بيديها ولاحظت ملمسها الناعم... وقد بدَت لها بأنها شريطة شعرٍ لفتاة!

وقبل أن يسنح لها الوقت بالتفكير ، سمعت صوتاً خارج الحجرة ، فأغلقت الدُرج على الفور ، وخبّأت الشريطة في ثيابها ، وخرجت مسرعة...

❀❀❀

بينما في السجن...

كان آرميل يجلس على الأرض ويسند رأسه إلى الحائط ، مستسلماً لمصيره المجهول... وكان يتخبّط بين أفكاره ومشاعره... محدثاً نفسه: «انظر إلى أين آل بك الحال مرةً أخرى!... لقد اعتدتَ جدران السجون والقضبان الحديدية ، ويبدو أنك لن ترى نور الحرية بعد الآن!... وكذلك ، لن ترى ياني!... إنه في مأمنٍ بعيدٍ عنك وعن مغامراتك الخطرة... التي لاتنتهي سوى بالفشل!»

ثم رفع رأسه محدّقاً بالسقف المتهالك وأخذ نفساً عميقاً ، ثم ضحك ساخراً من نفسه: «إن كان إعدامك قريباً... لتودّع هذه الزنزانة للأبد ، هل ستُظهر الوحش الذي بداخلك ، لتنقذ حياتك؟... ماذا سيحدث حينما تفعل؟... هل سيستطيع البشر السيطرة على قوّتك العظيمة؟... حسناً ، لن تعرف الإجابة ، حتى تجرّب!»

قطع تفكيره صوت صرير باب الزنزانة المزعج ، عندما فُتح فجأةً...

توقع آرميل بأنه الكونت أرماند قد عاد لإكمال التحقيق ، لكنه ذهل عندما رأى شخصاً آخر... كان يرتدي بزّةً عسكريةً ويحمل نجمةً على صدره ، ففهم بأنه ذو مرتبةٍ في الجيش...

وبعد أن أغلق الباب خلفه ، نظر إليه آرميل منتظراً أن يتحدث ، وقد لاحظ الكبرياء في وقفته وتحركاته... وأدرك بأنه ينحدر من عائلةٍ نبيلة ، فآرميل يتميّز بفِراسته وتحليله السريع لشخصيات الآخرين وهويّاتهم...

تحدّث ألباين: بيون بيكارد!

في القسم العسكري...

كانت زوي تشعر بالعطش الشديد ، فلم تتذوق قطرة دم منذ مدة ، لعدم وجود حيوانات في المنطقة حولها ، عدا الإسطبل وحظيرة الدواجن ، والتي لايمكنها التسلل إليها مرة أخرى ، لأن ذلك سيفتضح أمرها ، ولايمكنها كذلك مغادرة القصر أو القسم العسكري بدون إذن ، حيث أن الحراسة مشدّدة...

اقترب منها ألارد وقد لاحظ شحوب وجهها: هل أنتِ بخير؟

أومأت زوي برأسها ، فقال يواسيها: أعلم بأنكِ ترغبين بالانضمام إلى عناصر الجيش المتجهة إلى رومبيانيا!... لكن بقاءكِ هنا سيكون آمناً لك يازوي!

نظرت إلى عينيه بخَيبة: أتمنى أن تعود سالماً يا ألارد!

ألارد بثقة: سنعود منتصرين!... اطمئني!

أخذت نفساً عميقاً ثم ابتعدت عنه: سأعود لأداء واجبي في حراسة الملكة!... أراك لاحقاً!

كانت تحاول إخفاء ملامح وجهها الشاحبة وجفاف شفتيها ، وأثناء خطواتها السريعة عبر حديقة القصر ، فاجأها أندريون عندما اعترض طريقها..

ورأته يمدّ إليها بقنينةٍ قام بفتحها: تبدين عطشةً للغاية!... خشيتُ أن تضطري للهجوم على حيوانات القصر في هذه الظروف ، لذلك أتيتُ لمساعدتك!

بَلغَت رائحة الدم أنفها ، تنبعث من تلك القنينة ، فالتقطتها على الفور وتجرَّعتها كلها دفعةً واحدة... ثم التقطت أنفاسها وانحنت لأندريون بامتنان: شكراً جزيلاً ، لورد أندريون!

في منزل آل بونيفيل..

كان إيمانويل يسترق النظر إلى الدوقة ميرابيل بينما كانت تقف أمام النافذة التي انعكست عليها ألوان الغروب الدافئة ، وقد لاحظ التوتر عليها...

إيمانويل بصوته الهادىء: مالأمر؟... لاتبدين على مايرام!

لم تلتفت إليه ميرابيل إلا بعد برهةٍ عندما تنهدت بانزعاج: لا أُصدّق بأن أغلاي قد وصلت إلى هذا المستوى من الوقاحة!

تفاجأ إيمانويل ، حتى أخبرته الدوقة بأن أغلاي تتهمها كذباً ، وأوضحت له كيف جعلها ذلك تشعر بالإهانة كونها دوقة لورديور ، وكونها قد قدّمت العديد من الخدمات والاهتمام لأغلاي...

ثم قالت: الذي يروي ظمأه من البئر ، يُدير ظهره إليها ، مادام لم يعد عطشاً ، فعندما يختفي

الاعتماد ، يختفي الاحترام!

تمتمت الدوقة بالاطمئنان عندما أدركت بأن حديثها ذلك لم يرُق لإيمانويل... ولاحظت تعابير وجهه المنزعجة... عندما نهض وقال: دعي الأمر لي!... دوقة ميرابيل!

❁ ❁ ❁

بينما في حديقة القصر الملكي...

جلست زوي مع أندريون وكانت تنظر إلى قلادته ، فسألته: ألاحظ بأن أفراد عائلة بونيفيل يرتدون هذه القلادة ، إنها تحمل طاقةً ما أليس كذلك؟

أجاب أندريون: أجل صحيح ، إنها تحمينا من أشعة الشمس القاتلة!

زوي باستغراب: القاتلة؟... هل يموت مصاصو الدماء عند التعرض للشمس؟!

أومأ أندريون برأسه: أجل ، تحترق أجسادنا وتتحول إلى رماد..

فكرت زوي متأملةً بشرتها التي لاتتأثر ، ثم نظرت إلى الشمس: لهذا السبب كان إيمانويل يتساءل عن قدرتي على احتمال أشعتها...

أندريون: هناك أمرٌ ما مختلفٌ بشأنك!... وكما رجّحنا أنا وإيمانويل ، بأن لذلك الوسم خلف كتفك علاقةً بالأمر!

أخرج أندريون ريشةً ومحبرةً وورقةً من الحقيبة الجلدية التي كان يحملها على كتفه ، وطلب من زوي الالتفات وإظهار كتفها له ، ليقوم بنسخ الرمز الموسوم عليها: عليَّ أن أبحث في سرّ الرمز ، وإيجاد معناه ومصدره!

زوي باهتمام: تعني بأنّنا قد نجد الشخص الذي استحدثني ، بواسطة البحث عن هذا الرمز؟

أومأ أندريون برأسه وكانت عيناه تلمعان بحماسة ، وبدأ بالرسم متمعّناً في التفاصيل ، وكانت زوي تتحدث بينما يقوم بعمله: في إحدى مآدب القصر ، لاحظتُ بأن آل بونيفيل يتحسسون من الثوم ، كما يحدث لي بالضبط!... لم أكن في صغري ألاحظ هذا... لكن يبدو الآن بأنه مرتبطٌ بكوني مصاصة دماء ، هل هذا صحيح؟... بالإضافة إلى أنني لاحظت برودة جسديكما ، أنت واللورد إيمانويل... هذا قد يعني اختلاف نوع دمائنا عن دماء البشر والحيوانات!

أندريون وهو منهمكٌ بالرسم: أجل صحيح ، هذه هي خصائص جسد مصاص الدماء...

أنهى أندريون رسمته ونهض: لذلك من الجيد بأنكِ كنتِ حذرةً أثناء تحقيقات غيلبرت!.. فبرودة جسدكِ كانت ستوقعكِ في قبضته!

زوي بثقة: لاتقلق لورد أندريون ، يمكنني الإعتناء بنفسي جيداً!

ثم وقفت أمامه متسائلةً: لقد ذكر اللورد إيمانويل اسم «كروفستروفا» مرةً . هل تملك أي فكرةٍ عمّا تكون؟

حكى لها أندريون عن قصة كروفستروفا ، وبعد لحظاتٍ من الذهول والتفكير واستجماع شتات معلوماتها ، سألت بقلق: باستثناء تأثير أشعة الشمس ، وبما أن جسدي يتعافى ذاتياً من أي جرحٍ أو مرض... فكيف نموت إذن؟

نظر إليها بجديّة: سأخبرك...

❁❁❁

بدأت الشمس بالغروب...

بينما كان آرميل يجلس على أرضية زنزانته القذرة.. أخذ يفكّر ويتذكّر:

❁❁❁

قبل بضعة أيام..

في فترةٍ قريبة ، كان يثير اهتمامه كتاب النبلاء ويقضي الساعات الطوال في قراءته ، وكعادته يحب آرميل القراءة في أماكن غريبة ، مرةً فوق سطحٍ قرميدي... ومرةً على فرع شجرة... أو حتى في عربةٍ متنقلة ، كان ذلك يساعده على التخفي عن الأنظار... والانهماك بهوايته المتعة في الاستكشاف ، وإشباع فضوله ، دون أن يُنغّص عزلته شيء...

وبينما كان يقرأ الكتاب في إحدى المرّات ، وقعت عيناه على الشعار الذي سبق وأن رآه على قلادة أغلاي:

❁❁❁

(كانت تلك العربة الخشبية المتهالكة تقترب من بلدة أورانوس... وكان يقودها آرميل ، يرافقه ياني و أغلاي...

تأمل آرميل القلادة لوهلةٍ ثم قال باهتمام: لاتزالين تحتفظين بها!... هذا الشمعدان الرباعي!... أعتقد بأنني رأيته في أحد الكتب من قبل!... قد يكون شعاراً لإحدى العائلات النبيلة!

ابتسمت أغلاي بسخرية: ومالذي سيجلب شعارعائلةٍ نبيلةٍ لفتاةٍ وضيعةٍ مثلي ، أو لامرأةٍ مشرّدةٍ كمارثا!... إلا إذا كانت قد سرَقتها ، في أسوأ الاحتمالات!)

❁❁❁

ذهل آرميل عندما أدرك بأن شعار الشمعدان الرباعي ينتمي إلى آل بونيفيل..

وهمس: كما توقعت!

وعندما بدأ يقرأ عن تلك العائلة ، لفت انتباهه بأن أصولهم غير مدوّنة ، ولاتزال مجهولة!

الكتاب بعض الأسطر المريبة خلال قراءته ، حيث كان الكاتب يقول:

(ولقد لاحظتُ أنا ومجموعةٌ من الأشخاص الذين استجوبتهم أثناء عملي بتقصي أسرار العائلات ، بأن بونيفيل كانت العائلة الأكثر غموضاً ، يمكنني القول بأنها الأكثر إثارةً للحيرة والتساؤل في بانسيلينوس كلها ، حيث يتميز أفرادها بصفاتٍ غريبةٍ لم يشهدها أحدٌ من قبل ، ويرجع بعض الأشخاص السبب إلى أنها عائلةٌ أجنبية ، قدمت من بلادٍ بعيدةٍ جداً - رغم أنه لا أحد متيقنٌ بعد ما اسم تلك البلاد ، ولمَ تختلف الأقوال وتتناقض عن اسم موطنهم الحقيقي - إلا أن الغالبية اتفقوا بأن صفاتهم تختلف فقط لأنهم من موطنٍ مختلف ، قد تكون لبيئته وطقسه أثرٌ على تركيبتهم الجسدية ، فمن هذه الصفات الغريبة ، كون آل بونيفيل لايشيخون بسرعة ، إنهم يتقدمون بالعمر نعم ، ولكن بمعدلٍ أبطأ بعشر مراتٍ عن معدل تقدم العمر الطبيعي الذي نعرفه ، إضافةً إلى تحسّسهم من رائحة الثوم ، وقد لوحظ ذلك في المآدب بشكلٍ غريب ، وكذلك أيضاً ، الحركة لديهم تبدو أخف وأسرع من المعتاد ، وتحديداً أثناء القتال ، ولكن لم يشاهِد هذا غير شخصين ، لذا قد لاتؤخذ شهادتهما بعين الاعتبار.)

كان آرميل يحبس أنفاسه أثناء قراءته لتلك الأسطر ، وأدرك فجأةً بأنه نسي أن يتنفس ، فقد خُطف ذهنه بعيداً إلى مكانٍ آخر..

كان يفكر بصفاتهم التي تتشابه مع خصائص جسده الحالية ، وقرر بأنه يتوجب عليه أن يكتشف سرّ تلك العائلة ، فقد يجد ترابطاً من نوعٍ ما معهم ، وكان يتساءل بحيرةٍ عن علاقة أغلاي بهم ، وإذا كان لديها الإجابات...

حتى توقف في أحد الأيام أمام منزلهم ، وكانت راية الشمعدان الرباعي ترفرف فوقه...

كان آرميل متخفّياً فوق جذع شجرةٍ وفي يده الكتاب ، بعد أن قرأ ما كُتب بداخله عن هذه العائلة ، وكان يجلس هناك بشعره الأسود المتموج المتمايل مع الهواء ، وملامح وجهه الساكنة... وعيناه اللتان كانتا تحدّقان بالمنزل بغموض ، بينما كانت شفتاه ترددان بهدوء... آخر جزءٍ من تلك الأغنية القديمة:

آرغنتّ واحدّ فقط سيجعلنا نبتسم طوال العمر...

آرغنتّ واحد!

قفز من جذع الشجرة... ولحق بعربة باربرا ، حتى رآها تنزل وتدخل إلى منزل مارغريت بونيفيل ، فتوقف أمام منزلها ، وكان يفكر بعمق ، ويبتسم بخبث ، فقد وجد وسيلته...

عودةً لليوم..

قطع تفكيره صوت حارس زنزانته ، عندما فتح الباب وخلفه مجموعةً من الحراس: جلالة الملكة تستدعيك!

نظر آرميل إليهم متعجباً ، فقال الحارس محتقِراً: سنأخذك لتغتسل من رائحتك النتنة ، وتبدّل هذه الثياب القذرة ، لتكون لائقاً للمثول أمام جلالتها!

ودون أن يمنحوه فرصةً لاستيعاب مايجري ، قاموا بجذبه بعنفٍ إلى خارج الزنزانة...

❁❁❁

بلغ الخبر مسمع ألباين ، عبر الكاهن أرتشيم الذي اعتاد رشوته...

أرتشيم: بيون سيتجّه إلى القصر الملكي الآن ، للقاء الملكة!... وبغضّ النظر عن كون استدعائها له شخصياً أمراً غير مألوف ، ولكني أعتقدت بأن هذه المعلومة ستفيدك لكونك مهتماً بذلك المحتال!

ظهرت ابتسامةً ماكرةً على وجه ألباين: «إنه الوقت المناسب!»

ثم شكره: إنها معلومةً مفيدةً بالفعل!... شكراً ، حضرة الكاهن!

❁❁❁

في ذلك المساء...

كان أرام ومجموعته من الفيركولاس قد اقتربوا من السجن ، وتمكّنوا من الوصول إلى أسواره ، وظلّوا يترقّبون فرصةً مناسبةً للهجوم وتحرير آرميل..

تم اقتياد آرميل من قِبل الحراس إلى القصر الملكي في عربةٍ خاصة ، وأثناء عبوره كان يتنقّل بناظريه بين تلك الأعمدة الضخمة والجدران المنحوتة بشكلٍ جمالي ، مبهوراً من تلك الدقة ، ومن روعة التماثيل التي كانت تزين جنبات القصر وأروقته ، إلى أن تم إدخاله إلى المجلس الملكي ، حيث كانت منضدةً تتوسط مقعدين فاخرين ، رأى الملكة تجلس على أحدهما... ولم يُعِرها اهتماماً بقدر ماكان مهتماً بحارسها الشخصي... الواقف خلفها...

آرميل مصدوماً: «زوي!!»

ولم تكن الدهشة تقتصر عليه فقط ، فقد صُدِمت زوي بنفس القَدْر عند رؤيته ، ولكنها تماسكت وسيطرت على دهشتها ، ففهم آرميل وانتبه لتعابير وجهه ، وتحكّم الاثنان بمشاعرهما ، وتظاهرا بعدم معرفتهما لبعضهما...

فكر آرميل بتوترٍ واندهاش: «آخرُ شخصٍ يمكن توقُّع وجوده في مجلس الملكة!!... هل تعلم عني وعن أرام؟... أو ربما يجدر بي إخبارها؟... سيكون أرام في لورديورلأجلي ، ويجب أن أُحذّرها منه!»

فكر بطريقة لتحذيرها . ولكن ظروف الموقف لم تترك له مجالاً . ففي تلك الأثناء . وكله الحارس خلف وكهته لينحني للملكة ، فانحنى آرميل مُعرّفاً بنفسه: ليون بيكارد . تحت أمر جلالتك!

ابتسمت أفروديت ساخرةً: أتمنى أن يكون هذا هو اسمك الحقيقي بالفعل!

رفع آرميل رأسه فأشارت له بالجلوس على المقعد المقابل ، فتقدّم بخطوات متواضعة وجلس أمامها . وكملت حديثها: بالطبع شخصٌ محتالٌ مثلك لن يستخدم اسمه الحقيقي!

ثم سألت: فماهو اسمك؟

آرميل: ما المهم من معرفة اسمي ، جلالتك؟... فستأمرين بإعدامي على أي حال!

لم تجبه . وقالت: لقد سمعتُ عن دهائك!.. وتعتريني رغبةٌ باختباره!

ابتسم آرميل متعجباً وهو يرفع أحد حاجبيه: تريد الملكة أن تختبر دهائي!.. ولمَ ذلك؟

أفروديت: أنت تطرح الكثير من الأسئلة!... ألم يخبروك بأن هذا غير لائقٍ في حضرة الملوك؟

انحنى آرميل معتذراً ، وأشارت لخدمها ، فاقترب اثنان منهم ووضعا لوح الشطرنج على المنضدة . ونظرت إلى عينيه المتعجّبتين: أعتقد بأنك تجيد لعب الشطرنج!

فأجاب وهو يؤرجح قدمه التي وضعها فوق الأخرى متوتراً: من لايجيد اللعب هذه الأيام؟

قام مسؤول القصر بارنباس بإطراء ملكته ، وهو يحني رأسه بإعجاب: إن جلالتها ماهرةٌ في هذه اللعبة!... ولم يسبق لأحدٍ أن غلبها!

ابتسمت أفروديت وهي تنظر إلى عينيّ منافسها بتحدٍ: إذا غلبتَني في هذه اللعبة ، فأنت حرٌ بالذهاب!... أما إذا غلبتُك ، فستبقى لانتظار محاكمتك... وستخبرني عن اسمك الحقيقي!

حدّق آرميل بعينيها لوهلة ، وهمس لنفسه: «هل تتسلّى معي فقط؟»

ثم أومأ برأسه موافقاً ، وبَرقت عيناه بروح المنافسة . وقال بثقة: أخشى إذن بأن جلالتها ستودّعُني قبل أن تعرف اسمي!

وقام بتحريك قطعته الأولى دون أن ينظر إلى اللوح ، حيث كانت عيناه متسمّرتين تماماً على عينيها ، فقامت أفروديت بخطوتها . ثم سألته: اشتكى الكثيرون من ألاعيبك . هلّا أخبرتني كيف تمارس الاحتيال؟... وكيف لضحاياك أن ينخدعوا؟

ابتسم وأجاب: التظاهر بالنبل والطيبة وحسن النية . هذه الإشارات مستحبةٌ لدى الناس ، ولايمكنهم أن يلحظوا بأن هناك خدعةً خلفها . إني أخدع الضحية بجعله يتوقّع شيئاً آخر ، عكس الذي أقوم به فعلياً!

ثم أردف: وأيضاً ، التظاهر بأنك تفتح قلبك لهم ، تعطيهم اعترافاً مزوراً ، فيعطونك اعترافاً حقيقياً ، إني أكسب ثقة الناس عندما أتظاهر بمشاركتهم أسراري الخاصة ، بهذه الثقة المصطنعة ، فإني أستدرج ثقتهم الحقيقية...

كانت تستمع لكلماته تلك باهتمام وإعجاب ، ولم تُعلّق سوى بابتسامة هادئة ارتسمت على مُحيّاها ، ورأته يرفع إحدى قطعه ليحركها... لكنه توقف ليسأل: عفواً ولكن... هل لهذا دعوتني فقط؟

تجاهلت أفروديت سؤاله واستمرت باللعب بصمت ، وكانا يلعبان بتحدٍ بين ذكاءيهما ، وسط نظرات الخدم والحراس المترقبة للنتيجة ، والمتعجّبة من قوة منافستهما...

ولكن ذلك الترقب لم يدُم طويلاً ، فقد أمرت الملكة الجميع بمغادرة المجلس ، وتركهما بمفردهما ، حتى يركزا باللعب...

عندها حدّث نفسه باندهاش: «كلا ، إنها لم تكن تتسلى!»

❁❁❁

خرجت زوي بناءً على تلك الأوامر ، وتفاجأت بوجود غيلبرت خارج جناح الملكة ، حيث كان يستوجب الخدم والحراس عن سبب وجود آرميل في استضافة الملكة ، والتفت إلى زوي فور أن رآها ، واقترب منها قائلاً: حارس الملكة ليون!

وقف أمامها ومدّ يده لمصافحتها ، فترددت وابتلعت ريقها: «إنه يحاول التحقق من برودة جسدي!»

لم تبادله تلك المصافحة وتظاهرت بالانشغال بشدّ حزامها ، دون الانتباه إلى يده ، فسحَب يده إلى الوراء متراجعاً ، ثم قال: بصفتي قائداً في الحرس الخاص ، ومسؤولاً عن الأمن في القصر وسلامة الأسرة الملكية ، أودُّ استجوابك!

شعرت زوي بالتوتر ، لكنها حافظت على تماسكها ، وقالت: بالطبع ، أيها القائد غيلبرت!

سألها: لمَ تركتَ حراسة جلالتها رغم وجود مُجرمٍ في حضرَتها؟

ارتاحت زوي من سؤاله الذي كان بعيداً جداً عن مخاوفها الحقيقية ، وأجابت: إنها أوامر جلالتها!

غيلبرت: أعلم هذا!... ولكنّ واجبك البقاء إذا تطلّب الأمر ، أو الوقوف خلف الباب ، متأهباً للاقتحام في حال استنجدَت الملكة!

أومأت برأسها: سأفعل هذا أيها القائد!... حراسة الملكة هي واجبي ، وسأبقى هنا إلى حين انتهاء اجتماعها الخاص!

أشار لها بإيماءة مؤيدة ، ثم ذهب ليخبر أرماند عمّا يجري ، وفي تلك الأثناء ، حاولت زوي التفكير في طريقة لإنقاذ صديقها من المحاكمة ، وشعرت بأنها يجب أن تهرع لإخبار الأرد... حتى يساعدها في هذا المأزق ، ولكنها ترددت في ترك حراسة الجناح ، فتظاهرت بوجود ألم مفاجئ في بطنها ، وحاجة إلى القيء ، ووكّلت أحد الحراس لينوب عنها ، وركضت عبر الرواق إلى الخارج ، ولم تلحظ بأن غيلبرت كان واقفاً يراقبها خلف أحد الأعمدة ، وقد بدت الحيرة على قسمات وجه ، والشك واضحاً في عينيه...

❁ ❁ ❁

في القسم العسكري..

تلقّى الأرد الخبر بصدمة بالغة ، فكلاهما يعرف بأن النصب والاحتيال هي هواية آرميل المفضلة ، ولم يستبعدا أن يقع في قبضة العدالة يوماً ، ولكن أن يكون في استضافة الملكة... ليلعب الشطرنج معها على انفراد ، ذلك مالا يمكن استيعابه!

زوي: هل أتحدث إلى الملكة بشأنه؟... قد يشفع ذلك بالإفراج عنه...

قاطعها: كلا!... أفروديت ليست من النوع الذي يتخلى عن مبادئه وعدالته لأجل عواطف كهذه!

زوي: إلّا إذا كان لها مصلحةً في ذلك!... لنحاول التفكير في شيء يجعلها تتنازل عن عفوها عن آرميل...

نظر الأرد إلى عينيها بغموض ممتزج بدهشة وسأل: هل يعلم عن وجوده؟

بادلته زوي تلك النظرة المتعجّبة: سيكون الأمر معجزةً ، لو سلّمنا بأنها مصادفة!... كلا ، لا أعتقد بوجود مصادفة عجيبة كهذه!.. ربما كان يعلم عن وجوده في القصر ، وحاول الوصول إلى هنا لأجله!... فتلك هي أساليب آرميل!

الأرد: أين هو الآن؟

زوي: في المكتبة ، يكمل عمله على اللوحة!

الأرد مذهولاً مما يحدث: لقد اجتمع الأصدقاء المتسولون في لورديور ، من جديد!... ولكن هذه المرة ، في مكانٍ أرقى من منزل أبراكساس!

ولم يكن الاثنان يعلمان ، بأن غيلبرت يراقبهما من بعيد...

❁ ❁ ❁

بينما في المجلس الملكي...

استمر الاثنان يلعبان لزمنٍ طويل ، حتى أوشك آرميل على الانتصار في النهاية بخداعه ، إلا أن الملكة أفروديت فاجأته وغلبته بخطوةٍ أخيرةٍ لم يكن يتوقعها أبداً...

أفروديت: كش ملك!!

ابتسمت بكبرياء: إنك فعلاً مخادعٌ وذكيٌ جداً!... لكنك للأسف ، غير محظوظ!

نظر إليها آرميل ، وقد أثّرت عليه تلك الكلمات كثيراً ، وأخذ يتذكر محاولاته لتحصيل المال بالخداع ، فقد باءت مُعظمها بالفشل وسوء الحظ في النهاية...

قال لها: قد تكونين محقةً جلالتك!... فمن «سوء حظي» أني خسِرت أمامك الآن ، وسأضطر لإخبارك... بأن اسمي الحقيقي... هو آرميل!

ثم قال متداركاً بتملّق ، وابتسامةٌ غامضةٌ على مُحيّاه: ولكن قد يكون من «حسن حظي»... بأني التقيت بجلالتك!... فقد حميتِ رقبتي من الإعدام!... وسأعمل على تنفيذ ماتأمرين به!

طلبت من الخدم الدخول ورفع لوحة الشطرنج ، ثم قالت له: سأسمح لك بالعودة إلى زنزانتك لتنتظر محاكمتك يا آرميل!... استمتعتُ باللعب معك ، لكنّ العدالة يجب أن تأخذ مجراها!

انحنى لها آرميل: لقد استمتعتُ أنا أيضاً ، جلالتك!

وبعد أن غادر ، سألها بارنباس: مالغاية الحقيقية من استدعائه جلالتك؟... أعلم بأنّ هذا ليس من طبعكِ!

استندت أفروديت بارتياحٍ على كرسيها: ما الضّير في أن يتسلى الحاكم لوقتٍ بسيط؟... مسؤوليتي كبيرةٌ ومنهكةٌ للغاية يا بارنباس ، وإنها الفرصة المناسبة للترويح عن نفسي مع شخصٍ يمثل ذكاؤه تحدياً ممتعاً بالنسبة لي...

ابتسم بارنباس: بالطبع جلالتك!

ولم يلحَظ بأنها كانت تسرح بفِكرها بعيداً ، لتفكّر بالحديث السرّي الذي دار بينها وبين آرميل...

❁❁❁

في مكتبه الخاص...

كان الكونت أرماند منشغلاً بالالتقاء بالقادة وإعادة النظر في الميزانية العسكرية ، وبعد أن أنهى اجتماعه الذي استمر حتى وقتٍ متأخرٍ من المساء ، دخل عليه غيلبرت... وأغلق الباب خلفه ، ليحدّثه بسريّة...

كان أرماند قد أوصى غيلبرت مسبقاً بإحصاء عدد الجنود ومن ثم مقارنتها بسجلّات الجند ، لكي يجلب له الاسم المفقود ، لاعتقاده بأن مصاص الدماء المجهول قد يكون هرب من الخدمة العسكرية...

غيلبرت وهو يقدّم الأوراق إلى أرماند بخيبة: لايوجد جنديٌ مفقودٌ من القائمة ، أيها الكونت!...

لقد كان القادة يتحققون من حضور جنودهم للتدريبات يومياً!

نهض أرماند من مكتبه ، وكانت عيناه تُبديان صدمته وغضبه ، قال بنفاذ صبر: هذا يعني بأنه لايزال موجوداً... كيف تمكّن من اجتياز التحقيقات إذن؟!

ثم قال وهو يفكر: هناك أمرٌ مريبٌ!... ذلك المصّاص يعلم بأننا نعرف عن خصائص جسده.. ولكنه تمكّن من إخفائها جيداً... إنه يعرف عن عائلتنا!

ثم قال بعد أن استعاد هدوء أعصابه: على أي حال ، ستركّز مراقبتك على عناصر الحرس الخاص ، وإن لم يكن من الحرس الخاص ، فسيكون ذلك الوغد من الجيش ، وسيشارك في حرب رومبيانيا!

ثم خطا عبر مكتبه بحزم: وسأتمكن أنا من العثور عليه حينها!

ونظر إلى غيلبرت الذي كان يؤيّده: سيكون من السهل إيجاده إذا استخدم قواه أثناء المعارك!... أو إذا تمّت إصابته من العدو ، وتعافى جسده ذاتياً ولم يمت!

ظهرت على وجه أرماند ابتسامةٌ عريضةٌ ماكرة: سنرى مدى حذرِه وذكائه ، في إخفاء قدراته الخارقة!... الأمر الذي لن يستمر طويلاً!

غيلبرت بجدية: أيها الكونت!... هناك أمرٌ آخر قد تودّ معرفته!

أصغى إليه أرماند ، بينما تحدّث: لقد استدعت الملكة المحتال بيون إلى مجلسها ، وكان هذا فقط... للعب الشطرنج...

ظهر التعجّب على ملامح أرماند: ماذا؟!

غيلبرت: أخبرَني حرّاسها بأنها كانت تشعر بالسأم وفضّلت اختيار شخصٍ ذكي لينافسها ، وكان المحتال أنسب اختيارٍ في مثل هذا الوقت!

لكنَّ ذلك التبرير لم ينطلِ على أرماند: كلا ، استدعاؤها له يثير الريبة ، ربما حاولَت الوصول إلى شيءٍ ما ، وقد يكون الكتاب!

«لقد استغربتُ الأمر في البداية ، عندما أوكلَتني الملكة مَهمّة عقد اجتماعٍ طارئٍ مع القادة ، كان إصرارها على التوقيت غريباً ، لكني فهمت الآن ، فقد قامت بإبعادي حتى يتسنّى لها استضافة المحتال ، دون تدخّلٍ مني... »

قال غيلبرت: وأيضاً ، إنني أشكُّ في أحد أفراد الحرس الخاص..

سأله أرماند: من هو؟

دوحة الكتب العربية

في مكتبة القصر الضخمة...

كان أندريون بونيفيل غارقاً بين الكتب ، يبحث ويبحث... عن أي شيءٍ قد يقوده إلى ذلك الرمز الموسوم على كتف زوي..

بينما كان هناك شابٌ وسيمٌ أشقر ، يجلس في منتصف المكتبة ، مُنهمكاً بتلوين لوحته الضخمة... التي كانت تصف ملامح الملكة أفروديت...

وخارج نوافذ المكتبة ، شاهده آرميل أثناء عبوره في فناء القصر الملكي متّجهاً إلى العربة ومقيّداً ومحاطاً بمجموعةٍ من الحراس ، وأمعَن النظر إلى تلك النافذة الطويلة... ثم شهق: «ياني!!»

توقف في مكانه رغم دفع الجنود له وركلاتهم المتكررة ، وأصيب بحالة صدمةٍ هستيرية: «هل هناك خللٌ في عينيّ؟... أم أنه يشبهه؟!.. كلا!.. إنه هو!.. أجل هو!!... ياني!!... كيف يحدث هذا؟!... مالذي يفعله هنا؟!... ياني؟!... التفت أرجوك!!... انظر إليّ!!»

❁❁❁

قبل بضعة أيام...

(بانسيلينوس ـ مولنيا)

عندما كانت دليا تستعد للذهاب إلى لورديور ، لحضور مراسم انطلاق القوات العسكرية إلى حرب رومبيانيا ، وتوديع شقيقها ألباين...

وبعد أن شاهدت إيوانا جمال رسم ياني ، اقترحت على سيدتها أن تأخذه معها إلى لورديور ، وتعرِض على الملكة أن يرسمها ياني في لوحةٍ كبيرةٍ تُعلَّق في القصر لتُخلِّد ذكراها...

إيوانا: عندما يحظى ياني بإعجاب الملكة ، سيرفع هذا من مكانتكِ لديها ، ولدى الآخرين أيضاً ، وسيرتبط اسمكِ واسم ياني بتلك اللوحة ، على مدى التاريخ!... يجب أن تعرفكِ الملكة عن قرب ، آنسة دليا!

أُعجبت دليا بالفكرة ، وقررت اصطحاب ياني معها: سنزور ألباين لنُودّعه!

ثم قالت: وبما أنك رسامٌ بارع ، سنعرِض مهارتك على الملكة ، علّها توافق على أن ترسم لوحةً لها!

تردد ياني: أنا أرسم الملكة؟... كلا ، لايمكنني فعلها!

شجعته صديقته داناي: يمكنك فعلها ياني!... فرسمك جميل!... ثق بي!

كانت داناي هي أكثر صديقٍ يثق ياني برأيه بعد آرميل ، لذا وافق في نهاية الأمر بناءً على تشجيعها...

❁❁❁

في مساء اليوم التالي...

(جميليونوس - لورديور)

التقى ألباين بشقيقته ، وكان سعيداً بقدومها وخصّص لها مكاناً مريحاً لإقامتها ، مع إيوانا وباني...

الذي اصطحبته دليا معها إلى القصر... لتلقي التحية على الملكة ، وتعرض عليها الاقتراح... مقدّمةً باني كرسام بارع ، وفي نهاية الأمر ، أُعجبت أفروديت بأعماله ووافقت على خوض التجربة..

تحدّثت زوي مع صديقها القديم ، ولكن لم يتسنَّ لألارد وأغلاي لقاؤه . فكانت زوي تنقل أخباره إليهما لمحدودية الوصول إليه ، فقد كان يُقيم في القصر إلى حين انتهاء الرسمة ، متنقلاً بين جناحه والمكتبة ، التي تتوسطها اللوحة الكبيرة ، وكانت أفروديت تجلس أمامه إلى أن تملّ وتغادر ، ثم تكمل الجلسة في اليوم الذي يليه...

❀❀❀

عودةً لليوم..

في تلك الأثناء ، كان آرميل يستطيع إطلاق قواه الخارقة والإفلات من بين أيديهم بسهولة ، ولكنه كان حذراً من استخدام وحشيّته علناً ، لأن ذلك قد يجعل وضعه يزداد سوءاً ، وهو شخصٌ لايحب المخاطرة...

أخذ يفكر في طريقةٍ للهرب باستخدام سرعته بالجري فقط ، استرق النظر بعينيه إلى زوايا وأبعاد المباني التي يمرّ بها قبل الوصول إلى العربة ، لدراسة إمكانية مناورة الجنود من بينها ، ونظر إلى حراس البوابات ليحسب أعدادهم ، وكان ذهنه يعمل بشكلٍ سريع في ثوانٍ محدودة ، لوضع خطةٍ سريعةٍ للفرار ، ولكنّ تفكيره قد قُطع فجأةً... عندما هجم مجموعةً من الرجال يخفون وجوههم تحت خوذاتٍ معدنية ، وقاموا بالالتحام مع حرّاسه...

وقف آرميل مذهولاً يتلفّت وسط القتال ، وفهم بأن تلك المجموعة تنتمي للنبيل الذي عقد معه الصفقة ، وهاهو ينفّذ وعده الآن...

فكّر آرميل بسرعة: «هل أستغلُّ فرصة قتالهم وأحاول الهرب من كلا المجموعتين... وأغدرُ بذلك اللورد؟... فقد يحاول تحريري من أجل الكتاب فقط ، ثم يقتلني بعد أن يحصل على غايته!»

ولكن الوقت لم يسمح له بالتفكير أكثر ، فقد قضت مجموعة ألباين على الحراس.. والتفّوا حول آرميل ليقتادوه إلى الخارج..

وبعد لحظات ، ركض الحصان حاملاً آرميل على ظهره ، وكان لايزال مُقيّد اليدين خلف أحد

الرجال ، وانطلقت الخيول لمكانٍ بعيدٍ في أطراف العاصمة ، حيث كان ألباين بانتظارهم... وكان يخفي وجهه خلف خوذةٍ هو الآخر ، ولكنّ آرميل ميّزه من صوته...

تقدّم ألباين وهو يفتح يديه بكبرياءٍ وثقة: لقد قمتُ بتحريرك!.. وسيكون مبلغ المال جاهزاً فور أن أستلم الكتاب...

اقتادهم آرميل إلى مكان الكتاب ، وبعد أن استلمه ألباين ، كان آرميل يرمقه بحذرٍ... مترقباً لحظة الغدر وهجوم الرجال عليه ، حيث كان موقناً بأنه يخاطر بمنح ثقته لألباين... فاستعد ليُظهر قواه الوحشية هذه المرّة...

لكن ألباين أزال شكوكه ، فقد أمرهم بأن يقدّموا له المال ويفكّوا قيوده ، واستلم آرميل صرةً كبيرةً لم يكن يتوقعها...

ولكن الأمر لم ينتهِ بسلامٍ كما بدا للجميع ، فقد قامت مجموعةٌ أكبر عدداً بمحاصرة المكان ، وبعد تهديداتٍ من الطرفين ، هجمت المجموعة الكبيرة على مجموعة ألباين ، فاستغل آرميل الفرصة وركض هارباً أثناء قتال المجموعتين ، وكان يحدّث نفسه: لامجال للتفكير هذه المرة!!

اقترب أحد الرجال من ألباين وهو يومئ برأسه نحو الكتاب: أتينا من أجل هذا!

أحكم ألباين احتضان الكتاب تحت ذراعه ، والغضب يتأجج بداخله: «إنهم رجال أرماند!... لقد علم عن كل شيء!!»

لم يتكلم ألباين ليحافظ على إخفاء صوته وهويته ، وقام بمبارزة ذلك الرجل الذي كان ضخم الحجم وقوياً جداً ، مما جعلها مبارزةً غير عادلة بالنسبة لألباين...

فقد تمكّن الرجل من إسقاطه وطعن بطنه ، ليولّد جرحاً عميقاً ، ثم انتزع الكتاب منه وحاول إزاحة الخوذة عن رأسه ليكشف هويته ، لكنّ اثنين من مجموعة ألباين هبّا لحمايته... فولّى الضخم بالفرار مع مجموعته...

وقام الاثنان بمساعدة ألباين وحملِه إلى حصانه ، بينما هرع البقية للحاق بالكتاب... ولكنهم أُصيبوا بعد مبارزةٍ أخرى ، وتمكّنت مجموعة أرماند من الهرب ، بعد أن حصلوا على مُرادهم...

❁❁❁

في منزل آل بونيفيل...

عندما عاد غيلبرت من مناوبته ، كانت باربرا تقف في حديقة المنزل ، لاستقباله...

رمقها بنظرةٍ خاطفةٍ ، ثم تجاهل وجودها... فسألت وهي تمدّ بشريطة الشعر: لِمن هذه؟

كانت نبرة صوتها حازمةً وكأنها تستجوبه ، التفت غيلبرت إليها وفور أن رأى الشريطة... التقطها منها بعنفٍ وكانت عيناه تشتعلان غضباً: كيف تجرئين على التطفل والعبث بحاجياتي؟!

يبادرها بنبرةٍ حاقدةٍ ومنفعلة: لقد همستُ الآن لم كنت تتعامل مشاعرها.. أنت تعشق فتاةً أخرى!... من تكون؟!

كان خليرت في تلك الأثناء يستحثّ نصرها ، وتركهما دون أن يحبهما ، فاستندت إلى الحائط لتتمالك نفسها من الانهيار والخيبة ، وابتلعت غصتها ودموعها... وكان قلبها يؤلمها بشدة..

ومؤلمٌ أن يكون حبّك من طرفٍ واحد ، والمؤلم أكثر... عندما تكتشف بأن هناك من يسكن قلب معشوقك... »

❁ ❁ ❁

في القصر الملكي..

تم تقديم الكتاب إلى أرماند ، وكان قائد المجموعة يقول له: حصلنا على الكتاب كما أمرتَ أيها الكونت!... ولكن بيون قد هرب ، ولم نتمكّن من معرفة هوية قائد تلك المجموعة ، نرجو أن تسامحنا!

لم يكترث أرماند كثيراً لفشلهم ، فقد كان النجاح باستلام الكتاب ، كافياً ليعفو عنهم...

❁ ❁ ❁

بينما في مكانٍ آخر من القصر..

تسلل ألباين إلى المعبد ، وكان مصاباً والدم ينزف منه ، لكنه لم مع هذا لم يتخلَّ عن كبريائه ، فقد اتجه إلى هناك ليعبّر عن غضبه الشديد وينتقم ، وضع نصل سيفه على رقبة الكاهن: أيها اللعين!... لقد أخبرتَ أرماند عن مخططاتي!!

ذهل أرتشيم وأنكر ذلك: لم أبُح لأي مخلوقٍ عن أي شيءٍ متعلقٍ بك لورد ألباين!

ثم قال: ولكني مع هذا ، لستُ حليفاً لك أو لغيرك!... فلا مصلحة لي بالوقوف مع أي صف..

ثم ابتسم بخبث: سوى من يدفع لي أكثر!

رفعه ألباين من ثيابه بحركةٍ عنيفة: هل دفع لك أرماند إذن؟!

هزّ أرتشيم رأسه نفياً ، فأفلت ألباين ثيابه وابتعد عنه خائر القوى ، خطا الكاهن نحو المنضدة ، ثم قام بإعداد بعض الأعشاب والضمادات وهو يقول: فلنُضمّد لك جرحك حتى لاتسوء حالتك أكثر!

وأثناء تضميده لجرح ألباين ، قال أرتشيم: لاتنسَ بأن الكونت أرماند ليس نِداً سهلاً!... فجميع مرتادي البلاط ، بما فيهم الحرس الخاص ، وكذلك الجيش ، تحت إمرته وسيطرته ، ولايخفى عليك بأن حلفاءه وجواسيسه منتشرون في كل مكان!

ثم قال وهو يُقدّم له ثياباً جديدةً بدل ثيابه الملطّخة بالدماء: ليس الكونت أرماند فحسب.. إذا كنت تفكر بمواجهة آل بونيفيل ، فإنك ستواجه خصماً كبيراً!... كبيراً جداً سيرجنت ألباين!

كان ألباين يحدّق بعينيه بحدةٍ وهو يفكر... ثم سأله: أنت تعرف شيئاً ما ، مالذي يُخيفك منهم إلى هذا الحد؟... تكلّم!!

أرتشيم: هناك أمرٌ مريبٌ للغاية ، لاأعتقد بأن أحداً آخر قد لاحظه سواي...

وبعد ترددٍ قال: أعتقد بأن آل بونيفيل لايشيخون ، أو ربما... هم يشيخون بطريقةٍ أبطأ!

سأله ألباين بانفعال: كيف ذلك؟.. مالذي تقصده؟!

فَرَك أرتشيم يديه ببعضهما وهو ينظر بزاوية عينيه محاولاً التذكّر: الدوق إيبير... وكذلك أرماند ، لايزالان كما هما منذ أول مرةٍ التقيت بهما في البلاط!... أي منذ أكثر من ثلاثين سنة!.. ولم تظهر عليهما حتى الآن إلا علاماتٌ بسيطةٌ للتقدّم في العمر!

ذهل ألباين وظلّ مُبحراً في عينيّ الكاهن ، اللتين كانتا تخفيان خلفهما أسراراً وطمعاً في المزيد من المال ، وكأنه قد رمى إليه بطعمٍ عبر ذلك اللغز المحير ، ليدفعه للبحث أكثر... ولدفع المال أكثر...

في صباح اليوم التالي..

في منزل آل بونيفيل..

كانت أغلاي في شرفتها ، منهمكةً في عملها بحياكة الفستان الذي ستقدمه الأميرة ديميتير هديةً إلى الملكة ، وفي ذات الوقت ، كانت الدوقة ميرابيل تقف في شرفةٍ أخرى من المنزل ومعها باربرا ، وكانتا تشاهدان أغلاي من بعيدٍ وتتحدثان...

ميرابيل: إنها تسهر ليالي على ذلك الفستان... يبدو أنها في عجلةٍ لأجله...

كانت باربرا تعقد ذراعيها وتُميل رأسها: مهما فعلت تلك الفتاة... فإنها لن تصل إلى المستوى الذي تحلم به ، لأنها ليست نبيلة الأصل!

رمقت أغلاي بنظرةٍ حاقدة: أجل ، إنها لاتزال ابنةً غير شرعيةٍ... من أمٍ بشريةٍ عامية ، الترف والدلال الذي تحظى به هنا ، جعل الغرور يطغى عليها ويُعمي عينيها... عن حقيقة من تكون!

في تلك اللحظة ، شاهدتا إيمانويل يدخل إلى حجرتها ، ورأتا أغلاي تنهض سعيدةً بقدومه...

القصر الملكي...

كانت الملكة أفروديت في المجلس الملكي تجتمع مع أحد الوزراء ، حتى وصلها خبر هروب المحتال بيون بيكارد ، فابتسمت متعجّبةً: يالجرأته!... لم ينتظر إلى حين محاكمته!... ربما كنتُ رحيمةً معه أكثر من اللازم!

ثم أومأت إلى بارنباس: وجّه لقائد الحرس بمعاقبة الحراس المسؤولين عن الواقعة ، بالإضافة إلى تكثيف الحراسة!

انحنى بارنباس تلبيةً لأوامرها ، ثم أخبرها بأن الأمير أرجوس وقادة الجيش بانتظارها من أجل مناقشة بعض الأمور المتعلقة بالخطط والتجهيزات ، فرفعت يدها وأمرت بإدخالهم..

في منزل آل بونيفيل...

دخل إيمانويل إلى حجرة أغلاي ، ولكنّ ابتسامتها اختفت عندما لاحظت الغضب في عينيه...

قال بنبرةٍ جادّة: إن أسلوب تخاطبك مع الدوقة لم يرضِني!... لقد قمتِ باتهامها بشكلٍ مباشر ، وقد أخطأتِ عندما تحدثتِ معها عن الموضوع ، لأني قمتُ بتسوية الأمور مُسبقاً بطريقتي... وأنتِ أفسدتِ كل شيءٍ الآن!

تذكّرت أغلاي كلمات الدوقة ميرابيل الأخيرة:

التي تكرين الجميل!... ولاتستحقينه!... تذكّري بأنني أنا من صنعك!... وقدّمك إلى مجتمع
النبلاء والى الطبقة الأرستقراطية!... وأنا من سيجعلك تغادرين تلك الطبقة!!)

ثم صاحت به غاضبةً: لقد قامت تلك المرأة بتهديدي!!

قام إيمانويل بصفعها ، فالتفّ وجهها للناحية الأخرى... وأمسكت بوجنتها متألمةً...

كانت نبرة صوته مخيفةً هذه المرة: لن أسمح لأي أحدٍ بتقليل احترامه للدوقة ميرابيل ، لأنها
بمثابة والدتي!

الأمر الذي جعل أغلاي تتألم بداخلها وتتظاهر بالتماسك أمامه إلى أن غادر ، فاتجهت نحو
الفستان الذي كانت تعمل عليه ، وجثت أمامه... لتبكي بحرقة...

كانتا ميرابيل وباربرا تشاهدان كل ذلك من بعيدٍ دون أن تتمكنا من سماع الحوار ، فتساءلت
باربرا: عن ماذا يتشاجران؟

ابتسمت ميرابيل بثقةٍ ورضى: أعتقد بأنني أعرف!

انتبهت أغلاي إلى صوت ضحكاتهما من بعيد ، فرفعت رأسها... لتراهما على الشرفة الأخرى ،
فنهضت على الفور وأغلقت ستائرها ، ولكنهما لازالتا مستمرتين بالضحك...

باربرا بأسلوبٍ لبق: يجب أن تراقبي أبناءكِ وأبناء الجنرال إدغارد جيداً حينما يكونون بالقرب
منها ، فهي لاتزال بشريةً ، دوقة ميرابيل!... ورائحة دمائها تفوح في ممرات المنزل!

ثم قالت وهي تعبث بالمجوهرات التي تُزيّن معصمها: سيأتي يومٌ تكسر فيه تلك الفتاة جميع
قواعد العائلة!

ظهر الاهتمام على وجه ميرابيل ، والتفتت إلى شرفة أغلاي بعينين متحفّظتين: أنتِ محقّة!

❁❁❁

(بانسيلينوس - مولنيا)

نظرت داناي إلى السوار القشي الممزق ، ولاحظت بأن الزمن قد أتلفه... وكعادتها كانت تقوم
بتغيير القش كل فترة ، فقامت بإزاحته عن معصمها بعناية ، ولكن هذه المرة ، بدأت بغزل سوارٍ
جديدٍ من خيوط الصوف ، ثم قامت بتعليق الكرة الزجاجية الحمراء عليه ، وابتسمت وهي تحدّق
به بنظراتٍ حالمة: قد يُعجبك شكله أكثر هكذا ، يا أرام!... سامحني لأني قررت الاستغناء عن
القش ، فهو يتلف بسرعة...

قاطعتها إحدى المزارعات متذمرةً: ننتظر عودة الآنسة دليا ، لوجود مشكلةٍ في المحاصيل!

وقال مزارعٌ آخر: كان يجدر بها أن تُعيّن نائباً أفضل من كبير المزارعين ، عديم المعرفة!

نهضت داناي: فلنتماسك حتى تعود الأنسة من لورديورا... سنحاول التوصل إلى حلٍ بأنفسنا ، إنها تثق بنا!

❀ ❀ ❀

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

في القصر الملكي..

بعد أن أنهت أفروديت اجتماعها بقادة الجيش ، بقي الأمير أرجوس برفقتها ، وخلفه كان يقف نوي...

أرجوس بامتنان: أشكر جلالتك على الجهود التي تبذلينها ، لقد كان اجتماعنا لهذا اليوم مهماً... وقد قام القادة بالإدلاء بآرائهم التي حددت الكثير من أساسيات خطتنا العسكرية!

أومأت أفروديت برأسها برضىً ثم لاحظت صمت أرجوس بعدها ، وانحناء نوي له قائلاً: أرجو أن تأذن لي بالانصراف سمو الأمير!

أذِن أرجوس لتابعِه الذي يفهمه جيداً ، وانتبهت الملكة بأن الأمير كان يرمق مسؤول القصر بارنباس بتحفّظ ، ففهمت وطلبت من بارنباس الانصراف مع الحراس وتركهما بمفردهما ، ثم التفتت إلى أرجوس وسألته: يمكنك أن تخبرني الآن ، مالذي تود قوله سموك؟

تنهد بخِفّة: يبدو أنها أيامي الأخيرة في أرض بانسيلينوس ، ولكنني...

تفاجأت عندما مدّ يده وأمسك بيدها بكل جرأةٍ متخطياً كل الحدود!... واحتضن يدها بين يديه متأملاً عينيها بعمق: ولكني أعدك ، بعد أن أجلس على عرشي ، بأني سأعود لرؤية عينيكِ!

ذهلت أفروديت مما تسمعه ، وظلّت مشدوهةً ولم تنطق بشيءٍ... حتى أدركت بأنه لايزال يحتضن يدها ، فقالت بتحفظٍ وبنبرةٍ جادةٍ ، تُخفي حرجها الشديد: عذراً سموك!... يديك!

انتبه أرجوس بعد أن كان سارحاً في عينيها ، وأفلت يدها وهو يحني رأسه مرتبكاً: أعتذر بشدةٍ على وقاحتي!

نهضت أفروديت ، فنهض معها احتراماً ، ووقفت أمامه وقالت بحزم: عدونا واحد!... وهذا التحالف مهمٌ بالنسبة لمستقبل مملكتينا ، وليس لشخصينا!... سننتصر على بيلزبيل وستعتلي عرشك ، وسيكون هناك شعبٌ وأرضٌ لتحكمها بعدل!... وستكون العاطفة هي آخر ماتحتاجه حينها ، لأنها ستُشتتك وتُضعفك ، لذا من الأفضل التخلص منها مبكراً...

ثم قالت بصوتٍ تملؤه الهيبة: آمل أن تُوفّق في المرحلة القادمة ، سمو الأمير!... لأنها لن تكون سهلة!

ثم أخذت رأسها بلباقة لتُعلن مغادرتها للمجلس الملكي ، وتتركه يقف مذهولاً ومُلهماً من نظراتها الرائعة ، وكلماتها المقلانية البحتة...

❁ ❁ ❁

(رومبيانيا ـ العاصمة كليوزهيست)

كان الملك بيلزبيل من الناحية الأخرى ، يجتمع بقادة جيشه ، يضعون خطط الدفاع ويحفرون الخنادق وينصبون الأفخاخ التي قد تساعدهم في صدّ جيش أفروديت ، وتمنع جنودها من التوغل في أراضي رومبيانيا ، وعلى الرغم من أن رومبيانيا تتميز بامتلاكها أسطولاً بحرياً عظيماً... إلا أن علمهم بأن جيش بانسلينوس قويّ ويصعب مجابهته ، جعلهم يتأهبون بأقصى إمكانياتهم ، لأن الأسلحة والمدافع التي تمتلكها بانسيلينوس أكثر جودةً وعدداً ، فهي مملكة مناجم الحديد قبل كل شيء...

رسم بيلزبيل خطاً في البحر على خريطةٍ أمامه: سنُركّز أسطولنا الدفاعي هنا ، بقيادة أنارغيروس ، يجب أن نُغرق سفنهم قبل أن يحاولوا الوصول إلى الساحل...

أنارغيروس: بالرغم من أن مدافعهم كثيرةً وقوية ، لكن سفننا ستكون أكثر من سفنهم!... اطمئن جلالتك ، فستنتهي الحرب في البحر...

بيلزبيل منزعجاً: لقد منحناهم مجموعةً من سفننا عندما سلّمونا أرجوس في عهد أليكساندروس ، والآن سيستخدمون تلك السفن ضدنا!... يالللغدر!

ثم أشار إلى اليابسة آمراً: تريتون ، ستتولى حماية الساحل...

ثم أشار إلى كليوزهيست: وأنا سأحمي العاصمة ، وفور أن تضعف قوات أحدكما يجب أن يرسل إلينا لنزوّده بالإمدادات..

ثم رفع رأسه عن الخريطة وأحكم قبضته: ستكون حدود رومبيانيا قبراً لأرجوس ولكل متمادٍ يحاول أن يطأ أرض رومبيانيا!

ثم قال: وستخسر أفروديت جيشها وتعضُّ أصابع الندم ، عندما تطأ أقدام جنودي أراضي بانسيلينوس!!

❁ ❁ ❁

(بانسيلينوس ـ العاصمة لوردبور)

في منزل آل بونيفيل..

كانت أغلاي تسترق النظر إلى عمّيّ إيمانويل على مائدة الغداء ، ولكنه لم ينظر إليها قطّ... وكأنه يتجاهلها تماماً ، تساءلت بخيبةٍ ولاتزال تشمر بصفعة يده على خدها: «هل يعاقبني

بتجاهله هذا؟... إنه يقتلني هكذا!... هذا الألم بداخل قلبي لايُحتمل!»

انتبهت إلى نظرات باربرا ، وابتسامتها الساخرة ، وتلك الأنياب الصغيرة التي كانت تبرز من خلالها ، وكأنها كانت تُذكّرها بألم تلك الصفعة...

وانتبهت أيضاً إلى كبرياء الدوقة ميراييل ، التي كانت منشغلةً بتناول طبقها وتجرع ذلك الكأس الدموي ، بينما تتبادل الأحاديث مع الجميع ، باستثناء أغلاي...

لم تنسَ أغلاي كيف كانتا تضحكان سخريةً منها في ذلك اليوم ، ولم تستطع إكمال طعامها ، فنهضت وهي تنحني مستأذنةً... واتجهت نحو حجرتها ، متمنيةً في تلك اللحظة... لو أن إيمانويل يرفع عينيه... وينظر إليها...

بعد الغداء ، أمسكت باربرا بيد فيوليت وجذبتها إلى مكانٍ منعزلٍ وقالت لها وهي تحاول السيطرة على غضبها: أخاكِ يعشق فتاةً أخرى!!

ذهلت فيوليت ، فسألتها باربرا وهي تضغط على أسنانها: أخبريني من هي؟!

صمتت فيوليت للحظةٍ ثم قالت متعجبةً: لاعِلم لي!..من أخبركِ عن هذا؟

تنهدت باربرا: لقد وجدتُ شريطة شعرٍ كان يخفيها في حجرته!... ويبدو أنها قديمةً جداً...

ثم قامت بهزّ كتفي فيوليت وهي تشتعل غيرةً: هذا يعني بأنه يحبها منذ زمنٍ طويل!!

❀❀❀

(بانسيلينوس ـ العاصمة لورديور)

القصر الملكي...

بعد مغادرتها المجلس الملكي ، أمرت أفروديت باستدعاء الحارس ليون إلى جناحها ، وقالت: ليون!... لقد التقيتُ بقادة الجيش هذا اليوم... وقام أحدهم بترشيحك للانضمام ، وأثنى على مهاراتك القتالية ، وأكدّ على حاجة الجيش لها!... لذا ، ستترك حراستي لفترةٍ مؤقتة ، وستذهب مع الجيش إلى رومبيانيا!

تفاجأت زوي عندما نجحت محاولتها بالطلب من القائد بالتوسّط لها عند الملكة...

ابتسمت أفروديت وكانت تعلم عن شدة رغبة حارسها بالمشاركة في الحرب: يمكنك أن تستعد الآن!

أخرجت زوي سيفها وثبتته على الأرض وانحنت على ركبتها: سأهَبُ روحي لخدمتكِ ولخدمة الجيش!.. جلالة الملكة!

❀❀❀

بينما في مكانٍ آخر من القصر...

في مكتب الكونت أرماند..

وقف أرماند أمام المدفأة وقد ألقى فيها الكتاب بعد أن قرأه ، وظلّ يحدّق به وهو يشتعل ، وكان بقف خلفه بيلموت... الذي قال ساخراً: لافائدة من حرقه ، فذلك المحتال قد قرأه وهرب ، و قريباً سيظهر سرّ العائلة للبشر...

ثم ابتسم بخبثٍ وهويلعق شفتيه: وستبدأ الإثارة الدموية!

❁❁❁

بيلموت ساخراً: لافائدة من حرقه ، فذلك المحتال قد قرأه وهرب ، و قريباً سيظهر سرّ العائلة للبشر...

ثم ابتسم بخبثٍ وهويلعق شفتيه: وستبدأ الإثارة الدموية!

أرماند: لاتتلهف كثيراً!... فلم يتوصّل الكاتب لهويتنا الحقيقية... لكنه كشف الكثير عن خصائصنا المختلفة ، أننا نتقدم بالعمر بمعدلٍ أبطأ من البشر ، إضافةً إلى تحسسنا من الثوم ، وتميُّزنا بسرعة الحركة ، كل هذه الأمور لاتعدّ ذات أهمية ، إلا أنها تُنبّه بأن لدينا سراً نتحفظ عليه ، وذلك يدفع الآخرين إلى الفضول ومحاولة الاكتشاف...

ثم نظر إلى بقايا الكتاب المشتعل في جوف نيران المدفأة ، وقال وهو يعقد يديه خلف ظهره: لذلك من الأفضل إزالة هذا الكتاب للأبد!

قال بيلموت بعد تنهيدةٍ متهكمة: لا أعلم مالذي يخيفكم كثيراً من البشر؟!... يبدو أن هذا القَمع من الجد إيفرانور... جعلكم تتسون بأننا نحظى بقوىً خارقة لايستطيع البشر مجابهتها ، فضلاً عن قدرتنا على قتلهم بمجرد عضّهم وشرب دمائهم!!

أرماند: إنه الحذر يا بيلموت!... ليس المنتصر من يملك القوة ، إنما المنتصر من يحذر ويفكر جيداً!

ثم التفت نحو بيلموت وخطا باتجاهه بخطواتٍ ثابتة: لاتستصغر عقول البشر!... فإذا فكر البشر جيداً وتوصّلوا إلى نقاط ضعفنا... فلن تشكل قوانا الخارقة تحدياً بالنسبة لهم!

ثم أشار إلى قلب بيلموت وضغط على صدره بقوة ، وكان بيلموت يحدّق بعينيه بصمتٍ... وقد فهم مقصده...

❁❁❁

في القسم العسكري...

عندما عادت زوي إلى المهجع... تفاجأت عندما جذبها ألارد إلى زاويةٍ بعيدةٍ وأمسك بكتفيها بقوةٍ وأخذ يهزّهما بغير رضى: سمعتُ بأن الملكة قررت إرسالكِ مع الجيش!!... هل أنتِ مستعدةً لخوض الحرب مع الرجال يازوي؟!!

أومأت زوي برأسها بنبرةٍ واثقة: أجل!

لم يكن وجه ألارد مرتاحاً على الإطلاق... ولم يتضح على عينيه سوى القلق هل تدركين حجم الخطر الذي أنتِ ذاهبةٌ اليه؟!

ثم استقام في وقفته ونصب ظهره وقال بجدية: سأطلب من القائد إعفائك من المشاركة لضعف بُنيتكِ الجسدية ، سأخبره بأنكِ جنديٌ غير مؤهل!

وقبل أن ينطلق ، عقدت زوي حاجبيها وجذبت ذراعه وهي تقول بنبرةٍ صارمة: لقد أمرت الملكة بذلك وأنا راغبةٌ ومستعدةٌ لتنفيذ أوامرها!... لاتقلل من شأن قدراتي ومهاراتي القتالية يا ألارد ، والتي أثنى قادة الجيش بأنفسهم عليها!

صمت ألارد ، وكانت تحدّق به وهي تفكر بانفعال: «لاتُقلّل من قدراتي يا ألارد ، فإنها تتجاوز حدود إدراكك!»

كان ألارد يشعر بالمسؤولية تجاه حمايتها: مادمتِ مصرّةً على هذا ، سأكون إلى جانبك إذن!

نظرت إلى عينيه القلقتين ، وحدثت نفسها: «وذلك هو كل ما أتمناه... فقط!»

كانت تعلم بأنها هي التي ستحميه بقواها التي تفوق قوّته أضعافاً ، وفي تلك الأثناء ، قطع تفكيرها رائحة الدماء القوية التي لامست أنفها ، فالتفتت لترى ألباين يدخل إلى المهجع ، ولاحظت زوي بأن رائحة الدماء تفوح منه ، ولكنها ترددت في سؤاله عن سبب الإصابة ، فمن الواضح بأنه يحاول إخفاء موضع إصابته المضمّدة تحت ثيابه العسكرية...

ألباين: لقد أعلن القادة بأننا سننطلق غداً ، سيرجنت ألارد!... وستقام وليمةٌ لتوديعنا هذا المساء!

❁❁❁

في نهاية النهار..

في منزل آل بونيفيل...

صعدت سيدات العائلة إلى العربة لحضور المأدبة التي تقام في القصر على شرف الجيش ، وكانت الدوقة ميرابيل تنظر إلى ذلك الصندوق المسطّح الذي تحمله أغلاي بين يديها ، وسألتها: ماذا بداخل الصندوق؟

لم تلتفت أغلاي إليها ، وقد كان يتضح من نبرة صوتها بأنها تشعر بالضيق ، عندما أجابت على مضض: إنها بعض الثياب التي أعددتُها لإحدى الآنسات..

وخلال انطلاق العربة ، كانت الأجواء متوترةً بينهما... حتى بدأت فيوليت بالحديث لتهدئة ذلك التوتر ، فقالت بينما تُطلّ من النافذة الصغيرة: انعكاس ألوان الغروب على لون أوراق الخريف المتساقطة ، جميلٌ جداً!... أغلاي انظري!

ابتسمت أغلاي للطافة فيوليت... واقتربت لتطلّ من النافذة ، كان ذلك اللون الخريفي يعيد إليها ذكرياتها الجميلة مع أصدقائها المتسولين ، عندما كان يصحبهم أبراكساس إلى الريف لجمع الحطب استعداداً للشتاء ، صوت بكاء ياني ، وتذمّر أريس من جوعه ، وضحكات رايموند المشاكسة عندما يمازحها بعنف ، ونزاعاته المتكررة مع آرميل ، هدوء أرام ، وانعزال زوي ، وقوّة

الأرض على حمل أكبر كمية من الحطب . إنها لاتستطيع أن تحتمل بأن أصدقاءها قد يلحقون بها يوماً... كما تفعل أسرة مونبيليه . وكما يفعل عشيقها... إيمانويل...

* * *

بينما في القسم العسكري...

عندما كان ألباين يسير في إحدى الممرات أعزل من السلاح . متجهاً لحضور المأدبة بالقصر . تماماً عندما هجم عليه أحدهم... وقام بدفع وجهه نحو الحائط وثبيته بسرعة قبل أن يتمكن من مقاومته . مما جعل ألباين يذهل من قوته العظيمة . وحاول الالتفات ليرى وجه خصمه . ثم قال حانقاً: غيلبرت مونبيليه!... ماالذي تحاول فعله؟!

مدّ غيلبرت يده الأخرى وضغط بها على جرح ألباين بقوة وهو يقول: ابقَ بعيداً عن عائلتنا... لأنك إن لم تفعل . فلن تلقى مصيراً مُشرّفاً كأجدادك . فستكون نهايتك كجثة معفنة!

ثم أكّد على الكلمة الأخيرة هامساً في أذنه: إنني أعنيها تماماً يا ألباين . «معفنة»!

كان ألباين يتألم من ضغطات يد غيلبرت على جرحه الذي لم يلتئم بعد . ولم يتمكن كذلك من مقاومة قوته الهائلة . لكنه ظلّ متماسكاً واستمر بالتحمّل . ولم يصرخ أو يعبر عن ألمه . ولكنّ العرق الذي غطى وجهه... كان كفيلاً بإظهار مقدار ذلك الألم...

كان غيلبرت يشتمّ رائحة الدماء التي سالت من جرحه . فابتعد عنه مهدداً: كن حذراً فإننا نراقبك جيداً يا ابن مونبيليه!

رمقه ألباين بحدةٍ حتى رحل . وكان يضع يده على الجرح الذي بدأ بالنزف مجدداً . وتوجّه غاضباً إلى المعبد ليخنق أرتشيم الذي استسلم رافعاً يديه واعترف مجيباً: لقد شاهدك اللورد غيلبرت ليلة خروجك من المعبد بعد أن قمتَ بتضميد جرحك . وقد لاحظ بأنك كنت مصاباً!

رد ألباين بغضبٍ وهو يدفع أرتشيم نحو الوراء: هذا محال!!... لقد كنت أخبئ وجهي باللثام . وكذلك أخفيت إصابتي جيداً . فلايمكن لأحدٍ أن يلحظها!... لقد حدّد غيلبرت مكان الجرح بدقة . وعرف هويتي رغم اللثام!... لأنك أخبرته!!

أرتشيم: لم أخبره عن مكان الإصابة . ولاأعلم كيف لاحظها . فقد قدم إليّ وهو موقنٌ سلفاً بأنك مصاب!... ولكنه أجبرني على الحديث بالقوة . للإعتراف عن هويتك . وعندما رفضتُ الإفصاح . قدّم لي مالاً... أكثر مما قدمته لي . سيرجنت ألباين!... وتعلمُ بأن المال هي لغتي التي أتحدث بها...

دفعه ألباين بعنف: أيها الوغد المخادع!!

جلس إرشليم وقام بتعديل قبعته جيداً ثم مشى بجوار أغلاي مهدداً إياه من أن يتجاوز كلمة
واحدة ولن أرى بسببك... فإنني تحت حماية الملكة!!

يرمقه أغلاي بغضب وكان يتنفس بسرعة وحرارة وكأنه ثور هائج. ثم تنهد وغادر المكان...

* * *

في القصر الملكي. جناح الأميرة ديميتير..

تدخل الأميرة مربيتها تيودري مشيرة إلى الصندوق الذي تحمله أغلاي قائلة: سيتم تسليم هذا
الصندوق إلى جناح الملكة... وقدميه كهدية باسمي إلى جلالتها. لترضيه الليلة!

ثم ابتسمت لأغلاي مرضيةً. وكانت عينا تلك الأخيرة متلهفتين للغاية...

وفي بداية الأمسية. كانت أغلاي تترقب ظهور الملكة مع جموع النبلاء الذين كانوا ينتظرون
حضورها. وبعد لحظات ظهرت أفروديت وهي ترتدي الفستان الذي قامت أغلاي بالسهر على
حياكته طوال الليالي الماضية. ولم يكن شعور أغلاي خفياً في تلك اللحظة... فقد كانت عيناها
تلمعان بسعادة الإنجاز. وابتسامتها الواسعة تحكي تحقيقها لحلم قد بدأ بالإشراق للتو...

التفتت إلى ديميتير لتشاركها هذا الشعور. فبادلتها الأميرة بتلك الابتسامة. ثم وقفت أمام
الملكة: أرى بأن الفستان قد أعجبك!

ابتسمت أفروديت: إنه جميل. أشكرك على هذه الهدية يا ديميتير!

انزاحت ديميتير لتُقدّم أغلاي: هذه هي البارعة التي قامت بحياكته. والتي يتحدث الجميع عن
مهارتها. اسمحي لي بأن أقدمها لك... إذا كنتِ تذكرينها. أغلاي بوغيل!

انحنت أغلاي باحترام. وكان قلبها يخفق متوتراً عندما أشارت لها أفروديت بإيماءة مُكتفية على
عملها. ونظرت أغلاي إلى صديقتها ذوي الواقفة خلف الملكة. والتي بدورها قدّمت التشجيع
لصديقتها من خلال ابتسامتها الصامتة...

أفروديت: أديلايدا... قدّمي للآنسة أغلاي بعض الأقمشة لتحيك لي فستاناً آخر!

غمرت السعادة أغلاي وانحنت مرةً أخرى. ثم التفتت نحو ديميتير التي ظهرت على وجهها
علامات النصر. وكانت عينا الأميرة تخبرانها بأنها قد نوفت بوعدها. فأظهرت لها أغلاي
امتنانها. فهاقد جملتها ديميتير تصل إلى الملكة. وتحظى بإعجابها...

بينما في ناحيةٍ أخرى. وقفت ميرابيل إلى جوار باربرا وهما تحدّقان بذهولٍ بفستان الملكة...

ميرابيل: أليس ذلك هو الفستان الذي كانت تعمل عليه أغلاي طيلة الأيام الماضية؟

حاولت باربرا كتم غيظها: أجل. ولكن... لمَ تخفي عنا شيئاً كهذا!... ربما كانت تظن بأننا

سنتدخل لنفسد خططها الطامعة ، وكأننا نكترث!

تذكرت ميرابيل الصندوق الذي كانت تحمله أغلاي في العربة: لقد قالت بأنها ثياب أعدّتها لإحدى الآنسات ، تلك الكاذبة!... أنها تطمح لشيءٍ وتحاول إبعادنا عن طريقها!

كانت باربرا تشاهد أغلاي والأميرة وهما تقفان سوياً ، ثم همست لفيوليت التي كانت ترافقها: إنها تصبح مقربةً من ديميتير يوماً بعد يوم!... تلك الأميرة تخلت عنك!... انظري مالذي كسبته من تملّقكِ لها طوال تلك السنين!... لم تعد تنظر إليكِ الآن أو تغدقك بالهدايا ، فقد وجدت بديلةً أفضل منك!

بدأت الرقصات على إيقاع النغم ، واقتربت باربرا من أغلاي وهي تعقد ذراعيها أمامها: أصبحتِ الآن تتساقين وراء المتعجرفة ديميتير... إنها ستستغلك كخاتمٍ في إصبعها ، وستستبدلك في أي لحظةٍ ، كما فعلَت مع فيوليت...

أغلاي بثقة: إذا كنتُ خاتماً في إصبع أميرة... فذلك يعني بأن خواتم الأميرات ثمينة!.. إنني أبحث عمّا يرفع قيمتي ، يا باربرا... وذلك هو الذكاء بعينه!

ثم قالت ساخرةً: أخبريني ماهي قيمتي الآن بالنسبة لآل بونيفيل؟... والتي تكررينها أنتِ وإياهم على مسمعي دائماً...

باربرا بنبرةٍ مُهينة ومؤكّدة: أجل ، ستظلّين بشريةً ، عاميةً ، ولقيطة!

رمقتها أغلاي بنظراتٍ متعاليةٍ ومتوعدةٍ بأن مصيرها سيتغير إلى الأفضل ، ثم تركتها...

فلحقت بها فيوليت لتقول بتردد: أنا آسفةٌ إذا كان هناك من يؤذيك من أفراد عائلتي...

تنهدت أغلاي وهي تهدّئ من غضبها: لايتوجب عليكِ أن تعتذري نيابةً عن أحدٍ يافيوليت... فأنتِ فتاةٌ طيبة!

فيوليت: أتمنى ألّا تكون كلمات باربرا قد أغضبتكِ... لكنّ ما قالته صحيحٌ فعلاً ، عليكِ أن تحذري من الأميرة ديميتير ، خاصةً عندما لاتكون راضيةً عنك!

لم تُلقِ أغلاي بالاً لكلماتها تلك ، فقد كان ذهنها مشغولاً ، عندما نظرت إلى إيمانويل من بين الحشد... والذي كان مستمراً بتجاهل وجودها ، ولاحظت فيوليت نظرات أغلاي الخائبة... فالتفتت هي الأخرى إلى معشوقها الأبدي ، وبالرغم من أنها لاتتمنى السوء لأحد... إلا أنها هذه المرة ، استسلمت لغيرتها ، وتمنّت... ألّا يلتفت إيمانويل إلى أغلاي مجدداً...

ولكنّ أغلاي ابتهجت من خيبتها ، عندما اقترب ألارد وزوي منها ، وكان بصحبتهما ياني... الذي قام باحتضانها: لقد أصبحتِ أجمل ، منذ آخر مرةٍ ودّعتُكِ فيها... في أورانوس!

أغلاي: وأنت تبدو أنيقاً بهذا الزي!... لقد سمعتُ عمّا جرى لكما ، أنت وآرميل ، ويؤسفني هذا...

أوما ياني برأسه حزناً: أجل ، أخبرتني زوي بأن أخي آرميل استطاع الهرب قبل أن ينقلوه إلى السجن!... ولكني سألتزم الصمت كما أوصيتموني ، ولن أحكي شيئاً عنه ، حتى لايمسكوا به مرةً أخرى!... أتمنى فعلاً ، أن يكون أخي آرميل بخير!

ربّت الارد على كتفه بإعجاب: لقد نضجتَ يا ياني وأصبحتَ مستقلاً!... فها أنت تُقدّم عملاً فنياً مهماً لجلالة الملكة!

زوي ممازحةً: استقرارك في مزرعة مونبيتيت ، واعتناء الآنسة بتعليمك ، أنت تحصل على حياةٍ أفضل منا!

خجل ياني من ذلك الثناء ، ثم أشار إلى داليا التي كانت تقف مع شقيقها في الناحية الأخرى: تلك هي الآنسة داليا!... وأنا أحبها كثيراً!... وأقضي أوقاتاً ممتعةً في مزرعتها ، فهناك العديد من الخيول التي ألاعبها... وأيضاً...

ثم قال: لم أخبركم بأن داناي تعتني بي هناك ، إنها تعمل في الحقول وفي خدمة آل مونبيتيت ، ستكون سعيدةً عندما تعلم بأنني التقيتكم!

ونظر إلى أغلاي: ورايموند أيضاً ، إنه يعيش مع عصابته في مولنيا... ويسأل عنكِ يا أغلاي!

كانت سعادتهم لاتوصف عندما نقل لهم ياني تلك الأخبار ، فقد اطمأنوا على أصدقائهم القدامى ، ولكن أغلاي لم تكترث كثيراً عندما أتى على ذِكر رايموند ، فهناك من يسكن قلبها الآن... ويُعذّبه...

❁❁❁

كانت داليا تتحدث إلى ألباين: سعيدةٌ لأن ياني عثر على أصدقائه!... ومع هذا فإنه من المؤسف ألّا يلتقي بأكثر صديقٍ يتوق لرؤيته ، والذي يدعى آرميل!

ألباين: ليون والسيرجنت ألارد هم أصدقائي أيضاً ، هذا يشفع لذلك الأشقر الآن... بأن يكون مرحّباً به في مزرعتنا!

داليا: بالرغم من أنك أسأت ليافي في زيارتك الأخيرة ، ولكن من الجيد بأنك لم تحاول طرده من المنزل ، فلن يغفر لك أصدقاؤك حينها...

ألباين بريبة: ألاحظ بأنكِ تولينه اهتماماً أكثر من اللازم ، أتمنى أنكِ لم تقعي في عشقه ، لأنني لن أسمح بحدوث ذلك!

تصنّعت داليا ضحكةً ساخرة: ماذا؟... كلا ، لايمكن أن يحدث شيءٌ كهذا!... إنني أهتم به

بداخل الإنسانية فتعلل ، فشخصٌ مثله لن يتمكن من العيش إذا لم يعش به أحد!

نظر إليها بجدية: على كل حال ، ليس هذا مايهمنا الآن ، أريدك أن تعلمي بأن هناك أسرارا مريبةً يحاول آل بونيفيل إخفائها ، إنني متأكدٌ بأن والدنا قُتل على أيديهم ، وسأحاول إثبات ذلك!... ولكنهم يترصّدون لي ، ويهددون بقتلي...

أرعت دليا انتباهها لما يقوله ، فأردف: فإذا انتهت حياتي ، ستكملين هذا المشوار من بعدي..

لم تَرُق جملته الأخيرة لها ، وكان الخوف والقلق يتّضحان في عينيها: ألباين!

وضع يديه على كتفيها ، وكانت عيناه تودعانها: عزيزتي دليا ، سأنطلق غداً مع الجيش إلى رومبيانيا ، أرجو أن تعتني بالمزرعة جيداً ، وألّا تقلقي عليّ... فدعواتكِ ستحميني!... سأكتب لكِ ، وسأعود إلى مولنيا بعد أن نحقق النصر!

ثم قال: وإذا لم أعد ، فثقي بأنني قد شرّفتُ اسم مونبيتيت!

أخذت دليا نَفَساً عميقاً لتهدئة توتّرها ثم همست: ستعود سالماً يا ألباين!... سأنتظر رسائلك ، وسأدعو لك ، وسأبقي ثقتي بك قوية!

❀❀❀

اصطحب ألارد ياني ليتحدثا مع ألباين وشقيقته ، والتفتت أغلاي إلى زوي بنبرةٍ قلقة: أنتِ ذاهبةٌ إلى رومبيانيا إذن!

ابتسمت زوي برقّة: أرجوكِ لاتقلقي علي!... سأكون بخير!

نظرت أغلاي إلى عيني صديقتها: اعتني بنفسك جيداً يازوي ، سأنتظر عودتك سالمة!

ثم أخذت نفَساً عميقاً وابتسمت: لقد جلبتُ معي هديةً لك!... أودّ أن تقومي بتجربتها قبل رحيلك...

زوي متهكمةً: أتمنى ألّا تخبريني بأنكِ قد قمتِ بحياكةِ شيءٍ ما...

أومأت أغلاي بابتسامةٍ عريضة ، ثم قالت بلهفة: بالفعل ، لقد حِكتُ لك فستاناً.. وأرغب برؤيتكِ ترتدينه!

ذهلت زوي: هذا مستحيل!... هل تريدين أن يتم إعدامي عندما يرى أحدهم حارس الملكة يرتدي فستاناً؟!

هزّت أغلاي رأسها نفياً: كلا ، سنقوم بتجربته بعيداً عن أعين الناس..

وقامت بجذبها إلى إحدى القاعات الخالية...

زوي بتوتر: أنا ممتنةٌ لك يا أغلاي!... ولكن ليس هناك حاجةً لارتدائه الآن!

لكن أغلاي أصرّت: هيا!... يجب أن أراه عليكِ فقد يحتاج بعض التعديلات!

نزعت زوي ثيابها العسكرية على مضضٍ... وقامت أغلاي بمساعدتها على ارتداء الفستان ، وأثناء ذلك ، لاحظت ذلك الوسم على كتفها... فتوقفت وتراجعت نحو الوراء...

التفتت زوي ورأت الذهول في عينيها ، وتساءلت: ماذا بكِ؟

أغلاي: ذلك الوسم... .

ابتسمت زوي بلا مبالاة: آه!..لاعليكِ... لقد قمتُ بوسمه منذ زمن ، فقد رغبتُ بتجربة الأمر في ذلك الحين!.. هيا ساعديني على شدّ هذه الشرائط!

أغلاي مصدومةً: إنه مماثل للذي على يد آرميل... وذراع أرام!!

نهضت زوي وقد شحب وجهها: ماذا تقولين؟!

عقدت زوي حاجبيها وتقدّمت نحو أغلاي بنبرةٍ جادةٍ للغاية: هل أنتِ متأكدةٌ يا أغلاي؟!

أومأت أغلاي برأسها: لقد رأيته بعينيّ على يد آرميل!!... وعلى ذراع أرام كذلك!!

كان الذهول يعتري زوي ، حتى أمسكت أغلاي بيدها: أنتِ تكذبين ، لم تقومي بعمل هذا الوسم لنفسك ، أليس كذلك؟!... لقد أخبرني آرميل بأنه وجده على جسده في أحد الأيام ، أجل!!.. لقد قال بأنه في يوم وفاة أبراكساس!!... لمَ تحاولين كتم الحقيقة عني يازوي؟!

ثم تراجعت نحو الوراء ونظرت إلى شعر زوي وقالت بذهولٍ شديد: يا إلهي!!

زوي: ماذا؟!

أغلاي: لقد كان أرام ورجاله يبحثون عن فتاة ذاتِ شعر أحمر داكن ، تحمل هذا الوسم!!..إنها أنتِ يا زوي!!

ذهلت زوي ، وكانت ترمش بعينيها باندهاشٍ وهي تستمع إلى المعلومات الصادمة التي تنقلها لها أغلاي: هناك أمرٌ ما يربطكم أنتم الثلاثة بهذا الوسم ، إنه ذلك اليوم بلا شك!!... عندما طاردَنا الرجلان وقتلا أبراكساس!!

تذكرت زوي كلمات إيمانويل عندما قال لها:

(ويجب أن تتيقني أيضاً... بأن من استحدثكِ... قد استحدث آخرين مثلكِ!)

وفكّرت في نفسها بذعر: «آرميل وأرام ، هل يعانيان مثلي؟!... هل هما مصاصا دماءٍ مستحدثان كذلك؟!.. وأولئك الرجال الذين كانوا يتعقبونني في أثانسيا ، هل لهم صلةٌ بأرام؟!... لمَ كان يبحث عني؟!... لقد قتل أريس بسببي!!»

ثم سألت بعينين متلهفتين: مالذي كان يريده مني أرام؟.. هل قال لكِ؟!

أغلاي: لا أعلم!!.. ولكن طالما أنه قتل أريس لأنه لم يعشر عليكِ فقط ، فمالذي تتوقعينه سيفعل بكِ إذا وجدكِ يازوي؟!... بالطبع لم يكن يريد بكِ خيراً!!

ارتعشت شفتا زوي وهي تحدّق بميني صديقتها وتحاول حبس دموعها ، وقررت بأنها اللحظة المناسبة لتخبرها بالحقيقة...

زوي بشفتيها المرتعشتين: أغلاي!... هناك أمرٌ يجب أن تعرفيه!

نظرت أغلاي إليها باهتمام ، فتطقت زوي: أنا... مصاصة دماء!... ، تماماً... كعائلتك!

تفاجأت أغلاي ، وبعد برهةٍ من الصمت المطبق قالت: هذا يفسر كل شيء!

ثم قامت باحتضانها: أياً ماتكونين يازوي ، فلا تزالين صديقتي التي أعرفها جيداً... ولن أتخلى عنكِ!

زوي: أنا أتفهّم ماتمرّين به يا أغلاي ، وأخافُ عليكِ كثيراً!!... فقد تورّطتِ مع عائلة مصاصي دماءٍ ، بلا رجعة!!

ثم قالت: إيمانويل وأندريون يعلمان عن سرّي هذا ، وهما يحاولان مساعدتي ، ولكن لايجب أن يعرف أحدٌ آخر ، وتحديداً الكونت أرماند!... أنا في خطرٍ حقيقيٍ يا أغلاي!

أومأت أغلاي: أعي هذا جيداً ، فحياتي مهددةٌ من الكونت أرماند أيضاً!... لهذا لم أطلعكِ على سرّ العائلة...

وفي تلك الأثناء ، سمعا صوت خطواتٍ تقترب من القاعة ، ولم تتمكن أيٌ منهما من الإختباء ، وماهي إلا لحظاتٌ سريعةٌ حتى دخلت تيرزي: آنسة أغلاي!... أنتِ هنا!.. لقد بحثتُ عنكِ في كل مكان!

أخفت أغلاي ارتباكها: لقد تُهت في ممرات القصر... وساعدَتني هذه الآنسة!

وحاولت زوي إخفاء وجهها عندما طأطأت برأسها...

تيرزي: الأميرة ديميتير تود التحدث معكِ ، وأرسلتني للبحث عنكِ ، آنسة أغلاي!

أومأت أغلاي: سألحق بكِ!

وبعد أن غادرت المربية ، قَدّمت أغلاي قبعتها إلى زوي: ارتدي هذه ، ستخفي عينيكِ ، حتى لايتعرفوا عليكِ...

ثم جذبتها: هيا ، فلتجربي الرقص!

ورغم محاولاتها للرفض: كلا!... يجب أن أعود لحراسة الملكة!

إلا أن أغلاي أصرّت عليها: إنه يومكِ الأخير قبل الخوض في القتال بين الرجال والدماء!...

يجب أن تستمتعي به ، وبأنوثتك يازوي!... يمكنك اختلاق أي عذرٍ للملكة لاحقاً!

ثم قالت بابتسامة لعوبة: ألم أخبركِ بأن تجعلي الارد يراك؟... وقد وعدتك بأنني سأساعدك على هذا ، لذا فإنني وضعتُ خطةً لهذا المساء!... انتظريني هنا ، سأعود بعد قليل!

تفاجأت زوي: مالذي تقصدينه؟... انتظري!

ولكن أغلاي اختفت ، فالتفتت زوي إلى المرآة التي تتوسط الممر ، ووقفت أمامها لترى نفسها بذلك الفستان ، وكانت تحنّ لجمالها وأنوثتها ، التي أهملتها طوال تلك السنين...

والتفتت لترى انعكاس الوسم على كتفها في المرآة... وتذكرت تلك الومضات التي رأتها: (رجالٌ يحاولون تثبيت يديها وكتفيها ، بالقرب من نارٍ مشتعلة... وامرأةٌ تحمل بيدها حديدةً ملتهبة تقوم بتوجيهها نحو كتفها.. بينما كانت تصرخ محاولةً الهرب ، لكنها لم تشعر سوى بالألم الذي يكوي كتفها ، رغم صرخاتها ودموعها البريئة ، وتمتمات تلك المرأة ، التي أرهقت أذنيها كالطنين الذي يأبى أن يتوقف...

وصوت ذلك الرجل الأعور الذي لاتكاد تسمع منه سوى بضع كلماتٍ واضحةٍ وسط الضجيج: «المختارون»... «الفيركولاس»)

اتسعت عيناها وتسمرّ ناظريها ، وأخذت تفكر بصدمةٍ وكأنها رأت مايرشدها أخيراً: «الومضات!... كيف غابت عن ذهني!... يجب أن أخبر أندريون عنها!!»

أمسكت برأسها وقد بدأت تشعر بالصداع من كثرة الأفكار وتزاحمها...

في تلك اللحظة ، انتبهت إلى وقوف رجلٍ ضخمٍ إلى جانبها ، كان ينظر إليها عبر المرآة ، مأخوذاً بجمالها...

شهقت: ألارد!!

كانت أغلاي تقف معه ، بعد أن ذهبت لاستدعائه ، ثم سألته: ألن تدعوها للرقص؟

تقدّم ألارد ومدّ يده إليها ، فقامت أغلاي بجذب يد زوي إليه بعد أن رأت ترددها ، وسار الإثنان إلى منتصف القاعة وبدآ يرقصان... وودعتهما أغلاي لتذهب للقاء الأميرة ، التي انتظرتها طويلاً...

لم تمرّ على زوي لحظةٌ أكثر حرجاً من هذه اللحظة ، فآخر شيءٍ كانت تتوقعه ، أن تقوم صديقتها بخدعةٍ كهذه... لتُلقي بها أمام ألارد ، ولم تكن تتوقع أبداً ، بأن ليلةً كهذه ستأتي ، لترقص فيها بين أحضانه!

ألارد محتوياً خصرها بذراعه: تبدين جميلة!... ولكنكِ خجلةٌ على غير عادتكِ!... تذكري بأننا

أصدقاءً ولسنا عشاقاً ، فليس هناك مايدعو للخجل!

أومأت برأسها بخيبة: أجل ، لسنا... عشاقاً...

ألارد: زوي!... أهناك مايشغل بالكِ؟... لاتبدين على مايرام!

حدّثت نفسها: «هناك الكثير مما يشغل بالي يا ألارد ، أمورٌ مخيفةٌ تحيط بي ، وقدرٌ مجهولٌ غامض!... أتمنى لو أستطيع مشاركتك مايجول في صدري... »

تصنّعت ابتسامةً هادئة: لاشيء!... إنها فقط... فترةٌ طويلة ، لم أتصرف فيها كأنثى!... بالإضافة إلى خوفي من أن يتعرّف أحدهم على هويتي!

ابتسم ألارد: لقد قسوتِ على نفسكِ كثيراً!... لم يكن يجدر بكِ الالتحاق بالقطاع العسكري وخوض هذه المغامرة!... كنتِ ستعيشين كفتاةٍ طبيعية ، تتزوجين وتحظين بعائلة ، كبقية الفتيات!

حدّقت في عينيه بعمق ، وقالت بنبرةٍ غامضةٍ حزينة: لستُ كبقية الفتيات!... ولستُ كبقية البشر أيضاً!.. ولن أكون كذلك!

ابتسمت بحزنٍ... وقررت أن تنسى نفسها في هذه اللحظة ، بين أحضان محبوبها ، وتعيشها حتى النهاية ، لأنها قد لاتتكرر مرةً أخرى..

❁❁❁

في مكتبة القصر...

كان أندريون يتردد يومياً على مكتبة القصر ولم يعثر على ضالته بعد ، أصبح مرهقاً وقد بدأ اليأس يتسلل إلى نفسه ، ولكن الكاهن أرتشيم قد دخل إلى المكتبة في ذلك الوقت... وقام بالترحيب به فور أن لاحظ وجوده...

أرتشيم: مابال الصبي يترك الصخب والبهجة والفتيات الجميلات ، ليتسلل إلى المكتبة وحيداً؟

ثم سأله: تبدو عيناك مرهقتين لورد أندريون بونيفيل!... عمَّ تبحث؟

أخبره أندريون بأنه يبحث عن رمزٍ ما... فدلّه أرتشيم على أحد الكتب: هذا كتابٌ يتعلق بالرموز والشعارات المستخدمة منذ قرون...

أندريون: لقد اطّلعتُ عليه ، ولم أجد مبتغاي!

تعجّب أرتشيم ، ثم طلب منه: هلّ لكَ أن تريني الرمز الذي تبحث عنه؟... فقد أتمكّن من مساعدتك!

تردد أندريون في أن يثق بأرتشيم ، ولكن لشدّة فضوله وحاجته للتوصل لحل اللغز المحير ، قام بإظهار الورقة له...

وبعد لحظات من التأمل والتفكير قال أرتشيم: ربما يكون هذا الوسم مرتبطاً بالطقوس السحرية ، فتحن الكهنة تستخدم رموزاً مشابهةً نوعاً ما...

بدت عينا أندريون بلهفةٍ وذهول ، فقال أرتشيم وهو يعيد إليه الورقة: اتبعني!

لحق أندريون بالكاهن نحو المعبد... وبعد أن ولج أرتشيم إلى مكتبته الخاصة ، أخرج كتاباً قديماً وقدّمه إلى أندريون: اطّلع عليه وابحث عن الرمز ، ولكن عليك المكوث معه هنا ، فإنني لا أسمح لك باستعارته إلى خارج المعبد!

أومأ أندريون برأسه موافقاً ، وقد فهم بأن الكتاب ثمين القيمة بالنسبة لأرتشيم ، لكنه تفاجأ عندما مدّ أرتشيم يده إليه وكأنه يطلب شيئاً ، فحدّق أندريون في يده لوهلةٍ ولم يفهم مقصده... حتى قال الكاهن ضاحكاً: إنني لا أقدم خدمةً بالمجان!

فهم أندريون وأخرج جميع ماكان معه من آرغنتاتٍ وقدّمها له...

❀❀❀

في نهاية الليلة...

في منزل آل بونيفيل...

كانت تقف في الشرفة بينما تداعب الرياح خصلات شعرها ، وكان قلبها وناظريها مشغولَين بإيمانويل الذي كان يعبر حديقة المنزل بخطىً ثابتةٍ... متجهاً إلى الإسطبل ، كانت أغلاي تراقبه بشغف ، ولكنها تفاجأت عندما رفع رأسه نحو شرفتها ، والتقت عيناهما...

خفق قلبها لوهلة ، وفكّرت: «إنه ينظر إليَّ أخيراً... هل سامحني؟!»

ابتسمت له بلهفة ، ولكن قلبها قد انفطر عندما لم يبادلها تلك الابتسامة... وأشاح ببصره عنها بكل برود... «لايزال غاضباً مني!»

اقتربت من خلفها باربرا: هل تعتقدين بأنه سيتزوجكِ في نهاية الأمر؟

تفاجأت أغلاي من تلك الجملة غير المتوقعة ، فأردفت باربرا لتجيب دهشتها: أجل!... أنا أعلم مالذي يجري بينكما أنتِ وإيمانويل ، لاتحاولا إخفاء عشقكما فهو يبدو جلياً!

ثم قالت: لن يتزوجكِ إيمانويل ، فهذا الأمر محرمٌ في عائلة بونيفيل ، أن يتزوج أحد أفراد العائلة من البشر ، حفاظاً على استمرار نسلنا ودمنا النقي!... هل نسيتِ ماحدث بين والدتكِ والعم كونريه؟... هل تنوين تكرار القصة؟!

وأردفت بكلماتٍ بدت كالصاعقة التي هزّت قلب أغلاي: إيمانويل يعبث معكِ فقط ، وفي نهاية الأمر سيتزوج مصاصة دماء ، والأرجح بأنها ستكون فيوليت!... أفيقي يا أغلاي!!

صُدمت أغلاي وكأنها تعرف تلك الحقيقة لأول مرّة!... إنها تعرفها بالفعل ، ولكنها كانت تتناسها أملاً في أن تُغيّرها الأقدار ، فالعاطفة التي طغَت على قلبها... قد أعمَت عينيها عن رؤية الواقع ، وإدراك نهاية ذلك العشق المستحيل!

«هل يتجاهلني ويقسو علي الآن ، لهذا السبب؟!... هل فتح إيمانويل عينيه على الحقيقة وقرر أن يُبعدني عنه قبل أن تتعمق مشاعرنا أكثر؟!»

تركتها باربرا وسط حيرتها وشحوبها ، وارتدت عباءتها الثقيلة لتُدفئها قبل انطلاق العربة إلى منزلها ، ولم تفكر بما حدث للقلب الذي أيقظته لتوها ، على الحقيقة المُرّة...

كان قلب أغلاي يرجف ألماً وانهياراً ، لكن شيئاً ما بداخلها ، كان يدفعها لأن تتمسك بعشقها حتى النهاية...

❁❁❁

ركب إيمانويل جواده ، وانطلق ليلتقي بزوي في المكان والموعد المحدّدَين للقائهما...

و فور أن رأته زوي فكرت في نفسها: «هل أُخبره بشأن أرام وآرميل؟»

نظر إلى وجهها الشاحب وقذف إليها بقنينة دماء: لم تشربي منذ مدة...

التقطتها من الهواء بسرعةٍ خاطفة ، ثم أخذت تتجرعها بنهم ، بينما كان يسألها: سمعتُ بأنك ستذهبين مع الجيش ، أتمنى بأنكِ لا تحاولين الهرب؟

ابتلعت زوي آخر قطرة دم... ثم قالت بثقة: ممَ أهرب لورد إيمانويل؟

إيمانويل: يجب أن تَبقي على مرأىً من عينيّ ، إلى أن نصل إلى معرفة الحقيقة!

ثم قال آمراً: ستُقدّمين عذراً للقادة هذه الليلة عن مرافقتكِ للجيش!

استقامت زوي في وقفتها واتخذت موقفاً دفاعياً: لستَ أنت من يحدد لي مايجب علي فعله لورد ايمان..

ولم تنتهِ من جملتها تلك إلا وقبضة إيمانويل تُطبق على عنقها بقوةٍ... وقد انتقل من مكانه إلى مكانها في غمضة عين...

إيمانويل بعد أن ظهرت أنيابه: لستِ أنتِ من تعصين أوامري!

نظرت إليه زوي بعينين متمرّدتين: لستَ بسيدي حتى تُلقي علي الأوامر!!.. وأنا ذاهبةً إلى رومبيانيا ، شئت أم أبيت!

حاولت دفعه بعيداً... لكنها لم تستطع ، ورأت تلك الابتسامة الباردة ترتسم على شفتيه... ونظرات عينيه الثلجية الساخرة ، فأدركت بأنه لامجال لمقاومته ، وبما أنها لاتتغذى على دماء

البشر حالياً... فقواها لم تعد كسابق عهدها ، والأمر المحتم الآن... والذي يجب أن تعترف به... بأن إيمانويل يفوقها قوةً ، فلا خيار لها سوى الاستسلام لاضطهاده لها ، وفضّلت كتمان أمر أرمبل وأرام عنه...

ابتعد عنها وقال: إصرارك على الذهاب لحربٍ لامصلحة لكِ فيها ، هل هو لأجل ذاك السيرجنت؟

ذهلت وحدّقت في عينيه بصمت ، فقال: ألاردا... الذي يُخبيء سرّكِ الصغير ، أنتِ مغرمةٌ به وترغبين بمرافقته في المعارك ، لحمايته بقدراتكِ كمصاصة دماء!.. أليس كذلك؟

صُدمت زوي من نباهته ، فقال مجيباً عن صدمتها تلك: أجل ، إني أراقبكِ جيداً!... وأفهم كل شيء!

لكنها قالت: مالذي تتفوه به؟!.. أنا أقوم بواجبي في خدمة الملكة ، ومشاركتي بالحرب إنما هي تنفيذٌ لأوامرها فقط!

إيمانويل: حتى وإن غادرتِ إلى رومبيانيا ، فإنكِ لن تستطيعي الفرار مني...

ثم قال مهدداً: لأنه وبجملةٍ واحدةٍ أنقلها لأرماند... أو للملكة ، سيكون أمر إعدامكِ مُحتّماً!

ظهر التحفظ والشحوب على سَحنتها ، فابتسم وقد برزت أنيابه: عندما يعلمون بأنك فتاةٌ... ومصاصة دماء!... يجب ألاّ تنسي بأني عندما امتلكتُ أسراركِ الخطيرة ، قد أصبح مصيركِ بين يديّ!

هدّدته وهي تقف بثقة: وعندما تعلم الملكة عن سرّ آل بونيفيل كذلك!!

أغمض عينيه بهدوء ، وأخفض رأسه ليرد على تهديدها: حينها ، كلانا سنكون في خطرٍ يازوي!... لن تخاطري بإغراق المركب الذي أنتِ أيضاً على متنه!

ثم فتح عينيه الزرقاوين لينظر إليها ولايزال مبتسماً ، وظلّت زوي صامتةً تبادله تلك النظرات...

حتى قال لها: أعتقد بأننا متّفقان الآن ، سأنتظركِ لتعودي من الحرب بسلام... ونكمل مابدأناه ، فقد اقتربنا من معرفة من قام باستحداثك..

لمعت عيناها بفضولٍ شديد... فقال بنبرةٍ أقل عدائية: عليكِ أن تحذري من الكونت أرماند خلال الحرب ، لأنه لايزال يبحث عنكِ ، وسيجدك!

قال جملته تلك وغادر المكان ، وظلّت زوي تقف مذهولةً من وقوفه معها هو وأندريون ضد الكونت أرماند ومصلحة عائلتهما...

في صباح اليوم التالي...

يوم انطلاق الجيش إلى رومبيانيا...

مع شروق شمس الصباح ، كان الطقس بارداً ومنعشاً ، اتجهت الأميرة ديميتير مع حراسها إلى القسم العسكري ، لتودّع الكونت أرماند...

ديميتير: جئت لأتمنى لكم رحلةً موفقة ، والعودة منتصرين!

خطا نحوها أرماند ، وانحنى بلباقة: إنه لشرفٌ لنا تواجد سموكِ أثناء انطلاق قواتنا... فلن يكون لنا غنىً عن بركاتك!

وبرقّةٍ كانت أوراق الخريف الصفراء تتساقط فوقهما ، كرقّة نسيم ذلك الصباح ، اقترب منها هامساً في أذنها: سأعود منتصراً ، لرؤية جمال أميرتي!

ارتسمت ابتسامة الرضا والكبرياء على شفتي ديميتير ، وانحنى لها الكونت مودعاً ، ثم ذهب لاستقبال الملكة...

صعدت أفروديت على المنصة ، وقامت بإلقاء خطابها ، ثم انحنى الجنود لها ، وكان من بينهم زوي التي رفعت رأسها ونظرت إلى ملكتها تغادر المنصة ، ولن تلحق بها هذه المرة...

ثم لاحظت وجود أندريون خارج القسم العسكري ، وفور أن وقعت عيناها عليه... أشار لها بأن تأتي ، فانسلّت من بين الجنود وتوجّهت نحوه ، ولاحظت الجدية باديةً على وجهه ، عندما قال مُخفضاً صوته: لقد عثرتُ على الرمز!

ظهر الاهتمام على عينيها ، فقام باصطحابها إلى مكانٍ أكثر عزلةً ، ليشرح لها...

أندريون: الرمز الذي على كتفك... لقد عثرتُ عليه في أحد كتب السحر!.. كان متضمّناً مع مجموعة رموزٍ أخرى ، ولكن لم يُكتب عنه أي شيء ، عدا أنه كان مرسوماً في إحدى الصفحات!... وأرتشيم لايملك أي معلوماتٍ عنه...

ثم قال بنبرةٍ غير مرتاحة: إلا أنه بعد أن أطلعتُه على الصفحة ، قال بأن تلك المجموعة من الرموز تنتمي إلى أسطورةٍ متعلقةٍ بجنسٍ غير بشري ، مخلوقاتٍ متوحشة... تتغذى على الحيوانات... وعلى البشر!

ثم قال بتهكم: ولم يكن يعلم بأنه كان يتحدث إلى أحدهم!

تعجّبت زوي ثم سألت بحيرة: ومن يكون... الذي فعل بي كل هذا؟!

أجاب وعيناه تلمعان بذكاءٍ ولهفةٍ لاصطياد الحقيقة: بما أن الأمر مرتبطٌ بالسحر ، فسنبحث عن السحرة الموجودين في بانسلينوس...

وفور أن أتى على ذكر السحرة ، تذكّرت زوي تلك الومضات التي كانت تراها ، فأخبرته عنها...

وأخذ يفكر مذهولاً: فلتِ بأن الرجل كان يردد «المختارون»... «الفيركولاس»!

ثم لمعت عيناه: «الفيركولاس»... إنها كلمة يونانية الأصل ، وتعني«مصاص دماء»!... كانت تُستخدم في كروفستروفا!

اتضح الاهتمام على زوي ثم تساءلت: وماذا عن تلك المرأة التي كانت تُتمتم؟!

أندريون: إنها ساحرةٌ بلا شك!... وبما أنتا قد تأكدنا الآن بأن الساحر امرأة ، فهذا يختصر علينا الكثير!

ثم قال بحزم: لقد تحدثتُ لتوي مع إيمانويل ، وسوف يُرسل رجالاً في مهمة البحث...

ثم قال على عجلة: والآن علي أن أعود لأبلغه بأن القائمة ستقتصر على الساحرات فقط!

وحدّق في عينيّ زوي لوهلةٍ ليقول مودعاً: احذري أن تموتي خلال المعارك!... فأنتِ تعرفين الآن كيف تتفادين الموت ، كما أخبرتكِ!

أومأت زوي برأسها ، والتفت أندريون ليغادر...

ففكرت في تلك الثوان السريعة: «قد يكون حلّ جميع هذه الألغاز موجوداً لدى آرميل وأرام!... ولكن.. أين يمكن أن يكونا الآن؟»

ثم فكرت: «هل أُخبره عنهما؟»

وبعد لحظاتٍ من التردد والصراع الداخلي: «لم أكن أرغب بإطلاع إيمانويل عن ذلك!... ولكنّ كبريائي قد يحول دون وصولي إلى الحقيقة ، فربما يساعدني إيمانويل وأندريون على الأقل في العثور على آرميل وأرام!!... فكل مايهمني الآن ، أن أفهم ذاتي!!»

تشجعت وقامت بمناداته: لورد أندريون!

التفت إليها أندريون منتظراً منها أن تتحدث ، فقالت: سأُطلعك على أمرٍ ما!

في فناء القصر الملكي...

نزلت أفروديت عن خيلها أتشاز ، لتوديع الأمير أرجوس الذي خطا باتجاهها وانحنى لها ، ثم اقترب من أتشاز ليلمس ظهره: مضى وقتٌ طويلٌ منذ ركوبي عليه ، عندما كنتُ قادماً من غابة ميقالوس إلى لورديور...

ابتسمت أفروديت: لقد عاد إليّ بفضلك!

قال بنبرةٍ رقيقة: بل لقد كان لأتشاز الفضل بالتقائنا!

ومسح على رأس الحصان وهو يقول: أنا ممتنٌ له!

قالت وهي تتأمل الفناء: التقيتكَ لأول مرةٍ هنا ، وها أنا أودّعك في ذات المكان..

ثم نظرت إليه: أتمنى لجيوشنا النصر ، وأن تستعيد عرشك ، سمو الأمير!

أرجوس: أشكر جلالتكِ على كل شيء!... سننتصر حتماً!

لاحظ نوي عينيّ أميره ونظراته الدافئة المغمورة بحزن الفراق ، فحدّث نفسه: «سمو الأمير ، واقعٌ في غرامها فعلاً!»

ومع ارتفاع الشمس في السماء...

وقفت أفروديت في ردهة القصر الرئيسية ، أمام اللوحة التي رُسِمت عليها فتاةٌ شقراء جميلة ، يزين رأسها تاجٌ وفي يدها صولجان..

وقالت مبهورةً: إنها تشبهني تماماً!

ثم التفتت إلى شخصين يقفان خلفها بترقبٍ لسماع رأيها ، وقالت لهما: آنسة دليا مونبيتيت ، ممتنةٌ لكِ على هذا!... والسيد ياني ، أشكركَ على هذا الجهد ، أنت بارعٌ بالفعل!

انحنت دليا: لم نقم سوى بواجبنا جلالتكِ ، فملكةٌ مثلكِ.. تستحق أن يُخلّد اسمها!

المختارون

- قبل ١٢ سنة ، عام ١٦٠٠م -

عندما وصل بالتازار إلى ميناء بوليشولي ، ووطأت قدمُه أراضي بانسيلينوس لأول مرة...

بدأ بمحاولة التحقق من وجود عائلة بونيفيل في هذه المملكة ، وفور معرفته عن قدوم الجنرال إدغارد بونيفيل إلى بوليشولي ، توجّه إلى منزله واعترض عربته...

وعندما همّ الموكب بالدخول... اقترب أحد الحراس من عربة الجنرال: سيدي هناك شخصٌ أعورٌ يقف أمام البوابة ويأبى الابتعاد ، مدّعياً بأنه يعرفك منذ أمدٍ بعيد... و يريد مقابلتك ، هل نتخلص منه؟!

شعرت زوجته الجميلة هيلين بالقلق ، ورفع الجنرال يده وقال: انتظر... دعني ألقي نظرةً عليه أولاً!

ثم أطلّ برأسه من نافذة العربة... ونظر إلى الرجل ، فاتسعت عيناه ذهولاً وذعراً: بالتازار... ؟!

استضاف إدغارد بالتازار في منزله ، وجلسا أمام بعضهما ليتحدثا على انفراد...

بالتازار وهو يتأمل المنزل الفاخر: لقد اعتدتَ أن تسكن في قصورٍ كروفستروفا الكبيرة ، ولكن هل آل بك الزمن لمنزلٍ صغيرٍ كهذا؟

إدغارد بجدية: مالذي تريده؟!

ثم سأل: كيف تمكنتَ من الهرب عبر التعويذة المنيعة التي كانت تحيط بالإمبراطورية؟!.. ولمَ أتيتَ إلى بانسيلينوس تحديداً؟!

بالتازار: لألحق بكم!

وأردف بحقدٍ دفين: لقد هربتم وتركتم الإمبراطورية محاصرةً بالتعويذة!... أحرقتم كل شيء ، وفررتم كالجرذان إلى عالم البشر!

ثم سأل بخبث: بعد أن عقدتم معاهدةً معهم ، هل نكثتموها وأصبحتم تستمتعون بدماءهم؟

وضع إدغارد قبضته على المنضدة مهدداً: إياك أن تفكر في إيذاء البشر هنا!... لقد أتينا بسلامٍ وأقسمنا على استمرارية المعاهدة ، وتجنب دماءهم!

بالتازار بازدراء: قسمكم ذلك لايشملني ، سمو الأمير إدغارد!..أو... هل علي القول فقط... جنرال إدغارد؟!

ثم قال ساخراً: لقد أصبحتم في طبقةٍ أقل شأناً ، بعد أن كنتم أسرةً حاكمة!

رمقه إدغارد بنفاذ صبر: مالذي تريده بالضبط؟!... تكلّم!

ضحك بالتازار ثم قال بجدية: أريدك أن تدلني على أفضل السَّحرة في المملكة!

استغرب إدغارد ، فقال بالتازار: لقد كنتم تستخدمون السحر فيما مضى ، ولاشك بأنكم استخدمتموه هنا أيضاً!

إدغارد بنبرةٍ صارمة: لاأعرف أي سحرة!

بالتازار ساخراً: لقد رأيتك اليوم تسير تحت الشمس دون أن تصاب بأذى!.. فالسرّ الذي يحميك ياترى ، غير السحر؟!

إدغارد بتحفّظ: ومالذي تنوي فعله بالسحرة؟!... ألا يكفيكَ ماحققتَه في كروفستروفا؟

نهض بالتازار بحركةٍ سريعةٍ ووجّه خنجراً نحو قلب إدغارد ، وقال بخبث: انتهت المفاوضات الآن!... ستخبرني ، وإلا فسيخترق هذا النصل قلبك!

لكن إدغارد قاومه ودفعه بعيداً ، وخاض الاثنان عراكاً وحشياً تدمّر على إثره أثاث المنزل وجدرانه ، التي تصبغت بالدماء ، وفور أن هرعت هيلين لتستطلع سبب تلك الجلبة ، أمسك بها بالتازار وخنق رقبتها موجهاً خنجره نحو قلبها ، ليهدد إدغارد: ستُعطيني جميع الأموال والقطع الثمينة التي تملكها الآن ، وتخبرني بمكان الساحر الذي استخدمتَهُ عائلتك!... وإلا هلكتْ جميلتك هذه!

وبعد أن هدده بحياة زوجته ، أخبره إدغارد عن مكان الساحرة كالفينيا ، ومنحه جميع ما كان يحمل من المال ، وكل الأواني والقطع الثمينة التي يقتنيها في المنزل ، آمراً إياه أن يبتعد عن عائلته للأبد...

وفي غضون يومين ، وصل بالتازار إلى الكهف الذي كانت تمارس فيه كالفينيا طقوسها ، حيث كانت منهمكةً في عملها ، بينما يزورها أحد الفلاحين الذي طلب تنبؤاً عن محاصيل مزرعته لهذه السنة ، قالت كالفينيا بعد أن نظرت في الماء: لن يكون محصولاً جيداً!... ستخسر الكثير ، حيث إن الجراد سيهاجم مازرعت!

فزع الفلاح وقال غاضباً: مستحيل!!..أعيدي إليّ الأرغنتات!... أيتها المحتالة!!

أمسكت كالفينيا بالمال في قبضتها بقوةٍ وهي تقول: لهذا أطلبُ الدفع مقدماً!... لن تعود تقودك ، فهي مقابلٌ لأتعابي!

حنق الرجل وغادر متسخّطاً: تباً ، أنتِ مخادعةً فعلاً كما يقولون!!

لم تلتفت كالفينيا نحو بالتازار ، وقالت له: هؤلاء القرويون لايقبلون بالحقيقة أبداً!... إنهم يودون سماع مايتمنون فقط!

ثم قالت وهي تعدّ الأرغفتات القليلة التي حصلت عليها: لأنني لا أُخبرُ إلّا الحقيقة ، فقد بدأتْ أفقد مصدر رزقي!... لقد قلّت أعداد الذين يتوافدون عليّ ، وبدأ الناس يهجرونني لهذا السبب!

كان بالتازار يستمع إلى تذمّرها ذلك بصمت ، حتى التفتت نحوه ثم قالت: لكنني أعتقدُ بأنك مختلفٌ عنهم!... إنني أرى رزقاً جديداً يلوح لي!

تقدّم بالتازار نحوها لكنه توقف متفاجئاً عندما قالت وهي تنظر إليه بثقة: فأنت مصاص دماء!

ذهل بالتازار ، فقالت: لاتتعجب!... فأنا ساحرة!... والأمور الخارقة ، هي من اختصاصي!... كنتُ أبحث في تلك الأساطير عن كروفستروفا ، وعن تلك النبوءات التي تحكي عن قدوم مصاصي الدماء إلى عالمنا ، وقد خضتُ تجربةً مع أحد مصاصي الدماء مرةً!... لذا فيمكنني تمييزكم!

ابتسم بالتازار ثم قال وهو يرفع رأسه: هل كان من آل بونيفيل ، مصاص الدماء الذي التقيته؟

نظرت كالغينيا إلى ثيابه الرثّة ثم قالت: لقد علمتُ من الوهلة الأولى بأنك لاتنتمي لتلك العائلة النبيلة!... إنك مصاص دماءٍ من طبقةٍ وضيعةٍ كما يبدو!

فأجاب بالتازار بثقة: هذا صحيح ، أنا بالتازار!... وأنتمي إلى طبقة الصيادين!.. لكنني كنت متمرداً آنذاك ، وقدتُ ثوراتٍ ضد الإمبراطور ، لتحرير جنسنا من القيود التي فُرضت عليه!

أُعجبت كالغينيا بذلك الحديث ، ثم قالت بينما تقوم بترتيب أدواتها: لقد أتى إليّ إدغارد بونيفيل طالباً حماية من الشمس لأسرته!.. أما أنت كمصاص دماءٍ متمرد ، فمالذي تريده من ساحرةٍ مثلي ياترى؟

سأل بالتازار باهتمام: مالذي فعلتِه لأجلهم؟!

نظرت كالغينيا إلى عينه الوحيدة وقالت بصرامة: لم تخبرني بعد ، مالذي أتيتَ لطلبه مني؟... وكم ستدفع لي قبل ذلك؟

ابتسم بالتازار بثقةٍ وألقى لها كيساً كبيراً يحوي جميع مانهبه من إدغارد ، ثم قال: تفضلي!

جثت كالغينيا على الأرض ، وأخذت تتأمل المال والذهب والمجوهرات والتماثيل الثمينة... ثم نهضت وابتسمت: سأخدمك كما تشاء!!

ثم أجابت على سؤاله: لقد صنعتُ قلاداتٍ تحميهم من أشعة الشمس!... لكنني لن أستطيع صنعها لك!... فهي تتطلب دماءً نقية!... وبما أنك لست بمصاص دماءٍ نبيل!... فإنك لاتملك تلك الدماء!

تجهّم وجه بالتازار للحظاتٍ ، ثم قال: حسناً ، لاخيار لدي إذن!... فإنّ ما أتيتُ لأجله ، أكبر من

مجرد حماية من الشمس!

سألت كالغينيا: مالذي يمكنني فعله لأجلك؟

بالتازار: أريدكِ أن تكوني مساعِدتي المخلصة!..وأعدكِ بأنني سأدفع لكِ المزيد!.. وستصلين إلى منصبٍ لم تكوني تحلمين به!

وبعد لحظاتٍ من التفكير ، انحنت كالغينيا وهي تقول: سأفعل يا سيدي!... وسأكون يدك اليمنى!

أخذ بالتازار يتجول في ذلك الكهف وهو يقول: بعد دمار عالمنا ، ونهاية جنسنا بسبب تلك الأسرة اللعينة ، آل بونيفيل!!... أريد إعادة إحياء جيلٍ جديدٍ من مصاصي الدماء ، لبداية عهدٍ جديد في هذا العالم!... سأبيد البشر من الوجود ، وأنشىء عالماً خاصاً بمصاصي الدماء ، لاقيود تحكمه!

ثم قال وهو يرفع يديه بعظمة: إمبراطورية مصاصي الدماء!!

صفقت كالغينيا ببرود ، ثم قالت وهي تُميل رأسها بتهكّم: هذا خيالٌ مذهل!..ثم ماهو دوري في هذه الخطة الحالمة؟

نظر إليها بالتازار بجدية: ستستحدثين مصاصي الدماء ، لأجلي!

ضحكت كالغينيا: هذا غير ممكن...

ضغط بالتازار على قبضة يده ، وقال آمراً: فلتجعليه ممكناً!!

أخذت كالغينيا نفساً عميقاً ، ثم بدأت بالتفكير... واتجهت إلى الرف الكبير الذي يحوي كتباً عتيقةً متآكلة الأطراف ، وقالت وهي تبحث بين الكتب: هذه الكتب قديمةٌ جداً ، سطّرها السحرة منذ قرون بعيدة!... إنها زاخرةً بأساليب السحر ، أساطيرٌ ونبوءات ، وأسرارٌ كثيرة!... لقد ورثتُ بعضها ، وأمضيتُ عمري في جمع البعض الآخر منها!... إنها بمثابة كنزي الثمين!

بالتازار ساخراً: ألا تخشين أن أسرقها بعد أن أطلعتِني على أهميتها؟

التفتت نحوه متهكّمةً: لستُ قلقةً من هذا أبداً ، فلحسن الحظ بأن العامة لايعرفون قراءتها ، وإن عرفوا... فلا أحد سيفهم محتواها ، سوى السحرة!

ثم أخذت تُقلّب صفحات أحد الكتب وهي تقول: يمكنني أن أستحدث مصاصي دماءٍ من دمك!... ولكنهم لن يكونوا بتلك القوة!

لم يكن بالتازار راضياً عن ذلك ، فقال وهو يُمسك بذراعها ويهزّها: أريد مصاصي دماءٍ أقوياء!... لاتقهرهم الشمس!... ويفوقون قدراتي!... أريدهم أن يكونوا أقوى من آل بونيفيل!!

نظرت كالغينيا إلى عينه بتردد ، ثم أبعدت يده عن ذراعها ، وتصفّحت الكتاب الذي في يدها ، وقالت: لقد كانت هناك نبوءاتٌ عن ظهور ثلاثة مختارين على يد أحد السحرة المستقبليين!...

جميع الكتب تقول بأن الثلاثة لايُقهرون ، وبأنهم يشربون الدماء!... لقد كنتُ أحاول معرفة المزيد عنهم في الفترة الماضية!

تمتم بالتازار باهتمام ثم قال: قد تكونين أنتِ ذلك الساحر الذي تحدثت عنه النبوءة!

نظرت كالفينيا إليه: قد أكون ، وقد لاأكون!... قد أنجح ، وقد أفشل!... لكنني سأبذل مابوسعي لتلبية طلبك ياسيدي!

ثم قالت: أولاً ، سأحتاج الكثير من دمائك!

أومأت لها بالتازار ، فقالت وهي تشير إلى الكتاب: قد تنجح هذه التعويذات ، مع هذا الرمز الأسطوري!... والذي يجتذب طاقةً هائلةً من حركة دوران القمر!... وستكون تلك الطاقة في أوج ذروتها عند حلول القمر الأحمر!... فإنّ أفضل وقتٍ للقيام بالهجمة الكبرى ، هي عندما تزداد قوة مصاصي الدماء لتصل إلى الضِعف!

نظر بالتازار باهتمامٍ إلى الرمز: القمر الأحمر!... ومتى سيحين موعده؟

أجابت: وفق الحسابات الفلكية ، فإن موعده القادم سيكون بعيداً جداً!

وبعد برهةٍ من تصفح الكتاب قالت مبهورةً: (عندما يتحول القمر إلى اللون الأحمر ، سيظهر جنسٌ غير بشريٍ على أرض القمر) ، لقد كانت النبوءة تتحدث عن جيشك ، يا بالتازار!... إنه لشرفٌ لي أن أكون جزءاً منه!

سألها بعد لحظة تفكير: ومن سيكون أولئك المختارون؟!

فكّرت كالفينيا: من المخاطرة أن نقوم بتجربة الأمر على بشرٍ بالغين ، فقد يصعُب السيطرة عليهم وترويضهم!... لذا فإنني أرى بأنه من الأفضل أن تكون التجربة على أطفال لم يكتمل نموهم بعد!... ربما ينجح الأمر بهذه الطريقة!

سألها بعد لحظة تفكير: هل أنتِ متأكدةً بأن الأمر سينجح مع الصغار؟

أجابت: الصغار يمكنك تنشئتهم كما تريد ، لكن تحوّلهم قد يستغرق وقتاً طويلاً ، حتى يكتمل نموهم وتظهر طبيعتهم الوحشية!

فكر بالتازار ثم سألها: ومن سيكون هؤلاء المختارون؟

أجابت كالفينيا: لقطاءً مشردون لاينتمون لأي كيان ، حيث لن يفتقدهم أحد!... ولا تربطهم عاطفةً بأي بشر!... فيتمكنون من القتل لأجلك بلا ضمير!

ثم قالت: سمعتُ بأن هناك رجلاً يؤوي مجموعةً من الأطفال اللقطاء في لوزديور ، ستكون بذرةً جيدة!

وفي أحد الأيام..

(بانسيلينوس - العاصمة لورديور)

تمكّن بالتازار من جمع بضعة أتباع من الطبقة المدمة ، بعد أن وعدهم بالمال والقوة ، وأظهر لهم قواه الخارقة... ووعدهم بأنه سيجعلهم يحظون ببعض منها إذا ماخضعوا له ، وبالفعل حصل المال عن طريق ابتزاز بعض الأثرياء...

ثم التقى بأبراكساس وأغراه بجزء من المال ، وطلب منه بالمقابل أن يمنحه ثلاثة من أميز الأطفال الموجودين لديه...

بالتازار: سأقوم باستعارتهم لليلة واحدة فقط ، وسأعيدهم إليك!

أبراكساس وهو يرمقه بزاوية عينه: ومالذي ستفعله بهم؟

بالتازار: هذه هي الصفقة!... لاتسألني شيئاً!... المهم أن تحصل على المال الذي تريده... أو بإمكانك إلغاؤها الآن إذا لم تناسبك!

أمسك أبراكساس بصرّة المال بطمع ، ثم قال بعد تردد وتفكير: عدني بأنك لن تؤذيهم!

ابتسم بالتازار: لاعليك...

ثم أخرج قنينة صغيرة وقدّمها إلى أبراكساس وهو يقول: هذه مادة منومة!... اجلبهم لي الليلة بعد أن تتأكد من أنهم نيام ، ومن ثم ستحصل على النصف الآخر من المال!

التقط أبراكساس القنينة بيد مترددة ، ثم أومأ برأسه موافقاً...

وبعد أن خرج بالتازار ، صادف في طريقه أرام الذي كان يجري نحو المسكن باكياً وممسكاً بعينه المصابة ، والدماء تسيل منها...

وفي تلك الليلة..

بعد أن وضع أبراكساس المنوم في الحليب الساخن وقدّمه للصغار ، كان الأطفال التسعة يجلسون فوق السطح القرميدي المائل ، ويحتسون كوباً من الحليب الدافئ...

أريس مستمتعاً بمذاق الحليب: إنها المرة الأولى التي يصبح فيها أبراكساس لطيفاً ويقدّم لنا شراباً ساخناً ولذيذاً!

قضوا تلك الليلة وهم يتحدثون عن أحلامهم عندما يكبرون ، حتى تثاءب أريس: أشعر بالنعاس!

وقال ألارد بعينين ناعستين: فلنخلد إلى النوم!

غمرهم النعاس في آنٍ واحد ، وكأنما تناولوا منوماً!... ولم يلحظ هذا الأمر الغريب ، سوى الفتى الفطن ، آرميل... الذي ظلّ يقاوم النوم ليتأمل مايحدث لرفاقه ، ولكنه مالبث أن غطّ في النوم معهم...

وبعد أن نام الجميع ، دخل أبراكساس الحجرة بهدوءٍ ونظر إلى وجوههم النائمة ، ثم قام بحمل آرميل وزوي ، وأرام ، الذين اختارهم حسب المواصفات التي أوصى بها بالتازار ، وركب العربة ليذهب لتسليمهم إلى بالتازار في أطراف لورديور...

رفع بالتازار الأغطية عن وجوههم النائمة ، ثم أومأ برأسه إلى تابعه فيلمون ، فتقدّم الأخير حاملاً كيساً كبيراً من المال وقدّمه إلى أبراكساس...

بالتازار: هذه هي الدُفعة الأخيرة!... سنُعيد الصغار إليك مع بزوغ الفجر!

رفض أبراكساس العودة وقرر انتظارهم ، وعندما حمل الرجال الأطفال على أكتافهم ، همّ باللحاق بهم... لكن الضخم إيفرايم قد وقف في طريقه...

قال بالتازار بنبرةٍ صارمة: لايمكنك المجيء!

انفعل أبراكساس وهو يراهم يذهبون بهم بعيداً إلى الغابات: مالذي ستفعلونه بهم؟!... توقفوا!!

لم يُجبه بالتازار وإنما التفت إلى ايفرايم آمراً: احرص على بقائه هنا!

ثم اتجه نحو الغابة ووجد كالغينيا قد بدأت بالتحضيرات حول النار الكبيرة المضرمة ، وقام الرجال بتثبيت الصغار الذين بدؤوا بالإفاقة بصعوبةٍ من ثقل المنوم ، ثم بدأت كالغينيا بكيّ جلودهم بالرمز الأسطوري ، وسط صرخاتهم العالية ، وأخذت تردد التعويذات من ذلك الكتاب الأسود العتيق...

وبعد أن أخذت من دماء بالتازار... وبدأت بحقنها عبر الوسم ، صاح بالتازار بحماسة: سأبدأ بتكوين جيش الفيركولاس!!... .وسيقودهم هؤلاء المختارون... لبناء إمبراطورية جديدة ، وليستمر جنس مصاصي الدماء بالبقاء!!

لم يكن الأطفال في كامل وعيهم ، حيث لم يدركوا شيئاً مما يحدث... ولم يستطيعوا تذكّره جيداً بسبب تلك المادة المنومة ، فغابوا عن الوعي مجدداً ، لكن كل ماقد شعروا به... هو الألم... والذعر!... وكابوسٌ مرعب!

في نهاية تلك الليلة..

حملهم أبراكساس وعاد بهم وهو يدرك أن أمراً فضيعاً قد حدث لهؤلاء الصغار... بعد أن رأى وجوههم المتعبة ، لكنه فضّل المال على كل شيء ، وتذكّر بأنه كان يؤويهم لديه لأجل المال فقط!

بينما بقي بالتازار يفكر كثيراً تلك الليلة... حتى قال لكالغينيا: لايمكنني الانتظار حتى يكبروا ثم أعود لأخذهم ، أخشى أن يكون هناك صعوباتٌ ما أثناء تحولهم!... وأخشى أيضاً ألّا أجدهم!!... يجب أن يبقوا بحوزتي يا كالغينيا!

كالغينيا: ولكن ، لقد رفض أبراكساس أن يمنحهم لك بشكلٍ دائم!... لاعليك سيدي ، سنتمكن من العثور عليهم لاحقاً!

لكنّ بالتازار قال وهو يضغط على قبضة يده: كلا!... يجب أن أقوم بإعدادهم وتنشئتهم منذ الآن!!

فكرت كالغينيا باهتمامٍ في كلامه: حسناً ، ربما تكون محقاً في ذلك!.. ولكن ، لن يوافق أبراكساس!

ضحك بالتازار: كلاّ ياعزيزتي ، لانحتاج موافقته ، فسنقوم باختطافهم!

مع شروق شمس اليوم التالي...

اقتحم أبراكساس الحجرة التي ينام فيها الأطفال التسعة وأقفل الباب خلفه بإحكام ، وحاول التقاط أنفاسه ، ثم صرخ فيهم مذعوراً: بسرعة... اهربوا!!

استيقظ الأطفال فزِعين وحاولوا التساؤل عمّا يجري ، لكّن الوقت لم يُتِح لأي سؤال ، فقد سمعوا صوت رجلين خلف الباب ، يقرعانِه بعنفٍ محاولَين الدخول...

استند أبراكساس عليه مشيراً للأطفال بالهروب من النافذة ..

قال الرجل خلف الباب: نريد الأطفال المختارين يا أبراكساس فلتفتح وإلاّ سنكسر الباب!

اتجه ألارد نحو النافذة ولحق به البقية ، بوجوههم الصغيرة الخائفة.. وهم لا يعلمون مما يهربون ولماذا..

عودةً لليوم..

- عام ١٦١٢م -

انطلقت القوات بقيادة أرماند والأمير أرجوس..

وبينما كان ألارد وألباين يقودان سَرِيَّتَيهما ، حدّق ألباين في ظهر أرماند: «بعد حادثة الكتاب ، وتهديد غيلبرت ، ذلك الكونت الوغد يعرف الآن بأنني أسعى للانتقام من عائلته... وقد يضع حداً لحياتي خلال المعارك!... لكنني سأكون مستعداً له... لأنني لن أموت مغدوراً كما حدث لوالدي!!»

ثم تساءل: «مالذي تخبئه يا أرماند؟... وماسرّ شبابك الطويل؟!»

وضِمن السَرِيّة الأخرى ، كانت زوي تعتلي جوادها خلف ألارد ، الذي لم تُبعد ناظريها عنه طوال الطريق ، وشدّت قبضة يدها على سيفها... عندما لاحظت بأن الكونت أرماند... كان يراقبها بزاوية عينه...

❁❁❁

لم تنتهِ القصة بعد،

وستستمر فصولها بالتعاقب، إلى مصيرٍ مجهول...

لايمكن لنبوءات الكهنة معرفته، ولم تُكتَب الأساطير عنه،

فتلك كانت الأسطورة الأخيرة، «أسطورة غير البشر».